خطابُ المرحلة

توثيق لخطابات وبيانات سماحة

آية اللّه العظمى المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي

ومواقفه وتوجيهاته منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق

بعد استشهاد استاذه

السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره)

عام ١٩٩٩

الجزء الثامن

آب٢٠١٢- نيسان ٢٠١٤

حقوق الطبع محفوظة
٢٠١٤م- ١٤٣٥ هـ

دار الصادقين

لطبع ونشر مؤلفات سماحة
المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)
النجف الأشرف- شارع الرسول (صلى الله عليه وآله)
موبايل: ٠٧٨٠٨٢٨٩٣٦٤

خطاب المرحلة
(٣٣٨)

المباركة الشرعية لعمل المنظمات الخيرية والإنسانية [١]

من الواضح لدى كل متشرع: الحث الأكيد على الإنفاق في سبيل الله، لتكرّره كثيراً في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، نذكر منها قوله تعالى في مضاعفة أجر الصدقة والإنفاق في سبيل الله إلى حد لا يعلمه إلا الله (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ) (البقرة/٢٦١) وقال تعالى (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ❖ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء) (آل عمران ١٣٣-١٣٤).

ولكن الله تعالى يعلم أنه ليس كل الناس قادرين على الإنفاق، أو انهم ينفقون مما رزقهم الله تعالى لكنهم يريدون المزيد من الثواب عند الله تعالى، وهو سبحانه عادل لا يحرم أحداً من فرصة الطاعة، فجعل بكرمه لمن يسعى في إيصال الصدقة إلى مستحقها نفس الأجر الذي يستحقه معطيها.

قد يقال بأنه كيف يتساوى ثواب من يتوسط بإيصال المال إلى المستحق مع ثواب من يدفع هذا المال الذي تعب في تحصيله. والجواب بوجوه:

١- إن ذلك ممكن بلحاظ كرم الله تعالى ولطفه ولا إشكال فيه ما دام المنفق لا ينقص من أجره شيء.

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع عدد من منظمات المجتمع المدني ووجهاء العشائر من قضاء الخضر في محافظة المثنى ومن ناحية النصر في محافظة ذي قار ومن كربلاء، ووفود شبابية من البصرة وبغداد يوم السبت ١٣ شوال ١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٩/١.

٢- إن هذه المساواة بلحاظ أصل الاستحقاق ويبقى للمنفق سابق الفضل فيضاعف الله له ما يشاء كما نطقت الآية الشريفة.

٣- إن المنفق يرجع إليه مثل أجور المتوسطين في إيصالها مضافاً إلى أجره، لأنه هو الذي وفّر لهم هذه الفرصة فيكون مصداقاً للحديث الشريف (من سنّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة).

٤- انه لا يحق لنا الإشكال والتساؤل ما دامت الروايات قد نطقت بهذا المعنى، فقد روي عن رسول الله (ﷺ) قوله (من مشى بصدقة إلى محتاج كان له كأجر صاحبها، من غير أن يُنقص من أجره شيء)[1] وقوله (ﷺ) (لو أن الصدقة جرت على يدي سبعين ألف ألف إنسان، كان أجر آخرهم مثل أجر أولهم).[2]

وهذا بالضبط ما تقوم به المنظمات الإنسانية والخيرية من جمع التبرعات و إيصال المساعدات إلى المحتاجين، ويكون المشرّع الإسلامي قد سبق بأربعة عشر قرناً العالم المتحضر اليوم الذي يدعو إلى تأسيس منظمات المجتمع المدني ويفتخر بها، مع الفارق بين العملين بإخلاص النوايا ومصداقية العمل والأمانة على ما بأيديهم.

وبهذا فقد تحقق أكثر من حافز لتأسيس هذه المنظمات الإنسانية والاندفاع بحماس في جمع التبرعات والمساعدات والحقوق الشرعية وتوزيعها على المستحقين، ومن تلك الحوافز:

١- الأجر العظيم من الله تبارك وتعالى وكفى به حافزاً بحيث ينال نفس أجر المتصدق الذي وردت فيه الأحاديث الكثيرة كقول رسول الله (ﷺ) (إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فِلوه أو فصيله حتى تكون مثل

---

(١) (٢) ميزان الحكمة: ٧٧/٥ ح ١٠٥٨٨، ح١٠٥٩٠.

أُحُد) وقوله (ﷺ) (أرض القيامة نار، ما خلا ظلَّ المؤمن فإن صدقته تُظلّه) وقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (الصدقة جنّة من النار)[1].

٢- إنها من مظاهر المجتمع المتحضر المدني الإنساني، فوجود هذه المنظمات وسعة عملها دليل على رقي المجتمع وسمو مبادئه فيحظى بإعجاب واحترام الآخرين.

٣- سعة الحاجة الموجودة في المجتمع، بحيث أن الإحصائيات الرسمية تشير إلى أن نسبة الفقر الموجودة في العراق تصل إلى ٢٤٪ أي ربع السكان، وبذلك فإن عدد الفقراء يتجاوز (٨) ملايين.

وهذا يستدعي سخاءاً في العطاء من كل القادرين عليه، وشبكة واسعة من المتطوعين الذين يوصلون هذه المساعدات، خصوصاً وان طبيعة حياة الموسرين والأثرياء يجعلهم غير قادرين على إيصال المساعدات إلى مستحقيها.

إن وجود هذا العدد الكبير من المحتاجين وبالحالة المزرية التي توصف لنا أو نراها في بعض وسائل الإعلام حجة علينا وابتلاء لنا جميعاً يدعونا -كلُ من موقعه وبحسب ما أوتي من إمكانيات- إلى العمل بجد لمعونتهم بما ييسره الله تعالى.

وبنفس الوقت فإن هذا الواقع المؤلم يشعرنا دائماً بظلم الإنسان لأخيه الإنسان واستئثاره وشُحّ نفسه، خصوصاً السياسيين الذين تقلّدوا أمور البلاد والعباد، فاتخذوا مال الله دولا خلافاً لقوله تعالى (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ) (الحشر/٧).

وإلاّ فإن العراق غني تتجاوز ميزانيته السنوية مئة مليار دولار، وأصبح خلال الأشهر الأخيرة ثاني دولة مصدّرة للنفط في الأوبك بعد المملكة، فلماذا يعيش أهله بهذا الفقر المدقع؟

---

(١) مصادر الأحاديث في ميزان الحكمة: ٥/٦٧- ٦٨.

وبغضّ النظر عن النفط فإن الله تعالى قد تكفّل بأرزاق عباده وخلق لهم من الأرض ما يكفيهم لمعاشهم بكرامة، وتدلّ الأحاديث الشريفة على أن نسبة الفقر الطبيعية من وجهة نظر المشرّع الإسلامي هي ٢.٥٪ مع الالتفات إلى أن معنى الفقير شرعاً هو من لا يملك القدرة على توفير أسباب الحياة الكريمة من دار للسكن وزوجة ووضع معاشي لائق، أما حال الفقراء الموجود اليوم فهو مرفوض في الشريعة تماماً.

ومن الروايات الدالة على هذه النسبة الاعتيادية صحيحة أبي جعفر الأحول أنه سأل أبا عبد الله (عليه السلام) كيف صارت الزكاة من كل ألف خمسة وعشرين درهما ؟ فقال: إن الله عز وجل حسب الأموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل ألف خمسة وعشرين، ولو لم يكفهم لزادهم.[1]

ورواية قثم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن الزكاة كيف صار ت من كل ألف خمسة وعشرين لم تكن أقل أو أكثر ما وجهها ؟ فقال: إن الله عز وجل خلق الخلق كلهم فعلم صغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم فجعل من كل ألف إنسان خمسة وعشرين فقيرا ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزادهم لأنه خالقهم وهو أعلم بهم.[2]

فوجود الفقراء ابتلاء لهم حتى يصبروا ويؤجروا (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر/١٠)، وابتلاء للأغنياء حتى ينفقوا ويخرجوا ما أمر الله تعالى به فيحصلوا على أجر الإنفاق وأداء الحقوق الشرعية.

---

(١) (٢) وسائل الشيعة، كتاب الزكاة، أبواب زكاة الذهب والفضة، باب٣ ح٢/ ٣.

وإنما جاع الفقراء بسبب عصيان الأغنياء، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وإن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء، وحقيق على الله تبارك وتعالى أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله)[1].

وينبغي الالتفات إلى المعنى الأهم والأعلى درجة للإنفاق، وهو الإنفاق المعنوي بتعليم الآخرين ما جهلوا من أحكام الدين وإرشاد الضال ووعظ الغافل وهداية المنحرف وتصحيح الأخطاء الموجودة في سلوك الناس ونحوها، وهذا ما يحتاج إلى كلام مفصّل في مناسبة أخرى بإذن الله تعالى.

في ضوء ما تقدم فإنني لا أجد عذراً لمعتذر لم يؤدِّ دوره في تحفيز إخوانه والاشتراك معهم في تأسيس المنظمات الإنسانية والخيرية والثقافية والتبليغية والاجتماعية وغيرها حتى تملأ مثل هذه المنظمات كل مساحات الاحتياج والله ولي التوفيق.

---

(١) وسائل الشيعة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب١ ح٦.

خطاب المرحلة
(٣٣٩)

إن أمر الإمام المهدي (عليه السلام) أبين من الشمس[١]

كثر الحديث والجدال هذه الأيام عن موعد وشيك للظهور الميمون، وتحوّل كثير إلى محلّلين للأخبار وفلسفة الأحداث، وكثر معه القلق من قادم الأيام خصوصاً مع تصاعد الأحداث في سوريا[٢]، وما يتردد من تشكيل جيش السفياني ونحوه من التخرّصات التي تدخل في باب التوقيتات والرجم بالغيب وهي من الأمور المحرمة، وأقل ما يقال فيها أنها مضيعة للوقت.

إنّ التعاطي مع هذه القضية المهدوية ليس وليد الساعة بل كان منذ أن بدأ المعصومون (عليهم السلام) يعلنون عن الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء)، وكان يساور القلق بعض الأصحاب أحياناً، خشية عدم الاهتداء إلى الموقف الصحيح، والإمام (عليه السلام) يطمئنهم بأن أمره (أبين من الشمس) فهل في الشمس الطالعة شك وارتياب؟

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع أعضاء جمعية الدكتور أحمد الوائلي في العمّارة ومركز أنوار المصطفى (صلى الله عليه وآله) في الشعلة ببغداد وزوّار آخرين يوم الخميس ١٨/شوال/١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/٩/٦.

(٢) ضمن ما سمي بالربيع العربي الذي بدأه شباب على صفحات التواصل الاجتماعي، حددوا يوم ٢٠١١/٣/١٥ الموافق ١٤٣٢/٢ع/٩ ليعلنوا ثورتهم على النظام الحاكم في سوريا وامتدت الى المدن الأخرى وتحولت الى مواجهات مسلحة وأصبحت سوريا جاذبة للمجاميع الإرهابية من أكثر من ٥٠ بلداً في العالم وتجاوز عددهم (٧٠) ألفاً، ولا زالت المعارك الطاحنة مستمرة وتجري بعضها بين نفس الفصائل المسلحة وتحولت كثير من المدن الى ركام وقُتل وجرح مئات الآلاف وشُرِّد حوالي ٦ ملايين، وكانت الساحة العراقية أكثر الساحات المتضررة بالإرهاب.

لكن التعاطي مع هذه القضية له شكل سلبي وآخر إيجابي، أما السلبي فهو تحوّلها إلى مادة للجدل والتحليلات المبنيّة على الأوهام والظنون وما يستدعي ذلك من الإدّعاءات الفارغة والعناوين المزعومة، التي تشوّش على العامة من الناس وتدفعها إلى ارتكاب الحماقات.

وأما الإيجابي وهو شحذ الهمة في طاعة الله تعالى ليكون ممن يحظى برضا الإمام (عليه السلام) ويمهّد لدولته المباركة وليأمن من الانحراف والزلل في المنعطفات والمفاصل التي تمرّ بها مسيرة الأمة.

والمؤسف أنّ الشكل الأول هو السائد وعلامته التقاعس والكسل عن أداء الوظائف المطلوبة من المؤمن، فهذه صلاة الجمعة المقامة في بغداد وغيرها لا يحضرها إلا بضعة آلاف من المصلين مع وجوب الحضور فيها بصريح قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة/٩)، بحيث أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهدّد بإحراق بيوت ناس كانوا لا يواظبون على حضور الصلاة معه (صلى الله عليه وآله) في المسجد، فأين الآخرون المشمولون بالوجوب؟

ولنضرب أمثلة أخرى من الاستفتاءات والبيانات الصادرة خلال هذه الأيام كحديثنا عن المباركة الشرعية[1] لعمل المنظمات الخيرية والإنسانية من خلال حثّ الشرع المقدس على التوسط في إيصال الإنفاق والصدقة إلى مستحقيها وان الوسيط يحصل على نفس أجر المنفق حتى لو جرت الصدقة على أيدي مئة ألف إنسان كرماً من الله وفضلاً، وقلنا انه بعد هذا لا يبقى عذر لمعتذر لا يقوم بالاشتراك مع إخوانه بمثل هذه الأعمال.

---

(١) وهو الخطاب السابق.

والمثال الآخر الاستفتاء الذي أصدرناه قبل أيام عن بطلان الإفطار الذي شرعته بعض الجهات المتسميّة بالصدر بناءً على فهمها يوم الأحد هذا العام لمقلدي السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس) لأن فتواه تقتضي كون الأول من شوال يوم الاثنين فهل سعينا لإرشاد هؤلاء إلى الحكم الصحيح، وإلى المنهج الذي يجب أن يتبعوه؟

إنَّ إحراز رضا الإمام (عليه السلام) عنك وضمان ثباتك على نهجه والانضمام إلى أنصاره قبل الظهور وبعده يكون بالإخلاص لله تبارك وتعالى والصدق في إتباع الحجة المنصوبة من الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) على الأمة قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) (النساء/٦٩) ومثل هؤلاء ليطمأنوا وليهدأ بالهم لأن الأمور ستكون واضحة عندهم وسوف لا يتوانون في نصرة الإمام وإتباعه، ولمثل هؤلاء سيكون الأمر أبين من الشمس كما وصف الإمام (عليه السلام).

أما المتبعون للأهواء الذين ينعقون مع كل ناعق والذين تضخمت أنانيتهم فصاروا يشكّكون ويستشكلون ويتردّدون ويرون لأنفسهم علواً وحاكميةً على الآخرين، فإنهم ستزلُّ أقدامهم ويقعون في وادٍ سحيق، لأن إتّباع الهوى والتعصب والأنانية يحجب الحقيقة ويمنع الرؤية الواضحة وإن كان المرئي أبين من الشمس، فلينظر كل إنسان لنفسه وليتثبت من موطئ قدمه وبوصلة مسيرته.

إنّ هؤلاء المتردّدين والمشكّكين والمتخاذلين والمتقاعسين كانوا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأدخلوا أذىً كثيراً على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانوا يتمرّدون على أوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتعليماته.

وهم الذين اوهنوا دولة أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) حتّى سلّموها لقمة سائغة إلى معاوية وصبيان بني أمية، فاحذروا أن تكونوا أمثالهم والعياذ بالله.

خطاب المرحلة

(٣٤٠)

المحافظة على الصلوات: آخر وصية للإمام الصادق (عليه السلام)[١]

في ذكرى استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) نتوقف عند آخر وصية له (عليه السلام)، وعادة ما تكون آخر وصية للإنسان تمثل عصارة خبرته في الحياة التي يريد أن يقدّمها للآخرين.

(عن أبي بصير قال : دخلت على أُمّ حميدة أُعزّيها بأبي عبد الله (عليه السلام) ، فبكت وبكيت لبكائها ، ثمّ قالت : يا أبا محمّد ، لو رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) عند الموت لرأيت عجباً ، فتح عينيه ثمّ قال : اجمعوا كلّ مَنْ بيني وبينه قرابة ، قالت : فما تركنا أحداً إلاّ جمعناه ، فنظر إليهم ثم قال : إن شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة).[٢]

ويظهر أن هذه وصية النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته جميعاً، روي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (قال: لا تتهاون بصلاتك ، فإنّ النبي(صلى الله عليه وآله) قال عند موته : ليس منّي من استخفّ بصلاته ، ليس منّي من شرب مسكراً ، لا يرد عليّ الحوض لا والله)[٣]، بل هي وصية كل الأنبياء (عليهم السلام)، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (أحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء).[٤]

---

(١) كلمة وجهها سماحة المرجع اليعقوبي(دام ظله) من قناة النعيم الفضائية بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الصادق (عليه السلام) في ٢٥/شوال/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٩/١٣.

(٢) الوسائل ج٤ ص٢٦-٢٧.

(٣) الوسائل ج٤ ص٢٣- ٢٤.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٢١٠/١ ح٦٣٨.

فلا يغتر البعض بما يقال له أنّه إذا فعل كذا فقد وجبت له الجنة، أو دخل الجنة بغير حساب مما يكثر منه الخطباء على المنابر من دون ذكر قيوده وشروطه.

إنّ للصلاة أهمية كبرى في الدين ودوراً مهماً في حياة الإنسان ومصيره، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما بين المسلم وبين أن يكفر إلاّ ترك الصلاة الفريضة متعمّداً أو يتهاون بها فلا يصلّيها).[١] وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: (الصلاة عمود الدين ، مثلها كمثل عمود الفسطاط ، إذا ثبت العمود ثبت الأوتاد والأطناب، وإذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب).[٢] وعن علي (عليه السلام) قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) إنّ عمود الدين الصلاة ، وهي أوّل ما يُنظر فيه من عمل ابن آدم ، فإن صحّت نُظر في عمله ، وإن لم تصحّ لم يُنظر في بقيّة عمله).[٣]

لذا كان مقياس صلاح الإنسان عند أهل البيت (عليهم السلام) هو اهتمامه بصلاته، عن هارون بن خارجة قال : (ذكرت لأبي عبدالله (عليه السلام) رجلاً من أصحابنا فأحسنت عليه الثناء ، فقال لي : كيف صلاته؟).[٤]

وقد ورد في فضل المصلي وثواب الصلاة شيء كثير، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله عزّ وجلّ إليه ، أو قال : أقبل الله عليه حتى ينصرف ، وأظلّته الرحمة ، من فوق رأسه إلى أُفق السماء ، والملائكة تحفّه من حوله إلى أُفق السماء ، ووكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول له : أيّها المصلّي ، لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفتّ ولا

---

(١) الوسائل ج٤ ص ٤٣.

(٢) الوسائل ج٤ ص٢٧.

(٣) الوسائل ج٤ ص٣٤-٣٥.

(٤) الوسائل ج٤ ص٣٢.

زلت من موضعك أبداً).[١] وعن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال : للمصلّي ثلاث خصال : إذا هو قام في صلاته حفّت به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء ، ويتناثر البّر عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه ، وملك موكّل به ينادي : لو يعلم المصلّي من يناجي ما انفتل)[٢].

وعن الإمام الباقر(عليه السلام) (قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل في كلّ يوم منه خمس مرّات ، أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟ قلنا : لا ، قال : فإنّ مثل الصلاة كمثل النهر الجاري ، كلّما صلّى صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب).[٣]، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل ابليس ينظر إليه حسداً، لما يرى من رحمة الله التي تغشاه).[٤]

إن الصلاة التي تكون لها هذه القيمة لابد أن تكون تامة في أجزائها وشرائطها التي يذكرها الفقهاء في رسائلهم العملية. عن الإمام الباقر (عليه السلام) (قال : بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلّي ، فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده ، فقال (صلى الله عليه وآله) : نقر كنقر الغراب ، لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير دين).[٥]

ومن المهم جداً لكي تؤدي الصلاة غرضها المنشود وتتحقق منها الآثار المباركة: المحافظة عليها في أوقاتها، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس لوقتهنّ فإذا

---

(١) الوسائل ج٤ ص٣٢.
(٢) الوسائل ج٤ ص٣٣.
(٣) الوسائل ج٤ ص١٢.
(٤) الخصال: ٦٣٢ ح١٠.
(٥) الوسائل ج٤ ص٣١-٣٢.

ضيّعهنّ تجرّأ عليه فأدخله في العظائم)[١]. و عن الصادق (عليه السلام) ـ في حديث ـ : (إنّ ملك الموت يدفع الشيطان عن المحافظ على الصلاة ، ويلقّنه شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله ، في تلك الحالة العظيمة)[٢]، وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (ما من عبد اهتم بمواقيت الصلاة ومواضع الشمس إلا ضمِنتُ له الرَوْحَ عند الموت، وانقطاع الهموم والأحزان، والنجاة من النار)[٣]

من خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة انه قال في كلام يوصي أصحابه : (تعاهدوا أمر الصلاة ، وحافظوا عليها ، واستكثروا منها ، وتقرّبوا بها ، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: (ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلّين) وإنّها لتحتّ الذنوب حتّ الورق ، وتطلقها إطلاق الربق ، وشبّهها رسول الله بالحمّة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرّات ، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن ، وقد عرف حقها رجال من المؤمنين ، الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ، ولا قرة عين من ولد ولا مال ، يقول الله سبحانه: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنّة ، لقول الله سبحانه (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه).[٤]

---

(١) الوسائل ج٤ ص٢٨.

(٢) الوسائل ج٤ ص٢٩.

(٣) بحار الأنوار: ٨٣، ٩ح ٥.

(٤) الوسائل ج٤ ص٣٠- ٣١.

ولأجل أن تصبح الصلاة جزءاً أساسياً من حياة الإنسان لا يستطيع أن يحيا بدونها فقد أمر المعصومون (عليهم السلام) بإلزام الصبيان بالصلاة من وقت مبكر كعمر (٦-٨) سنين بحسب استعداداته الذهنية وفهمه لما يقال له.

روى محمد بن مسلم: أنه سأل أحد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) (في الصبي ، متى يصلّي؟ فقال : إذا عقل الصلاة قلت : متى يعقل الصلاة وتجب عليه؟ قال : لستّ سنين).[1]

ويستغرب الإمام (عليه السلام) من الآباء والأمهات الذين لا يتابعون أداء أطفالهم للصلاة، روى أحدهم قال (سألت الرضا (عليه السلام) أو سئل وأنا أسمع ، عن الرجل يجبر ولده وهو لا يصلّي اليوم واليومين؟ فقال : وكم أتى على الغلام؟ فقلت : ثماني سنين ، فقال : سبحان الله ، يترك الصلاة؟! قال : قلت : يصيبه الوجع ، قال : يصلّي على نحو ما يقدر.).[2]

إن المتابع لحال المسلمين -خصوصاً في البلدان المترفة والتي تكون فيها فرص المغريات والشهوات كثيرة- يجد عند كثير منهم إهمال أمر صلاتهم، وعدم الالتزام بها في أوقاتها وهذه قضية حيوية وشيء خطير لابد من معالجته بالالتفات إلى ما ذكرناه من أهمية الصلاة والعقوبة الغليظة على من ضيّعها وأهملها، بحيث لا يُقاس به حتى مرتكب الكبائر كالزنا وشرب الخمر، ويعلّل الإمام الصادق (عليه السلام) ذلك بقوله (لأن الزاني وما أشبهه إنما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلاّ استخفافاً بها)[3]

---

(١) الوسائل ج٤ ص١٨- ١٩.

(٢) الوسائل ج٤ ص٢٠.

(٣) الوسائل: باب١١، ٢.

إن من تكليفنا اليوم وفي كل يوم أن نطلق حملة شاملة لإعادة المسلمين إلى صلاتهم بالإقناع أو بالإلزام لمن كانت له سلطة وقيمومة، كالوالدين على أبنائهم، أو إدارات المدارس على الطلبة، وأن نقوم بتيسير السبل لذلك من خلال إنشاء المصليات داخل الجامعات والمدارس والمؤسسات الحكومية، وتفعيل دور المساجد ونحوها من الآليات لنكون ممن تناله شفاعة النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

إن من استشعر العبودية لله تبارك وتعالى واعتزّ بها يجد في الصلاة لذة كبيرة، ولا يجد للحياة طعماً ولا معنى إذا خلت من الصلاة، ولا يكتفي بالصلوات المفروضة لأنه يجد الأوقات بينها كثيرة لا يتحملها بلا صلاة فيتنفل بما يسّر الله تعالى له خصوصاً في الليل، فإن ما بين المغرب والفجر وقت طويل.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) -لما سُئل عن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله - قال: (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم قال: (وأوصاني بالصلاة) (مريم/٣١)[١] وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (ليكن أكثر همك الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين).[٢]

ولما سأل أبو ذر الغفاري رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الصلاة، قال (صلى الله عليه وآله): (خير موضوع، فمن شاء أقلّ ومن شاء أكثر).[٣]

ولاشك أن الكلام عن الصلاة لا يستوعبه مجلس واحد، ولكننا أحببنا إثارة أصل الموضوع لأهميته ليكون فاتحة لعمل واسع بإذن الله تعالى، فلنحرص جميعاً على أن نكون ممن أحسن صلاته وأكثر منها وحافظ عليها في أوقاتها.

---

(١) الكافي: ٣/ ٢٦٤، ح١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٧/٧٧ ح٣٣.

(٣) معاني الأخبار: ٣٣٣ ح١.

خطاب المرحلة
(٣٤١)

الرد العملي على الإساءة لرسول الله (ﷺ)[1]

لا زلنا نعيش تداعيات ما قيل من إنتاج فيلم يسيء إلى رسول الله (ﷺ) في السينما الأمريكية بإخراج وتمويل يهوديين وقد نشرت بعض المواقع دقائق منه قبل عرضه، مما استفزّ مشاعر المسلمين فخرجوا في تظاهرات واحتجاجات في بلدان إسلامية عديدة، وهاجم بعض المتظاهرين عدة مقرات لسفارات ومؤسسات غربية.

ولم تكن هذه الإساءة هي الأولى فقد دعا بعضهم إلى حرق المصحف الشريف علنا وآخرون رسموا صوراً كاريكاتورية مسيئة، وآخر يؤلف كتاباً شيطانياً أو يؤدون حركات عبثية للسخرية من عبادات المسلمين وشعائرهم. وهكذا

ومن وجهة نظري فإن هذه الأفعال تشعرنا بالزهو والفخر والانتصار لأن صدورها منهم تعني إفلاسهم وهزيمتهم وتدل على اعترافهم بانتصار الإسلام وتقدمه وغزوه لهم وفشل كل مشاريعهم للقضاء على حركته المباركة وإيقاف مدّها إلى عقر دورهم فلجأوا إلى هذه الأساليب للتضليل وللتشويه، ولو كان الإسلام هزيلاً مهزوماً ضعيفاً لما خافوا منه وقلقوا وقاموا بهذه الأفعال البائسة.

لكننا يجب أن لا نقف عند ردود الأفعال العاطفية المؤقتة فإنها لا تستطيع مقاومة مشاريع أعداء الإسلام المتنوعة من إفساد أخلاقي وتخريب ثقافي وتمزيق لحمة

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع عدة وفود منها مدرسة أشبال المنتظر في الناصرية، ومجموعة الطلبة المتفوّقين في الدراسة الإعدادية في المشخاب يوم الأربعاء ٢/ذ.ق/١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/٩/١٩ وقام فتيان المدرسة بعدة فعاليات قرآنية وأناشيد.

المجتمع وحصار اقتصادي و تجفيف الأنهار وتلويث المياه ونشر الأمراض الخطيرة من خلال أدوية فاسدة، ولا تنتهي عند الاحتلالات العسكرية والهيمنة على القرار السياسي وغيرها مما يخفى على كثيرين حيث يضع المستكبرون لكل بلد وشعب السيناريو المناسب له من وجهة نظرهم.

وألفت نظركم إلى واحد من مشاريعهم التخريبية كُشف عنه خلال هذه الأيام فقد كشفت دائرة الأنواء والرصد الزلزالي انها تملك أدلة على أن التغيير الحاصل بالجو في العراق بفعل فاعل وليس أمراً مناخياً طبيعياً وانهم وبعد جهود مضنية على مدى خمس سنوات استطاعوا الحصول على أدلة تثبت تورط الولايات المتحدة بالتحكم في المناخ العراقي. وانهم قد رصدوا وجود طاقة صناعية تم توجيهها عبر مركز ابحاث الترددات العليا للشفق القطبي الشمالي، بما يعرف بمشروع (هارب HAARP) باعتباره المركز الوحيد القادر على افتعال زلازل وفيضانات وأعاصير ورفع وخفض درجات الحرارة التي تبدو طبيعية، وتوقع خبراء الأرصاد أن ترتفع درجات حرارة العراق في السنوات الثلاثة المقبلة إلى سبعين درجة مئوية مما سيجعل الحياة فيه شديدة الصعوبة.

وبذلك انضمَّ العراق إلى الدول التي يتحكم بمناخها مشروع هارب الذي تديره الولايات المتحدة الأمريكية وقد كشف الموقع الاخباري النيوزلاندي (ناتشرنيوز) عن دراسة تشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تسببت في الزلزال الذي ضرب اليابان في ١١/آذار/٢٠١١.

وسواءً ثبت وجود مثل هذه القدرة عندهم أو لم يثبت، فإن المهم هو معرفة توجهاتهم الأخلاقية وأنماط سلوكهم العدواني.

والمثال الآخر توجّه الحكومة الأمريكية لقطع نسل ملايين الناس بإحداث العقم لدى نسائهم وهو نموذج للإبادة البشرية التي تقوم بها الدول المستكبرة المستمدة من

ثقافة الصهاينة في احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة وتاريخ بثقافة وتاريخ غيرهما.

فهذه التصرفات والخطط الهدّامة متوقعة منهم وهم ماضون فيها (لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) (التوبة/١٠) وإلا بماذا يستحلّون الإساءة إلى رسول الله (ص) المبعوث رحمة للعالمين، والذي كان مصدر خير لجميع البشر إلى يوم القيامة وهم يعترفون بذلك حتى جعله أحد مفكريهم على رأس أعظم مئة شخصية صنعت التاريخ والحضارة الإنسانية.

وبماذا جاء رسول الله (ﷺ)؟ جاء مبلّغاً لرسالات ربه مكملاً لرسالات الأنبياء السابقين يأمر بالعدل والإحسان ورفض الظلم والبغي والفحشاء والمنكر، فيجب على كل إنسان أن يحبّه ويحترمه ويعظّمه حتى لو كان من غير دين، كما نحترم نحن العلماء الذين قدّموا خدمات للبشرية رغم اختلافنا في الدين وندرس نظرياتهم ونشيد بانجازاتهم العلمية.

فسلوكهم هذا يعني انهم لا يحترمون الإنسانية والعقل والأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية.

فهم بذلك يسيئون إلى أنفسهم ويفضحونها وليس إلى رسول الله (ﷺ) الذي هو أعزّ وأكرم وأعلى من أن تناله حماقاتهم (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر/٩٥) (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة/٣٢).

وإلى جانب هذه الحملة المسعورة التي تستهدف الإسلام، توجد حملة تضاهيها تستهدف التشيّع بالتشويه والتسقيط والاجتثاث والاستئصال بالقتل والإبادة، أو التخلي عن الهوية بالترويع والإرهاب، وجرائمهم التي يندى لها جبين الإنسانية في العراق وأفغانستان وباكستان وغيرها مما لا حصر له. وهو أيضاً دليل هزيمتهم أمام

تقدّم التشيع وانتشار تعاليم أهل البيت (عليهم السلام)، فيحاولون إطفاء نور الله بهذه الأساليب الوضيعة.

إن الكثير من هؤلاء الذين يتظاهرون ويحتجون بحماس في شوارع المدن الإسلامية في باكستان وافغانستان وغيرهما هم الذين يقتلون الأبرياء ويفجّرونهم في المدارس والأسواق والمساجد والأماكن العامة باسم الإسلام واسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهم أشد إساءة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من صنّاع الفلم والرسوم والروايات الشيطانية، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يغفر لمن يسيء إلى شخصه المبارك بقول أو فعل لكنه كان لا يسكت على أي ظلم يوجَّه إلى الإنسان خصوصاً إذا بلغ الدماء.

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخطب في مسجد الكوفة، فقال كلاماً أذهل الجالسين، فقال رجل من الخوارج (قاتله الله كافراً ما أفقهه) فوثب إليه القوم ليقتلوه، فقال (عليه السلام) (رويداً إنما هو سبٌّ بسبّ أو عفوٌ عن ذنب)[1] ولا مجال لأي عقوبة أخرى، ولما لم يكن من أخلاق أمير المؤمنين (عليه السلام) مقابلة السيئة بمثلها فقد عفا عنه وهو رئيس الدولة الإسلامية.

لكن امرأة أتته يوماً تشتكي والي البصرة فحرّر كتاباً على الفور يعزل فيه ذلك الوالي.

وليعلم هؤلاء المحتجون أن من أهداف الاستكبار في إثارة هذه الأفعال المسيئة إنما هو ليستفزّوا مشاعر المسلمين ويدفعوهم فالرد على هؤلاء الأعداء الذي يريدون منا التخلّي عن هويتنا (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) (البقرة/١٢٠) أو اجتثاث وجودنا واستئصاله، هو بمزيد من الالتزام بديننا وقرآننا وتعاليم أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٠.

أجمعين) والأخذ بسيرتهم وهديهم خصوصاً منكم معاشر الشباب والفتيان الذين تتلون القرآن وتنشدون الأناشيد في حب الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) وتتعهدون بالثبات والنصرة وأنتم في عمر الزهور والغرائز المتدفقة، وبذلك تشعرونهم باليأس والإحباط والفشل لأن كل هدفهم سلخنا من مبادئنا ومعتقداتنا.

وأن تردّوا بمزيد من النجاح والتفوّق والإبداع والانجاز في كل الميادين التي تتواجدون فيها، فحينما أسمع من بعض الوفود الحاضرة أن عدد من أعفوا بكل الدروس في المرحلتين الرابعة والخامسة الاعدادية في مدينة المشخاب وحدها هو (١٦٠) طالباً وطالبة، وان عدد من نجحوا بمعدل يفوق ٩٠٪ في الامتحانات العامة للدراسة الإعدادية في المدينة من الدور الأول هم (٢٥) طالباً وطالبة فهذا نموذج لما أقصده من الرد العملي وإدخال اليأس على الأعداء.

ربما سمعتم بما حصل قبل اسبوعين حينما قام مسلحون مجهولون باغتيال عالم نووي عراقي[1] مقيم في بريطانيا منذ أكثر من ٣٠ عاماً حينما كان في زيارة إلى فرنسا فقتلوه وزوجته وامرأة مسنّة معهما وجرحت ابنة له مع اختها، وحصل كل ذلك بدم بارد ولم يهتم الإعلام بالحدث ولا تحرك ملف التحقيق لكشف ملابسات الحادث.

وأن تردّوا بتوسيع قاعدة الالتزام بالدين والرجوع إلى الله تبارك وتعالى فتحثون الذي لا يصلي على المحافظة عليها، وتقنعون غير المحجبة بالالتزام بالحجاب العفيف

---

(١) وقع الحادث يوم ٢٠١٢/٩/٥ في منطقة (شيفالين) شرق فرنسا، والمستهدف اسمه (سعد الحلي) وهو عالم نووي عامل في مختبر نووي سري للغاية في بريطانيا، وكان معروفاً بكرهه للأمريكيين، هرب من العراق عام ١٩٧٨، وقد ذاع صيته أخيراً بعد نجاحه في إنتاج مسرّع جسيمات عملاق يستطيع صنع مواد مشعّة. وقد عمل في مختبر (روثر فورد ابليتون) للأبحاث الذي حظي بشهرة عالمية في ثمانينات القرن الماضي.

لأنه رمز جمالها وكمالها، وتدعون إلى التحابب والألفة وحل المشاكل بالحوار ونحوها واذكروا لهم قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) فمع أي إمام يحبون أن يحشروا، ولاشك انهم لا يستبدلون برسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء والحسن والحسين والأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) أحداً غيرهم، إذن فليأخذوا بسيرتهم وتعاليمهم.

وان تردّوا على خططهم الشيطانية في استئصال وجود المسلمين بزيادة الانجاب وتكثير النسل لإدخال السرور على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولزيادة النسمات التي تشهد لله تعالى بالوحدانية ولرسول الله (صلى الله عليه وآله) بالرسالة ولأمير المؤمنين بالولاية، فقد روي عنه قوله (صلى الله عليه وآله) (اطلبوا الولد فإني مكاثر بكم الأمم غداً)[1] وعنه (صلى الله عليه وآله) قال (تزوّجوا فإني مكاثر بكم الأمم غداً في القيامة حتى ان السقط يجيء محنبطاً على باب الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: لا حتى يدخل أبواي الجنة قبلي).[2] مع الاهتمام بتربيتهم تربية صالحة وجعلهم عناصر مثمرة مباركة.

وقد قلت في أكثر من مناسبة أن عدد الأطفال المطلوب لكل زوجين هو أربعة على الأقل للمحافظة على الوجود، ولتكثير النسل، فإذا قصّر المسلمون في تحقيق الهدف وهو تكثير النسل، فقد خالفوا وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعانوا أعدائهم على أنفسهم.

إن مقولة (تحديد النسل) و (تقليل الإنجاب) هي من الثقافة المدمّرة التي دسّها الأعداء في عقول المسلمين، وأكثر الأسباب التي تُقال في تبريرها ليست مقبولة كصعوبة المعيشة وزيادة تكاليف الحياة، لأن الله تعالى هو الرازق لعباده وليتذكر

---

(١) (٢) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته، باب١ ح٢، ٦و باب ٢ح ٤.

الوالدان اللذان يقولان مثل هذا الكلام انهما كانا حملين في بطن الأم ويأتيهما رزقهما رغداً هنيئاً سائغاً، فلا يعول الفرد على نفسه ويغفل عن لطف الله تعالى، روي عن رسول الله قوله (اتخذوا الأهل فإنهم أ رزق لكم).[1]

(١) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته، باب١ ح٢، ٦و باب ٢ح ٤.

خطاب المرحلة

(٣٤٢)

اصدع بهويتك وكن شجاعاً [١]

من مظاهر تقصيرنا الذي تحوّل إلى مشكلة تعيق تقدّم العمل الإسلامي الرسالي هو عدم إبراز هويتنا اما ضعفاً أو مجاملة أو مداهنة أو خوفاً على بعض المصالح والامتيازات أو لأي سبب آخر، ونقصد بهويتنا كل الانتماءات التي تشكل عناصر هذه الهوية، فنحن مسلمون ننتمي للإسلام، ونحن من الموالين لأهل البيت (عليهم السلام)، ونحن نتبع المرجعية الفلانية ونقلدها.

فعلى صعيد الهوية الإسلامية نجد أن بعض المسلمين -في بعض المجتمعات المتمدنة كما يزعمون- قد يترك الصلاة بين زملائه في العمل أو في الجامعة حتى لا يعرف انه مسلم، أو المرأة تضعف عن لبس الحجاب العفيف لأنها لا تستطيع أن تواجه تعليقات الآخرين، أو يجلس شخص على مائدة الشراب أو يسمع الغناء حتى لا يقال عنه انه (معقّد) أو (متخلّف)، أو يجاري الآخرين في لبسه ومظهره الخارجي واندماجه معهم في سلوكهم المنحرف حتى يقال عنه أنه متمدن متحضر مثلهم.

وعلى صعيد الهوية الشيعية نجد من يترك المشاركة في إحياء الشعائر الحسينية المهذبة المسنونة شرعاً، أو يعرض عن قضية فاطمة الزهراء (عليها السلام) وما جرى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو يخفي شهادته لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالولاية، أو السجود على التربة ونحوها.

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من طلبة الجامعة المستنصرية يوم الثلاثاء ١٥/ذ.ق/١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/١٠/٢ وقد أنشد أحدهم شعراً للمرجعية فتحدث سماحته بهذه المناسبة.

والذي يقلّد المرجعية المعيّنة لا يصرّح بذلك ويحاول التمويه والابتعاد عن انتسابه إليها ونحوها من الأمثلة على التخلي عن الهوية وما تقتضيه انتماءاته لتلك الهوية من التزامات.

إن هذا الضعف عن ابراز الهوية لا يضرّ فقط في دينه وآخرته ويسقطه من عين الآخرين لاتهامه بالنفاق، بل انه يضرّ بكل المشروع الذي ينتمي إليه لأنه يؤدي إلى تمييع الهوية وتضييعها، ولأنه إذا لم يعلن انتماءه ويبيّن نقاط القوة فيه ودواعي تبنّيه له، فكيف سيدعو الآخرين إليه ويقنعهم به؟، وكيف سيتقدم المشروع الرسالي؟ ولو أن السلف الصالح لم يقم بواجبه تجاه هويته ويبيّنوها بوضوح ويدافعوا عنها بالحجج الدامغة لما وصلت إلينا بهذه القوة والثبات والمناعة مضمّخة بدماء الشهداء ومداد العلماء.

فإنّ الوحدة والتقارب والتعايش مع الطوائف الإسلامية أو مع الديانات الأخرى، أو مع الشرائح المتنوّعة لا تستلزم التنازل عن المبادئ والمعتقدات التي ثبتت صحتها، فليعمل كلٌ بما ثبت عنده صحته بالحجة والبرهان، وإذا كان غير متثبّت من معتقداته وانتماءاته فيجب عليه إعادة النظر فيها ومراجعتها وطلب الدليل عليها، وليس اخفاؤها والمجاملة فيها.

لقد كان من أوائل الأوامر التي وجّهها الله تبارك وتعالى إلى رسوله الكريم (ﷺ) في بداية الدعوة الإسلامية (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ❖ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر/٩٤-٩٥) فصدع النبي (ﷺ) بدعوته في مواجهة طواغيت قريش وسدنة الأصنام التي بلغ تعدادها (٣٦٠) صنماً حوّلوها إلى كيانات لمصالحهم وامتيازاتهم الواسعة، ولم يكن مع النبي (ﷺ) إلاّ أمير المؤمنين (عليه السلام) وخديجة بنت خويلد، وأصرّ على تحمل المسؤولية حتى فتح الله تعالى على

يديه، ولا نطيل بالشواهد من سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).

وعلى هذا النهج سار الصلحاء من اتباع أهل البيت (عليهم السلام)، فيقف أبو ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه) في عقر ديار معاوية ويقول: سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) باذنيّ هاتين وإلاّ صُمَّتا يقول، ثم يذكر فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وانظر إلى موقف الصحابة الاثني عشر الذين احاطوا بمنبر الأول حينما تقمص الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وادلوا بشهاداتهم وحججهم وقد ذكرها الطبرسي في كتاب الاحتجاج.

روينا لكم في حديث سابق اننا في موسم الحج عام ١٤٢٤ وجّهنا إلى أن نرفع أصواتنا بشكل جماعي اثناء الطواف حول الكعبة بدعاء الفرج (اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن.....) ليلتفت المسلمون القادمون من حوالي (١٨٠) دولة في العالم إلى إمامهم الحق ويسألوا عنه ويتعرفوا عليه ويهتدوا إلى نوره، وكنّا على ثقة بأنه سيتجاوب معنا الموالون، وهذا ما حصل وكان له وقع واثر ولم يستطع المناوؤن منعه واستمرت هذه السُنّة إلى اليوم ونسأل الله تعالى أن تبقى وتستمر وتتسع حتى يأذن الله لوليه بالظهور المبارك.

إننا كثيراً ما نتحدث عن مؤامرات الأعداء واستهدافنا وانهم يفعلون كذا وكذا، ولا نتحدث إلا القليل عمّا يجب أن نفعله نحن في مواجهتهم والقيام بمسؤولياتنا، ومنها هذا التكليف بالاصحار والاعلان عن عناصر الهوية.

ويجب الالتفات إلى أن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر الله تبارك وتعالى، وأوصى نبيّه الكليم وأخاه هارون وهما يتوجهان إلى فرعون لدعوته إلى التوحيد (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى❖ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه ٤٣-٤٤)

خطاب المرحلة

(٣٤٣)

من مواعظ الإمام الجواد (عليه السلام)[١]

أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنّ هذه القلوب -التي هي محل معرفة الله تعالى ووعاء الوصول إليه- يعروها الصدأ والرين بما يكتسب الإنسان من ذنوب ولكثرة مشاغله ومشاكله في هذه الدنيا، فإذا ازداد الرين طبع على القلب واسودّت صفحته فانغلق عن المعرفة وتلقّي الفيض الإلهي، إلى أن يتداركه الله بلطفه ورحمته، روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن).[٢]

لذلك أوصى أهل البيت (عليهم السلام) بتعاهد هذا القلب بالموعظة حتى تبقى فيه جذوة الحياة وتبقى فيه قابلية التكامل، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) (احيي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة).[٣]

فإذا كنتم تبحثون عن الموعظة وتتحرون مواطنها وتتأثرون بها وتتفاعلون معها فهذا يعني أنّ قلوبكم ما زالت حيّة ويرجى منها الخير وهذه نعمة عظيمة تستحق الشكر المتواصل لله تبارك وتعالى.

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من طلبة كلية الطب في جامعة البصرة وجمع من أطباء ومثقفي وأكاديمي مدينة العمارة ووفد من شيوخ عشائر ناحية الفجر في محافظة ذي قار يوم السبت ٢٦ ذ.ق ١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/١٠/١٣.

(٢) منتخب ميزان الحكمة ٥٣٣ رقم ٥٣٥٠.

(٣) نهج البلاغة، الكتاب: ٣١.

وما دمنا على أعتاب ذكرى استشهاد الإمام الجواد (عليه السلام) معجزة الإمامة فلنأخذ الموعظة منه (عليه السلام) من خلال بعض أحاديثه (عليه السلام)، وأولها ما يرتبط بما نحن فيه من ضرورة تعاهد أمر القلوب ومواصلة إحياءها:

١- قال (عليه السلام) (القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال)[١].

نحن نهتم كل الإهتمام بطاعة الجوارح فنبادر إلى الصلاة الفلانية لأن فيها كذا وكذا من الثواب وإلى الصوم الفلاني لأن فيه كذا وكذا، وهذا كلّه حسنٌ جميل، ويعطي الله تعالى بكرمه هذا الثواب المذكور في الخبر وإن لم يقله المعصومون (عليهم السلام) كما أفادت الروايات الصحيحة، ولكنّ الإمام (عليه السلام) ينبّهنا إلى أنّ الطاعات الأسرع إنتاجاً وإيصالاً إلى الكمال هي الطاعات القلبية.

وأهمّ الطاعات القلبية المعرفة بالله تعالى، ولا نتصور أن المعرفة والعرفان علمٌ خاص بنخبة نادرة من العرفاء الشامخين، وإنّما هي متاحة لكل من طلبها وسألها من الله تعالى، لذلك دعا الله تعالى جميع خلقه إليها من خلال التدبّر بالقرآن الكريم والأحاديث الشريف، ويعطينا الإمام الجواد (عليه السلام) واحدة من أشكال وأدوات هذه المعرفة لتتأكد أنّ هذه المعرفة ميسّرة لكل أحدٍ إذا صدق في طلبها:

٢- قال (عليه السلام) (إعلم أنّك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون).[٢]

هل توجد حقيقة أوضح من أن الله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنّه على كل شيء شهيد، إذا كان الأمر كذلك -وهو كذلك بلا شك ولا ريب- فلنراقب أنفسنا ولنتأدب بحضرة الله تبارك وتعالى ولنتعلم كيف يجب أن نكون ما دمنا في جميع أحوالنا بمنظر منه تبارك وتعالى في

---

(١) ميزان الحكمة: ٩/ ٤٦٠.

(٢) تحف العقول: ٣٣٦.

أقوالنا وأفعالنا وخطراتنا وظنوننا ومشاعرنا وعواطفنا، فالذي يتصور أنّه قد غلب الآخر أو خدعه أو فعل شيئاً في السر والخلوة حيث لا يراه ولا يعلم به أحد إنّما يخدع نفسه لأنّ الله شهيد عليه، ويكون قد أعان على نفسه من حيث يعلم أو لا يعلم، وفي ذلك:

٣- قال (عليه السلام) (من أطاع هواه أعطى عدوَّه مناه).[١]

أي كأنه أهدى مقتله المعنوي مجاناً إلى أعدائه المتربصين به و بغوايته، وأولهم نفسه الأمّارة بالسوء (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) وقال الإمام الصادق (عليه السلام) (لا تدع النفس وهواها، فإن هواها رداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكفّ النفس عما تهوى دواها)[٢]، وثانيهم الشيطان الذي أقسم على غواية البشر (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ❖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص/٨٢-٨٣) فلابد أن يبذل الإنسان وسعه في السيطرة على غرائزه ومشاعره وشهواته وعواطفه ويجعلها وفقاً لما يريده الله تبارك وتعالى، فيفعل ما يحبه الله تعالى، ويجتنب ما يكرهه تعالى، وليس عليه أن يكبتها ويقضي عليها، فإن الله تعالى خلق هذه القوى لنفع الإنسان واعمار الحياة وإدامة الوجود، وجعل ثواباً جزيلاً على من سيّرها وفق الشريعة المقدسة، كاستخدام الشهوة الجنسية في إقامة سنة الله تعالى وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) بالتزويج وتكثير النسل ونحوها.

وهكذا المال وغيرها من أمور الدنيا فإذا أخذ من حله وأنفق في حله فإنه يصبح من أمور الآخرة.

---

(١) ميزان الحكمة: ٩/ ٤٦٠.

(٢) الكافي: ٣٣٦/٢ ح٤.

وها هو النبي الحكيم سليمان (صلوات الله عليه) يقول (وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) (ص/٣٥) مع أنه نبي معصوم، فلا ضير في طلبه ما دام يريد به إقامة شرع الله تبارك وتعالى.

واعلم ان ذلك لا ينال متى تحب وتشتهي، ولا تتصور انك قادرٌ بمفردك على اختيار الطريق الصحيح بما شئت إلا بمقومات يذكرها الإمام الجواد (عليه السلام):

٤- قال (عليه السلام) (المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظٍ من نفسه، وقبول ممن ينصحه).[1]

فأول تلك العناصر والمقوّمات: توفيق الله تبارك وتعالى ولطفه بعبده، ولذلك كان هناك تركيز في أدعية المعصومين (عليهم السلام) بطلب التوفيق (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية).

ومدخلية التوفيق وأسباب اللطف الإلهي واضحة في حياتنا، مثلاً تجد الاندفاع والحماس للصوم في شهر رمضان بروحية عالية وإقبال شديد مع انه في صيف لاهب ونهار طويل جداً، بينما يتكاسل عن صوم يوم مستحب في غيره ولو في نهار بارد قصير قليل المؤونة، مع ان بعض الصوم المستحب -كصيام ثلاثة ايام في الشهر والأفضل أن تكون أول خميس والأربعاء في العشرة الوسطى وآخر خميس الذي يعدل صوم الشهر والالتزام بهذه السُنّة يعدل صوم الدهر -مما سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحثّ على الالتزام به حباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وإحياءاً لسنته الشريفة.

فاسألوا الله تعالى أن يمدّكم بتوفيقه دائماً وليس في أوقات محددة كالنشاط الذي نلمسه في ليلة القدر فيجتمع المؤمنون في المساجد وصلاة مئة ركعة وأكثر بينما يتكاسل البعض عن أداء نزر يسير من النوافل المهمة في غيرها من أيام السنة

---

(١) تحف العقول: ٣٣٧.

كركعتي الشفع وركعة الوتر من صلاة الليل وكصلاة الغفيلة من نافلة المغرب وكنافلة الصبح ونحوها.

ونحن مقبلون على أزمنة شريفة في شهر ذي الحجة منها العشر الأوائل، ومن أعمال الشهر وسائر الأشهر الحرم صوم ثلاثة أيام متتالية: الخميس والجمعة والسبت، فقد ورد في الحديث الشريف (أن من صامها في شهر من الأشهر الحرم كتب الله له عبادة تسعمائة عام)[1]، ويمكن لمن عليه قضاء أن ينوي الصوم للأمرين فيُعطى الأجر إن شاء الله تعالى وهذا الثواب فيه حافز كبير على العمل، وإن كان الأفضل أن نقوم بالفعل الحسن لمجرد أن الله تعالى يحبّه ورسوله (ﷺ) يحبّه بغضّ النظر عن مقدار الثواب المرصود له.

والعنصر الثاني هو أن يكون له واعظ من نفسه وقلب يستجيب لما فيه حياته وسلامته وإذن واعية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/٢٤)، وإلاّ فإن الهداية لا تحلّ قلباً منكوساً مُعرِضاً عن الحق ولهذا كان من اللازم إحياء القلوب دائماً بالموعظة وذكر الموت وتلاوة القرآن وتقليل العلائق بالدنيا.

والعنصر الثالث: أن تبحث عن الأخ الناصح الذي يسدّدك بكلماته وأفعاله وتذكّرك رؤيته بالآخرة ويهدي إليك عيوبك ويدلّك على ما فيه صلاحك كهذه الكلمات التي نتحدث بها.

واعلم أن هذا كله بعض نعم الله تعالى عليك فخذها وكن من الشاكرين، وإلا فإن الإمام الجواد (عليه السلام) يقول:

٥- (نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر).[2]

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٧٢ في فضل شهر رجب وأعماله، الفقرة (١٦).

(٢) ميزان الحكمة: ٤٦٠/٩.

يا له من تشبيه خطير بحيث يكون عدم الشكر على النعمة سيئة لا تغفر -والعياذ بالله- وهذا الحديث فيه عموم لكل من ينعم عليك نعمة ويسدي اليك فضلاً حتى من المخلوقين، وإن كان الله تعالى هو المدبِّر الحقيقي ومسبِّب الأسباب، عن الإمام الرضا (عليه السلام) (من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل).[1]

بل في حديث آخر أن المشكورين ثلاثة، الله تعالى وهو المنعم الحقيقي، والشخص الذي أنعم وأسدى المعروف، والثالث الشخص الذي سعى وتوسّط لقضاء الحاجة عند من قضاها.

وهذا أدب قد افتقده أكثر الناس -مع الأسف- وهم بذلك يسيئون لأنفسهم، ويقطعون سبيل المعروف عن الإمام الصادق (عليه السلام) (لعن الله قاطعي سبيل المعروف، وهو الرجل يُصنع إليه المعروف فيكفره، فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره).[2]

ومن تمام الشكر الذي يحفظ النعمة ويديمها، القيام بواجباتها وأداء ما افترض الله تعالى فيها، وإلا فإنها يخشى عليها الزوال، وفي ذلك يقول الإمام الجواد (عليه السلام):

٦- (إن لله تعالى عباداً يخصُّهم بالنعم، ويُقرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم وحوّلها إلى غيرهم)

وهذا تحذير شديد مطابق لقوله تعالى (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد/٣٨)

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢/٢٤، ح٢.

(٢) منتخب ميزان الحكمة: ٣٤٩ح ٣٣٤٣.

يدعونا إلى الانفاق مما أنعم الله تعالى به علينا من سائر النعم وليس المال فقط، فإن نعمة العلم أهم من المال، فمن حباه الله تعالى بشيء من العلم عليه أن يعلّمه من لا يعلمه فإنه زكاة له وصدقة.

فأنت حينما تقوم بفعل المعروف في أي مجال فإنه يعود بالنفع عليك أولاً قبل من اسديت إليه المعروف، وفي ذلك يقول الإمام الجواد (عليه السلام):

٧- (أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه! لأن لهم أجره وفخره وذكره).

أي له خير الدنيا والآخرة مضافاً إلى أن ما حصل عليه صاحب الحاجة شيء يفنى، أما ما حصل عليه المعطي فهو شيء باقٍ مذخور له عند الله تبارك وتعالى.

ولنستمع إلى مزيد من مواعظه (عليه السلام) مصداقاً للعنصر الثالث المتقدم.

٨- قال (عليه السلام) (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان ابليس..).[1]

لأن العبادة تعني الطاعة والانقياد، فالإنصات إلى الناطق نوع من الانقياد فلينظر الإنسان إلى من يأخذ منه ونوع الكلام ومضمونه، وليعلم من يستمع إلى الغناء أو الغيبة أو الكلام البذيء أو تسقيط المؤمنين وتشويه صورتهم ونحوها أنه دخل في طاعة إبليس وعبادته.

وإذا كان للانصات هذا التأثير فما هي أهمية الكلمة نفسها وما مسؤولية المتكلم عمّا يصدر عنه من كلمات قد تؤدي إلى ما تؤدي من نتائج.

٩- قال (عليه السلام) (العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء).

هذا الظلم الذي وصف في الأحاديث أنه (ذنب لا يترك) لا يختص بمسؤولية من قام به بل يشترك معه من دفع إليه بكلمة أو فعل أو تحريض أو تشجيع أو تزيين أو

---

(١) تحف العقول: ٣٣٦.

خداع أو دعم مادي أو معنوي أو فتوى بلا حجة شرعية ونحوها، كما ورد في بعض الروايات أن شخصٍ يؤتى به يوم القيامة وتقدّم له قارورة من دم ليحاسب عليها فيقول يا إلهي أنا لم أقتل ولم أسفك دماً في حياتي كلها، فيقال له هذا حصتك من دم فلان الذي قُتل ظلماً لأنك شاركت في دمه بكلمة قلتها.

بل الأمر أخطر من ذلك فإن من بلغه ذلك ورضي به ولم ينكره بقلبه على الأقل فهو شريك له، وإذا أردنا أن نذكر أمثلة على هذه الشراكة في الظلم من واقعنا، فيقف على رأسه ما يقوم به السياسيون والمتصدون لإدارة البلاد، وان شئت ثنّيت بما يجري بين العشائر من سنائن وقوانين ما أنزل الله بها من سلطان أهانت الإنسان وسلبته كرامته وحريته وماله وشرفه فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

١٠- وقال (عليه السلام) (من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة).

وهذا الحديث يحفّزنا كثيراً على التحرك في المجتمع لكسب الناس إلى الدين وإرجاعهم إلى الله تبارك وتعالى ما دام ثمن كسب أخ مؤمن واحد هو هذا العطاء العظيم.

إن امرأة فرعون تحمّلت تعذيباً قاسياً من دق جسّدها بالمسامير وصلبها وتعليقها وهي صابرة محتسبة حتى قضت شهيدة، وكان طلبها (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ) (التحريم/١١) وبغضّ النظر عن كون البيت (عندك) فإننا قد أُعطينا نفس الفرصة من دون ذلك الثمن الباهظ فنستطيع الحصول على بيت في الجنة بأن تكسب أخاً في الله تعالى وتهديه إلى الحق.

فليستثمر الشباب والطلبة الجامعيون هذه الفرصة وليتحركوا داخل أوساطهم وعلى أقرانهم ليرشدوهم ويخرجوهم من حالة الفسق والانحراف الذي نسمع عن تفشه داخل أوساط الجامعات، وليتحرك كل جنس على جنسه بالطريقة التي أوصى بها الله تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)

(النحل/١٢٥) كدعوته إلى مائدة طعام أو تزويده بمحاضرات فاتته أو أن تشرح له محاضرة لم يفهمها ونحوها من الأساليب التي تكسب بها مودته وتدخل إلى قلبه فيأخذ منك النصيحة وتكون مصداقاً للعنصر الثالث المتقدم بفضل الله تبارك وتعالى.

خطاب المرحلة

(٣٤٤)

عشرة ذي الحجة شهر رمضان الأصغر[١]

العشرة الأولى من ذي الحجة في الأيام كشهر رمضان في الشهور بحيث يمكن اعتبارها شهر رمضان الأصغر، ليست هذه دعوى ندعيها، وإنما دلّت عليها كلمات المعصومين (عليهم السلام) والوجوه العديدة للتشابه بينهما.

فقد ورد في دعاء شهر رمضان (وهذا شهر عظمته وكرّمته وشرّفته وفضّلته على الشهور) وورد في دعاء العشرة الأولى من ذي الحجة (اللهم هذه الأيام التي فضّلتها على الأيام وشرّفتها) فتلاحظ وحدتهما في التشريف والتفضيل.

والسمة البارزة لأعمال كل منهما واحدة وهو -بعد الذكر والدعاء والاستغفار والعبادة- الصوم فهو محبوب ومطلوب في كليهما الا انه في شهر رمضان على نحو الوجوب وفي عشرة ذي الحجة على نحو الاستحباب عدا يوم العيد لحرمة الصوم فيه.

وكل منهما وصف بأنه أيام معدودات ومعلومات، قال تعالى عن شهر رمضان (أَيَّاماً مَّعْدُودَات) (البقرة/١٨٤)، وقال تعالى (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ) (الحج/٢٨) وقال تعالى (وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ) (البقرة/٢٠٣) وورد في بعض الروايات أن المقصود من عشرة ذي الحجة.

والعمل في كل منهما له زمان يبلغ فيه الذروة من حيث العطاء الإلهي ومضاعفة الجزاء، ففي شهر رمضان ليلة القدر، وفي عشرة ذي الحجة يوم عرفة، وكل منهما

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي(دام ظله) مع حشد كبير من الطلبة الجامعيين من بغداد وفدوا لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) ضمن برنامج رسالي، والتقوا سماحته يوم الخميس ٩/ذ.ح/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/١٠/٢٥.

عيد لأولياء الله الصالحين، بحيث يمكن أن يقال أن يوم عرفة في الأيام كليلة القدر في الليالي.

ويشترك الزمانان بأن الشياطين فيها مغلولة كما ورد في خطبة النبي (ﷺ) في استقبال شهر رمضان، وفي بعض الأخبار أنه ما من زمان يكون فيه الشيطان طريداً ذليلاً غضوباً أكثر من يوم عرفة، ووضع الشيطان في الأغلال أي الحد من تأثيره في غواية الإنسان وتزيين المعاصي له فيكون إقباله على الطاعة أكثر وهمّته فيها أعلى.

ولأن رقّة القلب وانكساره وحزنه تساعد على صفاته وصدق توجهه إلى الله تبارك وتعالى كما ورد في الحديث القدسي (أنا عند المنكسرة قلوبهم)، فقد مضى قلم التخطيط الإلهي بأن تسبق كلا الزمانين الشريفين مناسبة حزينة تتفجر لها قلوب المؤمنين لوعة وحزناً وألما، حيث تتزامن ذكرى شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع ليالي القدر، ويسبق شهادة الإمام الباقر يوم عرفة لترّق القلوب وتتنقى فتتهيّأ لتلقي الفيوضات الإلهية في هذه الأزمنة المباركة.

وتشترك ليلة القدر ويوم عرفة بزيارة مخصوصة للإمام الحسين (عليه السلام) ورد فيهما ثواب عظيم، ففي كامل الزيارات لابن قولويه (قده) -استاذ الشيخ المفيد (قده) - عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إن الله تبارك وتعالى يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين عشية عرفة قبل نظره لأهل الموقف) وفيه عنه (عليه السلام) قال (إن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين (عليه السلام) قبل أهل عرفات ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم ثم يثنّي بأهل عرفات فيفعل بهم ذلك).

وفي مصباح المتهجد عن رفاعة النخّاس قال (دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال لي: يا رفاعة أما حججت العام، قلت: جعلت فداك ما كان عندي ما أحجّ به ولكنني عرّفت عند قبر الحسين (عليه السلام) فقال لي: يا رفاعة ما قصّرت عمّا كان

أهل منى فيه، لولا أنّي أكره أن يدع الناس الحج لحدّثتك بحديث لا تدع زيارة قبر الحسين (عليه السلام) أبداً).

ومما تقدّم يتضح أن عشرة ذي الحجة محطة جديدة للتزوّد بالمعنويات اقتضت الألطاف الإلهية جعلها لعلم الله تعالى بأن الإنسان يغتر ويتراجع فيحتاج إلى شحنة جديدة تزيل الرين والقساوة عن قلبه بعد مرور شهرين على شهر رمضان، وان يوم عرفة لا ينحصر فضله وشرفه بمن كان على صعيد عرفات الطاهر وان كانوا اولئك يحظون بامتيازات ذلك المكان، الا ان عباد الله تعالى في كل أصقاع الأرض يحظون بشرافة الزمان وفضل العمل فيه كما سمعنا ما لزوّار الحسين (عليه السلام) من الكرامة.

وإذن يكون من الطبيعي جعل عيد الأضحى في نهاية هذا الموسم الكريم من الطاعة والعبادة كما يأتي عيد الفطر في نهاية موسم عبادي حافل في شهر رمضان.

وعلى هذا فإن عيد الأضحى عيد جميع عباد الله الصالحين الذين فازوا بضيافة الله تعالى في هذا الزمان الشريف واستثمروا عروف هذه النفحات، ولا يختص بمن كانوا في المشاعر المقدسة.

خطاب المرحلة
(٣٤٥)

الذِكر زينة العيد [١]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سادة خلقه أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أولانا.

من مستحبات العيد التزيّن، والمعنى المعروف منه هو التزيّن الظاهري الشكلي ولا بأس به، لكن أهل البيت (عليهم السلام) يدلّوننا على المعنى الحقيقي الواعي للتزين؛ روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (زيّنوا أعيادكم بالتكبير) وعنه (صلى الله عليه وآله): (زيّنوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس)[٢]. فذكر الله تعالى زينة العيد مظاهره.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (أكثروا من التهليل والتكبير فإنه ليس شيء أحبَّ إلى الله من التكبير والتهليل)[٣]، ويشرح الإمام (عليه السلام) معنى التكبير في رواية عن أحد أصحابه قال: (قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): أي شيء الله أكبر؟ فقلتُ: الله أكبر من كل شيء، فقال (عليه السلام): فكان ثَمَّ شيء فيكون أكبر منه؟ فقلت: فما هو؟ فقال: الله أكبر من أن يوصف)[٤].

---

(١) الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك التي أقامها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله يوم الجمعة الموافق ٢٠١٢/١٠/٢٦.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٢٣/٦، باب ٢٩٦٢.

(٣) ثواب الأعمال: ١٨، باب ثواب لا إله إلا الله، ح١٣.

(٤) الحديث والذي يليه في معاني الأخبار: ١١

وفي رواية أخرى (قال رجلٌ عنده: الله أكبر، فقال (عليه السلام): الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): حدّدته! فقال الرجل: وكيف أقول؟ فقال (عليه السلام): الله أكبر من أن يوصف).

لقد أولى القرآن الكريم قضية (الذكر) أي ذكر الله تعالى اهتماماً بالغاً لأهميتها وعظيم آثارها، حتى أن هذه المفردة ومشتقاتها تكررت في عشرات الآيات، والملاحظ أن ورودها في الآيات المكية حوالي ثلاثة أضعاف الآيات المدنية تقريباً حيث كان القرآن المكي يركّز على بناء عقيدة التوحيد وعلاقة المسلم بالله تعالى ونبذ الشركاء والأنداد وتطهير القلب وتهذيب النفس.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (آل عمران:٤١) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف:٢٠٥) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف:٢٤)، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة:٢٠٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (الأحزاب:٩)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الأحزاب: ٤١-٤٢)، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة : ١٠) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف : ٢٠١) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران:١٩١) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد : ٢٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت:٤٥) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ

عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون : ٩) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (المزمل:٨).

وجاءت الأحاديث الشريفة لتؤكد هذه الأهمية، وتدعوا المؤمنين إلى ذكر الله تعالى على كل حال، ففي الخصال عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي سيد الأعمال ثلاث خصال: إنصافك الناس من نفسك، ومواساتك الأخ في الله عز وجل، وذكر الله تعالى على كل حال)، وروى الحسن بن علي (عليهما السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بادروا إلى رياض الجنة، فقالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حَلَقُ الذِكر)[1].

معنى ذكر الله على كل حال:

ونفهم من (على كل حال) عدة مستويات وكلها صحيحة ومستفادة من الآيات المتقدمة:

١- أي في كل زمان وفي كل آن، كما في الآية (٤١ من آل عمران) ﴿بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ و (الآية ٢٠٥ من الأعراف) ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (مكتوب في التوراة أن موسى سأل ربه فقال: إني أكون في حال أُجِلُّك أن أذكرك فيها، قال: يا موسى اذكرني على كل حال وفي كل أوان)[2].

٢- أي في كل وضع من أوضاع الإنسان قائماً وقاعداً وعلى جنوبهم كما في (الآية ١٩١ من آل عمران) ﴿قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، وعن الإمام الباقر

(١) معاني الأخبار: ٣٢١، أمالي الصدوق: ٢٩٧، المجلس ٥٨، ح٢.
(٢) هذا الحديث وما بعده بحار الأنوار: ١٦٠/٩٣.

(عليه السلام) قال: (لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر الله قائماً كان أو جالساً أو مضطجعاً إن الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾).

٣- في كل مكان وموضع كان فيه، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن سمعت الأذان وأنت على الخلاء فقل مثل ما يقول المؤذن ولا تدع ذكر الله عز وجل في تلك الحال لأن ذكر الله حسن على كل حال) ثم ذكر (عليه السلام) المكتوب في التوراة أعلاه، وفي كتاب الخصال في حديث الأربعمائة قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (اذكروا الله في كل مكان فإنه معكم، وقال (عليه السلام): (أكثروا ذكر الله عز وجل إذا دخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس فإنه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تُكتبوا من الغافلين)[1].

٤- في كل قضية تعرض لك وكل معاملة وكل قضية، فإن كان فيها رضا الله سبحانه فعلتها، وإلا تركتها، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (ألا أحدِّثك بأشد ما فرض الله عز وجل على خلقه، قلتُ بلى، قال، قال: إنصاف الناس من نفسك مواساتك لأخيك وذكر الله في كل موطن، أما إني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر -وإن كان هذا من ذاك- ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعته أو معصيته)[2]. وفي حديث آخر عنه: (وذكر الله على كل حال فإن عرضت له طاعة لله عمل بها وإن عرضت له معصية تركها)[3].

٥- في كل حال من أحوال النفس من الغضب أو الرضا، والفرح أو الحزن، والغم والضيق أو الانشراح والسرور، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (يقول الله عز وجل: يا ابن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين

---

(١) الخصال: ٦١٤/٢، باب الأربعمائة، ح١٠.

(٢) معاني الأخبار: ١٩٢.

(٣) أمالي الطوسي: ٨٨، المجلس (٣)، ح١٣٥.

أغضب، ولا أمحقك في من أمحق)[١]. وفي حديث: (إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له)[٢].

٦- أن يُعِدَّ لكل حالٍ ذِكره الخاص به، فللنعمة ذكر وللمصيبة ذكر وللقتال ذكر وللوضوء ذكر ولتناول الطعام ذكر وللنوم ذكر وللنكاح ذكر وللتخلي ذكر ولركوب السيارة ذكر، وهكذا، وهذا معنى شرحناه مفصلاً في كتاب (شكوى القرآن).

وخلاصة الوجوه أن معنى الذكر الكثير أن يكون الإنسان في جميع أحواله مطيعاً لله تبارك وتعالى، عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) (قال النبي (صلى الله عليه وآله): من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته)[٣].

جزاء الذكر وآثاره وفضل مجالس الذكر:

فضل مجالس الذكر: ومنها هذا الجمع المحتشد في صلاة العيد الذي نذكر فيه الله تعالى، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:-

١- عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (ما جلس قومٌ يذكرون الله إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا فقد بدّلتُ سيئاتكم حسنات وغفرت لكم جميعاً، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله إلا قعد معهم عدة من الملائكة).

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٧٩، المجلس (١٠) ح ٥٣٢.
(٢) الكافي: ١٨٣/٢.
(٣) معاني الأخبار: ٣٩٩.

٢- وروي أن رسول الله (ﷺ) خرج على أصحابه فقال: (ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحبّ أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبدُ اللهَ من نفسه، واعلموا أن خير أعمالكم عند مليككم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى، فإنه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني).

٣- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) (أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارّين والمقاتل في الفارّين نزوله الجنة)[1] فأكثر اجتماعات الناس تتخللها أحاديث فارغة لا جدوى منها، وقد تتضمن محرمات، فمن يلتفت حينئذٍ إلى ذكر الله تعالى يكون من أهل هذا الحديث.

٤- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (البيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض) ولتلافي الغفلة التي تحصل في بعض المجالس والأحاديث، فقد ورد استحباب أن يقول الشخص عند قيامه من المجلس: ﴿سُبحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى المُرسَلِينَ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

جزاء الذكر وآثاره:

إن التوفيق لذكر الله تعالى من أعظم النعم على العبد، من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام): (إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزّهتك عن ذكري إياك، على أن

---

(١) المحاسن: ١/١١٠، ح٩٩.

ذكري لك بقدري لا بقدرك، وما عسى أن يبلغ مقداري حتى أُجعلَ محلاً لتقديسك، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا) إلى أن يقول (عليه السلام): (وقلتَ وقولك الحق: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا، يا ذاكر الذاكرين)[1].

ومما ورد في كتاب الله تعالى من ثمرات الذكر وآثاره:

١- ذكر الله سبب لطمأنينة القلب وما أعظمها من نتيجة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد : ٢٨)، ومن آثار الطمأنينة الأُنس، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكر الله ينير البصائر ويؤنس الضمائر) وعنه (عليه السلام): (ذاكر الله مؤانسه) وعنه (عليه السلام): (إذا رأيت الله سبحانه يؤنسك بذكره فقد أحبّك، وإذا رأيت الله يؤنسك بخلقه ويوحشك من ذكره فقد أبغضك).

٢- أنه سبب ليقظة القلب من غفلته، وحياته بعد قسوته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف : ٢٠١)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من ذكر الله استبصر) وعنه (عليه السلام): (من كثر ذكره استنار لبّه) وعنه (عليه السلام): (دوام الذكر ينير القلب والفكر).

٣- إن الله تعالى يذكر من ذكره، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة : ١٥٢)، وفي عدة الداعي: (يعني اذكروني بالطاعة والعبادة أذكركم بالنعم والإحسان والرحمة والرضوان، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال الله تعالى: يا ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، ابن آدم اذكرني في الخلاء أذكرك في خلاء، ابن

(١) مفاتيح الجنان: ٢٠٦، المناجاة (١٣) مناجاة الذاكرين.

آدم اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من ملأك، وقال: ما من عبد يذكر الله في ملأ من الناس إلا ذكره الله في ملأ من الملائكة)[1].

٤- إن الذكر سبيل موصل إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (المزّمِّل : ١٩) (الإنسان:٢٩)

أما الأحاديث الشريفة فقد ورد فيها الشيء الكثير:-

١- إن الذكر يوجب محبة الله تعالى للذاكر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (يا ربّ وددتُ أن أعلم من تحبُ من عبادك فأحبّه، فقال: إذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك وأنا أحبُّه، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته وأنا أبغضته)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أكثر ذكر الله أحبَّه).

٢- وأن الله تعالى يتولى أمر الذاكر وجميع شؤون حياته في دنياه وآخرته، فكم يكون الإنسان سعيداً حينما يتولى شؤونه محبٌّ له شفيق عليه حكيم بأفعاله عالم بكل شيء إلى غيرها من الأسماء الحسنى، ففي بعض الأحاديث القدسية قال الله تعالى: (أيما عبد اطلعتُ على قلبه فرأيتُ الغالب عليه التمسك بذكري تولّيتُ سياسته وكنتُ جليسَه ومحادثه وأنيسه)، وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (قال الله سبحانه إذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلتُ شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك فأراد أن يسهو حِلتُ بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقاً، أولئك الأبطال حقاً، أولئك الذين إذا أردتُ أن أهلك أهل الأرض عقوبةً زيتها عنهم من أجل أولئك الأبطال)، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (إن

---

(١) أكثر الأحاديث المذكورة نقلناها عن مصادرها بواسطة: بحار الأنوار: ٩٣/١٤٨-١٧٥، وميزان الحكمة: ٣/٣٤١-٣٦٠.

الله تبارك وتعالى يقول: من شُغِل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي مَن سألني)، وروي فيما ناجى به موسى (عليه السلام) ربَّه عز وجل: (إلهي ما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى أُظلُّه بظل عرشي وأجعله في كنفي)[١].

٣- أنه يوجب الثواب العظيم فعنهم (سلام الله عليهم): (إن في الجنة قيعاناً فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فربما وقف بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: إن صاحبي قد فتر، يعني عن الذكر)[٢]. وعن أحد الإمامين الصادقين (عليهما السلام) قال: (لا يكتب الملك إلا ما أسمع نفسه وقال الله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ قال: لا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس العبد لعظمته إلا الله)[٣].

٤-الذكر الطيب، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (من اشتغل بذكر الله طيّب الله ذكره)، ومن وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر قال: (عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً فإنه ذكر لك في السماء ونورٌ لك في الأرض)[٤].

٥- يقيه الكثير من الحوادث، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الصاعقة لا تصيب ذاكراً لله عز وجل)[٥].

٦- في الذكر إعمار القلب وصلاحه وهذا القلب هو الذي ينجو صاحبه يوم القيامة، من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (أوصيك بتقوى الله أيْ بُني، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره) وعنه (عليه السلام): (وأصل صلاح

---

(١) أمالي الصدوق: ١٧٣، المجلس (٣٧) ح٨.

(٢) بحار الأنوار: ١٦٢/٩٣-١٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ١٥٩/٩٣، ح٣٦.

(٤) معاني الأخبار: ٣٣٤، الخصال: ٥٢٥/٢، أبواب العشرين وما فوقه، ح١٣.

(٥) أمالي الصدوق: ٣٧٥، المجلس (٧١) ح٣.

القلب اشتغاله بذكر الله) وعنه (عليه السلام): (مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح) وعنه (عليه السلام): (من عمر قلبه بدوام الذكر حسنت أفعاله في السر والجهر).

٧- وبالذكر تحيى القلوب، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (بذكر الله تحيى القلوب، وبنسيانه موتها)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (اذكروا الله ذكراً خالصاً تحيوا به أفضل الحياة وتسلكوا به طرق النجاة) وعنه (عليه السلام): (من ذكر الله سبحانه أحيى الله قلبه ونوّر عقله ولبّه).

٨- وبه شفاء القلوب، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ذكر الله شفاء القلوب)، وعنه (صلى الله عليه وآله): (عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء)، وفي دعاء كميل: (يا من اسمه دواء وذكره شفاء).

٩- بالذكر يطرد الشيطان، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (إن الشيطان واضع خطمه -أي فمه- على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله سبحانه خنس، وإذا نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخنّاس) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكر الله مطردة الشيطان) وعنه (عليه السلام): (ذكر الله رأس مال كل مؤمن، وربحه السلامة من الشيطان).

١٠- وأن في الذكر أماناً من النفاق، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من أكثر من ذكر الله فقد برئ من النفاق).

ولأمير المؤمنين (عليه السلام) خطبة جامعة في فضل الذكر والذاكرين قالها عند تلاوته (عليه السلام) قولَه تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللهِ﴾ قال (عليه السلام): (إن الله سبحانه جعل الذكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوَقْرة، وتُبصر به بعد العَشوة، وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله عزّت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عبادٌ ناجاهم في فكرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة، يذكّرون بأيام الله، ويخوّفون مقامه،

بمنزلة الأدلّة في الفلوات، من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه، وبشّروه بالنجاة. ومن أخذ يميناً وشمالاً ذمّوا إليه الطريق وحذّروه من الهلكة. وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وأدلة تلك الشبهات. وإن للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين)[1].

من مصاديق الذكر الكثير:

١-تسبيح الزهراء (عليها السلام) عقب كل فريضة، عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث يقول في آخره: (تسبيح فاطمة من الذكر الكثير الذي قاله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم﴾[2] وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): إنه (التسبيح في دُبُر كل صلاة ثلاثين مرة)[3].

٢- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (صلوات الله عليهم وسلامه) قال: (قال النبي (صلى الله عليه وآله) من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته).

٣- وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكراً كَثِيراً﴾ قال (عليه السلام): (إذا ذكر العبد ربَّه في اليوم مائة مرة كان ذلك كثيراً)[4].

---

(١) نهج البلاغة: ج٢ ص٢١١، الخطبة: ٢٢٢.

(٢) معاني الأخبار: ١٩٤.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٤٤/٣، ويحتمل أن المقصود به هنا (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله الأكبر).

(٤) بحار الأنوار: ١٦٠/٩٣، ح٣٨.

٤-وعنه (عليه السلام) قال: (من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً، إن المنافقين يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر قال تعالى: ﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء:١٤٢))[1].

خسارة الغفلة والإعراض عن الذكر:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:١٩).

ومن الروايات المحذِّرة من الغفلة عن ذكر الله تعالى:-

١-روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (ما من ساعة تمرُّ بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسِر عليها يوم القيامة)[2].

٢- وفي عدة الداعي روى الإمام الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا الله ولم يصلّوا على نبيّهم (صلى الله عليه وآله) إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم).

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٠/٩٣، ح٤١.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٤٤/٣.

٣- وفي تتمة الحديث السابق[١] عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يذكر فيه الله تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين).

٤-وروى الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام) قال: (أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى (عليه السلام): لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال، فإن كثرة المال تنسي الذنوب وترك ذكري تقسي القلوب)[٢].

٥- عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من (نسي الله سبحانه أنساه الله نفسه وأعمى قلبه)[٣].

حقيقة الذكر:

قالوا: إن الذكر بمعنى الحفظ، إلا أن الاختلاف بينهما باللحاظ، فيقال الحفظ باعتبار إحراز المحفوظ، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره.

وأقول: إنه تارةً يراد بالذكر معناه المصدري فيكون معناه حضور الشيء في القلب أو على اللسان، وتارة يراد به المعنى اسم المصدري، فيعبر عن قابلية عقلية وقلبية بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة.

والمعنى الحقيقي لذكر الله تعالى هو حضوره في القلب والالتفات إليه لأنه الذي تتحقق به الآثار، أما حركة اللسان به فهي تعبير وكاشف عنه ومظهر ومبرز له،

---

(١) مرّ الحديث في كلام سماحته في النقطة الرابعة من (فضل مجالس الذكر) وهو قول الإمام الصادق (عليه السلام): (البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته ..) الحديث.

(٢) الخصال: ٣٩/١، باب الاثنين، ح٢٣.

(٣) غرر الحكم : ٨٨٧٥.

وليست ذكراً حقيقياً إلا من باب ذكر الدال وإرادة المدلول به، ولا تترتب الآثار المتقدمة عليه وحده.

أترى لو أن إنساناً كان له حصن يحميه من عدوه فهل يكفيه أن يكرّر: أعوذ بهذا الحصن من عدوي لحمايته من العدو إذا هجم عليه، أم المطلوب الدخول فعلاً في الحصن، وهكذا كل الأذكار لها حقائق تترتب عليها الآثار ولا يكفي مجرد لقلقة اللسان، كما في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة لرجل قال بحضرته: أستغفر الله، فعلّمه الإمام (عليه السلام) حقيقة الاستغفار.

لكن الله تعالى بكرمه جعل ثواباً حتى على مجرد تحريك اللسان بالذكر وإن كان ليس ذا قيمة مقابل ما يقترن بالذكر القلبي، لذا لا ينبغي الالتفات إلى ما يقوله بعض الصوفية من أن الذكر باللسان دون حضور القلب لا قيمة له وتركه أولى، فهذا من تسويلات الشيطان؛ لأن لكل جارحة ذكراً، والذكر اللساني يحقق طاعة بمقداره ويصونه من استعماله في المعاصي اللسانية بمقداره أيضاً، وفيه إرغام للشيطان ولو بأدنى مستوياته فلا ينبغي تركه.

يقول السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عن قيمة الذكر القلبي إنه ((من أعظم الرياضات التي توصل إلى المدارج والمقامات التي فوقه بلطف الله سبحانه. وإن من أفضل أشكال الذكر القلبي هو استحضار مضمون الأسماء الحسنى ذات المدلول الطيب أعني ليس من قبيل (شديد العقاب) و (ذو الانتقام) ونحوها، بل نحو (العظيم) و (الرحيم) و (الحليم) و (الغفور) و (الشكور) وغيرها.

ثم التفكير في الخلق الذي يرجع إلى مضمون مجموعة أخرى من الأسماء الحسنى كالخالق والرازق والمدبّر والمنعم والمعطي والحنّان والمنّان ونحوها.

ثم التفكير في شأن الفرد أمام خالقه من القصور والجهل والذنب والتقصير وحسن الظن به تبارك وتعالى وكونه محل لطفه ونعمه وسبحانه ونحو ذلك))[١].

مجالس أهل البيت (عليهم السلام) من الذكر:

ومن حلق الذكر التي وصفتها الأحاديث الشريفة بأنها رياض الجنة: المجالس التي تعقد لذكر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومصائبهم، وللوعظ والإرشاد وتعليم أحكام الشريعة، عن الباقر (عليه السلام) قال: (ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها، إلا أن يجيء بذنب يخرجه من الإيمان)[٢]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (شيعتنا الرحماء بينهم، الذين إذا خلوا ذكروا الله (إن ذِكرنا من ذكر الله) إنّا إذا ذُكرنا ذُكر الله وإذا ذُكر عدونا ذُكر الشيطان)[٣].

---

(١) قناديل العارفين: ١٤٨.

(٢) سفينة البحار: ٢٠٧/٣.

(٣) الكافي، ج٢، باب تذاكر الإخوان، ح١.

خطاب المرحلة
(٣٤٦)

كيف نحول الحرام إلى حلال في حياتنا[١]
(المصارف الأهلية نموذجاً)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

إن كثيراً من المحرمات التي يرتكبها الإنسان في حياته لتحقيق رغبة الوصول الى هدف معيّن، يتمكن من تحصيل نفس النتائج بطريق محلل فتتحول نتائجها من التأثير السلبي إلى الإيجابي، لكنه لقلّة تفقّهه وعدم جدّيته في السير على وفق ما أراده الله تبارك وتعالى فإنه لا يوفّق لذلك ويتورط في المعاصي ويبتلي بآثارها في الدنيا والآخرة.

في رواية صحيحة عن عبد الرحمن بن الحجاج عن الإمام الصادق ع قال: (قلتُ له: أشتري ألف درهم وديناراً بألفي درهم، فقال: لا بأس بذلك، إن أبي كان أجرأ على أهل المدينة مني، فكان يقول هذا فيقولون: إنما هذا الفرار، لو جاء رجل بدينار لم يُعطَ ألف درهم، ولو جاء بألف درهم لم يُعطَ ألف دينار، وكان يقول لهم: نِعمَ الشيء الفرار من الحرام إلى الحلال)[٢].

وفي رواية أخرى صحيحة عن الإمام الصادق تتحدث عن نفس الحالة، قال عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (كان محمد بن المنكدر[٣]

---

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الأضحى المبارك يوم الجمعة الموافق ٢٠١٢/١٠/٢٦.
(٢) وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب الصرف، باب ٦، ح١.
(٣) قرشي تيمي من علماء العامة المعروفين عندهم أدرك جمعاً من الصحابة.

يقول لأبي (عليه السلام): يا أبا جعفر رحمك الله، والله إنّا لنعلم أنك لو أخذت ديناراً والصرف بثمانية عشر فدُرتَ المدينة على أن تجد من يعطيك عشرين ما وجدته، وما هذا إلا فرارٌ، فكان يقول: صدقت والله ولكنه فرارٌ من باطل إلى حق)[1].

فالإمام (عليه السلام) يقول لا بأس بمثل هذه المعاملة بأن يبيع ألف درهم وديناراً بألفي درهم، أي يكون مقابل الدينار ألف درهم مع أن سعر الصرف هو عشرة دراهم للدينار فتوهم المعترض أن نتيجته كالربا، إلا أن الإمام (عليه السلام) يقول: هذا شيء حسن أن تحصل على النتيجة المطلوبة بطريقة محللة وتفرّ من الوقوع في الحرام.

وفي معاملة أخرى يخفى أيضاً على غير المتفقه الفرق بين الحرام والحلال، لكن الإمام (عليه السلام) يبين له الفرق حتى يتعلم كيف يحوِّل المعاملات المحرمة إلى محللة ويقننها وفق الشريعة.

ففي رواية عن خالد بن الحجاج قال: (قلت لأبي عبد الله: الرجل يجيء فيقول: اشتر هذا الثوب وأربحك كذا وكذا، قال (عليه السلام): أليس إن شاء ترك، وإن شاء أخذ؟ قلت: بلى، قال: لا بأس به إنما يُحلُّ الكلام، ويحرِّم الكلام)[2].

فالبعض يتصور أنه لا يحق للشخص أن يأخذ ربحاً على البضاعة التي يشتريها لشخص بناءً على رغبته أو طلبه والإمام (عليه السلام) يجيب أن هذه المعاملة لها حالتان، إحداهما محللة والأخرى محرمة، فالمحلّلة أن تشتري لنفسك بحيث يكون الآخر مخيّراً بين المضي في رغبته بالشراء أو عدمها ثم تبيعها له بالربح الذي تشاء، والمحرّمة أن تشتري وكالة عنه وبأمره بحيث يكون الشراء له وهو ملزم بأخذها لأنك مجرد وكيل له وهنا لا يجوز أخذ زيادة على ثمن شرائها.

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب الصرف، باب ٦، ح٢.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب أحكام العقود، باب ٨، ح٤.

والفرق بين الحالتين هو صيغة الاتفاق كما هو واضح لذا عبَّر عنه (عليه السلام) بأن الذي يحلل ويحرّم هو الكلام أي صيغة الاتفاق على العقد باعتبار أن الكلام هو المعبِّر عن القصد.

هكذا كان الأئمة يفقّهون أصحابهم ويرشدونهم إلى ما يصحح سلوكياتهم على طبق الشريعة المقدسة، وكان الأصحاب يلجأون إليهم (سلام الله عليهم) ليعلّموهم كيفية تحصيل النتائج التي يريدونها بطريقة محللة؛ لأن الفاصل بين الحرام والحلال يكون أحياناً أدقّ من الشعرة وأخفى من دبيب النمل بين الصخور.

في رواية أن رجلاً (كتب إلى العبد الصالح -أي الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام)- يسأله أني أعامل قوماً أبيعهم الدقيق أربح عليهم في القفيز درهمين إلى أجل معلوم، وإنهم سألوني أن أعطيهم عن نصف الدقيق دراهم، فهل من حيلة لا أدخل في الحرام؟ فكتب إليه: أقرضهم الدراهم قرضاً وازدد عليهم في نصف القفيز بقدر ما كنت تربح عليهم)[1].

خلاصة المسألة أن هذا الشخص يبيعهم كمية من الطحين بالآجل ويزيد على سعره النقدي درهمين، وربما احتاج المشتري إلى شيء من المال فيبيع بعض الطحين الذي اشتراه على نفس البائع بسعر أقل، فكأن البائع حصل على فرق الدراهم وطحينه عنده، فيكون فيه شبهة خصوصاً إذا لم يُسلّم البائع هذا المقدار من الطحين إلى المشتري وإنما باعه واشتراه في الذمة فقط فعلّمه الإمام (عليه السلام) الطريقة التي ذكرها في الجواب.

من هذه الروايات نتعلم درساً في أن نكون يقظين ملتفتين في تعاملاتنا حذر الوقوع في الحرام، وأن نتفقه في الدين ونسأل لنعرف كيفية التخلص من الحرام وتحصيل النتيجة من طريق الحلال.

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب أحكام العقود، باب ٩، ح٧.

أليس إن كثيراً من الذين يقيمون علاقات شرعية مع الجنس الآخر لقضاء وطره كان يمكنهم تحويل الحالة إلى حلال بإجراء العقد المنقطع عليها إذا لم يكن مانع منه، ولا يقعون في هذه المحرمات المشينة لو كان عندهم صدق وإخلاص وسؤال عن أمور دينهم، لذا ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (لولا نهي فلان عن المتعة ما زنى إلا شقي).

ونريد الآن أن نستفيد من هذه الأفكار لمعالجة قضية حيوية واسعة الابتلاء من واقعنا المعاصر وهي البنوك الأهلية التي تعتمد في استرباحها على منح القروض الربوية للناس فيقع المتعاملون بها في هذا الرجس الخبيث الذي حرّمه الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة:٢٧٥) وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

ومما ورد في الربا رواية صحيحة عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (درهم ربا عند الله أعظم من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام)[١]، والعقوبة لا تختص بأكل الربا فقط وإنما تعمّ كل من ساهم فيه، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (الآخذ والمعطي سواء في الربا)[٢] وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (لعن رسول الله صلى الله عليه وآله الربا وآكله وبائعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه)[٣].

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب الربا، باب ١، ح١، وفي كتاب من لا يحضره الفقيه: ٣٦٧/٤، ح٥٧٦٢.

(٢) ميزان: ٤٢٥/٣.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب الربا، باب ٤، ح٢.

ولا نريد هنا أن نتحدث عن أضرار الربا التدميرية في المجتمع لكثرة من كتب وتكلم في ذلك، حيث انهارت دول بسببه مصداقاً للحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا أراد الله بقومٍ هلاكاً ظهر فيهم الربا)[1].

ومن الشواهد القريبة ما حصل مؤخراً في الأزمة المالية التي بدأت بأمريكا عام ٢٠٠٩ وعصفت بأوربا ولا زالت دول -كاليونان- مهددة بالإفلاس، وبعد التحليل والدراسة اعترفوا بأن سبب المشكلة هي الفوائد الربوية، وقد وجدوا أن المصارف الإسلامية كانت بمأمن من هذه الأزمة رغم قساوتها؛ لذا تضاعف الإقبال على هذه المصارف حتى من غير المسلمين، بل دعت بعض الدول الغربية -كألمانيا- إلى اعتماد النظام الإسلامي في المصارف.

ونقول لأصحاب هذه المصارف أنه يمكنكم تقنين عملكم على وفق الشريعة فتتخلصون من هذا الإثم العظيم مع تحصيل نفس الفائدة، ونقدّم هنا طريقتين ليس فيهما أي تعب لأنهما تُنفّذان بالكلام فقط، وقد مرّ قول الإمام (عليه السلام): (إنما يُحلّ الكلام ويحرّم الكلام) وهما:

(الأولى) إذا كان الزبون طالب المال يريد شراء عقار أو سيارة أو بضاعة ونحوها فبدلاً من أن يعطيه المصرف مليون دينار ويطالبه بمليون ومائة ألف دينار مثلاً ضمن أقساط معينة، يقوم المصرف بشراء البضاعة بمليون دينار ويبيعها بمليون ومائة ألف دينار على صاحب الطلب بالتقسيط الذي يريده المصرف وبالزيادة التي يطلبها.

(الثانية) إذا كان الزبون يريد مالاً فلا يتم قرضه مباشرة وإنما يبيعه عملة أخرى كالدولار أو اليورو بالآجل بزيادة النسبة التي يريدها ويشتريها منه نقداً، مثلاً أراد الزبون قرضاً مقداره ستة ملايين دينار وهي سعر (٥٠٠٠) دولار نقداً ويريد المصرف

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب التجارة، أبواب الربا، باب ١، ح١٧.

أن يحصل فائدة مليون دينار لمدة سنتين، فيقوم المصرف ببيع خمسة آلاف دولار بسعر سبعة ملايين دينار بالآجل وفق الجدول الزمني المقرّر، فيثبت هذا المبلغ في ذمة الزبون، والدولارات في ملكه ثم يشتريها المصرف منه بستة ملايين دينار نقداً فتعود الدولارات إلى المصرف ويحصل الزبون على المبلغ الذي أراده وهو ستة ملايين دينار ويبقى مديناً بالملايين السبعة للمصرف، والعملية لا تأخذ أزيد من دقيقة واحدة في القبض والإقباض.

إننا نرى من واجبنا نصح وإرشاد الناس وإنقاذهم من طاعة شياطين الجن والإنس وما يبتدعونه من الضلالات والعياذ بالله.

وهذه الحلول نقدّمها للتخلص من الحرام، والمطلوب منّا أكثر من ذلك وهو أن نفعل ما فيه رضا الله سبحانه من خلال القرضة الحسنة الخالية من الفائدة، والاسترباح من خلال العمل المثمر وأهم أفراده التجارة، أما الاسترباح من نفس المال من دون عمل فهو أمر مرجوح شرعاً حتى لو كان حلالاً، فالطريقة الأولى أفضل من الثانية، لذا كُرِه بيع الصرف وهو بيع العملات ببعضها.

عن الإمام الباقر (عليه السلام): (إنما حرَّم الله عز وجل الربا لئلا يذهب المعروف)[1]، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) -لّما سأله هشام بن الحكم عن علّة تحريم الربا-: (أنه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه فحرّم الله الربا لتفرّ الناس عن الحرام إلى التجارات وإلى البيع والشراء فيتصل ذلك بينهم في القرض)[2].

إن استيعاب النظام الإسلامي لهذه التعاملات وتقنينها وفق الأُطر الشرعية دليل على خلوده وقدرته على قيادة المجتمع البشري في كل حين وإدارة جميع شؤونه،

---

(١) وسائل الشيعة: ٤٢٥/١٢، ح١٠.

(٢) بحار الأنوار: ١١٩/١٠٣، ح٢٤.

بل له القدرة على التعايش مع النظم الوضعية حتى مع إقصائه عن قيادة المجتمع ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس : ٥٨).

خطاب المرحلة

(٣٤٧)

حول قرار الحكومة الاخير بالتعويض بمبلغ نقدي عن مفردات البطاقة التموينية

إننا مع الهدف المعلن لقرار الحكومة الاخير بتعويض المواطن عن مفردات البطاقة التموينية بمبلغ نقدي لمكافحة الفساد في هذا الملف وتحسين حال المواطن العراقي، وندعو الى تعميم هذه الحركة الى كل الملفات الاخرى اذا حققت الهدف المرجو منها.

الا ان هذا الهدف يبقى نظريا وحبراً على ورق ما لم يقترن بوضع آليات عملية وواقعية ومقدور عليها لتنفيذ هذا البرنامج الواسع والخطير.

وحينئذ تبرز امامنا عدة تساؤلات مثيرة للقلق: كيف سيتم إيصال هذه المبالغ الى شعب تعداده (٣٤) مليون انسان وفي راس كل شهر؟

وما الذي يضمن عدم حصول الفساد في هذه الخطوة أيضا؟

وهل للمصارف القدرة على القيام بهذه العملية؟

وهل الحكومة قادرة على ضبط اسعار المواد الغذائية الاساسية في السوق وكبح جماح التجار والحد من جشعهم وتحكمهم في قوت المواطنين؟

وهل التجار قادرون على تلبية حاجة السوق؟

واذا كان البلد يشكو من تضخم بسبب حجم الكتلة النقدية المتداولة منذ سنين ولم تتم معالجة هذه المشكلة، فإلى أي مدى سيتفاقم الوضع بسبب ضخ نصف تريليون دينار من العملة شهريا الى السوق؟

وغير ذلك من التساؤلات المقلقة حقيقة وامامنا شواهد تشير الى عدم نجاح مثل هذه التجارب كالعيدية التي قررتها الحكومة للمواطنين او الوجبة الاضافية من

الحبوب التي لم تصل حتى بعد العيد اللاحق، وبين ايدينا قرار منح الطلبة الجامعيين معونة دراسية وقد مرَّ عليه أشهر من دون ايجاد آلية للتوزيع مع أن عددهم لا يبلغ ١٪ من مجموع السكان.

إن الشعب قد تعوّد في مثل هكذا حالات أن يدفع ضريبة القرار من دون أن يصله ما وُعد به فترتفع الاسعار وتشح المواد وهو لم يقبض شيئا.

واذكر لذلك مثالا بسيطا الا انه طريف فقد كانت لجامعة الكوفة حافلات تنقل الطلبة من الباب الرئيسي الى كلياتهم ومؤسساتهم مجاناً، فلما صدر قرار المنحة فرضوا أجورا على الطلبة الذين مرّت عليهم أشهر ولم يستلموا شيئا.

فلابد اذن قبل تحديد موعد لتطبيق القرار مفاتحة كل الجهات المعنية حتى تقدّم تقارير حول قدرتها على التنفيذ، ولا مانع من تأجيل تطبيق القرار شهرين أو اكثر لاعطاء فرصة اوسع لتهيئة ظروف النجاح للتطبيق حتى يطمئن المواطن بأن القرار لصالحه، خصوصا وان الموعد المحدد ٢٠١٢/٣/١ يأتي بعد مدة قصيرة من انتهاء شهري محرم وصفر اللذين يستهلكان في شعائرهما مخزون الدولة من المواد الغذائية.

ونقدّم هنا بعض الافكار لإنجاح العملية:

اولا:- استثناء مادة الطحين من القرار ويبقى توزيعه بالبطاقات المعينة وبالسعر المقرر حاليا من دون تقليل مبلغ التعويض، لان الخبز اساس حياة الانسان وتوزيع الطحين لم يعاني من المشاكل التي عانت منها مفردات البطاقة الاخرى ولم تتعثر انسيابية توزيعه طيلة هذه السنين الماضية، وان الانتاج المحلي من الحنطة والشعير يغطّي اكثر من حاجة المواطنين، فتحمل الدولة لهذه المادة عن كاهل المواطنين شيء اساسي.

ثانيا:- مفاتحة المصارف لوضع آلية لفتح حسابات مصرفية لكل مواطن بحسب الرقعة الجغرافية لبطاقته التموينية ويوضع مبلغ التعويض النقدي تلقائيا كل شهر في حساب المواطن، وبذلك سنتجنب الفساد في توزيع المبالغ، ونخفف من زخم المواطنين، ونتخلص من ضخ كتلة نقدية كبيرة الى السوق.

ثالثا:- وضع ضوابط اسعار السوق وتقديم التسهيلات للتجار، وارشادهم الى القيام بكل ما ينفع المواطن.

رابعا:- تهيئة المؤسسات الحكومية المعنية للقيام بدورها في الدخول الى السوق كمنافس قوي للحد من الاحتكار ورفع الاسعار فوق السعر الدولي المحدد، ولو بدعم بعض البضائع وتجهيز السوق بكميات كبيرة منها.

خامسا:- الاعلان عن اعتبار الموعد المعلن ٣/١ غير نهائي وانه قابل للتمديد اذا لم تتم الاستعدادات الكاملة لانجاح العملية، وهذا الاعلان سيخفف الاحتقان والمخاوف والهلع، ويعطي مرونة في الاجراءات[1].

والله ولي التوفيق

محمد اليعقوبي _النجف الاشرف

٢٣/ذ.ح/ ١٤٣٣

٢٠١٢/١١/٨

(١) نجح هذا الضغط المرجعي والشعبي والإثارات الحقيقية المذكورة في إلغاء القرار والاستمرار بتوزيع مفردات البطاقة التموينية.

خطاب المرحلة

(٣٤٨)

أسبوع أمير المؤمنين ومعركة التأويل[١]

هذا الأسبوع الذي يبتدى من عيد الغدير هو أسبوع أمير المؤمنين بامتياز -كما يقال- لكثرة ما حباه الله تبارك وتعالى من مناقب في هذا الأسبوع، ففي الثامن عشر كان حفل تنصيبه خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وإماماً وهادياً للأمة بعده وأولى بالناس من أنفسهم وأمر النبي (صلى الله عليه وآله) المسلمين ببيعته (عليه السلام) على ذلك، وهو عيد إكمال الدين وإتمام النعمة.

وفي الرابع والعشرين كانت مباهلة النبي (صلى الله عليه وآله) نصارى نجران بنفسه الشريفة وبأمير المؤمنين (عليه السلام) وبفاطمة الزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام) ونزول آية المباهلة في حقهم.

وفيه أيضاً أدخلهم النبي (صلى الله عليه وآله) تحت كسائه ونزل جبرئيل بآية التطهير.

وفيه تصدّق أمير المؤمنين بخاتمه للسائل أثناء الركوع فنزلت آية {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(المائدة٥٥).

وفي الخامس والعشرين نزل في حقهم (عليهم السلام) سورة هل أتى لما تصدقوا بإفطارهم على المسكين واليتيم والأسير.

وفي هذا الأسبوع بعد خمس وعشرين سنة بويع لأمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة بإجماع الأمة بعد حصار عثمان في الثامن عشر ومقتله[٢].

---

(١) الخطبة الموحّدة لصلاة الجمعة يوم ٢٤/ذ.ح/١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/١١/٩ وقد تحدّث بها سماحة الشيخ اليعقوبي من قناة النعيم الفضائية.

(٢) من مصادر هذه الحوادث كتاب (وقائع الأيام للشيخ عباس القمي ص١٣٧- ١٣٩).

وبذلك فقد شهد هذا الأسبوع البيعة الواقعية والظاهرية لأمير المؤمنين كي يتولى أمور الأمة.

ولما كان هذا الأسبوع لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فإنه يكون اسبوعاً لكل ما كان يتصف به أمير المؤمنين (عليه السلام) من صفات الكمال، ولكل ما كان لعلّي (عليه السلام) من حقوق على الأمة، ولكل ما كان يمثله أمير المؤمنين (عليه السلام) من منازل ومواقع ومقامات، فهو أسبوع الولاية والإمامة والخلافة الإلهية والقيادة الربانية للأمة وللبشرية جمعاء.

لذا اقترحتُ في يومٍ ما قبل سنين أن يكون اسبوعاً للنزاهة وللعدالة وللمساواة ولإنصاف المظلومين ولاسترداد ما نهب من المال العام وللقضاء على الفساد المالي والإداري وخلع المتصدين للمواقع بغير حق وتعيين المؤهّلين فيها، لأن هذه المعاني كلها وغيرها جسّدها أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما تولى الخلافة.

وهو أسبوع بيان عظمة أهل البيت (عليهم السلام)، وعلّو منزلتهم ومقامهم التي كشفت عنها السور والآيات الكريمة النازلة فيهم بسورة هل أتى، وآية التطهير، وآية الولاية {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }(المائدة٥٥)، وآية التبليغ {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }(المائدة٦٧) وآية إكمال الدين وإتمام النعمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ (المائدة٣).

وهو أسبوع التصدق على الفقراء والمساكين ومواساتهم وإشعارهم بكرامتهم إلى حد إيثارهم على النفس كما فعل أمير المؤمنين (عليه السلام) والزهراء (عليها السلام) والحسن والحسين (عليهم السلام جميعاً).

ومن أهم ما يميّز امامته (عليه السلام) جهاده وقتاله على التأويل كما قاتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على التنزيل، أي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاتل العرب حتى يذعنوا للرسالة ويؤمنوا بأصل التوحيد والنبوة وعلى صدق ما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى دخلوا الإسلام طوعاً أو كرهاً.

أما بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) فقد بدأت معركة التأويل، وهي معركة ضد من أرادوا أن يحرّفوا الكلم من بعد مواضعه ويتكلموا في كتاب الله بغير سلطان أتاهم ويغيّروا السنن ويظهروا البدع، ويحرموا ما أحلّ الله ويحلّوا ما حرّم الله، ويبعدوا من قرّب الله ويقرّبوا من بعّد الله، ويولّوا أمور الأمة من يتّخذ مال الله دولاً وعباده خولاً ويحكم بغير ما أنزل الله تعالى وهم مع كل ذلك يدّعون الإسلام وينتسبون إليه.

وهذه المعركة كان يشير إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته ويعلن أن قائدها سيكون علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو حديث رواه العامة والخاصة عن طريق جمع غفير من الصحابة، ففي مستدرك الصحيحين، روى الحاكم بطريقين عن أبي سعيد قال (كنّا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فانقطعت نعله، فتخلّف علي (عليه السلام) يخصفها فمشى قليلاً ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال: أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل يعني علياً (عليه السلام)، فأتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال الحاكم: هذا حديث صحح على شرط الشيخين).[1]

---

(١) مستدرك الصحيحين: ١٢٢/٣، كتاب معرفة الصحابة، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وراجع لمعرفة مصادر الحديث في صحاح العامة وكتبهم: فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٤٢٥/٢- ٤٣١.

وقد نظمها الصحابي الجليل عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) في شعره الذي كان يرتجز به في معركة صفين التي استشهد فيها، فكان من رجزه:

نحن ضربناكم على تنزيلهفاليوم نضربكم على تأويله

هذا الاستحقاق لأمير المؤمنين أعطى تفسيراً للقول المشهور عنه (عليه السلام) (جمعت علوم القرآن في سورة الفاتحة: وجمعت علوم الفاتحة في البسملة، وجمعت علوم البسملة في الباء، وجمعت علوم الباء في النقطة وأنا تلك النقطة)، وحاصل التفسير أن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تكون قابلة للتأويل والتحريف والتلاعب والتزوير وافراغها من معانيها كما عبَّر (عليه السلام) عن القرآن بأنه (حمّال ذو وجوه) الا أن يقوم العالم بالقرآن والعارف بأسراره ومعانيه بإيضاح الحقائق، ووضع النقاط على الحروف كما يقال... لأن الحروف تتشابه في الهيئات كالباء والتاء والثاء والياء والنون، وإنما يميز بينها وضع النقطة على الحرف، فكما أن وضع النقطة هو الذي يعطى للحرف معناه، كذلك أمير المؤمنين هو الذي يبيّن حقائق التنزيل ويضع الأمور في نصابها ويرجع كل شيء إلى حقيقته وهو معنى التأويل.

ولولا ذلك الدور الذي قام به أمير المؤمنين (عليه السلام) لكانت تفاصيل العقائد والأحكام مجملة ومبهمة مما يفسح المجال واسعاً لأن يقوم كل أحد بتأويلها حسب مشتهياته وأهوائه، وهذا حال من لم يرجع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ليعرف تأويل المتشابهات (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (آل عمران/٧).

إن معركة التأويل هي المعركة الأصعب التي تزلّ فيها الأقدام وتضلّ فيها العقول لأن الخصوم يلبسون نفس الثوب أي ثوب الدين ويدّعون لأنفسهم نفس الهالة من العناوين والألقاب والمقدّسة، وكلٌ يدّعي وصلاً بصاحب الرسالة

والمشروع، ويضفي على حركته المشروعية ويستدل على أحقيته من نفس المصادر، فهناك تختلط الأوراق وتعصف الفتن وتكثر الشبهات.

وهذا الذي حصل بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة حينما انقلبوا على الأعقاب وكان أثمن قربان يقدَّم في تلك المعركة هي فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وعندما تولّى أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة فنكث البيعة قوم لهم عناوين كبيرة وقريبو الصلة برسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم قسط آخرون ومرق فريق ثالث ووقف على الحياد فريق رابع، لكن الصفوة الذين وعوا رسالة الإسلام واتبعوا تعاليم النبي (صلى الله عليه وآله) حقيقة كانوا ثابتين على الحق ولهم رؤية واضحة كعمار بن ياسر الذي كان يقاتل في صفين ويقول (والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنّهم على الباطل).[1]

هذه المعركة التي مزقت بأحزانها وآلامها قلب أمير المؤمنين (عليه السلام) وملأته قيحاً وجعلته يتمنى الموت ويجده حرياً وجديراً به.

إن معركة التأويل ليست مختصة بزمان أمير المؤمنين (عليه السلام)، بل هي مفتوحة في كل زمان ومكان، روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير[2] خبث الحديد).[3]

وليس هذا فحسب بل انها تتعقد أكثر وتضيق حلقة البلاء وتشتد، فبعد أن كانت بين أئمة أهل البيت (عليهم السلام) واتباعهم من جهة وبين الحكام المنحرفين والسائرين في ركابهم واتباعهم من العامة من جهة أخرى، تطوّرت لتكون داخل

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ٤٢٣/٢ ترجمة عمار بن ياسر.

(٢) وهو الزقّ الذي ينفخ فيه الحداد.

(٣) سفينة البحار ٢٠٤/١.

مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بين من واصلوا إتّباعَ الأئمة (عليهم السلام) الاثني عشر واحداً بعد واحد وهم الإمامية وبين من انشق عنهم ليؤسس فرقاً عديدة، ثم ضاق البلاء واشتدّ الامتحان أكثرفي الدائرة الأخيرة بين مستحق نيابة المعصوم (عليه السلام) وبين من يتقمصها ويدعيها بغير حق، وفي كل دائرة كان يفشل جمع كبير ويسقط في الامتحان وهذا مصداق حديث الإمام الباقر (هيهات هيهات، لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا، يقولها ثلاثاً حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى الصفو).[١]

وحديث الإمام الكاظم (عليه السلام) لإبراهيم بن هلال (أما والله يا أبا إسحاق، ما يكون ذلك – أي الفرج بظهور الإمام (عليه السلام) –حتّى تُميّزوا وتُمحَّصوا، وحتى لا يبقى منكم إلاّ الأقل).[٢]

وظاهر الرواية أن الخطاب موجّه فيها إلى الشيعة.

ولأهمية هذه المعركة وخطورة آثارها وتداعياتها على الدين وعلى المجتمع فقد ورد التحذير الشديد من التقصير فيها، في كتاب المحاسن للبرقي بسنده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) (قال: قال (عليه السلام) إن العالم الكاتم علمه يبعث أنتن أهل القيامة ريحاً تلعنه كل دابة حتى دواب الأرض الصغار).[٣]

وفيه روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (إذا ظهرت البدعة في أمتي فليظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله).[٤]

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي (قده): ٢٠٦.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٠٨، باب١٢، ح١٤.

(٣) (٢) المحاسن: ٢٣١ باب ١٧ ح ١٧٦، ١٧٧.

وفي التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إذا كتم العالم العلم أهله، وزهد الجاهل في تعلم ما لابد منه، وبخل الغني بمعروفه، وباع الفقير دينه بدنيا غيره جلّ البلاء وعظم العقاب) وهذا الحديث يلخّص لنا باختصار أسباب ما نحن فيه من البلاء والمحنة.

إن سلاح هذه المعركة هي المعرفة بالله تبارك وتعالى وطاعة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) وولاية أهل البيت (عليهم السلام) وإتّباع المراجع العالمين المخلصين والتفقه في الدين والبصيرة في الأمور، والحكمة في التصرف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الحقائق وتجلية المواقف، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإصلاح المناهج والسلوكيات المنحرفة.

فهي إذن ليست وظيفة مراجع الدين والعلماء والحوزة العلمية فقط، وإنما يقع على كل فرد في المجتمع جزء من المسؤولية بحسب موقعه ومؤهلاته وما يتوفر لديه من أدوات المواجهة التي ذكرناها كما يظهر من رواية تفسير العسكري (عليه السلام) المتقدّمة، فبعضهم بعلمه وآخر بماله وثالث بنفوذه ووجاهته، والجميع مطالبون بمشاركتهم في كل عمل وحركة لله تعالى فيها رضا وللأمة فيها صلاح، والله ولي التوفيق.

خطاب المرحلة

(٣٤٩)

الإصلاح: رسالة الإمام الحسين (عليه السلام)[١]

الحسين (عليه السلام) وارث الأنبياء جميعاً بحسب ما نطقت به الزيارة المشهورة المروية عن الأئمة (عليهم السلام) والمعروفة بزيارة (وارث) وعنده اجتمعت رسالات الأنبياء جميعاً {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً}الأحزاب٣٩.

وماذا كانت رسالات الأنبياء، لقد لخّصها نبي الله شُعيب (عليه السلام) في قوله تعالى (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود/٨٨)، هذه هي رسالة الأنبياء جميعاً (الإصلاح) وان تنوعت آليات عملهم واختلفهم شرائعهم من حيث الاجمال والتفصيل، لكن ما أجمله النبي السابق فصّله النبي اللاحق، وما فصّله النبي اللاحق يرجع في أصوله إلى ما أجمله السابق (صلوات الله عليهم أجمعين).

واختتمت هذه الرسالات برسالة الإسلام التي بلّغها النبي (صلى الله عليه وآله) وواصلها من بعده أمير المؤمنين (عليه السلام) (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (المائدة/٦٧) يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطّلة من حدودك)[٢].

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من المبلغين والخطباء ومرشدي الحجاج في مدينة كربلاء المقدسة يوم الخميس ٣٠/ذ.ح/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/١١/١٥.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٣١.

فهدف الأنبياء والأئمة (صلوات اللهم عليهم) هو (الإصلاح) ولما كان الإمام الحسين (عليه السلام) قد ورثهم جميعاً فمن الطبيعي أن تكون رسالته (عليه السلام) ومشروعه هو (الإصلاح) وقد عبّر (عليه السلام) عن ذلك صريحاً في خطاباته التي عرّف من خلالها بأهداف خروجه المبارك، وسجّله في وصيته التي دوّنها وختمها وأودعها عند أخيه محمد بن الحنفية، ومما جاء فيها (إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي (صلى الله عليه وآله) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام).[1]

ومن خطبته على الحر الرياحي وأصحابه لّما وصل (البيضة) قوله (عليه السلام) (ألا وأنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر).[2]

ويظهر من كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) وولده الإمام الحسين (عليه السلام) التواصل والتطابق في الهدف، وإنّ الاصلاح الذي سعى إليه المعصومون (عليهم السلام) وتحمّلوا مسؤوليتهم وبذلوا وسعهم لتحقيقه هو مشروع متكامل لا يختص بالأمور الدينية (أي الوعظ و الإرشاد وتعليم أحكام الدين وإن كان هذا هو الأساس) بل يشمل نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية، فيقضي على الفساد المالي والإداري ومنع الاستئثار بالأموال العامة وحرمان الشعب من حقوقهم، وإقامة النظام العادل الذي ينصف الناس جميعاً وينتزع حق المظلوم من ظالمه، ويطبّق الحدود والقوانين.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٢٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٦٠٥، الكامل في التأريخ: ٣/ ٢٨٠.

وإنّما يتم الصلاح ويكمل ويبلغ غايته عندما تصلح قيادتاه الدينية والسياسية، وتفسد الأمة إذا فسدت مؤسسته الحاكمة ولم تقم القيادة الدينية بواجباتها ومسؤولياتها، روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ قال: الفقهاء والأمراء).[1]

ومن دون مباشرة هذا المدى الواسع من الإصلاح تبقى حركته محدودة ومحجّمة وربما تذوب تدريجياً، تصوروا لو أن دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام بقيت في حدود مكة وتحت قبضة وبطش طواغيت قريش فإن المؤمنين بها سوف لا يزيدون عن العشرات الذي آمنوا فقتل بعضهم وهُجِّر البعض الآخر إلى الحبشة وحوصر النبي (صلى الله عليه وآله) ومن معه في شعب أبي طالب (عليه السلام) لكنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان يسعى لتوسيع دعوته وعرض نفسه على قبائل العرب حتى بايعه نفر من الأوس والخزرج في بيعة العقبة الأولى وأخذ منهم المواثيق على الطاعة والنصرة في بيعة العقبة الثانية وأرسل معهم الشهيد مصعب بن عمير لتعليمهم الدين ثم هاجر (صلى الله عليه وآله) وأسس دولته المباركة لينشر الإسلام العظيم إلى كل الدنيا.

أما ما دأبت عليه مرجعيات كثيرة على مدى قرون ومقلّدوهم من الإنزواء والانكماش والسلبية والعزوف عن العمل بالآليات الممكنة لإيجاد بيئة مشجّعة على الدين والصلاح فإنه تقصير غير مبرَّر وله عواقب وخيمة فلابد من استثمار كل فرصة لإيجاد هذه البيئة بل صنع الفرصة لها وليس انتظارها لاستثمارها.

لذا لم يجد الإمام الحسين (عليه السلام) لنفسه عذراً في القعود عن تصحيح وضع السلطة الحاكمة ومعالجة انحرافاتها بكل ما أتاه الله، فجاد بنفسه الشريفة وبأهل بيته وأصحابه، وعَرَّض حُرَمَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) للسبي بيد الأعداء من بلدٍ إلى بلد،

---

(١) الخصال: ٣٦ باب الاثنين.

وكان يمكنه الاكتفاء بموقعه الديني وامتيازاته التي يحظى بها في المجتمع ويكتفي بالحد الأدنى من العمل، لكنّه (عليه السلام) وهو سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وريحانته ووارثه، أصرَّ على اللحاق بركب جده المصطفى (صلى الله عليه وآله)، قال (عليه السلام) في خطبته على الحرّ وجيشه (أيّها الناس، إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعلٍ ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله).

وهذا بابٌ ينفتح منه ألفُ باب للحديث عن علاقة العلماء بالسلطة ودورهم في العملية السياسية وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموقع الأمة من كل ذلك وغيره مما لا يسع الحديث لبيان تفاصيله الآن.

ولابد لمن يتصدى لهذه المسؤولية أن يبدأ بإصلاح نفسه ويجعل من نفسه فرداً صالحاً قال تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد/١١)، وقد دلّنا أمير المؤمنين (عليه السلام) على آليات الإصلاح في ميدان النفس وعناصر النجاح في هذه العملية فهي تحتاج أولاً وقبل كل شيء إلى توفيق من الله تعالى، قال (عليه السلام) (التوفيق قائد الصلاح).[1]

ثمّ إلى تقوى من العبد، قال (عليه السلام): (التقوى مفتاح الصلاح).

وإلى مداومة على ذكر الله تعالى، قال (عليه السلام): (أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله)، وقال (عليه السلام): (مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح).

وتحتاج إلى مجاهدة للنفس لضمان الاستمرار على العناصر المتقدمة والمحافظة عليها، قال (عليه السلام) (في مجاهدة النفس كمال الصلاح).

---

(١) الحديث وما بعده في غرر الحكم وصفحاتها على الترتيب ٢٥، ٤١، ١٦٠، ٦٦١، ٤٦٩، ثمّ ١٦٢، ٧٩، ٤٤٩، ٤٧١، ١٧٠، ٣١٠، ٣٦٥.

وهناك خطوات عملية تساعد على إصلاح الباطن، منها:

١- مصاحبة المؤمنين الأخيار الصلحاء، قال (عليه السلام): (أكثرُ الصلاح والصواب في صحبة أولي النهى والألباب).

٢- مداراة الناس والرفق بهم واللطف معهم، قال (عليه السلام): (الرفق لقاح الصلاح وعنوان النجاح، وقال (عليه السلام) عوّد نفسك السماح وتجنّب الإلحاح يلزمك الصلاح).

٣- تجنب معاشرة أهل الدنيا والغفلة عن الله تبارك وتعالى، قال (عليه السلام) في اعتزال أبناء الدنيا جِماع الصلاح).

٤- عدم الاكثار من المباحات ككثرة الطعام والشراب والنوم ونحوها قال (عليه السلام): (إذا ملئ البطن من المباح عمي القلب عن الصلاح).

٥- تجنّب الصفات المذمومة كالكذب وإيذاء الناس، قال (عليه السلام): (أبعد الناس عن الصلاح الكذوب وذو الوجه الوقّاح).

٦- محاسبة النفس وتدارك ما فاته من تقصير وخلل وردّ المظالم إلى أهلها وقضاء ما فات، قال (عليه السلام): (حسن الاستدراك عنوان الصلاح).

هذه هي رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) وارث الأنبياء، فمن أحبَّ نصرته في كل زمان ومكان واللحاق بأصحابه فليمضي على ما مضى عليه (عليه السلام) وليدخل السرور على قلبه الشريف بالسعي الحثيث لتحقيق الهدف من رسالته، على هذا النحو من الوعي وهذه المعرفة.

لكن مع الالتفات إلى ما نبهنا عليه مراراً من الدعوة إلى هذا المستوى من فهم النهضة الحسينية، لا يعني إلغاء الأنماط الأخرى من التعاطي معها كالشعائر التي يؤديها عامة الناس ما دامت منضبطة بالحدود الشرعية.

لأن لكل فئة مستواها من التربية والسير في طريق الكمال، ولا يحق لأحد أن يسقط الآخر.

والله ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

خطاب المرحلة
(٣٥٠)

توجيهات حول خروج النساء مشياً إلى كربلاء من مسافات بعيدة أياماً عديدة[١]

بمناسبة قرب زيارة الأربعين وانطلاق مواكب المشي على الأقدام من أنحاء العراق الى كربلاء لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد وجّه سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) النساء المؤمنات التوّاقات للتأسّي بالسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأبنتها العقيلة زينب (عليها السلام) والراجيات شفاعتهنّ إلى أن يمتنعن عن الخروج مشياً على الأقدام إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) اذا كان يستلزم مخالفة شرعية -كعصيان الزوج-، أو لم تأمن المرأة من الوقوع في المخالفة أو التسبّب فيها كالذي سنشير إليه في حالة كون خروجهن من مسافات طويلة تتطلب أياماً من المسير في البوادي والقفار مما يتطلب المبيت في اماكن لا يعرفونها مسبقاً كالذي يحصل للسائرين من المحافظات جنوب العراق.

وقد أجمع الفقهاء على حرمة خروج المرأة من بيتها إذا استلزم مخالفة شرعية.

وقال سماحته في بيان مبرّراً الامتناع :

إنّ المعروف و المروي عن سيرة نساء اهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والعقيلة زينب (عليها السلام) هو القرار في البيوت التزاماً بقوله تعالى {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ } (الأحزاب : ٣٣)، والاحاديث الشريفة

(١) صدرت التوجيهات يوم ٢٦ محرم ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٢/١٢/١١.

المتواترة التي تحث المراءة المسلمة على ذلك، بحيث يُروى ان العقيلة زينب (عليها السلام) كانت اذا ارادت الخروج لزيارة جدّها (صلى الله عليه وآله) وأمها الزهراء (عليها السلام) كان يحوطها أبوها امير المؤمنين (عليه السلام) وأخواها الحسن والحسين (عليهما السلام) ويطفئ الامام قناديل المسجد لئلا يُرى شخصها مع هذه العناية التامة. علماً أن بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) ملاصق للمسجد النبوي الشريف.

واذا الجأتهن الضرورة لخروج او سفر فانه يكون بحشمة ووقار وحماية رجالهن الشجعان الغيارى، ويخرجن راكبات في هوادج كما خرجت العقيلة زينب والهاشميات مع الامام الحسين (عليه السلام) واخوته وشباب بني هاشم.

ولم يبرزن امام الرجال الاجانب ماشيات على الاقدام حتى لو كن بحجابهن، والذي حصل لهن من الظهور أمام الاجانب في الاسر بعد يوم عاشوراء كان قهراً عليهن وبفعل لئام الامويين، وليس فعلاً اختيارياً لهن حتى تتأسى به النساء المؤمنات المواليات .

فخروج النساء بالشكل الذي نراه من المدن البعيدة في البوادي و القفار، والمبيت في بيوت ناس لا يعرفونهم وقد يكون بعضهم من المندسين المتسترين باسم الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا الزمان الذي كثرت فيه الذئاب و الوحوش بهيئة الانسان، مخالف لأدب الشريعة ولا يرضى به الامام الحسين (عليه السلام) قطعاً ولا السيدة الزهراء (عليها السلام) ولا العقيلة زينب (عليها السلام).

ومع تقديرنا وافتخارنا بحجاب اخواتنا المؤمنات وعفافهّن وحرصهن البالغ على المحافظة على اوامر الشريعة مما نشاهده على الشاشات ونباهي العالم به، وعميق ولائهن لأهل بيت النبوة مما يولد حماساً واندفاعاً للقيام بكل ما

يوصف بان فيه تأسياً بهم (سلام الله عليهم)، الا ان المشكلة ليست من جهتهن، وانما من جهة الظروف المحيطة بهذه الحركة، ونحن حينما نتخذ موقفاً معيّناً نلحظه من جميع الجهات بحسب ما يّيسره الله تعالى .

ويضاف الى هذا ما شاهدناه وما سمعنا به من امور يأباها الشارع المقدس، نذكر بعضها في نقاط :

١- إنّ مثل هذه الرحلة الطويلة ومبيتهنّ في دور الغرباء تتطلب رعاية خاصة للمرأة وتوفير احتياجاتها – كالمنام وقضاء الحاجة- مما يجعلها في حاجة للرجال وهم أجانب، وقد تتعرض خلال رحلتها لبعض ذوي النفوس المريضة، إذ ليس كل الناس من الملائكة، فتحصل فتنة وظروف مريبة، وكثيراً ما يُسبّب وجودهنّ قلقاً وجهداً إضافياً لأصحاب الدور المضيّفة لمواكب المشاة على الطريق حتى يخرجوا بسلام من عهدة هذه الأمانة الثقيلة.

٢- إنّ غيابهنّ عن بيوتهنّ وأطفالهنّ ومن يحتاج إلى رعايتهنّ هذه المدّة يؤدي إلى التقصير في وظائفهنّ وكثيرا ما يكون الزوج او رب الاسرة مشغولاً بعمله ووظيفته إذ لا يستطيع التغيّب كل هذه المدة، ولذا قد تضّطر بعض النساء لاصطحاب الأطفال وهم لا ينضبطون فيضيع الأطفال وتتحول الرحلة إلى كارثة، لذا فإنّ كثيراً من أولياء الأمور و الأزواج لا يرضى بخروج زوجته لهذا السبب لكنّه لا يستطيع أن يمنعها لأنّه يُخوّف بأنّه سيكون معادياً للإمام الحسين (عليه السلام)، حيث أصبح البعض يُمارس قضية الحُسين كإرهاب فكري لجبر الناس على قرارات لا يرضون بها، وقد صرّح كثير من الرّجال بعدم رضاهم بخروج أزواجهم إلاّ أنّهم يُجابهون بالخطوط الحمراء التي صنعها المتاجرون بالدين وشعائر الإمام الحسين (عليه السلام) مستغلين العواطف الجيّاشة،

وبين أيدينا الرواية عن النبي (ﷺ) عن المرأة التي شكت زوجها إلى رسول الله (ﷺ) لأنّه يمنعها من الخروج لزيارة أبيها الذي أثقله المرض ثمّ مات أبوها ولم يأذن لها زوجها بالخروج فكان جواب النبي (ﷺ) لها (أطيعي زوجكِ) وبشّرها بالثواب العظيم.

٣- إنّ الزحام الشديد في الزيارة وصعوبة تحصيل واسطة النقل في طريق العودة يتسبب في حصول مخالفات شرعية كثيرة شاهدناها عبر وسائل الإعلام ونبّهنا عليها في بعض خطاباتنا، كمسك الرجل الأجنبي للمرأة حتّى يُساعدها على الصعود، أو التصاق بعضهم ببعض في سيّارات الحمل بسبب اكتظاظ الركّاب وسقوط بعضهم على بعض عند حصول توقّف مفاجئ للسيّارة، أو التدافع المختلط لتحصيل وجبة الطعام وغير ذلك من المحرّمات الشرعية التي يجب اجتنابها بترك مثل هذا الخروج.

وقال سماحته في خطاب موسّع له: إنّ إخراج النساء مع وجود مثل هذه المخالفات يُخشى أن يكون تأسياً واقتداءاً بلئام الأمويين الذين أخرجوا حرم رسول الله (ﷺ) في البوادي والقفار وليس تأسياً بالعقيلة زينب (عليها السلام) والهاشميات، فإنّهنّ لم يتخذنّ هذا الخروج سُنّةً وعادة باختيارهنّ بل صرّح الإمام السجاد (عليه السلام) لأبي حمزة الثمالي أن أقسى فصول مأساة كربلاء على أهل البيت (عليهم السلام) هي خروج النساء بين الرجال الأجانب في تلك المجالس والمسافات الطويلة، ولم يسمح أحد من الأئمة (عليهم السلام) بتكرار هذه الحالة. وحينما دعاهن واجب طاعة الإمام (عليه السلام) بالخروج معه كُنّ راكبات مصونات بحماية رجالهنّ الأبطال الغيارى، والرواية مشهورة عن المازني قال

(جاورت أمير المؤمنين (عليه السلام) عشرين عاماً فما رأيت لزينب بنت علي شخصا).

نعم إذا دعانا الواجب الإلهي إلى أي تضحية بالنفس أو المال أو إخراج النساء كان على المؤمن الاستجابة وبالهيئة التي توافق ما يريده الشارع المقدس.

إنّ التأسي الحقيقي بالعقيلة زينب يكون بالتفقّه في أحكام الدين كما كانت (عليها السلام) عالمة غير معلّمة وبالعفاف وصون الحرائر وعدم إبرازهنّ للرجال الأجانب وبالالتزام بطاعة الله تعالى حيث لم تترك العقيلة زينب (عليها السلام) صلاة الليل حتّى ليلة الحادي عشر من محرم.

وقال سماحته أنّ المأثور في روايات المعصومين هو قرار النساء في بيوتهنّ وعدم خروجهنّ، وإذا التزمت المرأة بذلك فإنّها ستُعطى حينئذٍ ثواب من قصد تلك المشاهد المقدّسة، فقد روى الشيخ الصدوق في الفقيه والطوسي في التهذيب عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (خير مساجد نسائكم البيوت) وروى في مكارم الأخلاق قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) (صلاة المرأة وحدها في بيتها كفضل صلاتها في الجامع خمساً وعشرين درجة)[1].

إن هذه الدعوة المخلصة لا تتضمن منع النساء من زيارة الامام الحسين (عليه السلام) مطلقاً حتى لو خلت الزيارة من اي مشكلة، لأنها قيدّت - بصراحة

(١) هذه الروايات وغيرها في وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب أحكام المساجد، باب٣٠.

ووضوح - الامتناع بالظروف والمخالفات المذكورة وتستطيع النساء الذهاب الى الزيارة بحشمة ووقار في غير هذه الظروف الموجبة للامتناع .

وهذا موقف يشاركنا فيه كل غيور على الدين وحرماته، وممن صرح به السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في الخطبة الاولى من صلاة الجمعة المباركة السادسة في مسجد الكوفة المعظم، حيث منع النساء من الخروج الى زيارة المعصومين (عليهم السلام) اذا كان في ذلك اختلاط وظهور النساء أمام الرجال فكيف اذا اضيف اليها المبيت عدة ليالٍ عند أجانب لا يعرفونهم، قال (قدس سره) :

((نحن نعمل المستحبات ونعمل المحرمات في نفس الوقت أيجوز ذلك؟ طبعا لا يجوز، هل ننال شفاعة المعصومين بالتجاوز على المعصومين وهتك حرماتهم ؟ هو يذهب ليتبرك بضريح الامام فيلعنه الامام الذي ذهب اليه، ويلعنها الامام الذي ذهبت اليه، فيخرج بلعنة الامام، لا يخرج بشفاعة الامام.

المسألة بسيط جدا . كل شخص عنده أم، أخت، بنت، أخ، جيران، صديق، ينصح بعضكم بعضا بالارتداع عن ذلك وعن غير ذلك، خير لك ان تركتها، اترك الزيارة خير لك من ان تذهب بهذه الزيارة الخاطئة الخائبة، ....امنعوا جيرانكم واسرتكم عن مثل هذا التهتك وهذا الاحتقار للدين و المعصومين (عليهم السلام)))[1].

ولعلنا سنجد من يحرّف الكلم عن مواضعه ويزعم اننا نمنع من ذهاب النساء لزيارة الامام الحسين (عليه السلام) مطلقاً، وهذا ما لا يمكن ان يقوله احد

(١) دستور الصدر : ٦٨-٦٩.

لوجود الروايات التي تصرح بحث النساء كالرجال على زيارة الامام الحسين (عليه السلام)، مضافاً الى شمول النساء بإطلاقات الروايات التي تحثّ على زيارة الامام الحسين (عليه السلام) وتذم تاركها بلا عذر، كما ان المرأة مشمولة بإطلاقات الآيات الكريمة و الاحاديث الشريفة التي تساوي بين الذكر و الانثى في الاعمال الصالحة وجزائها، وزيارة الامام الحسين (عليه السلام) منها .

واذكر من يدفع النساء المؤمنات العفيفات المواليات للسير من هذه المسافات البعيدة من دون اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتجنب المشاكل و المخالفات، وهو لا يُرسل نساءه الى تلك المسافات لتسير مع النساء، ويصون اهله في الترف و النعيم، اذكّره بقول العقيلة (عليها السلام) لئلا يكون مشمولاً به، فقد جاء في كلماتها التي صدمت بها يزيد الطاغية: (أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك واماءك، وسوقك بنات رسول الله (صل الله عليه وآله) سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يستشرفهن أهل المنازل والمناهل، ويتصفّح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهّن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي).

وفي الختام دعا سماحة الشيخ (دام ظله) جميع المؤمنين والمؤمنات إلى أن يكونوا شجعاناً لا تأخذهم في الله لومة لائم ويقدّموا رضا الله تعالى على رضا أنفسهم وعواطفهم، ويستجيبوا لهذه الدعوة التي فيها حياة لهم في دنياهم وآخرتهم، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/٢٤).

أصداء توجيهات المرجعية

لاقت توجيهات المرجعية إلى النساء المواليات العفيفات في المحافظات الجنوبية بالامتناع عن التوجه مشياً إلى كربلاء المقدسة وقطع مئات الكيلومترات في القفار والبوادي لأداء زيارة الأربعين الشريفة استجابة منقطعة النظير من لدن المؤمنين والمؤمنات عامة، ولم تختص باتباع المرجعية الرشيدة لما في البيان من وعي ورحمة وشفقة وواقعية ومصداقية، لأن الجميع يعلم بما يرافق هذه الزيارات من مخالفات شرعية.

وأثنوا على شجاعة سماحة المرجع وتصدّيه لحركة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهما كلّف الثمن، وسعيه الدؤوب لرفع الجهالة من المجتمع وانقاذهم من الضلالات والشبهات والخرافات.

وسعت جملة من المؤمنات إلى اتخاذ التدابير لتجنب المخالفات الشرعية التي أشار إليها البيان، ومن تلك الإجراءات: الانتقال بالسيارات إلى كربلاء المقدسة أو إلى النجف الأشرف ومواصلة السير إلى كربلاء، ومصاحبة المحارم، أو الخروج في تجمع كبير ليكون بعضهن لبعض ستراً والمبيت في أماكن معروفة، وتأمين العودة السليمة من كربلاء المقدسة، وتجنب مواطن الزحام والتدافع مع الأجانب ونحوها من الإجراءات فجزاهنّ الله تعالى عن الزهراء والعقيلة زينب (عليها السلام) خير جزاء المحسنين، وقد قدّر المراقبون أن نسبة النساء إلى الرجال في زوار تلك المحافظات التي قصدها الخطاب لم تتجاوز ١-٢٪ أو أقل.

وقد أغاظ هذا النجاح قطاعاً ممن يتزيى بزيّ أهل العلم فعملوا على تحريف الكلام وتزييف الحقائق لخداع الناس وتأليبهم ضد المرجعية العاملة، فصّورا لهم أن الشيخ اليعقوبي يمنع من زيارة النساء لأبي عبد الله الحسين مطلقاً وأخذوا يستدلون

لهم بالروايات على استحباب زيارة النساء للإمام الحسين (عليه السلام)، خلافاً لموضوع التوجيهات التي صدر البيان لإيضاحها، ونحو هذا من تزييف الحقائق.

وكان بعضهم قد استغل الشعائر الحسينية في أيام محرم الحرام داخل العراق وخارجه للتطاول على المرجعيات الدينية التي تسعى بإخلاص لتهذيب الشعائر الحسينية من الممارسات الدخيلة عليها، والتي تشوّه صورة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وتنفّر الناس منها، بدلاً من تحبيبها وهداية الناس إليها، فنعم الحكم الله والخصيم محمد (صلى الله عليه وآله).

وقد نظم بعض الفضلاء أبياتاً في نصرة مواقف سماحة الشيخ المرجع وترفّعه عن الرد على مناوئيه ومنهم فضيلة المهندس الحاج عماد الهلالي فقال:

يكفيك أنك موئل العقلاءِ ... وبأن غيرك محفل الطغماءِ
وبأن نور كلامكم لا يرتقي ... لــذراه غــير مُعــانق الجــوزاءِ
تفتي فيبتهج الهداة لقولكم ... في حين يصعب عن ذوي الأهواءِ
(ومن العداوة ما ينالك نفعه) ... كـم حكمـةٍ عرفـت مـن الجهـلاءِ
فتبينُ حتى من عداك فإنما ... يصـف السـلامة مـن بُلـي بالـداءِ

وثنى عليه فضيلة الشيخ حسنين قفطان بنفس الوزن والقافية، ومما جاء في قصيدته:

نظمُ القريضِ شعائرُ الشعراءِ ... وشــعائرُ العلمــا مِــدادُ دمــاءِ
وعلى هدى الهادينَ سارَ مُتوَّجاً ... بالموجِعــاتِ فتــاكَ صــدرَ إبــائي
فأقام -وِتراً- كلَّ أضلعَ مائلٍ ... وأبــانَ حكــمَ اللهِ في الأشــياءِ
كالشمس ظاهرةٌ بدائعُ علمِهِ ... في الــدين صــارَ لمجــدبٍ كالمــاءِ

مثلُ الحسينِ بكربلاءَ وحسبُهُ ... كالسبطِ في كربٍ غدا وبلاءِ
يا غصنَ يعقوبٍ وأنتَ ليوسفٍ ... صِنوٌ بحجمِ رزيّةٍ وعزاءِ
وهل ابنُ يعقوبٍ فَدَيتُ وجودهُ ... منعَ الأحبّةَ من أسىً وبكاءِ
أم كانَ ليسَ يُثيبُ مُوجعَ نفسِهِ ... حزناً لمصرعِ سيدِ الشهداءِ
وهو الذي وَرِثَ احتضانَ مُديمِها ... عن جدهِ ومعلَمِ الخطباءِ
ما كان ماحيها شعائرَ أحمدٍ ... بل كان حاميها منَ الجُهلاءِ

ومن قصيدة لجناب الأديب علي خصاف عباس نقتطف هذه الأبيات:

إزأر بجنب علي أيها الأسدُ ... واخطف بأبصارِ من قرّوا ومن جحدوا
إزأر لترعب أبواق النفاق فقدْ ... أمسى صريعاً بوسواسٍ لها الجسّدُ
فزادها الله من طغيانها مرضاً ... فالجهل مالِؤها والحقد والحسدُ
وإن رقت منبراً أو كان ملبَسُها ... سود الثياب فللغايات تجتهدُ
إنا عهدناك حين النائبات أباً ... والبدرُ في الليلة الظلماء يفتقدُ
الدين يشكوا رياح الجهل عاصفةً ... يرجو الثبات وأنت الحبل والوتدُ
فإن أضعنا بتجهيلٍ نتائجها ... فقد هوى الركن من بنيانها العمدُ
وافرغت دون وعيٍ من مبادئها ... وما الأئمة من أحيائها قصدوا
إنّا وأنت أقمنا الدين في زمنٍ ... من يرتدي اليوم ثوب الدين قد قعدوا
مع النساء وما كنا نرى أحداً ... يحمي الشعائر منهم أو لها شهدوا
فكنت ناراً بوجه البعث لاهبةً ... احرقتَ وجهَ دعي حينما خَمدوا
وكنت دفئاً لشعبٍ قلَّ ناصِرهُ ... والواترون كثيرٌ حينما بَردوا

وكنت طوفانَ حقٍ هادراً حِكَماً ... زلزلت للبغي عرشاً حينما رَكدوا
لم تعطِ إعطاءَ ذُلٍ مثلما فعلوا ... ولم تفر فرار العبد تلتحدُ
إن ينزغوك بنزغ فاستعذ حذراً ... من كيدِ قوم سوى الأموال ما عبدوا
يكفيك أحمدُ والكرار حيدرةٌ ... وصاحبُ الأمر بعدَ الله مُعتمدُ
من بعدهم أنبياءٌ بل ملائكةٌ ... وصالحُ المؤمنين العونُ والسندُ
فكلما أوقدوا نيرانَ فتنتهم ... أطفأتَ بالحلم والإحسان ما وقدوا
يا شيخنا عَقِمت والله بل يئست ... كمثل قادتنا حوزاتهم تلدُ
ما ينفعُ الناسَ يبقى خالداً سمحاً ... وللزوالِ خسيساً يذهبُ الزبدُ

خطاب المرحلة

(٣٥١)

النهضة الحسينية والدفاع عن حقوق الإنسان[1]

يحتفل المجتمع الدولي يوم ١٠-١٢- من كل عام باليوم العالمي لحقوق الإنسان وهو اليوم الذي أعلنت فيه الأمم المتحدة وثيقة مبادئ حقوق الإنسان عام ١٩٤٩، وقد طابق هذا العام ذكرى استشهاد الإمام السجاد (عليه السلام) صاحب أكمل وثيقة لحقوق الإنسان وهي (رسالة الحقوق)، وصادفت هذا العام في شهر محرم الحرام وفي ظل أجواء النهضة الحسينية المباركة، فيكون من المناسب الإشارة إلى جملة من مبادئ حقوق الإنسان والمثل الإنسانية العليا التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة أقوالا وأفعالا باللغة المتداولة في هذا العصر، لنوصل البشرية إلى هذا المعين النقي الذي يمدها بكل مقومات الحضارة الإنسانية ، ولنقوم بشكل من إشكال النصرة التي طلبها الإمام السبط الشهيد (عليه السلام) بإبراز القيم السامية و المثل العليا التي عمل (عليه السلام) على إقامتها وترسيخها ودعوة الناس إليها.

وسنتعرض باختصار لذكر عدد منها تاركين التفصيل إلى فرصة أخرى .

١- وأول تلك المبادئ وأهمها وأرقاها والتي تتقوم بها إنسانية الإنسان هي الحرية ونعني بها الانعتاق من عبودية ما سوى الله تبارك وتعالى، من خلال السعي لتحقيق العبودية الحقة لله تبارك وتعالى بالتوحيد الخالص وطاعته تبارك وتعالى وطاعة من أمر الله تبارك وتعالى بطاعته.

وقد كان تحرير الأمة من عبودية الطواغيت ومن أغلال الخنوع والاستكانة والركون إلى الدنيا وضعف الهمة ومن الجهل والنفاق أهم نتائج النهضة الحسينية،

---

(١) كلمة سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في الملتقى السنوي لمدراء فروع جامعة الصدر الدينية في النجف وسائر المحافظات يوم الأربعاء ٢٧ محرم ١٤٣٤ الموافق ٢٠١٢/١٢/١٢.

حتى أصبح الإمام (عليه السلام) سيد الأحرار ورمزهم ورائد كل حركات التحرر إلى يومنا هذا وإلى قيام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وما كان (عليه السلام) يستطيع تحقيق ذلك لولا أنه امتلأ معرفة بالله تعالى، وتجرد من كل ما سوى الله تعالى، وعاش عبداً مخلصاً لله تبارك وتعالى، وكيف لا يكون كذلك وهو من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وكان كل كيانه ووجوده لله تبارك وتعالى، ومن يتأمل في دعائه (عليه السلام) يوم عرفة يجد ذلك واضحاً في علاقته مع ربه، والمعارف الإلهية المودعة فيه، والتي هي الوسيلة للوصول إلى العبودية الحقيقية والتوحيد الخالص (كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ، ومتى بُعدتَ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً) (وأنت الذي تعرّفت إليّ في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء).

وهكذا كان الإمام (عليه السلام) إلى آخر لحظة من حياته المباركة، وكانت أدعيته (عليه السلام) يوم عاشوراء معبّرة عن هذه العلاقة وهذا الارتباط، فقد افتتح يوم العاشر حين اصطف الجيشان للقتال بدعائه الذي يظهر منه كمال الانقطاع إلى الله تعالى فافتتح خطابه مع القوم بالدعاء (اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمرٍ نزل بي ثقة وعدّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد وتقلُّ فيه الحيلة ويخذُلُ فيه الصديق ويشمُتُ في العدو، أنزلتُهُ بك وشكوتُهُ إليك، رغبة منّي إليك عمّن سواك، ففرّجته وكشفته، فأنت وليّ كلِّ نعمة وصاحب كلِّ حسنة ومنتهى كلِّ رغبة) وكان (عليه السلام) يثني على كل موقف حر أبي، لذا أكبَرَ

(عليه السلام) موقف الحر الرياحي لتحرّره من عبودية الطاغوت ووقف على مصرعه قائلاً له (والله ما أخطأت أمك إذ سمتك حراً فأنت والله: حرٌ في الدنيا وسعيد في الآخرة) .[1]

٢- العدالة بين أفراد الأمة من دون تفريق بين أحد وآخر لأي من الاعتبارات الموجودة، وقد كثر هذا المعنى في كلماته (عليه السلام)، حتى أنّه استغرب من طاعة جيش العدو لأمرائه من دون توفير هذا الحقّ لهم، فقال لهم يوم عاشوراء موبّخاً (تباً لكم أيتها الجماعة وترحا!... فأصبحتم ألباً على أوليائكم ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيشٍ طمعتم فيه).

وكان (عليه السلام) يطالب بالتوزيع العادل للثروة على الشعب بلا استثناء ولا هدر للمال العام ولا تبديد للثروات على النزوات والشهوات والحماقات، فقد جعل (عليه السلام) من أهداف خروجه على السلطة الحاكمة أنّهم (أظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء).

٣- المساواة في الحقوق الاعتبارية والمادّية، فأما الأولى: فقد اختلط دم أهل بيت النبوّة بدماء غيرهم ووقف الإمام الحسين (عليه السلام) على مصرع جون وهو مولى لأبي ذر أسود اللون كما وقف على مصرع ولده علي الأكبر شبيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً، وشكر سعي الجميع وتضحيتهم بكلمات رفيعة بلا فرق بينهم، وأمّا في الحقوق المادّية فقد قدّمنا رفضه (عليه السلام) للاستئثار في ثروات الشعوب ومطالبته بمراعاة حقوق الجميع على حد سواء.

---

(١) مصدر هذه النصوص كتاب (موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)) إصدار معهد تحقيقات باقر العلوم في الصفحات التالية ٥٣١، ٩٥٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٣٨٣، ٥١١، ٤٥٧، ٥١٢، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٩١، ٥٠١، ٥١٩، ٥٠٥.

٤- العمل بالدستور والقوانين التي آمنت بها الأمة بملء إرادتها واختيارها، والمطالبة بتطبيقها وهي بالنسبة للمسلمين: القرآن الكريم والسنة الشريفة، قال (عليه السلام) في كتابه لأهل البصرة: (وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه فإنّ السنة قد أميتت وأن البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد) ويصف السلطة الحاكمة بأنّهم (لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله) أي انقلبوا على الدستور وغيّروا أحكامه.

٥- احترام إرادة الأمة في تولية أمورها إلى مستحقيها الذين يقومون فيها بالقسط والعدل وينصفون المظلومين ويعمرون الحياة بالخير ويقرّبون الناس إلى الله تبارك وتعالى، ومنع وصول الفاسدين والمستبدّين إلى السلطة، بالطرق غير المشروعة كالانقلابات العسكرية وتزوير إرادة الأمة، قال (عليه السلام): (أمّا بعد أيّها الناس: فإنّكم إن تتّقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكون أرضى لله، ونحن أهل البيت وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس له، والسائرين فيكم بالجور والعدوان).

٦- الكرامة ورفض الذلّ والمهانة بكل أشكالها، من خطبة له (عليه السلام) يوم عاشوراء (ألا ان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة، أبى الله ذلك ورسوله، وجدود طابت وحجور طهرت، وأنوف حميّة ونفوس أبيّة، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

٧- إحقاق الحق ونصرته، وإبطال الباطل ومقاومته بكل الوسائل المتاحة التي تقتضيها الحكمة وتكون مطابقة لأحكام الشريعة حتّى لو أدّت إلى شهادته، قال (عليه السلام): (ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما).

٨- الإصلاح وتصحيح الواقع الفاسد وإقامة البديل الصالح في كل تفاصيل شؤون الأمة، سواء على صعيد الوضع السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو القضائي أو الأخلاقي والعقائدي وغيرها، من خلال أداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل أدواتها وكافة مستوياتها، قال (عليه السلام) (أما بعد فقد علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قال في حياته ((من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، أو تاركاً لعهد الله، ومخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)) وقد علمتم أنّ هؤلاء لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحقّ من غيّر).

وكتب (عليه السلام) في وصيته (وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطِراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي (صلى الله عليه وآله)، أريد أن آأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وابي علي بن أبي طالب).

٩- حريّة التعبير عن الرأي واتخاذ القرار بكل اختيار وإرادة من دون أي تأثير وإكراه.

في ليلة عاشوراء والعدو عازم على مناجزته القتال وقد تكامل عددهم ثلاثين ألفا وهو (عليه السلام) في سبعة عشر من أهل بيته و سبعين من أصحابه، ومن كان في ذلك الموقف يتشبّث بأي عدّة أو عدد، نراه يجتمع مع اصحابه ويقوله لهم (إنّي لا أحسب القوم إلاّ مقاتلوكم غداً، وقد أذنت لكم جميعاً، فأنتم في حلٍّ مني وهذا الليل قد غشيكم، فمن كانت له منكم قوّة فليضمّ رجلاً من أهل بيتي إليه وتفرقوا في سوادكم).

١٠- الشفافية والوضوح وعدم المخادعة والتضليل.

من كلامه (عليه السلام) مع أصحابه وقد جمعهم ليلة العاشر من المحرم ليكاشفهم بالأمور قال (عليه السلام): (اعلموا انكم خرجتم معي لعلمكم أني أقدم على قوم بايعوني بِألسنتهم وقلوبهم، وقد انعكس الأمر بأنّهم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، والآن ليس لهم مقصد إلاّ قتلي وقتل من يجاهد بين يدي، وسبي حريمي بعد سلبهم، وأخشى أن تكونوا ما تعلمون وتستحيون، والخدع عندنا أهل البيت محرّم، فمن كره منكم ذلك فلينصرف).

١١- الرحمة والشفقة عليهم والنصيحة لهم.

فقد أبلغ في النصيحة لجيش العدو وألقى عليهم الخطبة بعد الخطبةِ وضمّنها كلّ الحجج الدامغة والكافية لردعهم عن اقتراف هذه الجريمة، ووعظهم بأنواع المواعظ، ولكنّهم كانوا كما وصفهم الإمام (عليه السلام) (لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم وما تريدون) حتّى قال (عليه السلام) (ألا إنّي قد أعذرت وأنذرت) وقال لزهير بن القين بعد أن وعظ القوم (أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت، لو نفع النصح والإبلاغ).

وفي بعض الروايات أنّه بكى يوم عاشوراء شفقة على أعدائه معللاّ ذلك بأنهم (يدخلون النار بسببي) وهو كجدّه وأبيه وأخيه (صلوات الله عليهم أجمعين) أرسلوا رحمة للعالمين.

١٢- عدم التجاوز على حقوق الآخرين وردِّها إلى أهلها، ومن ذلك أمره (عليه السلام) لبعض أصحابه قائلاً (نادِ في الناس أن لا يقاتلن معي رجل عليه دَين، فإنّه ليس من رجلٍ يموت وعليه دين لا يدع له وفاءاً إلا دخل النار) فهو (عليه السلام) لا يرى هذا الموقف العصيب والمفصل التاريخي في حياة الأمة مبرّراً للتقصير في إرجاع الحقوق إلى أهلها.

وروى الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه السجاد (عليه السلام) أن آخر ما أوصاه أبوه الحسين (عليه السلام) عندما ودّعه وخرج للقتال (يا بني اتقِ ظلم من لا يجد له ناصراً إلا الله تعالى).

١٣- التضحية بالمصالح الخاصة من أجل وحدة الأمة ومصالحها العليا، قال (عليه السلام) (أمّا بعدُ، فإنّ الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله) على خلقه، وأكرمه بنبوّته، واختاره برسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أُرسل به (صلى الله عليه وآله) وكنّا أهله وأوليائه وأوصيائه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحقُّ بذلك الحق المستحق علينا ممّن تولاه).

وكان من أهم ما أوصى به الإمام الحسين(عليه السلام)ذ كوسيلة لتحقيق هذه المبادئ الإنسانية العليا: الصبر والرضا بقضاء الله تبارك وتعالى وعدم الجزع من المكاره والمصائب.

لّما سمعت العقيلة زينب (عليها السلام) أخاها الحسين (عليه السلام) ينعى نفسه وهو يصلح سيفه ليلة عاشوراء لطمت وجهها وخرّت مغشياً عليها فصبّ على وجهها الماء وقال لها: (يا أختاه تعزي بعزاء الله وارضي بقضاء الله، فإنّ سكّان السماوات يفنون وأهل الأرض يموتون وجميع البريّة لا يبقون، وكل شيء هالك إلاّ وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وإنّ لي ولكِ ولكل مؤمن ومؤمنة أسوة بمحمد (صلى الله عليه وآله).

أقول: هذا باختصار بعض ما يمكن استخلاصه من كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) ومواقفه فيما يتعلّق بحقوق الإنسان، وعلينا -ونحن نخوض هذه المواجهة الحضارية مع الغرب الذي يوصف بالمتمدّن- أن نُعمّق مثل هذه المعرفة وننهل المزيد منها لنقدّمها للمجتمع البشري كمنظومة متكاملة قادرة على تحقيق السعادة والازدهار والكرامة والحرية لبني الإنسان.

خطاب المرحلة
(٣٥٢)

ثواب إنشاء مواكب الخدمة ودور الاستراحة على طرق الزوّار والمسافرين[١]

شجّع الشارع المقدّس كثيراً على فعل المعروف بكل أشكاله ونعني بالمعروف كلّ ما فيه خير للناس، وهي مساحة واسعة مما يتقرّب به إلى الله تبارك وتعالى تبدأ من التحيّة والسلام وبشاشة الوجه والكلمة الطيبة التي وصفها الحديث الشريف بأنها صدقة، إلى المشاريع الخيرية الضخمة كبناء المستشفيات والمدارس والمساجد وطباعة الكتب وإنشاء الوحدات السكنية للمحرومين والفضائيات التي تكون سبباً لهداية الناس وصلاحهم.

وجعل الله تعالى ثواباً عظيماً لمن قام بمثل تلك الأعمال، والله تعالى غني عن العالمين وعن كل ما يقومون به، وإنّما يريد بذلك أن ينشئ خير أمة أُخرجت للناس تسودهم الرحمة والإنسانية وحبّ الخير.

هذا هو الدين الذي نؤمن به ونطبّقه في حياتنا ونسعى لإقناع البشرية به، فليخسأ من يُسمي الدين أفيون الشعوب ومن يريد أن يجرّد الأمة من دينها وأخلاقها ليعيدها إلى الحيوانية والهمجية.

هذه كلّها كالمقدمة البسيطة لرواية أحببت إيرادها مع إطلالة شهر صفر الخير حيث يندفع المؤمنون الموالون لأهل بيت النبوة في جميع أنحاء هذا البلد ليشاركوا

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع موكب صوت الحسين (عليه السلام) وبحضور حشد من طلبة كليات الهندسة والصيدلة والتربية في جامعة البصرة وكلية القانون في جامعة بابل يوم السبت ١/صفر/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٢/١٢/١٥. بمناسبة بدء الاستعدادات لزيارة الأربعين المليونية.

في المسيرة المليونية مشياً على الأقدام إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، موزّعين الأدوار بينهم بشكل مذهل من دون اتفاق مسبق ولا رعاية هيئة أو مؤسسة أو دولة.

والرواية أوردها الشيخ الصدوق (قدس سره) بسنده عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : (ومن بنى على ظهر طريق مأوى عابر سبيل ، بعثه الله يوم القيامة على نجيب من در وجوهر ، ووجهه يضيء لأهل الجمع نوراً ، حتى يزاحم إبراهيم خليل الرحمن في قبّته ، فيقول أهل الجمع : هذا ملك من الملائكة لم نر مثله قط ، ودخل في شفاعته الجنة أربعون ألف ألف رجل.

ومن شفع لأخيه شفاعة طلبها ، نظر الله إليه فكان حقا على الله أن لا يعذبه أبدا ، فإن هو شفع لأخيه شفاعة من غير أن يطلبها كان له أجر سبعين شهيدا.

ومن حفر بئرا للماء حتى استنبط ماءها فبذلها للمسلمين كان له كأجر من توضأ منها وصلى ، وكان له بعدد كل شعرة لمن شرب منها من إنسان أو بهيمة أو سبع أو طير عتق ألف رقبة ، وورد يوم القيامة ، ودخل في شفاعته عدد النجوم حوض القدس ، فقلنا : يا رسول الله وما حوض القدس ؟ قال : حوضي حوضي حوضي ، ثلاث مرات.)[1]

أقول: هذا الثواب العظيم الذي يمنحه الله تعالى لمن يبني مأوى على طريق المسافرين ليستريحون فيه ويقضون حوائجهم ويتزوّدون بالطعام والماء لمواصلة رحلتهم، وقد ذكرته الرواية في مقطعها الأول والثالث، أمّا المقطع الأوسط فيتعرّض لمن يشفع ـ أي يتوسط ـ بجاهه وسمعته ونفوذه لقضاء حاجة أخيه المؤمن

(١) وسائل الشيعة كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أبواب فعل المعروف باب٢٠ ح١.

كأن يخطب له بنتاً أو يعيّنه في وظيفة أو يجد له عملاً أو يُسهّل له أمراً أو معاملة قد تعسّرت عليه.

ومما ينبغي الإلتفات إليه إنّ هذا الثواب المذكور في الرواية إنّما هو بلحاظ هذه الجهة أي كونه مأوى للمسافرين وعابري السبيل وقد يضاف له ثواب آخر بعدد العناوين التي تنطبق على هذا العمل، كعنوان إدخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته لأن الزائر المتعب بحاجة إلى المكان الذي يستريح فيه وإلى الطعام الذي يقويه على مواصلة السير وهذا العنوان له ثوابه العظيم[1].

هذا كله في إنشاء مأوى للمسافرين بشكل عام، أما إذا كانت لخدمة زوار الإمام الحسين (عليه السلام) والسائرين إلى حرمه المطهّر مشياً على الأقدام وهم ضيوف الله ورسوله وأمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) والإمام المهدي الموعود الذين يكفيهم شرفاً ورفعة دعاء الإمام الصادق (عليه السلام) لهم في الرواية المعروفة عن معاوية بن وهب في كتاب مفاتيح الجنان.

فيزداد بذلك ثواب إنشاء هذه الأبنية والمخيّمات ومواكب الخدمة للزوار على الطريق لتشريف الضيوف النازلين فيها، ولانطباق عناوين عديدة أخرى عليها،

---

(١) وقد وردت في ذلك روايات كثيرة (منها) صحيحة عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (أوحى الله عز وجل إلى داود (عليه السلام) إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأبيحه جنّتي، فقال داود (عليه السلام): يا رب وما تلك الحسنة؟ قال: يدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بشقّ تمرة، قال داود (عليه السلام): يا ربِّ حقّ لمن عرفك أن لا يقطع رجاءه منك).
ومما ورد في قضاء حاجة المؤمن عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إنّ الله عزّ وجل خلق خلقاً من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة، فإن استطعت أن تكون منهم فكن). راجع: وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ٢٤، ٢٥.

كعنوان إحياء أمرهم (عليهم السلام) وإقامة شعائر الله تبارك وتعالى التي ورد فيها قوله (عليه السلام) (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا).

فلولا انتشار مواكب الخدمة على طول طريق المشاة إلى كربلاء لما تيسّر لهذه المسيرة المليونية أن تخرج، مضافاً إلى ما تشهده تلك الدور والمواكب والحسينيات من إقامة للشعائر الحسينية ومجالس الوعظ والإرشاد وصلوات الجماعة.

فمواكب الخدمة هذه على طول الطريق هي صدقة جارية مستمرة الثواب والأجر لبانيها ومؤسسيها والباذلين عليها، في رواية صحيحة عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال (ليس يتبع رجل بعد موته من أجر إلاّ ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنّها فهي يُعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعوا له)[1].

وما دمنا على أبواب الزيارة الأربعينية المباركة فإنّ الالتفاتة إلى هذه الألطاف الإلهية يكون حافزاً لجميع الأخوة كي يؤدوا دورهم ويساهموا بالشكل الذي يناسبهم في إدامة هذه الحركة المباركة وإعطائها الزخم الذي يزيد في ثمراتها، وليحرص كل منهم على تقديم الخدمة الأهم والأكثر نفعاً ولا تقتصر على شكل واحد كإطعام الطعام، فالزوار بحاجة إلى أمور كثيرة وأهمها الزاد المعنوي من الموعظة والإرشاد والتوجيه وإقامة صلاة الجماعة وتوزيع منشورات تربط العبد بخالقه وبأئمته (سلام الله عليهم).

وفي موضوع ذي صلة فإنّا نلفت نظر المسؤولين إلى ضرورة إنشاء دور استراحة على طول طريق المسافرين الذين يشكون من عدمها حتّى في طريق الحجّ البرّي إلاّ ما ندر، بحيث يتحيّر من يريد قضاء حاجة، فلو وزّعت الدولة على طول الطريق

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٩٢/١٣ كتاب الوقوف والصدقات باب١ ح١.

مجمّعات فيها مسجد ومطعم وخدمات صحيّة متكاملة ومحطّة تعبئة وقود، ولا تتكلّف الدولة مبالغ إنشائها لأنّ المستثمر الذي يُعطى رخصة محطّة يشترط معه تنفيذ هذه الخدمات معها، وتوزَّع بشكل منتظم على طول الطرق ككل أربعين كيلومتر مثلاً ونحوها كما رأينا في بعض الدول المجاورة بحيث لا يشعر المسافر الذي يقطع مئات الكيلومترات بأي مشكلة.

خطاب المرحلة
(٣٥٣)

إلى المشكّكين بجدوى الزيارات المليونية [١]

يشكّك البعض بجدوى حضور الملايين في الزيارات، كعاشوراء والأربعينية ويناقش في صرف الأموال الطائلة لخدمة الزوار وتوفير احتياجاتهم، وينطلق بعض هؤلاء من التأثر بالأجندات الغربية التي لا تفقه الآثار المعنوية لهذه الحركة المباركة على الفرد والمجتمع.

فيجب أن نكون نحن على ثقة عالية بشريعتنا وشعائرنا التي باركها الشارع المقدّس، فنجيب على هؤلاء بمستويين من الجواب، يُسمى الأول في مصطلح الحوزة العلمية بالجواب النقضي، أي الرد على الإشكال بإشكال مثله من واقعهم وممارساتهم، ويُسمّى الثاني الجواب الحلّي بتقديم الدليل على جدوى هذه الشعائر وبيان الآثار المباركة التي تثمرها.

والجواب على المستوى الأول هو بما يصدر منهم هذه الأيام بمناسبة الاحتفالات برأس السنة، حيث تسود العالم الغربي وغيره احتفالات صاخبة ومهرجانات والعاب نارية وسفرات من غرب الأرض إلى شرقها وشراء هدايا (عمانوئيل) وأمثالها[٢] من الممارسات التي تصرف فيها مليارات الدولارات بلا معنى عقلائي

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشود الزائرين الذين وفدوا مشياً على الأقدام من المحافظات الجنوبية متوجهين إلى كربلاء المقدسة يومي ١٦- ١٧/ صفر/١٤٣٤ الموافق ٣٠- ٣١/ ٢٠١٢/١٢.

(٢) من تلك المراسيم في فرنسا احراق السيارات حيث أحرقت ١١٩٣ سيارة ليلة ٢٠١٣/١/١ بحسب وزير الداخلية الفرنسي مانويل فالز وقال: إن العدد قريب من عدد السيارات التي أحرقت في سنوات سابقة حيث تحوّل إحراق السيارات ليلة رأس السنة إلى عادة لدى الفرنسيين منذ بضع

يمكن الاقتناع به إلا تسويلات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء من المتع واللذات الوقتية الكاذبة، وكان الأجدر بهم صرف هذه المليارات على جياع أفريقيا وتنمية اقتصاديات الدول الفقيرة وإنشاء المشاريع المفيدة في الدول التي يتباكون على فقرها وابتلائها بالأمراض الفتاكة والحروب والمشاكل الاجتماعية.

هذا غير ما يصرف من مليارات أخرى على غيرها من الفعاليات غير العقلائية كالدورات الأولمبية وبطولات كأس العالم مما يثقل ميزانيات الدول بمبالغ طائلة، وبين أيدينا اليونان التي اشترطت عليها الولايات المتحدة أموراً عند تنظيمها الدورة الأولمبية عام ٢٠٠٤ ولم تستطع واردات السياحة سدّها فغرقت في ديون باهضة شارفت بسببها على الإفلاس.

فالأولى بهؤلاء المنتقدين أن يعترضوا على هذه الممارسات والفعاليات التي لا فائدة فيها إلا متعة ولذة -كما يزعمون- وهي وقتية بمقدار لحظتها ووهمية ويبقى الفرد يعاني بعدها من مشاكل نفسية واقتصادية أيضاً لأن أغلب أفرادهم يقترض ليقوم بتلك السفرات أو شراء الهدايا ونحوها. فهؤلاء المعترضون ينطبق عليهم المثل المعروف بأنه يرى القذّة في عين الغير ولا يرى الجمل في عينه.

أما على صعيد المستوى الثاني من الجواب فقد تضمّنت خطاباتنا السابقة ذكر العديد من تلك الآثار المباركة، نشير إليها باختصار، وتُراجَع التفاصيل في مواضعها.[1]

سنوات وأحرقت ليلة ٢٠١٠/١/١ (١١٤٧) سيارة ولم تُعلن إحصائيات ٢٠١١، ٢٠١٢ حيث تحفظ وزراء اليمين في حينها عن إعلان الأرقام.

(١) راجع خطاب المرحلة: ١٤/٤، ٢٢٧- ٢٣٨ وفي مواضع أخرى من الكتاب.

١- إن التوجّه سيراً على الأقدام من مسافات بعيدة مع ما يرافقه من العناء والمشقّة فيه تعبير عن عميق المودّة والولاء للإمام (عليه السلام) التزاماً بقوله تعالى (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى/٢٣).

٢- إنّ فيه إظهاراً لعظمة الإمام المقصود بما عظّمه الله تعالى، كما سار الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) ماشيين إلى مكة المكرمة تعظيماً لبيت الله الحرام.

٣- إنّ فيها إدخالاً للسرور على قلب النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) ومواساة لهم على عظيم مصابهم، وفيه إحياء لأمرهم والتزام بما وجهوا إليها (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا).

٤- الثواب العظيم الذي رصد لمن يقصد زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ماشياً وقد وردت في ذلك روايات عديدة منها عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (من أتى قبر الحسين (عليه السلام) ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة).[1]

٥- إنها وسيلة هداية للآخرين، فقد اهتدى بشعائر الحسين (عليه السلام) إلى الحق كثيرون وعادوا إلى الصلاح والرشد في حين عجزت كل الوسائل عن إصلاحهم، وهذه من بركات الإمام الحسين (عليه السلام) فإنه (مصباح هدى وسفينة نجاة).

٦- إنها توحّد الأمة بكل طوائفها وقومياتها وتوجهاتها الاجتماعية والسياسية ومختلف انتماءاتها الجغرافية والعشائرية، وهذا واضح حيث يذوب الجميع في حب الإمام الحسين (عليه السلام) وبعضهم لبعض مما يستحيل تحقيقه في غير هذا الهدف قال تعالى (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) (الأنفال/٦٣).

---

(١) راجع الروايات في وسائل الشيعة: كتاب الحج، أبواب المزار وما يناسبه، باب ٤١.

٧- إنّ المسيرات السلمية وسيلة حضارية تتبعها كل الأمم المتحضرة لإلفات النظر إلى قضاياها والمطالبة بحقوقها ودفع الآخرين للسؤال والفحص عن المشروع المحرِّك لها، وهذا ما تحقق إذ صار العالم كله يتساءل اليوم عن الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) والشيعة، والسؤال مفتاح الوصول إلى الحقيقة.

٨- إنها تحبط محاولات الأعداء المتنوعين التي تستهدف الشعب العراقي الأبي وهذا البلد الكريم، لإفساده وإخضاعه وإرعابه وتدجينه وسلخه من هويته الإسلامية الأصيلة، فقد حاول الإرهابيون بكل وسائل القتل والتدمير والجريمة إخافته، وحاول الاحتلال تدجينه وتحويله إلى جزء من مشروع الشرق الأوسط الكبير بل رأس الحربة فيه، وحاولت تقنيات الإغراء والغواية والتضليل إفساده وإبعاده عن إسلامه الأصيل ففشل الجميع، ببركة هذه المسيرات المليونية.

٩- إنها ممارسة تعبوية تحافظ على جاهزية الأمة وحضورها في الميدان على الدوام وبدونها يصاب الشعب بالخمول والكسل والاسترخاء فيكون مكشوفاً وهدفاً سهلاً لكل استهداف.

١٠- إنها تقوّي الإرادة والتحمل وتوطين النفس على الصعاب مما يعجز عن تحقيقه أي ممارسة أخرى وتشكّل بذلك فقرة مهمة من عملية الاستعداد لنصرة الإمام الموعود (عجل الله تعالى فرجه) والمشاركة الفاعلة في التمهيد لدولته المباركة ونصرته.

١١- إن أجواء الزيارة والمشاعر الروحية فيها تعطي للنفس زاداً معنوياً وحصانة وغذاءاً روحياً يبقى تأثيره ولذته إلى أمد بحسب استحقاق كل شخص واستعداده، وكما يقال بحسب سعة إنائه ووعائه فإنه يغترف من هذه الألطاف الإلهية (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) (الرعد/١٧).

١٢- بهذه الحركة المليونية يبرز الشعب العراقي انتماءه للإسلام ولمذهب أهل البيت (عليهم السلام) ويبرز هويته في عملية إحصاء سكّاني صادق ودقيق لا يقبل الخطأ والتزوير وليردّ بذلك على بعض الجهات التي تحاول القفز على الواقع وتدّعي خلافه.

وقد وردت الإشارة إلى جملة من هذه الآثار المباركة في دعاء الإمام الصادق (عليه السلام) لزوار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) في الرواية المعتبرة عن معاوية بن وهب البجلي وفيها (اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبيَ الحسين بن علي صلوات الله عليهما الذين أنفقوا أموالهم واشخصوا أبدانهم رغبة في برِّنا ورجاءاً لما عندك في وصلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد (صلى الله عليه وآله)، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوِّنا، أرادوا بذلك رضوانك، فكافئهم عنّا بالرضوان)[1] إلى آخر الدعاء.

(١) مفاتيح الجنان: ٤٨٤ فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام).

خطاب المرحلة

(٣٥٤)

أسمى الفرائض وأشرفها
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سادة خلقه أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وصف الإمام الباقر (عليه السلام) في حديث مروي عنه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنها (أسمى[٢] الفرائض وأشرفها) وجاء فيه: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتَحِلُّ المكاسب، وتُرَدُّ المظالم، وتُعمر الأرض، ويُنتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر)[٣].

وروي في فضل هذه الفريضة وشرفها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (وما أعمال البرِّ كلها، والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجّيّ)[٤].

---

(١) الكلمة التي افتتح بها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) بحثه الشريف في كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يوم الأحد ٢٣/صفر/١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/١/٦، واستمر البحث سنتين تقريباً بفضل الله تبارك وتعالى.

(٢) هذا في رواية الكافي، وفي التهذيب: (أتم الفرائض).

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح٦.

(٤) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح١٨.

هذه هي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شرفها وأهميتها، وعظيم بركاتها وآثارها على الفرد والمجتمع، وإن واحداً من هذه الآثار كفيل بأن يجعلها في الصف الأول من الفرائض فكيف بمجموعها؛ لذا كانت أعظم من مجموع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله كما في كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأن نسبة مجموع تلك الأعمال إلى هذه الفريضة كالنفثة -وهي ما يمازج النفس من الريق عند النفخ- بالنسبة إلى البحر العميق الواسع.

ويكفي هذه الفريضة شرفاً أن تكون هدف الإمام الحسين (عليه السلام) من نهضته ودفع دمه الشريف ودماء أهل بيته وسبي عقائل النبوة ثمناً لإحياء هذه الفريضة، كما عبّر (عليه السلام) صريحاً بقوله: (وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله)؛ أريد أن آأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب)، وقال (عليه السلام): (ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقّاً).

وأشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى ذلك بتعبير آخر في الزيارة المخصوصة بيوم الأربعين فقال (عليه السلام): (وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة) وهي من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن الطبيعي أن تحظى الفريضة بهذه الأهمية والمكانة العظيمة عند الشارع المقدس؛ لأن كل أمة – والأمة: هي الجماعة التي يجمعها أمر تشترك به ويكون محور اجتماعها ومحط أنظارها- لا يكتب لها البقاء والاستمرار إلا إذا حصّنت نفسها بالتدابير اللازمة من الداخل والخارج ضد الأعداء الذين يريدون القضاء عليها، بتفكيكها وتمزيقها وإضعافها من الداخل، أو باستئصالها والقضاء عليها من الخارج.

وهذا هو شأن الدول أيضاً، لذا تتضمن المؤسسات الحاكمة في الدول المتحضرة وزارتين عُدّتا سياديتين لارتباط سيادة الدولة وحفظ وجودها بهما، وهما وزارة الداخلية لحفظ الأمن الداخلي وحماية النظام العام، ووزارة الدفاع لحماية حدودها وسيادتها من الاعتداءات الخارجية.

ويمكن تصور نفس الشيء في الأفراد، فقد زوّدهم الله تعالى بقوة لحماية سلامتهم من الداخل وهي المناعة التي توفرها كريات الدم البيض وسائر الاحتياطات الأخرى لوقايته من الأمراض والجراثيم والفايروسات التي تهاجم أجهزة بدنه، وزوّده بالسلاح الذي يدافع به عن نفسه من الاعتداء الخارجي، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥).

وقد أراد الله تعالى لهذه الأمة الإسلامية أن تكون خير أمة أخرجت للناس بنص الآية الشريفة، وأن تكون أمة خاتم الأنبياء ووارثة الأمم السابقة والمستخلفة في الأرض ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

فلا بد من اتخاذ التدابير اللازمة لحفظ كيانها من الداخل وحمايته من عوامل النخر والانهيار كالنفاق والجهل والتخلف والخرافات والفساد والرياء والشبهات والفتن والضلالات، فكانت وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وشرّع في عرضها وظيفة أخرى لحماية كيان الأمة المسلمة ودولتها من الخارج ولنشر دعوة الإسلام إلى الأمم الأخرى وإزالة كل العوائق التي يضعها الطواغيت والمستكبرون في طريق تعرّف الأمم الأخرى على الإسلام ليختار كل واحد منهم

عقيدته بحرّية ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال:٤٢) فكانت فريضة الجهاد.

فوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة (سيادية) بالمصطلح السياسي المتداول؛ لقيام وجود الأمة وديمومتها وحفظ رسالة الإسلام من التحريف والتشويه والدس والتأويل بغير ما أنزل الله تعالى بهذه الفريضة، ولولا قيام من انتجبهم الله تعالى بها لما بقي من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن رسمه، كالذي حلّ بالديانات السابقة على الإسلام، ففي الحديث الشريف المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ويحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد)[1].

ولكن القائمين بهذه الفريضة قليل، والجهد المطلوب لمكافحة الانحراف والفساد والتزوير كبير جداً؛ لذا انحرفت سيرة المسلمين ومسيرتهم منذ اللحظة الأولى بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الرفيق الأعلى.

وهذا ما حذّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمته من الوقوع فيه، وحذّر من التداعيات التي تحصل عقب ترك هذه الفريضة العظيمة، من ضياع القيم وانقلاب المنكر معروفاً والمعروف منكراً، فلا يستطيع أحد حينئذٍ أن يصلح ويغير لأن ما يأمر به من المعروف سيبدو منكراً لأن الناس يرونه معروفاً، وهو ما ابتلي به المصلحون على مرّ الدهور، وهذا أحد وجوه فهم الحديث الشريف عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) أنه يأتي بدين جديد وقرآن جديد؛ لرسوخ الحالة المزيفة المقابلة للحق.

وقد ورد تحذيره (صلى الله عليه وآله) هذا في حديث مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال النبي (صلى الله عليه وآله): كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم

---

(١) سفينة البحار: ٢٠٤/١ عن رجال الكشي، والكير: الزق الذي ينفخ فيه في الحداد.

تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون هذا يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرٌ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)[1].

وهذه المراحل من الانحطاط كما ينتكس إليها المجتمع كذلك يرتكس فيها الفرد، فإنه في بداية الأمر له فطرة وضمير يعرف به الحق والباطل والحسن والقبيح فيرتاح إذا فعل الأول ويؤنّبه ضميره إذا فعل الثاني. لكنه بتزيينٍ من الشيطان وضغطٍ من النفس الأمارة بالسوء وعوامل أخرى يخالف هذا الضمير الداخلي من دونٍ أن يصلح ما صدر منه ويعود إلى رشده، بل ينتقل إلى المرحلة الثانية عندما تأخذه العزة بالإثم ويكابر ويغالط فيحاول إقناع نفسه بما فعل أو تبريره أو الهروب منه بارتكاب مزيد من الخطأ ومقارفة الخطيئة كمن يهرب من جريمته بشرب المسكر أو بجريمة أخرى ليتناسى جريمته الأولى. ثم تأتي المرحلة الثالثة عندما يسودّ قلبه ويموت ضميره ويُطبع على قلبه ويتحول إلى شيطان فيرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

وعلى أي حال فقد حصل هذا الانقلاب في المفاهيم والقيم في وقت مبكر في صدر الإسلام وبلغ ذروته في عهد يزيد رغم حداثة العهد بنبي الإسلام (صلى الله عليه وآله)، ولا زال جملة من الصحابة وبعض أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) على قيد الحياة، فقام الإمام الحسين (عليه السلام) لإحياء هذه الفريضة كما في النصوص التي قدمنا ذكرها.

---

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح١٢.

ويبدي (عليه السلام) أسفه للحال الذي وصلت إليه الأمة بسبب تضييعها لهذه الفريضة، قال (عليه السلام) لما طلب منه والي المدينة البيعة ليزيد: (إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براعٍ مثل يزيد)[١].

وهي النتيجة التي حذّرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الوقوع فيها، ففي الكافي والتهذيب وعقاب الأعمال بالإسناد عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله)[٢].

وروى الشيخ الطوسي (قدس سره) في التهذيب عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسُلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء)[٣].

ومما يؤسف له أن هذا التهاون في أداء الفريضة على الصعيد العملي تحول تدريجياً في أذهان جملة من الفقهاء إلى عدم الاهتمام بشأن هذه الفريضة في الآثار الفقهية المباركة -سواء كانت متوناً فقهية، أو كتباً استدلالية- إما لحرص العلماء الأعلام على تناول المسائل الابتلائية أو خشية من بعض الممارسات التي حصلت بسبب سوء التطبيق بحيث اتخذ عنوان هذه الفريضة لتحقيق مكاسب شخصية، أو

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام): ٣٤٦، عن مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ١٨٤، والفتوح: ١٧/٥.
ويلاحظ أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يذكر يزيد باسم أبيه في جميع كلماته؛ لأن أم يزيد حملت به وهي خارج بيت الزوجية عندما حصلت قطيعة وهجران بينها وبين معاوية وذهبت إلى أهلها مدة طويلة.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح٤.

(٣) نهج البلاغة: ج٤، باب الحكم والمواعظ، رقم ٣٧٣.

تنفيذ مخططات للسلطة عندما كانت تتبنى ذلك، هذا من جانب ومن جانبٍ الكتب الاستدلالية، فلعل عدم التعرض لعدم وجود مطالب معمقة فيها تستحق جعلها موضوعات للأبحاث الاستدلالية، ففيهم من لم يتعرض لهذه الفريضة أصلاً[1]، ومنهم من تعرض لها باقتضاب -كالديلمي في المراسم- أو ضمن كتاب الجهاد كالكليني في الكافي والشيخ (قدس سره) في التهذيب حيث جعله الباب الأخير من كتاب الجهاد ذي الثمانين باباً، كما خلت رسائل عملية كثيرة من هذا الكتاب.

وهذه المعطيات تلزمنا ببذل جهد إضافي لإحياء هذه الفريضة العظيمة علماً -من خلال إشباعها بالبحث وإثارة تفاصيلها-، وعملاً -بتفعيلها في حياة الأمة وضبط حركتها بقواعد الشريعة- والله ولي التوفيق وهو المستعان.

إن عملية الإصلاح التي هي رسالة الأنبياء والأئمة (سلام الله عليهم أجمعين) ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوفِيقِيَ إِلا بِاللهِ﴾ إنما تتحرك وتُنفَّذ على أرض الواقع من خلال هذه الفريضة المباركة والدعوة إلى الخير، فإحياء هذه الفريضة يعني مواصلة تأدية رسالة الرسل والأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في كل ميادين الإصلاح[2] السياسي والاجتماعي والفكري والأخلاقي والتشريعي والاقتصادي.

---

(١) أما المتون فكالمقنع للصدوق والانتصار والناصريات للسيد المرتضى والمبسوط للشيخ الطوسي وجواهر الفقه للقاضي، والغنية لابن زهرة. وأما الاستدلالية فكالمحقق البحراني في الحدائق والسيد العاملي في مفتاح الكرامة.

(٢) راجع خطاب (الإصلاح: رسالة الإمام الحسين (عليه السلام)) في العدد (١٢١) من صحيفة الصادقين، وأدرجناه فيما سبق من هذا الكتاب ص٧١.

خطاب المرحلة

(٣٥٥)

إن الله قد يحب العبد ويبغض عمله[١]

روى لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطينا فيه قاعدة من قواعد السلوك الاجتماعي والتعامل مع الآخرين، ويعالج لنا مشكلة تمزّق المجتمع وتغذي البغضاء بين أبنائه.

فمن خطبة له (عليه السلام) قال (واعلم أنّ لكل ظاهرٍ باطناً على مثاله، فمن طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه، وقد قال الرسول الصادق (صلى الله عليه وآله) ((إنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله، ويحبّ العمل ويبغض بدنه)).

واعلم أنّ لكل عملٍ نباتاً، وكل نبات لا غنى به عن الماء، والمياه مختلة، فما طاب سقيُه، طاب غرسُه وحلَت ثمرته، وما خبث سقيُه، خبث غرسُه وأمّرت ثمرته).[٢]

وورد هذا الحديث في رواية أوردها الشيخ الطوسي (قدس سره) عن الإمام الباقر (عليه السلام) وفيها قوله (أما علمت أنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله، ويبغض العبد ويحب عمله).[٣]

أقول: يلاحظ فرق بين النصين في الفقرة الثانية وهو الشخص المبغوض، إذ وصفه نص نهج البلاغة بالبدن ونص الأمالي بالعبد، وبرأيي القاصر فإن نص

---

(١) محاضرة سماحة الشيخ اليعقوبي في بحثه الشريف يوم الأحد ٢٣ صفر ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/١/٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (١٥٤) في فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، أوّلها ((وناظر قلب اللبيب)).

(٣) أمالي الطوسي: ٦١٦، الجزء الرابع عشر في أخبار إبراهيم الأحمري.

الشريف الرضي في نهج البلاغة هو الأصح، والوجه في ذلك يظهر من خلال الالتفات إلى أمور:

١- إنّ رواية نهج البلاغة وصفت الشخص المبغوض بالبدن ولم تصفه بالعبد فهو كسائر الأبدان والأجساد المادية الخالية من الصفة الإنسانية الحقيقية وهي العبودية لله تعالى (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) (الفرقان/٤٤) فهو لا يستحق أن يوصف بالعبودية التي هي أسمى صفة للإنسان، وبها كرّم الله تعالى نبيه المصطفى (صلى الله عليه وآله) حين أمر بذكره في تشهّد وتسليم الصلاة بالعبودية ثمّ الرسالة (وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله) أمّا نصّ الأمالي فقد وصف الشخص المبغوض بالعبد وهو لا يستحقه.

٢- إن نص نهج البلاغة استعمل لطيب الباطن والظاهر (مَنْ) وهي تستعمل للعاقل بينما استعمل (ما) للمبغوض وهي تُستعمل لغير العاقل فيناسبه لفظ البدن غير العاقل لا العبد الذي يحمل تمام العقل.

٣- إن نص نهج البلاغة قدّم المحبوب بالذكر في كلا الفقرتين (حب العبد وحب العمل) وهو الأليق، بينما قدّم النص الثاني الشخص وإن كان مبغوضاً.

وعلى أي حال فإن معنى كلامه (عليه السلام) باختصار:

إن ما يصدر من الإنسان من تصرفات وأفعال ومواقف إنما يعكس حقيقة هذا الشخص وباطنه وذاته، قال (عليه السلام) في كلمة أخرى (ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه) [1] وكما قيل في المثل المعروف (وكل إناء بالذي فيه ينضح).

وقد أعطى (عليه السلام) في ذيل كلامه مثالاً لهذه المعادلة ووسيلة الوصول إلى الباطن الطيب، فإن العمل كالنبات فيه طيب حلو وفيه خبيث مر، فإذا كان الماء الذي

(١) نهج البلاغة، قصار الكلمات، رقم ٣٦.

يسقي الزرع والأرض طيباً كان الزرع طيباً حلواً، وإلاّ كان مراً خبيثاً، وهكذا النفوس إذا سُقيت من معينٍ نقي للمعرفة والعلم والأخلاق كانت صالحة طيبة، وإلاّ فستكون خبيثة.

وبالعودة إلى الحديث النبوي الشريف، فإنه تستفاد منه قاعدة لتمييز الإنسان الصالح من الفاسد، لأنّ الأول لا يترشح منه إلاّ فعل الخير بعكس الثاني، فيُقيّم الإنسان وتعرف حقيقته من خلال الحكم على أفعاله.

لكن -وكما قيل- فإنّ لكل قاعدة شواذاً، فإنّ الإنسان الصالح -عدا المعصوم (عليه السلام)- قد يصدر منه فعل سيء يبغضه الله تعالى إما لغفلة، أو لضعف في المناعة والعصمة والإرادة، أو لغلبة الهوى والشهوة وتزيين الشيطان أو لسوء تقدير، أو لتأثّر بأقران سيئين، أو لضعف أمام تهديدات وإغراءات ونحوها من أسباب السقوط في المعاصي.

وإن الشخص الفاسد قد يقوم بفعل محبوب لله تعالى كمساعدة محتاج أو رعاية يتيم أو قضاء حاجة إنسان آخر ونحوها، لتأثره بجو إنساني وعاطفي عام، أو لبقية حياة في ضميره أو بتأثير إنسان صالح يحبّه وهكذا.

وبهذا نحلُّ الإشكال الذي قيل على سياق الحديث، وحاصله: إنّ الحديث النبوي الشريف ينافي الفقرة السابقة عليه وهو ينقض المطابقة بين الظاهر والباطن التي ذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام): وملخص الجواب: إنّ هذا الإشكال مبني على كون الحديث النبوي شاهداً على ما أورده من القاعدة، فيُجاب الإشكال بأنّ الحديث ذكر للإشارة إلى الاستثناء من القاعدة، وليس استدلالاً على نفس القاعدة.

وقيل في توجيهه شيء آخر ذكره العلاّمة السيّد حبيب الله الخوئي شارح نهج البلاغة، قال (قدس سره): ((وإنما الإشكال في ارتباط هذا الكلام لسابقه و في استشهاد

الامام عليه السلام به مع أنّه لا مناسبة بينهما ظاهرا ، و ليس للاستشهاد به وجه ظاهر ، بل منافاته لما مرّ أظهر من المناسبة كما هو غير خفيّ، إذ لازم محبّة اللّه للعبد كون العبد طيّبا ، و لازم بغضه لعمله كون العمل خبيثا فلم يكن الظّاهر موافقا للباطن ، فينافي قوله عليه السلام: فما خبث ظاهره خبث باطنه.

وكذلك مقتضى بغض اللّه سبحانه لبدن الكافر كونه خبيثا ، و حبّه لعمله كون عمله طيّبا ففيه أيضا مخالفة الظّاهر للباطن ، فينافي قوله : فما طاب ظاهره طاب باطنه.

والذي سنح لي في وجه الارتباط و حلّ الإشكال بعد التّروي و صرف الهمّة إلى حلّه أيّاما و الاستمداد من جدّي أمير المؤمنين عليه و آله سلام اللّه ربّ العالمين هو أنّه لمّا ذكر أنّ ما هو طيّب الظّاهر طيّب الباطن و ما هو خبيث الظّاهر خبيث الباطن ، عقّبه بهذا الحديث النّبوي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تنبيها و إيقاظا للسّامعين بأنّ العبد قد يكون نفسه محبوبا و عمله مبغوضا ، و قد يكون بالعكس كما أفصح عنه الرّسول الصّادق المصدّق.

فاللاّزم له إذا كان محبوب الذّات للّه سبحانه و مبغوض العمل أن يجدّ في تحبيب عمله إليه تعالى حتّى يوافق نفسه عمله في المحبوبيّة ، و إذا كان محبوب العمل مبغوض البدن أي الذّات أن يجدّ في تحبيب ذاته إليه كي يوافق عمله نفسه.

والغرض بذلك الحثّ على تطبيق الظّاهر للباطن في الأوّل و تطبيق الباطن للظّاهر في الثّاني في المحبوبيّة حتى يكونا طيّبين ، و يفاز إلى النّعيم الدّائم و الفوز الأبدي، و لا يعكس حتّى يكونا خبيثين مبغوضين له تعالى، فيقع في العذاب الأليم و الخزي العظيم ، و قد زلّت في هذا المقام أقدام الشّراح و المحشّين).[1]

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢٤٨/٩.

أقول: هذا المعنى صحيح في نفسه، وإن كان يحتاج إلى مقدمات لاستظهاره من الحديث الشريف وحل الإشكال به.

ونذكر هنا وجوهاً أخرى بحسب فهمنا القاصر لسبب إيراد أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الحديث في ذيل كلامه المذكور وهي كالنتائج والثمرات المستفادة من هذا الحديث الشريف، ومنها:

١- أراد (عليه السلام) أن يمنع من اعتماد الشخص على هذه القاعدة فيعتقد أنّه ما دام مؤمناً فإنه لا يصدر منه إلاّ الفعل الحسن فيأخذه العجب ويغفل عن مراقبة نفسه ولا يحسب لاحتمال ضعف النفس وغواية الشيطان، فنبهه الإمام إلى إمكان الوقوع في الفعل المبغوض مهما كانت درجة إيمانه -عدا المعصومين (عليهم السلام)- فلا يركن إلى نفسه.

وكذا زرع الأمل في نفوس السيئين بأنّهم مهما كانت درجة انحطاطهم فإنّه يمكن أن يصدر منهم الفعل الحسن فلا يقنطوا ولا ييأسوا من رحمة الله تعالى ولطفه وعليهم أن يسعوا للقيام بالفعل الحسن وإن كانوا فاسقين، قال تعالى (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّه) (الزمر/٥٣).

٢- إن هذا التطابق بين الظاهر والباطن لابد أن يتحقق ويكون تاماً لأنّه غير قابل للتفكيك لأن الظاهر صورة للباطن، كالمطابقة بين الصورة في المرآة وصاحبها، حيث لا يتصور عدم المطابقة بينهما، فإذا حصل شيء على خلاف هذه القاعدة، فإنه يُعالج بما يعيد فاعله إلى هذه القاعدة.

فالمؤمن إذا صدر منه فعل مبغوض إلى الله تعالى فتح له باب التوبة والاستغفار وطلب العفو حتى يمحو ذلك الخطأ ويعود إلى المسار الصحيح، وقد يحتاج الأمر إلى أن يُبتلى ويعاقب بمرض أو مصيبة أو همٍّ أو خسارة وغيرها مما ذُكر في كفارات

الذنوب، قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) (الشورة/٣٠).

والكافر الذي ليس له في الآخرة من خلاق، إذا صدر منه فعل يحبّه الله تعالى أعطى جزاءه في الدنيا مما يحبّه ويرغب فيه ويعمل من أجله لكي لا يبقى له استحقاق عند الله تعالى ويعود التطابق بين الظاهر والباطن.

لأنّ الحب والبغض بالنسبة إلى الله تعالى ليس بالمعنى المعروف عندنا نحن البشر لتنزهه سبحانه عن ذلك، وإنما يعني آثارهما من الثواب والعقاب وهذا معنى صحيح أكّدته روايات كثيرة.

٣- إن ذكر الحديث النبوي الشريف للمنع من الحكم على شخص ما بأنّه صالح أو غيره، ومحبوب عند الله تعالى أو مبغوض من فعل واحد أو فعلين بالاستناد إلى هذه القاعدة، بأن يقال: إنّه لو كان صالحاً لما صدر منه الفعل السيء، ولو كان مبغوضاً عند الله لما صدر منه الفعل المحبوب، فأتى (عليه السلام) بالحديث النبوي ليفيد أنّه قد يصدر منه الفعل السيئ وهو محبوب عند الله تعالى، وقد يقوم بالفعل المحبوب وهو مبغوض عند الله تعالى.

نعم يمكن الحكم عليه إذا تحوّلت أفعاله إلى سيرة مستمرة وغالبة عليه، فإنها تكشف عن ملكة راسخة بهذا الاتجاه أو ذاك، وهذا ما ذكره الفقهاء في معنى العدالة من انها ملكة نفسية راسخة تُثمر استقامة على جادة الشريعة.

٤- إنّ العبد مهما تظاهر على خلاف باطنه فإنه سيعود إليه وتنكشف حقيقته وتتحقق المطابقة بين الظاهر والباطن، فقد يصدر من الشخص السيئ فعل حسن بتصنع ورياء وخداع، ويصدر من الإنسان الصالح فعل سيء، لكن كل واحد منهما لابد أن يعود في النهاية والخاتمة إلى ما يطابق باطنه مهما طال الزمن، قال تعالى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) (الإسراء/٨٤).

والتاريخ حافل بأسماء أشخاص كانت حياتهم مملوءة بالفسق والابتعاد عن الله تعالى لكنّهم خُتم لهم بالخير لأنّ أصلهم ومعدنهم كان كذلك كبشر الحافي والحر الرياحي مثلاً، ويوجد أمثلة كثيرة للعكس من ذلك كإبليس اللعين الذي كان مع الملائكة وعبد الله تعالى ستة آلاف سنة ثمّ خُتم له بالشقاء، وهذا لا ينافي الاختيار لأنّ كلاً منهما باختياره فعل ما يوجب له تلك الخاتمة.

٥- إنّه (عليه السلام) إنما ذكر الحديث لمعالجة مشكلة موجودة في المجتمع تحكم العلاقات بين الناس ومنشأها عدم التفكيك بين تقييم الشخص وتقييم فعله أي تطبيق الملازمة المذكورة في كلام الإمام (عليه السلام) من دون الالتفات إلى الاستثناء، والمشكلة هي إن أحدنا إذا اختلف مع شخص آخر أو لم يرتضِ فعلاً من أفعاله فإنه يرفضه جملة وتفصيلا ويعاديه ويشنّع عليه.

فالمشكلة التي نعاني منها وتمزّق وحدة المجتمع هي التوسع من رفض الفعل إلى رفض نفس الفاعل، وبدل الاعتراض على الفعل نفسه كحاله يتحوّل إلى رفض الشخص كلياً وتسقيطه وتفسيقه وإلغائه ولو كان إنساناً مؤمناً ملتزماً بالخط العام للشريعة، وفي هذا خروج عن القواعد الشرعية وتجاوز للحدود (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (الطلاق/١) (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة/٢٢٩).

وبالمقابل فإذا أحسن له شخص بفعل ما فإنّه يتحوّل عنده إلى إنسان محبوب وإن كان معروفاً بابتعاده عن الشريعة، فالإمام يدعو إلى التفكيك بين ذات الشخص وفعله وعرض كل منهما على ميزان التقييم بمعزل عن الآخر، فإذا كانت ذاته وباطنه صالحة فلا يجوز لك تسقيطه في المجتمع لموقف استنكرته منه، أو أخطأ فيه فإنّ المؤمن قد يقع في الخطأ والخطيئة ثم يتوب ويصلح شأنه ويعود قال الله تعالى

(إِنَّ الَّـذِينَ اتَّقَـواْ إِذَا مَسَّـهُمْ طَـائِفٌ مِّـنَ الشَّـيْطَانِ تَـذَكَّرُواْ فَـإِذَا هُـم مُّبْصِـرُونَ) (الأعراف/٢٠١) فلا يجوز انتهاك حرمة المؤمن لفعل سيء صدر منه.

هذه مشكلة مهمة نعاني منها يعالجها الإمام (عليه السلام) بالالتفات إلى هذا الحديث الشريف، فلتكن عندنا رويّة وحكمة في تعاملنا مع الآخرين، ولا نتورط أمام الله تعالى في تسقيط الآخرين ورفضهم والتشهير بهم لموقف اختلفنا فيه معهم وهذا الدرس الذي أردت بيانه واستفادته من الحديث النبوي الشريف.

وقد شهدنا في شهري محرم وصفر الحاليين تسقيطاً وتشهيراً من البعض لأنهم لم يوافقونا على بعض المواقف التي اتخذناها ونعتقد أن فيها رضا الله تعالى وصلاح الأمة، وقد أصبحت هذه الحالة السيئة منتشرة بكل أسف والمفروض بمن يعمل وفق تعاليم المعصومين (عليهم السلام) أن يفكّك بين الفعل وذات فاعله حتى لو اعتقد أن ما صدر منه كان سيئاً.

ولا تفوتني الإشارة إلى أنَّ المعروف والمتداول إن الظاهر انعكاس للباطن، وإن الباطن هو الأصل والظاهر مظهر له وكاشف عنه، لكن لا يبعد أن يستظهر العكس من الخطبة الشريفة لقوله (عليه السلام) (واعلم أن لكل ظاهرٍ باطناً على مثاله) أي أن الباطن يتشكل وفق الأفعال التي تصدر من العبد، فإن الشخص صاحب الباطن السيء يستطيع أن يتكلّف القيام بأفعال صالحة وهذا يغيّر باطنه تدريجياً إلى الصلاح وإن كان ليس كذلك قبل ذلك، وبالعكس فقد يكون له باطن صالح لكن قام بأفعال سيئة من دون أن يتوب ويستغفر ويندم فيفسد باطنه.

وهذا معنى صحيح وموافق للروايات التي مضمونها: إذا أذنب العبد صارت في قلبه نكتة سوداء، فإذا لم يتب وأذنب ثانياً صارت في قلبه نكتة ثانية وهكذا حتى يسوّد القلب ويموت فلا يرجى منه الخير والعياذ بالله تعالى.

خطاب المرحلة
(٣٥٦)

من سُنن النبي (صلى الله عليه وآله)

حثّنا الله تبارك وتعالى على الأخذ بسنة النبي (صلى الله عليه وآله)، قال الله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) (الأحزاب/٢١) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إني لأكره للرجل أن يموت وقد بقيت خلة من خلال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يأت بها)[١].

وجعل الإمام (عليه السلام) سنن النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرته ميزاناً يعرف بها الإنسان درجة صلاحه، فقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّ الله خصّ رسوله (صلى الله عليه وآله) بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا وارغبوا إليه في الزيادة منها).[٢]

وهذا يدعونا إلى البحث والتحري عن سنن النبي (صلى الله عليه وآله) حتى نتمكن من التأسي بها، ونحن لا نتوقع التمكن من الإتيان بها جميعاً، لكن علينا أن نسعى إلى تحقيق أكبر مقدار نستطيعه ونحافظ عليه وعندئذٍ يوفّقنا الله تعالى لا زيد من ذلك فنلتزم به ونحافظ عليه فنوفّق للمزيد وهكذا بالتدريج.

وسنن النبي (صلى الله عليه وآله) ومكارم أخلاقه تفوق حد الحصر، وما بين أيدينا هو ما نقل لنا منه عبر الروايات أما مقاماته وخصاله وملكاته فلا يعرفها إلا الله تبارك وتعالى.

ونحاول في هذه العجالة أن نقف عند بعض هذه السنن وأول مصدر لسننه (صلى الله عليه وآله) وآدابه التي أدّبه بها ربّه هو القرآن الكريم، وقد سجّل لنا جملة منها كقوله

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥٤/١٦ عن مكارم الأخلاق للطبرسي: ٣٩.

(٢) وسائل الشيعة كتاب جهاد النفس أبواب جهاد النفس باب٤ ح١.

تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّه لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }آل عمران١٥٩

وقوله {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }الأعراف١٩٩

وقوله {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ }النمل٩١

وقوله {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ }الروم٦٠

وقوله {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً }الكهف٢٣

وقوله {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً }الإسراء٧٩

وقوله وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت/٤٥).

ومن الروايات الجامعة لمكارم أخلاقه (صلى الله عليه وآله) وسننه: وصيته لأمير المؤمنين (عليه السلام) التي رويت في الكتب المعتبرة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) : يا علي اوصيك في نفسك بخصال فاحفظها ثم قال : اللهم اعنه ، اما الاولى فالصدق لا يخرجن من فيك كذبة ابدا ، والثانية الورع لا تجترأنّ على خيانة ابدا ، والثالثة الخوف من الله كأنك تراه ، والرابعة كثرة البكاء من خشية الله عزّ وجلّ يبني لك بكل دمعة بيت في الجنة ، والخامسة بذل مالك ودمك دون دينك ، والسادسة الاخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي ، اما الصلاة فالخمسون ركعة ، واما الصوم فثلاثة ايام في كل شهر خميس في اوله ، وأربعاء في وسطه ، وخميس في آخره ، واما الصدقة فجهدك حتى يقال : اسرفت ولم تسرف ، وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل ، وعليك بصلاة

الزوال ، وعليك بقراءة القرآن على كل حال ، وعليك برفع يديك في الصلاة ، وتقليبهما ، عليك بالسواك عند كل صلاة ، عليك بمحاسن الاخلاق فاركبها ، عليك بمساوئ الاخلاق فاجتنبها ، فإن لم تفعل فلا تلومن الا نفسك)[1].

وقد تضمنت هذه الوصية عدّة محاور من سنته الشريفة منها على صعيد الصفات القلبية -كالورع والخوف من الله تعالى- ومنها على صعيد الخصال النفسية – كالصدق- ومنها على صعيد الأعمال الخارجية كالصوم والصلاة والصدقة.

ويعلمنا النبي (صلى الله عليه وآله) أن العمل بهذه السنن والأخذ بها لا يتحقق إلاّ بألطافٍ إلهية خاصة، لذلك فإنّه (صلى الله عليه وآله) يدعو لأمير المؤمنين (عليه السلام) (اللهمّ أعنه).

وقد علمنا الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أن ندعو نحن أيضاً بهذا الدعاء كالذي ورد في الدعاء اليومي لشهر شعبان (اللهم فأعنّا على الاستنان بسنته (صلى الله عليه وآله) فيه).

كان (صلى الله عليه وآله) يجتهد في العبادة فقيل له (يا رسول الله غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخّر وأنت تجهد هذا الاجتهاد؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أفلا أكون عبداً شكورا)[2]، وصفة العبودية لله تعالى وحده والتحرّر من طاعة غيره هي مصدر كل الكمالات الأخرى لذلك اختارها الله لتكون الصفة التي يسلّم عليه بها يومياً في صلواتنا (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

وأذكر لكم عملاً عبادياً بسيطاً لو واظبتم عليه تكونون ممن أخذ بسنة النبي (صلى الله عليه وآله) وجدّه إبراهيم الخليل (عليه السلام) حيث أمرنا بالتأسي به أيضاً قال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) (الممتحنة/٤) وهي صلاة ركعتين يوم الجمعة بين الظهر والعصر، تقرأ في كلٍ منهما بالحمد مرة والتوحيد سبع مرات فإذا فرغت منها تقول (اللهمّ اجعلني من أهل الجنة التي حشوها البركة وعمّارها

---

(١) وسائل الشيعة كتاب الجهاد أبواب جهاد النفس، باب ٤ ح١.

(٢) المصدر، ح٢.

الملائكة مع نبينا محمد ﷺ وأبينا إبراهيم عليه السلام)، روي عن الأئمة (عليهم السلام): أنّ من صلاّها لم تضره بليّة ولم تصبه فتنة إلى الجمعة الأخرى، وجمع الله بينه وبين محمدٍ وبين إبراهيم (عليهما السلام).[١]

ومن سنن النبي (ﷺ) التي أكّد عليها وذمّ تركها الزواج وحبذا أن يكون مبكّراً روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (تزوّجوا فإنّ التزويج سنة رسول الله (ﷺ)، فإنّه كان يقول: من كان يحبّ أن يتّبع سنتي فإنّ من سنّتي التزويج، واطلبوا الولد فإنّي مكاثر بكم الأمم).[٢]

ومن سننه (ﷺ) منع نقل أي كلام عن الآخرين يؤدي إلى إيجاد حزازة في الصدر على الإخوان لذلك روى عن ابن مسعود عنه (ﷺ) أنّه قال (لا يبلغني أحدٌ منكم عن أصحابي شيئا فإنّي أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر).[٣]

وكانت أبغض خصلة له (ﷺ) الكذب فقد رُوي عن أمّ المؤمنين عائشة قولها (كان أبغض الخلق إليه الكذب) وقالت: (كانت (ﷺ) إذا اطّلع على أحدٍ من أهل بيته كذبَ كذبةً لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة).[٤]

وكان يحبّ صفة الرحمة للناس والشفقة عليهم والعفو عن إساءاتهم وقضاء حوائجهم. قال تعالى (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة/١٢٨).

وكان (ﷺ) يقول (أيّها الناس إنّما أنا رحمة مهداة).[٥]

---

(١) مفاتيح الجنان: ٩٠ أعمال يوم الجمعة فقرة ٢٦.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته، باب١ ح٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٦/ ٢٣١ عن مكارم الأخلاق: ١٧.

(٤) ميزان الحكمة: ٨/ ٥٧١ عن كنز العمال: ح١٨٣٧٩ و ١٨٣٨١.

(٥) ميزان الحكمة: ٨/٥٤٢ عن الطبقات الكبرى: ١/ ١٩٢.

وسُئلَ الإمام الصادق (عليه السلام) (بِمَ ساد النبي (صلى الله عليه وآله) الخَلق، فأجابَ بما مضمونه: بخصلتين العفو عمن ظلمه وأنّه لا يرد سائلاً.

تصوروا لو أنّ هذه الصفات (الصدق، الرحمة، العفو إلى المسيء، العمل على تحقيق مصالح الناس وإسعادهم) توفّرت في قادة البلاد هل تصل الحال إلى ما نحنُ عليه الآن من التمزّق والتناحر والصراع الطائفي والعرقي والفساد والعبث بأموال الشعب، فإذا أردنا الحل فإنّه يبدأ من الالتفات إلى هذه المبادئ السامية والأخلاق الكريمة حتى تتحوّل إلى خلق ثقافة عامة مبنيّة عليها، والعمل الجاد لترسيخها والله تعالى وليّ التوفيق.

ومن سُننه (صلى الله عليه وآله) ما روته السيدة الزهراء (صلوات الله عليها) قالت: (دخل عليَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد افترشتُ فِراشي للنوم، فقالَ لي يا فاطمة: لا تَنامي إلاّ وقد عملتِ أربعة: ختمتِ القرآن، وجعلتِ الأنبياء شُفعائك، وأرضيتِ المؤمنين عن نفسكِ، وحججتِ واعتمرتِ، قال هذا وأخذَ في الصلاة، فصبرتُ حتّى أتمّ صلاته، قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أمرتَ بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال، فتبسّم (صلى الله عليه وآله)، وقال: إذا قرأتِ (قُل هو الله أحد) ثلاث مرات فكأنكِ ختمتِ القرآن، وإذا صلّيتِ عليَّ وعلى الأنبياء قبلي كُنّا شُفعائكِ يوم القيامة، وإذا استغفرتِ للمؤمنين رضوا كلّهم عنكِ، وإذا قُلتِ: سُبحانَ الله، والحمدُ لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر فقد حججتِ واعتمرتِ).

ومن مستحبات ما قبل النوم تسبيح الزهراء (عليها السلام) والنوم على طهور وقراءة سورة التكاثر للوقاية من فتنة القبر كما رويَ عنه (صلى الله عليه وآله).

خطاب المرحلة
(٣٥٧)

كيف نكون من أهل (يا ليتنا كنّا معكم)[1]

كلّنا نخاطب الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه البررة بألسنتنا ووجداننا (يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً) ونتأسّف أننا لم نكن من أولئك الجيل الذي عاصر المعصومين (عليهم السلام) وتشرّف بلقائهم وفاز بنصرتهم ونال الشهادة بين أيديهم.

ونحن نعتقد أنّ الله تعالى عادل يعطي فرصاً متكافئة لعباده حتّى يتقرّبوا بها إليه، فهل أنّ الله تعالى حبى ذلك الجيل بهذه الفرصة وحرمنا نحن منها؟ هذا خلاف هذه الحقيقة الثابتة، فما هي فرصتنا التي تناسب ذلك؟ أنّها أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

من كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (وما أعمال البرّ كلها، والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ كنفثة في بحر لُجّي).

والنفثة هو مقدار اللعاب الضئيل الذي يصاحب نفخ الهواء من الفم، وهو مقدار يسير فما قيمته إلى البحر العميق الواسع المتلاطم كالمحيطات، هذه هي نسبة أعمال البرّ كلّها وبضمنها الجهاد في سبيل الله إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الجهاد الذي وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنّه بابٌ من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو درع الله الحصينة وجنّته الواقية، والذي نخاطب أصحابه (يا ليتنا كنّا معكم) تتضائل قيمته أمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الفرصة

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع عدة وفود من مختلف المحافظات يوم السبت بتاريخ ٢٠/ع١/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٢/٢.

العظيمة متاحة لنا ونستطيع أن نعوّض من خلالها ما فاتنا من نصرة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

بل أنّ إحياء هذه الفريضة هو تلبية لنداء الإمام الحسين (عليه السلام) وتحقيق لغرضه الذي خرج من أجله (وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله) لأأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) فالقيام بهذه الوظيفة نصرة فعلية للإمام الحسين (عليه السلام).

هذه الفريضة التي ضيّعتها الأمة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة، وكان ثمن التضييع باهظاً: استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) وإقصاء الإمام الحق أمير المؤمنين عن مقامه الذي وضعه الله تعالى فيه.

إنّ مشاكلنا كثيرة، ولكنّكم لو حللتموها لتصلوا إلى أسبابها لوجدتم أصل كل المشاكل سواء كانت أخلاقية أو اجتماعية أو عقائدية أو سياسية أو اقتصادية... ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحلول هذه المشاكل كلّها يبدأ من إحياء هذه الفريضة المباركة، فإنها الأصل في الحل سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر، فكل الخير في العودة إليها وكلّ الشر في تركها وتضييعها.

وموارد هذه الفريضة على شكلين:

١- المعروف والمنكر على الصعيد الفردي كشخص لا يصلّي فتأمره بالصلاة أو يشرب الخمر فتنهاه عنها أو لا يدفع الخمس والزكاة فتدعوه إلى الالتزام بهما أو امرأة سافرة فتأمرها بالحجاب.

٢- المعروف والمنكر على المستوى الاجتماعي: وذلك حينما يتحوّل المنكر إلى ظاهرة اجتماعية متفشيّة في المجتمع، خصوصاً إذا أصبح فعله معتاداً لا يستنكره أحد، بل ربّما يستهجن فعل الناهي عنه.

وكلّما اتّسعت دائرة المنكر وازدادت خطورته كانت المسؤولية عن تغييره أكبر والأدوات المستعملة أقوى وأكثر فاعلية، فإذا كان كافياً ردع المنكر من المستوى الأول بالحكمة والموعظة الحسنة، فإنّ الثاني يحتاج إلى خلق وعي اجتماعي ضاغط وحركة جماعية من الخطباء والعلماء والمثقّفين ووسائل الإعلام.

وحاصل الكلام أنّنا كلّنا مسؤولون عن القيام بهذه الوظيفة المباركة وان اختلف حجم المسؤولية ونوعها من واحد لآخر، وهي فرصة لكلّ واحد منّا ليكون من أهل (يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً) حقاً وصدقاً، خصوصاً داخل المجتمع النسوي وفي أوساط الشباب.

خطاب المرحلة

(٣٥٨)

ضرورة الاهتمام بفعل المستحبات وترك الشبهات والمكروهات [١]

عندما نمارس وظيفتنا في الهداية والإصلاح وتبليغ الأحكام ندعو للقيام بفعل ما ونحثّ عليه ونشرح ثواب العمل والآثار المباركة له في الدنيا والآخرة، فيُقال لنا: قل لنا هل هو واجب لا يجوز تركه حتى نفعله، وكأنّنا ليس علينا أن نؤدي إلاّ ما كان واجباً جزماً لا رخصة في تركه، أما المستحبات -وبعضها مؤكدة- أو الأمور التي يؤتى بها على نحو الاحتياط الاستحبابي فلا نشعر بالمسؤولية اتجاه القيام بها.

وهكذا عندما ننهى عن فعل معيّن ونبيّن الآثار السيئة على النفس والمجتمع عامة، فيقال لنا: قُل لنا هل هو حرام جزماً حتى نجتنبه، وإلاّ فلا مانع من فعله، وطبعاً ليست كل الأفعال المنهي عنها جزمية الحرمة، فبعضها شبهات، وبعضها يوجد احتياط بتركها، وبعضها ليست حراما لكنّها يمكن أن تكون باباً يؤدي إلى الحرام، فكأنّ هذه كلها مما يمكن اقتحامه ولا يجب اجتنابه.

إنّ منهج عدم فعل شيء إلاّ إذا كان واجباً جزماً، وعدم ترك شيء إلا إذا كان حراماً جزماً، منهج غير منتج ولا يوصل إلى الفلاح، ومن يسير وفق هذا المنهج فإنّه يسقط في الهاوية وتزلّ قدمه.

والمثال الواضح لذلك هو شق الطرق فإنه يوضع إلى جانب الطريق كتف ترابي يسمى حمى الطريق ليشعر قائد السيارة بالاطمئنان والثبات ولتحقيق الأمان للسيارة عندما تزل إطاراتها عن الشارع المعبّد بسبب غفلة السائق أو لتعرضه

---

(١) من حديث لسماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في يومين متتاليين مع وفود من طلبة الجامعات في بغداد وذي قار وجامعة الصدر الدينية فرع خور الزبير في البصرة ومؤسسات مجتمع مدني من بغداد والحلّة يوم ٢٥-٢٦/ ع١/١٤٣٤ هـ المصادف ٦-٢/٧/٢٠١٣.

لموقف مفاجئ، ويتأكد الأمر لدى المهندس حينما يصمّم طريقاً في منطقة جبلية وعرة، وإلى جانبها وادٍ سحيق، فإن هذا الكتف يكون ضرورياً، ولو وضع حد الشارع على حافة الوادي فإن السقوط فيه سيكون وارداً جداً خصوصاً عندما تضايقه سيارة قادمة أو تأخذه سِنة او غفلة، بل ان قائد السيارة يكون مرتبكاً وقلقاً وغير متزن إذا لم يوجد هذا الحمى إلى جانب الطريق ويؤدي به ارتباكه إلى السقوط في المحذور، وهذا جانب نفسي لا يمكن انكاره.

وهذا هو حال من يزعم أنه يسير وفق الأحكام الإلزامية فقط من واجبات ومحرمات ولا يعزّزها بفعل المستحبات وترك الشبهات والمكروهات بمقدار ما يستطيع وبمقدار ما يوفّقه الله تعالى إليه.

وقد وُصفت الشبهات بنفس لفظ الحمى في الأحاديث الشريفة.

عن رسول الله (ﷺ) (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه).[1]

حُكي أن عالماً سأل أحد علماء السلف الصالح أنه لماذا ندعو فلا يستجاب لنا، بينما كان دعاء السلف الصالح مستجاباً، قال في جوابه: لأننا كنّا نقسّم أحكام الأشياء على قسمين فقط: ما نلتزم بفعله وهي الواجبات والمستحبات، وما نلتزم بتركه وهي المحرمات والمكروهات، أما أنتم فقسمتموها إلى خمسة أقسام: واجب ومستحب ومباح ومكروه وحرام ولم تلزموا أنفسكم إلاّ بفعل الأول وترك الأخير فسبّب لكم هذه القسوة والابتعاد عن الله تعالى.

صحيح أن الواجبات أهم من المستحبات بدليل جعلها واجبات أي أن المصلحة في الفعل الواجب ملزمة -كما يعبّرون- وتفيد بعض الروايات أنها أكثر ثواباً عند الله تعالى من المستحبات، لكنّنا بصدد الحديث عمّا هو أكثر إنتاجاً وإيصالاً في

---

(١) مجموعة ورّام: ٥٢/١.

طريق التكامل، والمستفاد من بعض الروايات أن النوافل هي الأكثر فاعلية، ويساعد عليه الوجدان، لأن الإنسان يؤدي الفرائض بدافع الخوف من العقوبة إذا تركها غالباً باعتبارها واجبة، أما المستحبات فيؤديها رغبة في ثواب الله تعالى والتقرب إليه والفوز بمحبته ورضاه، وهذه النية الثانية موجبة أكثر من الأولى للتقرب من الله تبارك وتعالى.

وأذكر شاهداً على هذا التأثير للنوافل وهي حكاية رواها أحدهم عن المرحوم السيد علي القاضي صاحب المدرسة الأخلاقية المعروفة قال فيها أنه أيام إقامته في النجف الأشرف كان هناك شاب منحرف يشرب الخمر وتارك للصلاة، لكنه كان يحب السيد القاضي كثيراً ويساعده إذا رآه ويحمل عنه حاجاته إلى داره، وكان السيد ينصحه بأن يتوب إلى ربّه ويلتزم بالصلاة ويترك الخمر، لكنه لم يأخذ بالنصيحة وبعد سنين قال له السيد إنني طلبت منك طلباً منذ سنين ولم تستجب لي، فقال الشاب: لا أقدر على الالتزام، فقال السيد له: إذن أطلب منك أن تفعل في ليلة واحدة بأن تقوم في منتصف الليل والناس نيام فتتوضأ وتصلي صلاة الليل، فقال الشاب أن نومي عميق ولا أستطيع الاستيقاظ في منتصف الليل، قال السيد، لا بأس أنا أضمن لك استيقاظك وواعدني بفعل ما طلبت، فوعده بذلك ولما انتصف الليل استيقظ الشاب فجأة وجاء إلى حوض الماء ليتوضأ وفكّر وتدبّر وتأمّل طويلاً وراجع نفسه واستحيا من خالقه فأدركته الألطاف الإلهية، وهنا خاطب ربّه بكلمة اشتهرت لاحقاً (يا رب إني وإن تأخرت في الوصول إلا إنني أرجو أن لا أفارقك) ومن ذلك اليوم استقام في سيرته وأصبح من مشاهير الصالحين في النجف.

وقد تبين مما سبق وجود أكثر من ثمرة للإتيان بالمستحبات، منها.

١- انها صيانة ووقاية للواجبات، فمن كان مؤدياً للنوافل والمستحبات، فإنه بالطبع أشدّ التزاماً بالواجبات، أما من اقتصر على الواجبات فإنه معرّض لفواتها بسبب أو آخر.

٢- إن النوافل والمستحبات أسرع إيصالاً في سلّم الكمال، ومن الأحاديث الواردة في ذلك صحيحة ابان بن تغلب عن الإمام الباقر (عليه السلام) في الحديث القدسي (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّب إليَّ بِالنَوَافِلِ حَتَى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَذِي يُبْصِرُ بِه، وَيَدَهُ الَتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ).

٣- إن بها إتمام نقص الفرائض من حيث القبول، لأن الناس غالباً لا يأتون بالفريضة بالشكل الموجب للارتقاء، كالصلاة الخاشعة مثلاً، فشرعت النوافل لإتمام هذا النقص، وقد وردت في هذا المعنى روايات عديدة، كصحيحة محمد بن مسلم عن الإمام الباقر (عليه السلام)، قال: (إنَّ العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يرفع له إلا ما أقبل عليه منها بقلبه، وإنما أمرنا بالنافلة ليتم لهم بها ما نقصوا من الفريضة).[1]

وروى أبو بصير نفس الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) وقال بعده: ما أرى النوافل ينبغي أن تترك على حاله، فقال الإمام الصادق (عليه السلام): (أجل لا).

٤- الثواب الكبير المرصود لمن أتى بالمستحبات بشكل مذهل أوجب عدم تصديق الكثيرين، ولم تتحمل عقولهم أن يكون مثل ذلك الثواب لمن صلى ركعتين أو قرأ سورة قصيرة من القرآن أو قضى حاجة لأخيه المؤمن أو تصدق بمبلغ يسير، لكن كرم الله تعالى واسع وخزائنه لا تنفد، وقد حفل القرآن الكريم

(١) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب اعداد الفرائض ونوافلها، باب١٧ ح٣.

والروايات الشريفة[١] بأمثال ذلك، حتى ان بعض ذلك الثواب لم يذكر تعظيماً لشأنه كثواب صلاة الليل، قال تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ) (السجدة/١٧)، ومثل هذا الثواب العظيم لا يفرّط به عاقل، ونحن في هذه الدنيا الزائلة نزرع لنحصد في الآخرة وفي تجارة لن تبور، والربح الجنة، ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجهد نفسه في النوافل والمستحبات، لأنه وعى قوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً) (الإسراء/٧٩) ومن لا يريد أن يبعثه الله تعالى في المقام المحمود؟، وإنما ينال بامتطاء الليل كما عبّر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

وقد أجهد النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه الشريفة حتى أشفق عليه ربه وخاطبه (طه . مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) (طه/ ١-٢) وقيل له: يا رسول الله أتتعب هكذا بالعبادة وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال (صلى الله عليه وآله): أفلا أكون عبداً شكوراً.

وفي الطرف المقابل فإن نفس الآثار المباركة تحصل من ترك الأمور المشتبهة والمكروهات، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (حلال بيِّن وحرام بيِّن وشبهات بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه من الإثم فهو لما استبان منه اترك).[٢]

وعنه (عليه السلام) (إياك والوقوع في الشبهات، والولوع بالشهوات، فإنهما يقتادانك إلى الوقوع في الحرام وركوب كثيرٍ من الآثام).[٣]

---

(١) راجع (مفاتيح الجنان) ونحوه.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/٧٥ ح٥١٤٩.

(٣) غرر الحكم: ٢٧٢٣.

وروى الإمام الصادق (عليه السلام) حديثاً عن جدّه رسول اله (صلى الله عليه وآله) جاء فيه (فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم).[1]

وينبغي الالتفات إلى أنه ليس من المقدور إتيان كل ما مذكور من المستحبات واجتناب كل ما ورد من المكروهات، لكننا ذكرنا في خطاب سابق عن سنن النبي (صلى الله عليه وآله) انك تبذل وسعك في فعل ما تستطيع وسيوفقك الله تعالى إلى ما لم تكن تستطيع، فلنتعاون على البر والتقوى كما أمر الله تبارك وتعالى.

ومن الواضح أيضاً اننا لا نريد من الاهتمام بالمستحبات أن يكون على حساب الفرائض، لأنه (لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض) كما في الحديث الشريف كمن ينفق في الإطعام واستضافة الزوار وهو لا يؤدي الحق الشرعي، وإنما نتكلم عن الاهتمام بالمستحبات بعد الفراغ من الالتزام بالواجبات.

إنّ هذا المنهج من التفكير الذي نريد معالجته في هذا الحديث منتشر مع الأسف وهو عقبة في طريق الإصلاح بل عطّل فرائض مهمة في الإسلام كفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنها ذابت بسبب عدم شعور الفرد بالمسؤولية أمامها، وأحد أسباب ذلك ذهاب المشهور إلى كون وجوبها كفائياً فاتّكل كلٌ على الآخر باعتبار أن الوجوب ليس متعيناً به.

وكذا صلاة الجمعة المباركة حيث قال المشهور أن وجوبها تخييري والمكلف مخيّر بين إقامتها أو أداء صلاة الظهر، فضيّعوها طيلة هذه القرون لأنهم اعطوا لأنفسهم الرخصة في الاختيار بين الظهر والجمعة مع أنهم يعترفون انها أفضل من صلاة الظهر حتى لو قلنا بمقالتهم، وحرمنا بسبب ذلك من بركات هذه الفريضة العظيمة.

---

(١) الكافي: ١/ ٦٨ ح١٠.

حينما نتفقّد أخبار الحضور في صلوات الجمعة نخرج بنتائج إن عدد الحاضرين معتدّ به إلا أنه بلحاظ عدد من يتوقع منهم الحضور غير مرضي وحينما نسأل عن السبب يعتذر البعض بأنه يبعد أزيد من ١١ كيلومتراً عن موضع الصلاة فيسقط عنه الوجوب، ويعتذر الآخر بأنه يرجع إلى مرجعية تقول بالوجوب التخييري فلا يتعين عليه الحضور، وهذه نماذج لهذا التفكير غير المثمر الذي يفرط بأعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى، فأين ذهبت مئات الأحاديث الشريفة التي تلزم بالحضور في صلوات الجمعة وتحث على الحضور فيها وتذكر الثواب العظيم والمغفرة الواسعة لمصلّي الجمعة، وهب أن الحضور ليس واجباً بالتعيين على الفرد، لكن أليس هو واجباً تخييرياً وانه أفضل الفردين، فلماذا هذا الزهد بالفضل العظيم والتجارة التي لن تبور.

ونفس الشيء نواجهه عند النهي عن بعض الأفعال، فحينما نقول لبعض النساء المحجبات بالثوب الذي ينزل إلى الركبة المعروف بـ(المانتو) مع السروال: ان هذا النمط من اللباس يبتعد عن حجاب العفاف والحياء ويشكّل خطوة نحو التسامح والتحلّل، يقال لنا: انه ساتر للبدن ولا إشكال فيه اقتصاراً على الحدود الدنيا من الواجب.

أو بعض الشباب والشابات من طلبة الجامعات أو الذين يجرون حوارات على الجات وأمثاله ننهاهم عن إنشاء علاقات حتى لو كانت (شريفة) على مستوى تبادل المحاضرات ومناقشة شؤون الدراسة، لأنه فخ من فخوخ الشيطان ومظنة للانجرار نحو الحرام، فإن الشيطان يخطط بمكر وخبث ليصل إلى مراده ويبدأ بمقدمات ليس فيها حرام واضح حتى يخدع المؤمن بإتباعه ثم تتدرج الخطوات ويبتعد المخدوع عن جادة الصواب شيئاً فشيئاً.

ففي البداية تبادل محاضرات وأحاديث عن شؤون الدراسة والحياة العامة ثم إعجاب من الطرفين ببعضهما ثم (مودّة) قلبية ثم تكثيف اللقاءات والمواعيد ثم الاختلاء ببعضهما في أماكن بعيدة عن الرقيب، ولا نعلم ما يحدث بعد ذلك وهذا ما حذّرَنا منه الله تبارك وتعالى فقال (وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) (البقرة/١٦٨) لأن الشيطان يتخذ خطوات متدرجة تنتهي إلى الوقوع في الحرام وقد لا تكون هذه النتيجة واضحة من أول الأمر.

أقول: حينما نقدّم هذه التوجيهات للشباب والشابات يقولون لنا أنهم لم يفعلوا حراماً وان علاقتهم (شريفة) وأحاديثهم مقتصرة على شؤون الدراسة والأمور العامة ولا يعلمون أنهم يسيرون على حافة الطريق وإلى جنبهم وادي سحيق ومن دون منطقة حماية لهم على الجوانب.

إن السير بهذا المنهج من عدم الاعتناء بالمستحبات وترك الشبهات والمكروهات يؤدي إلى تضييع الدين شيئاً فشيئاً، لأنه سيترك قراءة القرآن وزيارة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) والإحسان إلى الآخرين والحضور في المساجد باعتبارها ليست واجبة، وسيقترب من الشبهات لأنها ليست محرمة جزمية فماذا بقي من الدين؟ وأين التقوى والورع الذي هو خير الزاد ليوم المعاد؟.

والخلاصة أنه علينا أن نعطي أهمية كبيرة لترك الشبهات وما نستطيع من ترك المكروهات، وأن نهتم بفعل ما يوفّقنا الله تعالى إليه من المستحبات خصوصاً المؤكدة منها كبعض النوافل اليومية وقراءة القرآن ولو لبضع دقائق يومياً والحضور إلى المساجد لأداء صلاة الجمعة والجماعة، وزيارة المعصومين (عليهم السلام) بحسب المتيسّر، ويحسن زيارتهم (عليهم السلام) عن بعد يومياً بسلام خفيف (السلام عليك يا سيدي ومولاي يا رسول الله صلى الله على روحك الطيبة وجسدك الطاهر، وعليك السلام يا مولاي يا حجة الله في أرضة وسمائه ورحمة الله وبركاته)

وهكذا لجميع المعصومين مع ذكر اسم كل واحد منهم، فإنه يصل إليهم لأنهم (يسمعون الكلام ويردّون الجواب) كما في الزيارة الشريفة.

خطاب المرحلة
(٣٥٩)

أعطوا للقرآن الكريم دوراً متميزاً في حياتكم[١]

بعض المتحدثين حينما ترد الآيات القرآنية في كلامه يميّزها بالإلقاء عن بقية كلامه فيرتّلها، وكذلك دأبت دور النشر في السنين الأخيرة على تمييز الآيات القرآنية بالخط عن بقية الكتاب فتوضع بنفس الرسم القرآني، ولعل غرضهم في ذلك لتنبيه القارئ إلى عدم مسّها إلا بطهور ونحوها من الأغراض.

وهذا الفعل المبارك وهو تمييز النصوص القرآنية عن غيرها في محلّه لكننّا نفهم منه معنى أوسع من هذا الذي أرادوه، لأنّ نظم القرآن ومعانيه من صنع الخالق تبارك وتعالى فمن الطبيعي أن تتميّز عن صنع المخلوقين مهما كانوا متقنين للفصاحة والبلاغة.

يروي المرحوم سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) انه كان على ظهر باخرة مسافراً إلى الولايات المتحدّة وفي يوم الجمعة أقام صلاة الجمعة وألقى خطبتيها، وكان المسافرون من أديان شتّى ولغات مختلفة، فوقف غير المسلمين ينظرون إلى هذا المشهد الغريب عنهم، بينهم سيّدة يوغوسلافية كانت تنصت وتتابع حتى انتهى من الصلاة فسألها عن معنى انشدادها وهي لا تفهم العربية، فقالت: لا أدري لكنّني وجدت نفسي منجذبة إلى الجو الذي أوجدته كلماتك وقالت أن الذي لم أستطع تفسيره هو أن كلمات تخللتها خطبتك كانت تشدّني وتجذبني أكثر ولا أعرف لماذا؟ يقول سيد قطب لكنني أعرف أنها الآيات القرآنية التي كنت أضمّنها في خطابي.

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع حشد من طلبة الجامعات والشباب من السماوة وهيئة الوعي للجميع من بغداد يوم السبت ٥/ع٢/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٢/١٦.

هذا هو القرآن الكريم في تأثيره على النفوس وبشفائه للروح وانسجامه مع الفطرة وتطهيره القلب الذي لم يطبع عليه الرين حتى وإن لم يكن يفهم ألفاظه، وهذا هو القرآن الكريم في تميّزه عن كلام المخلوقين، وهذا مظهر من مظاهر إعجازه، وربّانية صنعه ومصدره.

خلافاً لما يرد في الإشكال الذي واجهه رسول الله (ﷺ) ويردّده اليوم مدّعو الحداثة والتجديد الفوضوي غير المنضبط، وهو أن القرآن من صنع البشر سواء كان النبي محمد (ﷺ) نفسه أو غيره ممن يزعمون أنّه علّمه، وأجاب القرآن بوضوح (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) (النحل/١٠٣) وقال تعالى (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً) (النساء/٨٢).

هذا التمييز للقرآن الكريم يجب أن نحافظ عليه في حياتنا فنعطيه هذا الدور المتميّز عن غيره من سائر أولوياتنا فنواظب على تلاوته ونتدبر في آياته ونتخذه دستوراً في حياتنا لا نحيد عنه، ونبراساً يضيء لنا الدرب، ومرجعاً لنا في كل قضايانا وحل مشاكلنا.

فلا نبخل على القرآن بدقائق يومياً في أوقات صلواتنا أو فراغنا لنتلو عدداً من الآيات الكريمة، وقلت مراراً أن الأولى أن تكون في مصحف مؤطّر بتفسير بسيط لمفرداته وآياته كتفسير شبر لنحيط ولو إجمالاً بالمعاني العامة للقرآن الكريم، وهو كتاب جليل وضعه مؤلفه بعد مراجعة عدة تفاسير واطّلع على الأقوال المختلفة. وليكن لكل فرد من الأسرة نسخة واحدة على الأقل من المصحف تختص به، والأفضل أكثر من نسخة، هذا غير المصاحف الأخرى الموجودة في الدار.

وأؤكد عليكم أيها الشباب بالعمل بهذه النصيحة فإنكم في بداية حياتكم ونقطة الانطلاق لتأسيس مستقبلكم، فعندما يكون الأساس هو القرآن الكريم وعلومه

ومعارفه فإن المستقبل يكون سعيداً قوياً مثمراً بلطف الله تبارك وتعالى، وفي كل الميادين سواء في دراستك أو عملك وكسبك أو في علاقاتك مع أهلك والآخرين، فضلاً عن العلاقة السامية مع ربك والنبي وآله الطاهرين (ﷺ).

وقد جرّبت ذلك في حياتي عندما كنت في بداية العشرينيات من عمري ومنّ الله تعالى عليّ بالأنس بالقرآن وملازمة له ولازلت أحيى بركاته والحمد لله وحده.

خطاب المرحلة
(٣٦٠)

على المرجعيات الدينية والقيادات السياسية أن تتنازل لمن هو أكفأ[١]

من الصفات الرئيسية التي أكد الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على توفّرها في من يسوس أمر الأمة ويتولى القيادة والإدارة في أي موقع كان خصوصاً الفقهاء والأمراء، أي المرجعية الدينية والسلطة الحاكمة: أن يكون (مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه) كما في الحديث المروي عن الإمام العسكري (عليه السلام).

ومن أعلى موارد اختبار وجود هذه الصفة وأشدّها: تنازله عن الموقع إلى غيره ممن يراه أكفأ منه وأقدر على القيام بوظائف هذا الموقع، أما لتفوّق هذا البديل، أو لعجزه هو عن مواكبة التحديات وتحمّل المسؤوليات التي تتوسّع وتتعقّد بمرور الزمن، ومثل هذه الخطوة تحتاج إلى قوة قلب للتغلب على هوى النفس التي تصرّ على التمسّك بموقع النفوذ والجاه والسلطة والحصول على مزيد من الامتيازات.

وقد عشنا تجربة مرجعية السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) ورأينا فيه هذه الصفة فكان يخالف هوى نفسه ويؤدي ما يراه حجة بينه وبين ربّه وما فيه رضا الله تبارك وتعالى، كتصديه لصلاة الجمعة المباركة ووقوفه بين الجماهير المؤمنة وما يكلّفه ذلك من عنت وشقّة ومواجهة للسلطة وجهد مضاعف يضاف إلى مسؤوليته العلمية والعملية الكثيرة، لكنّه نهض بهذه المسؤولية كغيرها ولم يستسلم لما تهواه النفس من حياة الدعة والراحة.

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع عدّة وفود زارته بينها عدد من مؤسسات المجتمع المدني الفاعلة يوم الخميس ١٠/ع٢/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٢/٢١.

وكانت عنده هذه الصفة بأعلى مستوياتها بحيث نعلم أنّه لو امتدّ به العمر ورأى بديلاً أفضل منه -كما كان يصرّح بأنه يسعى لإيجاده وتربيته- فإنه يتنازل له بكل رحابة صدر، وكان يربي طلاّبه ومريديه على ذلك.

كنّا معه (قده) مرّة وتذاكرنا أموراً من هذا القبيل وربّما ذكرنا كيف أنّ السيد الشهيد الصدر الأول (قده) كان يخالف هواه ويقهر نفسه حينما قرّر أن يطبع كتابيه (فلسفتنا) و (اقتصادنا) باسم جماعة العلماء ونحوه ولا يذكر انّه هو المؤلف، لأنّ هدفه إعلاء كلمة الله تعالى ورفعة الإسلام، فأكبر السيّد (قده) هذا الموقف، وسأل متحدياً: من يستطيع أن يقوم بمثل هذا؟ فقلتُ: أنّه فعل لا يحتاج إلى كثير مؤونة معتبراً ذلك أمراً طبيعياً عند المخلصين لله تعالى، فقال السيد (قده) باللهجة الدارجة: ((نعم أنت تسويها)) أي أنّه يُتوقّع منك القيام بمثل هذا الصنع.

بل قد وقع مني فعلاً مثل ذلك حينما طبع السيد الشهيد الصدر (قده) كتاب ما وراء الفقه طلب منّي أن يجعل كتابي (الرياضيات والفقه) في المجلد الثامن لمناسبته لكتاب الميراث، فقلت له: ((سيدنا آنه بخدمتك، وليكن من فصول الكتاب ولا حاجة لذكر اسم كاتبه))، لكنّه (قده) أصرّ على أن يكتب اسم المؤلف رعاية للأمانة العلمية وقال: (لانّ القرّاء يعلمون أنّه ليست لي القدرة على تقديم مثل هذه المطالب الرياضية).

وعلى أيّ حال فقد شهد تأريخ المرجعية الشيعية بمثل هذه المواقف النبيلة من ذوي النفوس الكبيرة كالشيخ يوسف البحراني (قده)[1] الذي كان مرجعاً للشيعة

(١) مؤلف كتاب (الحدائق الناضرة) الموسوعة الفقهية الجليلة التي لا زالت من مصادر البحوث العليا ومربي عدد كبير من الأعاظم، توفي عام ١١٨٦.

ومقره في كربلاء المقدّسة، وكان من معاصريه الشيخ الوحيد البهبهاني (قده)[1]، وفي أحد الأيام قام البهبهاني وسط الجمع واستأذن الشيخ البحراني في الكلام وقال: أنا حجة الله عليكم وأنا من يجب أن ترجعوا إليّ لأنّني أنا الأعلم، فما كان من الشيخ البحراني إلاّ أن أيّد كلامه بكل انشراح ورحابة صدر ودعاه إلى تسلّم المسؤولية والجلوس في موقعه.

كما أنّ الشيخ الوحيد نفسه حينما شعر في سنينه الأخيرة أنّ مسؤولية المرجعية أكبر من أن ينهض بها دعا أبرز تلامذته ووزّع عليهم مسؤوليات المرجعية، ورجع هو يدرّس الكتب المتوسّطة في السلّم الدراسي الحوزوي وهو كتاب (شرح اللمعة).

أقول هذا الكلام بمناسبة القرار الأخير لبابا الفاتيكان وزعيم الكنيسة الكاثوليكية حينما جمع المجلس الكنسي وأعلمهم بعزمه على الاستقالة وأمهلهم إلى نهاية شهر شباط الحالي/ ٢٠١٣ وقال: ((بعد أن راجعت ضميري مرات عدّة أمام الله، وقد وصلت إلى التأكّد من أن قواي لم تعد تحتمل القيام بمهام الكنيسة البطرسية بسبب تقدّمي في العمر)).

وقال: ((في عالمنا اليوم، الذي هو عرضة لتغيرات هائلة، ويهتز بأسئلة ذات صلة عميقة بحياة الإيمان)) ووصف قواه بأنّها ((وهنت وتدهورت إلى الدرجة التي أدركتُ فيها عدم قدرتي على الوفاء بالتزاماتي الموكلة إليّ لإدارة شؤون الكنيسة)).

---

(١) مرجع الشيعة ومن أعظم الأساتذة الذي شهدتهم الحوزات العلمية، فقد تخرّج على يديه جملة من الأعاظم كالسيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء والمحقق النراقي صاحب مستند الشيعة والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، توفي عام ١٢٠٦ هـ.

أقول: هذا موقف كبير ينم عن شعور بالمسؤولية تجاه الموقع الذي هو فيه، والمفروض أن تكون كل المرجعيات الدينية والقيادات السياسية الحاكمة هكذا، أما التشبّث بالموقع حتّى لو بلغ به العمر عتيا، ويصبح وجوده كعدمه، ولا يعي ما حوله، ولم يعد قادراً على مجاراة تحديات عصره والقيام بمسؤولياته التي يتطلّبها موقعه لا التي هو قرّرها لنفسه، فهذه حالة بائسة ومتردّية، وسيصبح عقبة في طريق الإصلاح، لأنّ عملية الإصلاح والتغيير تمرّ عبر مصادر القرار، فإذا كان مصدر القرار عاجزاً فسوف تتوقف هذه العمليّة، وهذا واحد من الأسباب التي أدّت إلى ما نحنُ فيه من التردّي والفوضى والظلم وضياع الحقوق والله المستعان.

خطاب المرحلة

(٣٦١)

الصناعة الإلهية للإنسان[١]

من المعلوم أن فترة الطفولة لدى الإنسان هي أطول من كل الكائنات الحية، وما ذلك إلا لينال التربية الكاملة والكافية التي تؤهله لممارسة دوره كخليفة لله تعالى في أرضه وليستطيع بناء كل قواه البدنية والعقلية والفكرية والنفسية حتى يتمكن من تلقي التشريف الإلهي ويبلغ سن التكليف الذي يتأخر عن السنة العاشرة عند الإناث وأكثر من ذلك عند الذكور.

ولاشك أنه كلما تتوفر للإنسان عوامل أقوى لتربيته وبنائه فإن فرصته لبلوغ الكمال والرقي أفضل وأوسع، وكلّما كان الدور المناط بالشخص والمسؤولية التي سيضطلع بها أهم وأوسع، كان نوع المربي المطلوب متصفاً بكمالات أرقى.

ولما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكمل البشر وأفضلهم ومعداً لأداء أعظم الرسالات الإلهية، فلم يكن هناك من هو جدير بتربيته وتأديبه، لذا تكفل الله تبارك وتعالى بذلك، قال (صلى الله عليه وآله) (أدبني ربي فاحسن تأديبي) وعنه (صلى الله عليه وآله) (أنا أديب الله وعلي أديبي).[٢]

وفي نهج البلاغة يصف أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الصناعة بقوله (ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره)[٣].

---

(١) الكلمة التي ألقاها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على أساتذة وطلبة مدرسة الإمام الجواد (عليه السلام) الدينية في النجف الأشرف يوم الثلاثاء ١٥/ع/١٤٣٤/٢ المصادف ٢٠١٣/٢/٢٦.

(٢) ميزان الحكمة: ٨٠/١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة، ١٩٢ المسماة بالقاصعة.

وأرّقَ تعبير وألطفه وأعظمه لهذه الفكرة هو ما وردفي القرآن الكريم في حق نبي الله تعالى وكليمه موسى (عليه السلام) ، قال تعالى (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه/٣٩) وقال تعالى (واصطنعتك لنفسي) (طه/٤١)، حينما يحظى الإنسان بلحظة من العناية الإلهية والألطاف الإلهية فإنها تغنيه وتكفيه، فكيف بمن يُصنع كله بعين الله تعالى ورعايته ولطفه، وليس هذا فقط بل يصطنعه لنفسه خالصاً مخلصاً ليحمل رسالته الكريمة إلى البشرية فليس له نظرٌ إلى ما سوى الله تبارك وتعالى، ولا يطمع فيه أحد من شياطين الجن والإنس، وذكرت المعاجم أن الصنع يعني (إجادة الفعل) أما الاصطناع فإنه (المبالغة في إصلاح الشيء).

وكانت النتيجة أن يكون موسى (عليه السلام) مخلصاً لله تبارك وتعالى نبياً رسولاً من أولي العزم {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً }مريم٥١، هكذا تتدخل الألطاف الإلهية في صناعة الأفذاذ المؤهلين للأدوار العظيمة، والمستحقين للمقامات السامية، ومنهم أهل البيت (عليهم السلام)، فقد أراد الله تعالى أن يكونوا معصومين مطهرين مخلصين له تبارك وتعالى، قال تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب/٣٣) وإذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ولا رادّ لقضائه.

هل تساءل أحد كيف يمكن أن توجد مثل خديجة بنت خويلد التي لُقّبت بالسيدة الطاهرة في ذلك المجتمع الجاهلي المملوء بالجرائم والموبقات والمفاسد التي لم يسلَم منها إلا الأفذاذ من بني هاشم؟ وهل يوجد تفسير لذلك إلا الصناعة الإلهية لتلك القدّيسة الطاهرة؟.

وهكذا يجد من يراجع سير العظماء ان يداً من وراء الغيب تتولى أمرهم وتنعم بحب وشفقة واتقان لتعدّهم للدور الكبير الذي يراد لهم.

والذي يهمّنا من ناحية عملية هو هل يمكن أن نحظى بهذه الألطاف الإلهية ونكون ممن يصنعهم الله تعالى على عينه ويصطنعهم لنفسه بدرجة من الدرجات؟ ومن الواضح اننا نتحدث هنا عن التربية الإلهية الخاصة، لأن العامة شاملة للجميع، فهو (رب العالمين) و(مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) (هود/٥٦).

والجواب واضح بإمكان ذلك إذ أن الله تبارك وتعالى لا بخل في ساحته -كما قيل- ولا يحتجب عن خلقه، إلا أن تحجبهم الذنوب دونه -كما في الدعاء-.

والسؤال الأهم في كيفية تحصيل ذلك

ويمكن ان نستفيد معنيين من نفس الآيات الشريفة.

الأول: من نفس الآية الأولى (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي) (طه/٣٩) فالطريق أن تحبّ الله تعالى ويحببك الله تعالى، وقد شرحنا علامات هذا الحب المتبادل وطريقة تحصيله في خطاب سابق، وورد في كلمات الحكماء (إن الله إذا أحبّ عبداً تفقّده كما يتفقّد الصديق صديقه).[1]

الثاني: من الآية الثانية (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى❖ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (طه/ ٤٠-٤١) فعندما يكون الإنسان ذا همّة عالية وطموح كبير للعمل في إعلاء كلمة الله تعالى ونشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) واصلاح النفس والمجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الله يستخلصه لنفسه وسيصلح شأنه ويتولاه بنفسه ويعينه على هذه الرسالة ويؤهله لأدائها.

ويستفاد من الروايات الشريفة ما يوجب تلك الألطاف الإلهية.

(منها) صحيحة أبان بن تغلب عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) -في حديث- (إن الله جلّ جلاله قال: ما يتقرب إليّ عبدٌ من عبادي بشيء أحبُّ إليّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إليّ بالنافلة حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،

---

(١) مفردات الراغب ص٣٢١.

وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته).[١]

(منها) ما في الحديث القدسي (أيما عبد اطلعتُ على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري تولّيتُ سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه).[٢]

(ومنها) ما في الحديث الشريف (لا يزال عبدي يتقرّب اليّ بالنوافل مخلصاً لي حتّى احبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ان سألني أعطيته وان استعاذني أعذته).

وفي البحار عن إرشاد الديلمي وغيره (فمن عمل برضائي ألزمه ثلاث خصال: أعرفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين.

فإذا أحبّني أحببته، وأفتح عين قلبه إلى جلالي، ولا أخفي عليه خاصّة خلقي، وأناجيه في ظلم الليل ونور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم، وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي، وأعرّفه السر الذي سترته عن خلقي، والبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق كلهم، ويمشي على الأرض مغفوراً له، وأجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا أخفي عليه شيئاً من جنة ولا نار، وأعرّفه ما يمرُّ على الناس في القيامة من الهول والشدّة، وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهّال والعلماء، وأنوّمه في قبره، وأنزل عليه منكراً ونكيراً حتى يسألاه، ولا يرى غم الموت وظلمه القبر واللحد وهول المطّلع، ثم أنصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثم أضع كتابه في يمينه فيقرؤه منشوراً ثم لا أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحبين).

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب اعداد الفرائض ونوافلها، باب١٧، ح٦.

(٢) راجع خطابنا (الذكر زينة العيد).

ولا شك أن الدعاء وطلب معالي الأمور يوشك أن يوصل إلى ذلك فليجتهد العبد في الطلب والدعاء، من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في طلب مكارم الأخلاق (واصلحني بكرمك وداوني بصنعك) وورد في دعائه (عليه السلام) الذي أوله (يا من تحلّ به عقد المكاره) (وأذقني حلاوة الصنع فيما سألتُ) ومن دعائه (عليه السلام) في طلب العفو (اجعلني... وخلّصته بتوفيقك من ورطات المجرمين، فأصبح طليق عفوك من أسار سخطك، وعتيق صنعك من وثاق عدلك)

خصوصاً أنتم معاشر الشباب ما دمتم في مقتبل العمر وبداية الطريق لصناعة مستقبلكم المعنوي والمادي، فاسألوا الله تعالى أن يختاركم لأعظم الأدوار وأرقى المسؤوليات وأن يصنعكم بيده سبحانه لأدائها، وواظبوا على طلب ذلك بإخلاص ولسوف يعطيكم ربكم ذلك كما حكى سبحانه عن عباد الرحمن أن من دعائهم (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (الفرقان/٧٤).

خطاب المرحلة

(٣٦٢)

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم﴾[١]

سورة الحديد من السور المباركة التي كان يهتم بها رسول الله (ﷺ)، وروي انه (ﷺ) كان حينما يأوي إلى فراشه للنوم يتلو سور المسبّحات وهي السور التي تبدأ بكلمات التسبيح ، وأولها سورة الحديد ومعها سورة الحشر والصف والجمعة والتغابن وهي في الجزء الثامن والعشرين من المصحف الشريف.

وروى العلامة الطبرسي في مجمع البيان عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: من قرأ المسبحات كلّها قبل ان ينام لم يمت حتى يدرك القائم (عليه السلام) وان مات كان في جوار رسول الله (ﷺ).[٢]

وسورة الحديد من السور النافعة في الموعظة وترقيق القلب ، فإدامة تلاوتها قبل النوم يساعد على إجراء المراجعة مع النفس في نهاية كلِ يوم ، وهي المحاسبة التي أمرنا المعصومون (عليهم السلام) بها.

ونأخذ منها اليوم مقطعاً يعطينا قاعدة في السلوك المعنوي خصوصاً لكم أيها الشباب الجامعيون ونستقي منه أيضاً درساً في الموعظة يعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، ذلك اليوم المهول الذي ورد وصفه في القران الكريم بأوصاف مذهلة {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} ﴿الحديد : ١٢﴾

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من طلبة الجامعات و المعاهد في البصرة وذي قار ووفود من ناحية الفجر في ذي قار والمعامل في بغداد يوم السبت ٢٦/ربيع٢/١٤٣٤هـ المصادف ٢٠١٣/٣/٩.

(٢) مجمع البيان ٣٤٥/٩

يستعرض المشهد مقارنة بين حالي المؤمنين و المنافقين وحواراً، اما المؤمنون والمؤمنات فانهم {يَسْعَى نُورُهُمْ} في ذلك اليوم الذي تنكسف به الشمس وتنكدر النجوم وتكون الجبال كالقطن المنفوش وتشتد الظلمات بعضها فوق بعض، يلطف الله تعالى بالمؤمنين والمؤمنات فيوفّر لهم نوراً يسعى بهم الى الجنة والسعادة، والسعي هو السير الحثيث فهو يسرع بهم الى الجنة، ولما كان النور ينبعث منهم، فإنهم في الحقيقة هم الذين يسعون لأنهم مصدر النور، ونسب السعي إليه لأنه يتقدمهم.

{بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} هذا النور ينبعث من امامهم ومن ايمانهم، ولعل الذي من امامهم هو نور الايمان و عقائدهم الحقة في التوحيد والنبوة والإمامة، لذا ورد في الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن النور قال (عليه السلام) (أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبإيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة)[1] ولعله نور ذواتهم الطيبة المحبوبة عند الله تعالى، أما النور من يمينهم فهو نور أعمالهم الصالحة حيث يؤتى المؤمن كتابه بيمنه (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ{١٩} إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ{٢٠} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ{٢١} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ{٢٢} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ{٢٣} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ{٢٤} (الحاقة/١٩-٢٤).

(بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وما دامت هذه عاقبتهم، فإنها بشرى حقيقية ويستحقون التهنئة على هذا الفوز العظيم وما أعظمه من فوز ومن خاتمة حسنة في تلك الحياة الخالدة.

---

(١) الكافي: ١٥١/١ ح٥.

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ) هذه هي الصورة المقابلة للبائسين الخاسرين من المنافقين والمنافقات فإنهم في ظلمات وخوف ورعب وعذاب وألم، فالتفتوا إلى المؤمنين والمؤمنات وهم في ذلك العيش الرغيد وطلبوا منهم أن يلتفتوا إليهم ويسعفوهم بقبس من النور يخفّف عنهم بعض الأهوال.

(قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً) فجاءهم الجواب إنّ الفرصة قد فاتت الآن لتحصيل النور لأنّه حصيلة أعمالكم الّتي اكتسبتموها في الدنيا، فكان عليكم أن تلتفتوا إلى هذه الحقيقة في الدنيا فتؤمنوا وتعملوا الصالحات لتتحول إلى نور في هذا اليوم، فإن استطعتم أن ترجعوا إلى الدنيا لتحصيل النور، وذلك مستحيل (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) (ص/٣).

(فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ) ففصل بينهم بجدار عازل كما كانوا في الدنيا منفصلين ومتباينين في سلوكهم واعتقاداتهم ونظرتهم إلى الحياة، وإن كانوا متعايشين في مجتمع واحد وبيئة واحدة فجُسِّدَت تلك المباينة بسور عازل (له باب) لينظر بعضهم إلى بعض من خلاله وليجري بينهم هذا الحديث وليقارن كل من الفريقين حاله مع حال الآخر فيزداد المؤمنون والمؤمنات شكراً لله تعالى على ما انعم، والمنافقون والمنافقات ألماً وحسرة وندامة على ما فرطوا في أمر آخرتهم.

(بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) صفة هذا السور أن ما بداخله الرحمة والسعادة والعيش الهنيء وهو محل المؤمنين، أما خارجه فالعذاب والوحشة والخوف والألم وهو محل المنافقين والمنافقات، ومثاله المدن في ذلك الزمان عندما كانت تحاط بسور متين يحميها من هجمات الأعداء واللصوص والمحتلين والمجرمين، فتجد داخل المدينة البيوت المريحة

والشوارع المنظّمة والأسواق العامرة والمياه العذبة وسائر أسباب الرفاهية، أما خارجها فالصحراء والوحشة والمخاطر والجوع والظمأ والخوف، وهذا مثال حال الفريقين يوم القيامة.

(يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ) وحينئذ نادى المنافقون والمنافقات المؤمنين والمؤمنات، وعبَّر بالمناداة وليس (قالوا) ونحوها للبينونة البعيدة بينهما ولم تكن مواضعهم متقاربة، فخاطب المنافقون المؤمنين الذين يعرفونهم ألم نكن معكم في مدينة واحدة وجامعة واحدة ودائرة واحدة ومجتمع واحد بل ربما في بيت واحد كنا نعيش سوية فلماذا حصل هذا التفاوت العظيم بيننا.

ويظهر من بعض الروايات ان المراد بهم المنحرفون عن ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، عن الإمام الباقر (عليه السلام) (فيناديكم أعداؤنا وأعداؤكم من الباب الذي في السور ظاهره العذاب: ألم نكن معكم في الدنيا، نبيّنا ونبيّكم واحد، وصلاتنا وصلاتكم واحدة، وصومنا وصومكم واحد، وحجُّنا وحجُّكم واحد).[1]

(قالوا بلى) فأجاب المؤمنون نعم كنّا هكذا سوية بأبداننا لكن أرواحنا وعقائدنا وسلوكياتنا كانت متباعدة ومتباينة، ولنضرب مثالاً من واقعكم أنتم الشباب الجامعي فأنتم الموجودون هنا تأتون إلى زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) وتستمعون إلى المواعظ والتوجيهات بينما ذهب آخرون من زملائكم إلى حيث اللّهو والعبث والمجون، فيوجد انفصال بينكم في السلوك والرؤى وهذا هو الذي جسّد هذا التفاوت بيننا يوم القيامة.

---

(١) تفسير البرهان: ٩/ ٢٢٥.

(ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور) ومن هنا يبدأ تعداد الأسباب التي جعلت مساراتنا في الحياة الدنيا متباينة، انكم فتنتم أنفسكم واتبعتم الشهوات وسرتم وراء أهوائكم من دون بصيرة وتعقل واتباع لشرائع الله تعالى.

(وتربصتم) إذ كنتم تترقبون زوال الدين والقضاء على أهله وإسكات صوت الحق الذي كان يقض مضاجعكم ويسبب لكم ألماً باطنياً ووخز الضمير.

(وارتبتم) حيث كنتم تشككون بالعقائد والأحكام الإلهية وتثيرون الشكوك والشبهات حولها لتجعلوا لأنفسكم مبررات لعدم الالتزام بها، وتفاقم ارتيابكم ليشمل حتى أقدس المقدسات كما نسمع اليوم من بعض أدعياء الحداثة تشكيكات في أصل نبوة النبي محمد (ﷺ) وكون القرآن نازلاً من الله وهم مسلمون!!!

(وغرّتكم الأماني) خدعتكم وعود الشيطان وأوليائه وعبيده بدنيا مزيّفة وأموال ومواقع وشهوات ونحوها.

(حتى جاء أمر الله) حتى فاجأكم الموت وطويت صفحة أعمالكم وانقطعت عنكم فرصة التدارك والتعويض والإصلاح والمراجعة.

(وغرّكم بالله الغرور) ونجح الشيطان بخداعكم والمكر والتغرير بكم وأنتم تتحملون المسؤولية باتّباعكم إيّاه رغم التحذير الشديد من قبل الله تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً) (الإسراء/٥٣) (وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) (البقرة/١٦٨).

(فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) وكانت هذه النتيجة الحتمية لسوء أعمالهم أن

يجتمعوا مع الكفّار في النار والعذاب الأليم لأنها هي الأولى بهم والأليق لخبثهم حتّى تطهرهم النار وتزيل أدرانهم.

وهنا يلتفت الله تعالى إلى المؤمنين والمؤمنات ويخاطبهم بعتاب رقيق وتساؤل ملؤه الحنان والشفقة بأن يستفيدوا من هذه المواعظ ويطهروا بها قلوبهم ويهذّبوا أنفسهم، وإلا فإنها تقسو وتسوَّد بطول الأعراض عن الموعظة وذكر الله تعالى والانغماس في الملذات واللهاث من أجل التوسع في الدنيا، حتى يطبع عليها فلا تنفع معها موعظة والعياذ بالله تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد/١٦).

قدّمت لكم هذا النموذج مما أدعو إليه من التفسير المبسّط للقرآن الكريم الذي يعيننا على التدبّر في آياته من دون الحاجة إلى الكتب المعمّقة في التفسير.

قاعدة في السلوك المعنوي:

وأريد أن أركّز من خلاله على الوصف الذي ورد في المقطع (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فهذه قاعدة مهمة في السلوك المعنوي إلى الله تعالى، وهي الالتفات إلى حقائق الأمور لاتخاذ المواقف الصحيحة، وعدم الانخداع بالظاهر وبناء القرارات عليه.

فإن كثيراً من الأفعال والمواقف تبدو في ظاهرها لذيذة ممتعة إلا أنّها تستبطن الشقاء والعذاب والألم، وعلى العكس من ذلك فإن بعضاً آخر

منهـا يبـدو ظـاهره متعبـاً مكروهـاً إلا أن حقيقتـه السـعادة والنعـيم، لـذا ورد في الحديث (حُفّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات).[1]

ولنأخـذ أمثلـة مـن واقعكـم الشـبابي الجـامعي، فـإن الـبعض قـد يتصـور ان إقامـة علاقـات غـير مشـروعة مـع الجـنس الآخـر فيهـا لـذة ومتعـة وسـعادة ولكـن الحقيقـة خـلاف ذلـك لأن المجتمـع سيرفضـهما خصوصـاً البنـت وسـيؤثر ذلـك علـى مسـتقبلها وتسـبّب تلـك العلاقـة شـقائها، وربمـا بعـض ردود الأفعـال المؤلمـة، هـذا في الـدنيا أمـا مـا بعـد المـوت وفي الآخـرة فسيعيشـون حالـة الألم والندامة والعذاب.

والمثـال الآخـر بعـض الشـباب المهووسـين بالسـفر إلى بـلاد الغـرب ليعـيش حيـاة مرفهـة سـعيدة لكنـه يضـيّع دينـه وأسـرته وتكـون زوجتـه وأولاده متمردين عليه وخارجين عن إرادته بسبب القوانين المعمول بها هناك.

ومـن أمثلتهـا مـن يلتحـق بجهـة سياسـية أو دينيـة أو اجتماعيـة مـن دون أن يتحقـق مـن إخلاصـها واسـتقامة سـيرتها ومصـداقيتها في العمـل بمـا يرضـي الله تعـالى، يغرونـه بمواقـع النفـوذ وتحصـيل المـال والامتيـازات فتـزل قدمـه ويبتعـد عن جادة الاستقامة وتكون عاقبته زلل قدمه عن الصراط.

فهـذه كلـها امـور ظاهرهـا أنيـق وفيهـا الراحـة والـدعة والـترف والانسـياق مع التيار العام إلا أن عاقبتها وخيمة.

وفي مقابـل ذلـك توجـد نمـاذج أخـرى كتعـرض الفتـاة الجامعيـة المحجّبـة العفيفـة إلى ضـغط اجتمـاعي بـأن مظهرهـا غـير أنيـق وانهـا متخلفـة أو معقـدة ونحوها من الأوصاف الاستفزازية.

---

(١)) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٧٢.

وكذا الشاب الذي يلتزم بالمظهر المهذّب أو يلتزم بالآداب والأحكام الشرعية فيضغط عليه بنفس الطريقة ليستسلم وينهار وينساق معهم، وربما يتبارى زملاؤه الفسّاق في استدراجه معهم وإنهاء مقاومته.

أو الموظّف الأمين الملتزم الذي لا يخون الأمانة التي تحت يده فإنه يعاني من استفزاز أقرانه وانه سوف لا يستطيع أن يعيش كأقرانه ويبقى في الحضيض ولا يتقدم، وما ذلك إلا لحسدهم إياه على سمّوه وعجزهم وضعفهم عن الوصول إلى قمّته.

أو محاولة البعض لثني الملتزمين بالدين -كالصوم في الأيام الحارة أو القيام في الليل البارد للعبادة ونحوها - عن عمله وإيجاد المبررات لترك العمل.

فهذه كلها أمور قد تبدو مكلفة ومتعبة وتحتاج إلى صبر ومصابرة وتحمّل للمكاره، إلا أن فيها الفوز والفلاح وحسن الخاتمة.

وهذا الاختبار مستمر ما دمنا في الحياة الدنيا، والنجاح فيه يكشف عن الفوز في الآخرة، وستتجلى هذه الحقيقة بوضوح في عصر الظهور، ففي الرواية (يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس ، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم ، ومعه جبل من ثريد ونهر من ماء . وإني سأنعت لكم نعته إنه يخرج ممسوح العين في جبهته مكتوب كافر يقرأه كل من يحسن الكتاب ومن لا يحسن، فجنته نار وناره جنة، وهو المسيح الكذاب ، ويتبعه من نساء اليهود ثلاثة عشر آلاف امرأة فرحم الله رجلا منع سفيهه أن يتبعه ، والقوة عليه يومئذ القرآن فإن شانه بلاء شديد

، يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له استعن بنا على ما شئت).[1]

فالالتفات إلى القاعدة التي ذكرناها يعين على النجاح في تلك الاختبارات وبناء مستقبل معنوي متكامل بلطف الله تبارك وتعالى، وإنما سميناها قاعدة لأنها تعطي رؤية تبرمج حياة الإنسان وتنظم أموره والله المستعان.

(١) الدر المنثور : ج ٥ ص ٣٥٤.

خطاب المرحلة

(٣٦٣)

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[١]

سورة (العصر) قصيرة جداً في كلماتها لا تتجاوز السطرين لكنّها عظيمة في فضلها، خطيرة في مضمونها، وإنها مظهر من مظاهر إعجاز القرآن حينما يُقدِّم في سطر واحد منهجاً متكاملاً لنجاح البشريّة من أوّل الخلقة إلى نهايتها ويعرِّف هويّة الأمّة الرابحة الفائزة ويعلّمها وظائفها في هذا السطر.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من قرأ (والعصر) في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه، قريرة عينه حتّى يدخل الجنة)[٢]، ولأهمية ما جاء فيها فقد ورد أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا اذا اجتمعوا لا يفترقون إلاّ بعد تلاوة سورة (والعصر) ويتذاكروا في مضامينها.[٣]

يبتدئ الله تبارك وتعالى السورة بالقسم (والعصر) بمعانيه المختلفة كما وردت في التفاسير، فيقسم الله عزّ من قائل -وهو أصدق القائلين- لتأكيد الكلام ولإثارة انتباه المخاطب إلى الحقيقة التي سيقولها، لأنّها حقيقة خطيرة (إنّ الإنسان لفي خسر) ليس الإنسان بحسب تكوينه وأصل خلقته، لأنّه خُلق للكمال وللمعرفة بالله تعالى ولإخلاص الطاعة له سُبحانه والاستقامة على ما أراد منه، لذلك أسجد له ملائكته وقال تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة/٣٠) ، فليس الإنسان

---

(١) كلمة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من منتسبي هيئة الحج والعمرة في بغداد والمحافظات يوم الخميس ٢/ج١/١٤٣٤ الموافق ١٤/٣/٢٠١٣.

(٢) ثواب الأعمال: ١٢٥.

(٣) الدر المنثور: ٣٩٢/٦.

بالحمل الأولي -كما في المصطلح- هو في خسر، بل الإنسان الموجود على أرض الواقع أي بلحاظ سلوكه وسيرته أي أفراد الإنسان ومصاديقه بالحمل الشائع -كما في المصطلح- الذي يخالف فطرته حينما يخرج إلى هذه الدنيا وينسى عهده مع ربّه الذي واثقه عليه {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }الأعراف١٧٢.

فهذا الإنسان الذي خلق للسمو والتكامل، تراه ينحدر ويتسافل ويعرض عن ذكر ربّه، فيخسر رأس ماله وكلّ القوى التي زوّدها الله تعالى بها لتحقيق الغرض المنشود من حياة ووجود وعقل وفكر وبدن وثروة وجاه وعلاقات وأسرة وعشيرة وموقع وغيرها، حتّى الأشياء البسيطة الدقيقة التي يمكن أن تُكتسب بها الجنان (فمن يعمل مثقال ذرة خير يره) كتسبيحة أو ذكر مع كل شهيق وزفير و في كل طرفة عين.

وإذا به على العكس يسخّرها للشقاء والعذاب، فإذن هو فعلاً (في خسر)، بل خسر عظيم، قال تعالى {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }الزمر١٥ كمن يزوّد برأس مال عظيم وتوفَّر له كلّ فرص النجاح والاستثمار وتقدّم له كلّ معونة والتسهيلات في السوق، لكنّه بحماقته وضيق نظره يخسر كلّ ذلك، عن الإمام الهادي (عليه السلام) (الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون)[1].

هذه الصفقة التي أنشأها الله تعالى مع عباده (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ) (التوبة/ ١١١) فلا ثمن لهذه النفس إلاّ الوفاء بهذه

(١) بحار الأنوار: ٣٦٦/٧٢ ح١، تحف العقول: ٣٦١.

الصفقة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة فلا تبيعوها إلاّ بها)[١].

والتعبير يمزج مع التحذير والتهديد والتوبيخ استغراباً وعتاباً، لأنّ الله تعالى خلقهم للرحمة والسعادة والفوز وأعطاهم كلّ ما يوصلهم إلى هذه النتيجة من أسباب معنوية ومادّية قال تعالى (إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود ١١٩)، وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (يقول الله تعالى: يا ابن آدم، لم أخلقك لأربح عليك، إنّما خلقتك لتربح عليّ، فاتخذني بدلاً من كل شيء، فإني ناصر لك من كل شيء).[٢]

فلماذا يخسرون كلّ ذلك بتوظيفه في عكس الهدف الذي خلقوا من أجله {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون }(يس٣٠)، لذلك يسجّل القرآن الكريم استغرابه من دخول أهل النار إليها، قال تعالى {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ }المدثر٤٢، ولم يسجّل استغرابه من دخول أهل الجنة فيها لأن وجودهم على القاعدة ومع الهدف الذي خُلقوا من أجله.

والمرعب في هذه الحقيقة إطلاقها وعمومها (إن الإنسان) مطلقاً فتكون كقوله تعالى (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ❖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً) (مريم/٧١-٧٢).

نعم استثني من هذه النتيجة المهولة بعض توفّرت فيه أربع خصائص مجتمعة:

١- (إلاّ الذين آمنوا) واعتقدوا صدقاً وإخلاصاً بكل العقائد الحقّة بتوحيد الله تعالى والرسالة للنبي (صلى الله عليه وآله) وولاية أمير المؤمنين والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وسائر العقائد الحقّة.

---

(١) نهج البلاغة: قصار الكلمات، رقم ٧٤.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٣٤/١ الحديث ١٦٠٤ عن شرح نهج البلاغة: ٣١٩/٢٠، ٦٦٥.

٢- (وعملوا الصالحات) لأنّ الإيمان لا يكون حقيقياً وصادقاً إلاّ أن يظهر إلى الخارج بعمل صالح يكون موافقاً لما يريده الله تبارك وتعالى.

وهذا المقدار مفهوم وواضح وذكرته آيات عديدة، لكنّ الأهمية والخطورة التي أشرنا إليها في هذه السورة هي فيما أضافته الآية من شرطين للفوز والنجاة من الخسران، حيث لم تكتفي بالركنين السابقين، وهما

٣- (وتواصوا بالحق) فلا يكتفون بكونهم صالحين في أنفسهم مؤمنين يعملون الصالحات بل يتحركون برسالتهم في المجتمع فيوصي بعضهم بعضاً بالتزام الحق والعمل به، والتعبير بالتواصي يتضمّن معنى الاستمرارية والتواصل، والحق الذي يتواصون به له مساحة واسعة، فكلّ خير وكل ما هو مثمر وكلّ ما يوصل إلى الله تبارك وتعالى ويعين على طاعته ويجنّب معصيته هو حق فيتواصون به.

وهذا له مدى واسع فيشمل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى والإسلام وولاية اهل البيت (عليهم السلام) ونشر فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومظلوميتهم من الأعداء، ونشر أحكام الدين وتقديم النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحقوق التفصيلية الكثيرة كالتي تضمنتها رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام).

ولابد لمن يقوم بهذه الوظيفة أن يكون ملتفتاً قبل ذلك إلى نفسه فيتعاهدها ويتواصى معها ويشارطها على الهدى والصلاح والثبات، لأنّها أعز وأثمن من يتواصى معه.

إن الحقّ إذا لم يتم التواصي به والتواصل معه جيلاً بعد جيل وبين عامة الجيل الواحد أي التحرّك به أفقياً وعمودياً فإنّه يضيع كما ضاعت حقوق كثيرة وعلى رأسها حقّ الإمامة وولاية أمر الأمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وأولاده المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ حقوق الناس تثبت بشهادة شخصين، وقد أنكرَ حق جدّي أمير المؤمنين (عليه السلام) وعليه سبعون ألف شاهد كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غدير خم.[1]

٤- (وتواصوا بالصبر) فإنّ من يسير بهذا الطريق الذي تخلّى عنه أكثر الناس وأصبحوا ينظرون إليه بازدراء وسخرية سيلقى الكثير من المشقّة والعنت والأذى وسيتطلب منه تضحية كثيرة بأعز ما لديه فيحتاج إلى صبر ومصابرة ومرابطة وثبات {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }آل عمران٢٠٠، فيوصي هؤلاء الثلة القليلة بعضهم بعضاً بالصبر والمضي على هذا النهج المقدّس المبارك.

إنّ الحقيقة الخطيرة التي أضافتها هذه السورة المباركة أن الإيمان والعمل الصالح على مستوى النفس غير كافٍ للفوز وللنجاة من الخسران الشامل لأفراد الإنسان، بل لابد أن ينضم له التحرّك بهذه الوظيفة في المجتمع والاستمرار على ذلك والثبات عليه وتحمّل أعبائه.

وبتعبير مختصر أنّ صلاح الفرد الشخصي لا يكفي من دون أن يضم له العمل على إصلاح الآخرين، وهي مسؤولية كبيرة لكن منزلتها عظيمة لا مكان فيها للمتقاعس والمتكاسل الذي لا يكترث بما يعجّ به المجتمع من مفاسد وظلم وانحراف وضلالات وشبهات وخرافات وجهل وغير ذلك.

حينئذٍ يتحقق صلاح الفرد وصلاح المجتمع أيضاً، ونجاة الفرد ونجاة المجتمع وعزّتهما معاً بفضل الله تبارك وتعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ١٥٨/٣٧ باب٥٢.

وإذا قابلنا هذه الآية مع الآيتين المتقدّمتين من سورة مريم نحصل على تعريف للتقوى فتكون حقيقتها الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر بمقتضى المطابقة وتحقيق ما تحصل به النجاة من النار والخسران.

وهذه الحقيقة طبيعية لأنّ الإيمان يدعو إلى العمل الصالح، والعمل الصالح لا يعرف الإنزواء والجمود والتقوقع، وإنّما يدعو للحركة المثمرة لهداية الآخرين وإرشادهم ونصحهم ومساعدتهم، فإنّ من أعظم الأعمال الصالحة ما كانت مندرجة في هذه الحركة الاجتماعية لذا ورد في بعض الروايات تفسير عمل الصالحات بمواساة الإخوان.[1]

إن مسؤولية التواصي بالحق والتواصي بالصبر لا تختص بالمبلغين والمرشدين من الحوزة العلمية بل هي شاملة لكل الناس خصوصاً مع توفّر سبل الهداية وقنوات الإصلاح والتأثير لكل العاملين على شبكات المعلومات وصفحات التواصل الاجتماعي والفضائيات.

---

(١) كمال الدين وإتمام النعمة: ٦٥٦ ح١.

خطاب المرحلة

(٣٦٤)

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾[١]

لما عقد القوم العزم على الانقلاب على وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخليفة من بعده وإقصاء أمير المؤمنين (عليه السلام)، وواجهوا النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك الكلام القاسي الذي فيه اعلان الحرب على الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) عندما أراد أن يؤكد الوصية ويكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، وقال قائلهم (إن الرجل ليهجر)، جمع النبي (صلى الله عليه وآله) أهل بيته خاصة وقال لهم (أنتم المستضعفون من بعدي).[٢]

وظاهر الحديث أنه إخبار بأمر محزن ومؤلم بأن زعماء الانقلاب سيظلمونهم ويعتدون عليهم بألوان الإيذاء، وفيه إشارة إلى أن فعل القوم سيشابه فعل فرعون في قوله تعالى (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (القصص/٤)، واستشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) بقول هارون أخي موسى (عليهما السلام) (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي) (الأعراف/١٥٠) عندما أجبروه على بيعة أبي بكر فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، قال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله) فالتفت إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وخاطبه بالآية الشريفة.

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الجمعيات الخيرية والثقافية في الكوت والزعفرانية في بغداد والغراف وطلبة كلية الطب في جامعة البصرة يوم الخميس ٩/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٣/٢١.

(٢) تفصيل الواقعة في بحار الأنوار: ٤٦٩/٢٢ عن كتاب (إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٤٠-١٤٣) و (الإرشاد:٩٦-١٠٠) وأورد الحديث الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٧٢/٢ باب٣١ ح٣٠٣.

ولكن للحديث معنىً آخر متفاءل فيه وعد بالنصر والتمكين واستعادة الحق لأهله، لأن وصف أهل بيته بالمستضعفين بل حصر الوصف بهم (عليهم السلام) كما لا يخفى على المتأمل في الحديث، يجعلهم المقصودين بالآية الشريفة (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (القصص/٥) وقال تعالى (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ) (الأعراف١٣٧)

وكان الأئمة (عليهم السلام) يبشرون شيعتهم بهذا المعنى، ففي معاني الأخبار للصدوق بسنده عن المفضّل قال سمعت أبا عبد الله يقول (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نظر إلى علي والحسن والحسين (عليهم السلام) فبكى، وقال: أنتم المستضعفون بعدي) قال المفضّل فقلت له: وما معنى ذلك يا ابن رسول الله قال معناه: أنكم الأئمة بعدي إن الله عز وجل يقول (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة).[1]

وفي مجمع البيان.. صحت الرواية عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال (والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها -أي امتناعها- عطف الضروس على ولدها، ثم تلى الآية.

وقال سيد العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام): (والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، ان الأبرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وان عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه).[2]

---

(١) معاني الأخبار: ٧٩ باب٣١ ح١.

(٢) مجمع البيان: ٣٧٥/٤.

فالخصم قد تكون له جولة يغلب فيها ويحكم قبضته على أولياء الله تعالى، ويستضعفهم ولكن الدولة والنصر والغلبة يكون في النهاية لأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم ويذهب ما سواه جفاءاً كالزبد.

وإنما سموا مستضعفين لأن أعدائهم يتوهمون فيهم الضعف فيستكبرون عليهم ويظلمونهم، وهم ليسوا ضعفاء، لكن لهم دين وورع وأخلاق وخوف الله تعالى يمنعهم عن اتباع أساليب المكر والخداع لتحقيق مآربهم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفةً فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعةٍ تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً).[1]

وعنه (عليه السلام) قال (كان لي فيما مضى أخ في الله وكان ضعيفاً مستضعفاً، فإن جاء الجدّ فهو ليث غاب، وصلّ واد).[2]

هذا ولكن علينا أن نأخذ قضية تمكين شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ومواليهم وسائر القضايا بحدودها وشروطها ونضعها في موضعها الصحيح من المنظومة الإسلامية، فإن مجرد دعوى الانتساب إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وانتحال صفة التشيّع لا يجعل صاحبها موعوداً بالنصر والتمكين، لأن الذين وُعدوا بذلك لهم خصائص وخصال يجب أن تتوفر فيهم ذكرتها الآية الشريفة، قال تعالى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) (الحج/٣٩).

ثم قال تعالى (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج/٤١).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٩.

فتمكينهم في الأرض تكون له بركات وآثار تكشف عن صدق نياتهم وإخلاصهم في أهدافهم وثباتهم على الاستقامة التي أمرهم الله تعالى بها وعدم انخداعهم بالدنيا البرّاقة التي تتزيّن لهم إذا مُكّن لهم في الأرض وهذه الخصائص هي:

١- (أقاموا الصلاة) فهم لا يكتفون بأداء الصلوات المفروضة عليهم كتكليف شخصي، وإنما يبذلون جهدهم لحث الناس جميعاً على الالتزام بها والمواظبة عليها وجعل الصلاة كياناً اجتماعياً مؤثراً في حياة الناس ورادعاً لهم عن الفحشاء والمنكر ويشعر الجميع بمسؤوليتهم عن إقامته والمحافظة عليه، وأوضح مصداق لهذا الكيان صلاة الجمعة التي لا تؤدّى إلا جماعة وبحضور امة كبيرة من الناس مما يجعل لها كياناً مؤثراً في حياتهم، وهذا ما جرّبه المجتمع العراقي عندما أقيمت فيه صلاة الجمعة المباركة.

٢- (وآتوا الزكاة) بأن أخرجوا ما في ذممهم من حقوق شرعية وأقنعوا الآخرين بفعل ذلك وحثّوهم عليه وساعدوهم في إيصال هذه الأموال إلى مستحقّيها وانشئوا بها المشاريع الاقتصادية التي تؤدي إلى رفاه الناس وتوفير فرص العمل المناسبة والحياة الكريمة لهم.

٣- (وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فلم يتركوا أهل المنكر يفعلون ما يشاؤون بل وعظوهم وزجروهم واتخذوا الإجراءات الكفيلة بردعهم حتّى لو اقتضى الأمر معاقبتهم، ولم يجاملوا أو يداهنوا كما يفعل الكثير من المتصدين اليوم تحت عناوين مخادعة كالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني وفصل الدين عن الدولة والحداثة والعصرنة والتقدم ونحوها من الخدع والأباطيل.

وأمروا بالمعروف وهو كل أمر مستحسن شرعاً وعقلاً تعارف عليه الناس ونشروه بين الناس وعرّفوهم به وأيقظوهم من غفلتهم وأرشدوهم إلى ما يصلح

دنياهم وآخرتهم وعلموهم أحكام الدين وفضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم وسيرتهم العطرة.

هؤلاء هم من ينصرهم الله تعالى ويعزّهم ويؤيدهم ويمكن لهم في الأرض، وليس من أشارت إليهم آية أخرى (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (محمد:٢٢-٢٣).

كالذي نشهده اليوم من تخلّي الكثيرين ممن وصل إلى السلطة تحت عناوين إسلامية عن أهدافهم وشعاراتهم والخصائص التي أشرنا إليها، حتّى آل الأمر إلى هذا الواقع التعيس الذي نسمع عنه في بغداد وغيرها، وهذا كفر عظيم بالنعمة، ومن الغريب أن يفتتح مهرجان بغداد عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠١٣[1] فعالياته وهي حفلات غنائية تزامناً مع إحياء الموالين لذكرى استشهاد الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) وإقامة شعائرها المباركة.

(١) تم الافتتاح في ٢٠١٣/٣/٢٣ المصادف ١١/ج١/١٤٣٤ بحضور كبار مسؤولي الدولة ووزراء الثقافة العرب وأمين عام الجامعة العربية.

خطاب المرحلة
(٣٦٥)

محافظة المثنى: نموذج بائس لتردّي أحوال شعبنا[١]

محافظة المثنى بمدنها الأصيلة السماوة والرميثة وغيرهما عرفت بالولاء لأهل البيت (عليهم السلام) وتصدّرها لإحياء الشعائر الحسينية، وقدّمت رموزاً حفظتها الذاكرة الشيعية.

كما عرفت بولائها للمرجعية الدينية ومواقفها الوطنية وتضحياتها الجسيمة على هذا الطريق، والشواهد على ذلك كثيرة كمقاومتها للاحتلال الانكليزي وتفجيرها لثورة العشرين ومواقفها البطولية في معارضة النظام الصدامي والانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٤١١/ ١٩٩١ حيث كان أول وفد تبعثه المرجعية خارج النجف إليها وضمّ ولدي المرجعين الراحلين السيد الخوئي والسيد السبزواري (قدس الله سريهما).

لكن المؤلم أن هذه المحافظة تقبع في ذيل قائمة الفقر حيث تذكر الاحصائيات المختصة أن نسبة الفقر في العراق ٢٤٪ -أي حوالي ربع السكان- وان محافظة المثنى هي الأشد فقراً حيث تبلغ النسبة فيها ٤٠٪.

ليس هذا فحسب، بل من الناحية العلمية أيضاً فقد سألت رئيس جامعتها عن عدد طلبة الكليات الراقية التي تعطي مؤشراً مهماً عن ازدهار المحافظة ورقيها العلمي من أبناء نفس المحافظة وليس من المقبولين من غيرها، فكان معدل نسبتهم في

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي(دام ظله) مع إدارة وطلبة جامعة الصدر الدينية فرع الرميثة يوم ١٤/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٤/٢٦.

كلية طب الأسنان مثلاً حوالي ١٥٪ على ما أتذكر، وهذا دليل على ضعف المستوى العلمي في مدارسها.

إن هذا التردي الكبير في مؤشرات التحضّر والازدهار والرفاه يكشف عن الواقع المزري لأبناء هذه المحافظة بالرغم مما تملكه من مقوّمات واستحقاقات ذكرناها في بداية حديثنا.

وهذا يدقّ في وجوهنا جرس الانذار، ويلقي علينا وعليكم مسؤولية إضافية في الالتفات إلى هذا الواقع ودراسته من جميع الجوانب وتشخيص اسبابه ووضع الحلول والخطوات العملية للمعالجة، وتزداد المسؤولية عليكم -يا طلبة جامعة الصدر الدينية في الرميثة وكذا في السماوة -لأنكم النخب المثقفة والواعية والمخلصة وتمتلكون الشهادة العلمية الراقية والتحصيل الديني المطلوب، ولكثير منكم مواقع وظيفية خدمية، وهذا يعني أن مفاتيح التغيير والاصلاح بأيديكم، والفرصة متاحة لكم أكثر من غيركم.

إن تبادل هذه الهموم ومناقشة هذه القضايا الحيوية هي من مصاديق قول الإمام (عليه السلام) (أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيى أمرنا) لأن فيها صلاح دنيانا وآخرتنا وخدمة الناس وإسعادهم وإدخال السرور والبهجة عليهم وهي من أعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى.

وإذا أردتم مناقشة أسباب هذا التردي فابدأوا من الحديث النبوي الشريف (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟، قال (صلى الله عليه وآله): الفقهاء والأمراء)[1]، وتتحمل الأمة مسؤولية صناعة هذه القيادات وتمكينها من مقاليد الأمور وخلق هالات عظيمة حولها قد لا تكون أهلاً لها، وهذا هو سبب فشلنا وتراجعنا وتحكّم شذّاذ الآفاق فينا، حتى صرنا -

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ٣٧.

ونحن أغلبية- نستجدي رضا غيرنا وهم أقلّية، حيث الانبطاح أمام مطالب متظاهرين بالآلاف[1] بينما تغمط حقوق أصحاب المسيرات المليونية إلى كربلاء المقدّسة إلى درجة أن ضحايا النظام الصدامي الذين صودرت أو حجزت أملاكهم لم تسترجع إلى حد الآن.

إن من أهم ألقاب الإمام الحسين (عليه السلام) (أبيّ الضيم) فعلى أتباعه والموالين له والذين يقيمون شعائره أن يكونوا أباةً للضيم والخنوع والاستسلام وأن يرفضوا كل من يحاول تجهيلهم وتدجينهم وإخضاعهم مهما كان موقعه ومقامه المزعوم.

(١) إشارة الى اعتصامات محافظات الأنبار وصلاح الدين والموصل وكركوك.

خطاب المرحلة

(٣٦٦)

ليس سعيداً من اكتفى بغيره في فعل الخير[١]

ينطلق الإنسان في تصرفاته من ثقافته ومنظومته الفكرية فقد يقوم بالسلوك الخاطئ لأنه يراه صحيحاً من وجهة نظره، وهذا الانقلاب في القيم والأفكار هو ما حذّر منه النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: (كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً أو المنكر معروفاً)، فإذا أردنا إصلاح سلوك هذا الشخص فلابدّ من تصحيح أفكاره أولاً.

وهذه المشكلة موجودة بشكل كبير في المجتمع النسوي لأنهنّ تعارفن على أمور وتسالمن عليها إلى درجة أنّ الواحدة منهنّ لا تستطيع الخروج عليها لأنّها ستلاقي ضغطاً اجتماعياً كبيراً، رغم أنّ الكثير من هذه الأمور لا يوجد دليل عليها بل أنّ بعضها مخالف للشريعة وفعله معصية فيتحوّل المنكر حينئذ إلى معروف والمعروف يصبح منكراً، والأمثلة على ذلك كثيرة لا أريد الخوض فيها هنا لأنّها تختلف من مجتمع إلى آخر.

والذي أريد أن أتحدّث عنه هنا أحد مكوّنات صنع هذه المنظومة الفكرية عند الإنسان والتي تكون منطلقاً لتصرفاته، وكيفية إصلاحها إذا كنّا بفضل الله تعالى جزءاً من عملية الإصلاح التي قادها الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) قال الله تعالى (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود/٨٨) وقال الإمام الحسين (عليه السلام): (وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي محمد (صلى الله عليه وآله)).

---

(١) حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من المبلّغات والمدرّسات في الحوزات النسوية في المدينة المنوّرة والإحساء والقطيف وقم المقدّسة يوم الثلاثاء ٢١/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٤/٢.

ومكوّنات هذه المنظومة الفكرية عديدة، كالدين والتقاليد الموروثة والثقافة والأعراف العامّة، وما يقدّمه صنّاع الرأي العام من كتّاب ومثقفين وإعلاميين، وقد تصنع الثقافة العامّة على شكل كلمات تصير أمثالاً يضربها الناس للاستدلال على صحّة سلوكياتهم، ولذا نؤكد على أهميّة تأثير الثقافة والأفكار في سلوك الإنسان.

ومن تلك الأمثال الخطيرة (حشرٌ مع الناس عيد) التي يبرّر بها الكثير إنسياقهم وراء السواد الأعظم في العقائد أو السلوك أو الأخلاق أو المواقف بل حتى في العقائد[1] بحجة أنّ الأكثرية مضوا على هذا، وان الموقف المشهور هو هذا، من دون تمحيص وتحقيق وبحث عن الدليل، رغم أنّ الله تعالى يؤكد في كتابه الكريم أنّ هذه الأكثرية لا توصل إلى الحق ولا تغني عن الحقّ شيئاً (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) (يوسف/١٠٣) (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّه) (الأنعام/١١٦) (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً) (الإسراء/٨٩) (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً) (الفرقان/٥٠) (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) (البقرة/٢٤٣) (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ/ ٢٨) (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) (غافر/ ٥٩)، ولو كانت مقولة (حشر مع الناس عيد) تفيد حقاً لحكمنا بصحة العقائد الباطلة لكثرة معتنقيها.

وبالعكس امتدح القلّة الثابتة على الحق (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ) (البقرة/ ٨٣) (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ) (البقرة/ ٢٤٦) (فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ) (البقرة/ ٢٤٩) (فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً) (النساء/ ٤٦).

---

(١) كالمخالفين لأهل البيت (عليهم السلام) الذين لا يملكون الدليل مقابل أحقّية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة فيتمسكون بأنّه أمر واقع سار عليه أكثر الصحابة ونحن نتبعهم، وكذا تشتهر بعض المرجعيات ويكثر اتباعها بلا حجّة سوى هذه المقولة المصطنعة.

فإذن من الخطأ أن يكون شعارنا (حشرٌ مع الناس عيد) بل (حشرٌ مع الحقّ عيد) فنكون مع الحق ولو لم يكن معنا أحد، وإذا كان الأكثرية على أمر فلا نأخذ به من دون تروٍ وتثبّت ورجوع إلى أهل الاختصاص قبل الأخذ بها ولا نستوحش الطريق لقلّة سالكيه كما عبّر أمير المؤمنين (عليه السلام).

والكلمة المشهورة الأخرى (السعيد من اكتفى بغيره) ولا أعلم إن كان لها منشأ من الأحاديث الشريفة أو لا، وقد يكون لها مورد تصح فيه فإنّ من سعادة المرء مثلاً أن يكون مكفول الرزق والمؤونة كما ورد في الأحاديث الشريفة عن طالب العلم، فهذا من السعادة أن يكون فارغ الهم من طلب المعاش.

لكن هذه الكلمة استُخدمت مبرّراً للتقاعس عن كثير من الأعمال الصالحة بإيكال الأمر إلى من يقوم به كإرشاد الناس وتعليمهم الأحكام وتدريس العلوم الدينية، وإمامة الصلاة والتبليغ في البلدان الأخرى ونشر الوعي والإصلاح وهكذا.

وتطورّت هذه الثقافة إلى ترك واجبات مهمّة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعنوان أنه واجب كفائي لا يتعيّن عليه شخصياً القيام به ولعل غيره يفعل ذلك وهكذا.

وفي هذا خطر على الأمة لأنّ حالة (التواكل) تسبّب ضياع المعروف وضعف أهله وتفشّي المنكر وتقوية فاعليه، وفيه أيضاً ضرر على الفرد نفسه بتضييع فرص مهمّة لطاعة الله تعالى والتقرّب منه.

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إذا أمّتي تواكلت ((تواكلوا)) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله).[1]

---

(١) وسائل الشيعة، أبواب الأمر والنهي، باب ١ ح٥.

وعن امير المؤمنين (عليه السلام): (عليكم بأعمال الخير فتبادروها ولا يكن غيركم أحقّ بها منكم).[١]

وعنه (عليه السلام) قال: ـ(افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً فإنّ صغيره كبير و قليله كثير ولا يقولنّ أحدكم أن أحداً أولى بفعل الخير منّي فيكون والله كذلك، إنّ للخير والشرّ أهلاً فما تركتموه منها كفاكموه أهله).[٢]

ومن أعظم أعمال الخير والطاعات التي أمرنا بالمسارعة إليها واستباقها والمبادرة إليها هي التفقه في الدين ونشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) وإرشاد الناس وتعليمهم وتوعيتهم، خصوصاً في المجتمع النسوي الذي يحتاج إلى جهد مضاعف لطول الحرمان والعوائق التي صنعها المجتمع ونحوها من الأسباب.

وهذه من الوظائف المهمة التي قامت بها الصدّيقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) ولم تقل للنساء اذهبن إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أوصلوا مسائلكم عن طريق أزواجكم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّها لا تريد أن تحرم نفسها من هذه الطاعة العظيمة.

روي في تفسير العسكري (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت : إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء ، وقد بعثتني إليك أسألك . فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك ثم ثلثت ، فأجابت ، ثم ثلثت فأجابت إلى أن عشرت فأجابت ، ثم خجلت من الكثرة ، فقالت: لا أشق عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام: هاتي و سلي عما بدا لك ، أرأيت من اكترى يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، و كرائه مائة ألف دينار أ يثقل عليه ؟ فقالت: لا . فقالت عليها السلام: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا فأحرى أن لا يثقل عليَّ ، سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا

---

(١) غرر الحكم: رقم ٦١٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٩٠ عن نهج البلاغة ٤/ ٩٩، قصار الكلمات.

يحشرون ، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم ، و جدهم في إرشاد عباد الله . حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور. ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد ،الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم ، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم و نعشتموهم، فاخلعوا عليهم ﴿كما خلعتموهم﴾ خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم. ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم و تضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و يضاعف لهم، و كذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم. و قالت فاطمة عليها السلام : يا أمة الله إن سلكا من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة ، و ما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر).[1]

(١) بحار الأنوار: ج٢ ص٣ ح٣.

خطاب المرحلة
(٣٦٧)

معاني القرآن لا تنتهي[1]

وصف النبي (ص) القرآن بأنه (لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه) فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لأهل البيت (عليهم السلام) غنية بالمعاني وعميقة الفهم، وهي متجدّدة ومفتوحة لا تنتهي، وكل جيل من العلماء يأتي يبين شيئاً يسيراً منها وما يخفى عليه أكثر بكثير، ويأتي الجيل الآخر ويغترف منها شيئاً وهكذا من دون أن تنتهي تلك المعاني.

وقد يستغرب البعض كيف يكون لكلام مؤلف من هذه الحروف الثمانية والعشرين في اللغة العربية التي نتداولها يمكن أن تكون لها هذه السعة من المعاني، وهذا الاستغراب منشأه القصور والتقصير في معرفة معاني القرآن الكريم وعدم الالتفات إلى من أودعها في هذه القوالب اللفظية وقدرته وعظمته وعلمه.

واضرب لكم مثالاً قد يعرفه طلبة الحوزة العلمية أكثر من غيرهم وهي ما يعرف بقاعدة الاستصحاب التي هي من أهم الأبحاث المعمّقة في علم الأصول وكتبت فيها مجلدات ولا زال البحث فيها مستمراً والتفريعات تتكثر، واصلها حديث من ثلاث كلمات للمعصوم (عليه السلام) (لا تنقض اليقين بالشك)، أي إذا كنت على يقين من حالة معينة ككونك على طهارة أو أن زيداً حيّ، فتبني على هذا اليقين وترتّب آثاره حتى لو حصل لك شك فيها ولا تنقض حالة اليقين إلا بيقين مثله، هذه الكلمات أصبحت محوراً لأبحاث معمّقة تملأ مجلدات ولازال البحث فيها مفتوحاً، فإذا كانت ثلاث كلمات في علم ظاهري تفتح هذه الآفاق الواسعة للبحث، فماذا

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع المؤسسة القرآنية في الغزالية ببغداد يوم الخميس ٢٣/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٤/٤.

سينفتح من علوم ومعارف إلهية من كلمات القرآن الكريم وانى للبشر استيعابها وبلوغ كنهها؟

لذلك تجد العلماء لا يتوقفون عن التدبر في آيات القرآن الكريم واكتشاف ما يهتدون إليه من معانيها وإيداعها في التفاسير، ومع ذلك لا زالت حقائقه كثيرة خافية على العلماء فضلاً عن غيرهم، وحكي عن السيد الطباطبائي (قده) صاحب تفسير الميزان قوله اننا نحتاج في كل سنتين إلى تفسير، وقد أنهى (قده) تفسيره في عشرين عاماً فهذا يعني أن محاولات التفسير لابد أن تكون متعدّدة ومتواصلة في الجيل الواحد فضلاً عن الأجيال المتتالية.

إننا نشهد في هذا العصر نهضة قرآنية لا بأس بها ونسأل الله تعالى ان يوسّعها ويزيدها، لكنها غالباً تقتصر على التجويد وتحسين الصوت ومخارج الحروف والنغمات ونحوها، وهذا شيء جيدٌ في نفسه لأن حلية القرآن الصوت الحسن، لكن الاقتصار عليه والوقوف عنده من دون الانطلاق إلى فهم معاني القرآن الكريم واكتشاف أسراره ومعرفة حدوده يكون خطوة ناقصة نحو الكمال المنشود.

خطاب المرحلة

(٣٦٨)

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[١]

كثيراً ما ألتقي بوفود الشباب وطلبة الجامعات وأستمع إلى أسئلتهم وهمومهم ومشاكلهم، والسؤال الأكثر تردداً هو: كيف نستطيع مقاومة المغريات والشهوات وأساليب الإفساد وهم يعيشون في بيئة مليئة بأسباب الفتنة والإغراء متزامنة مع فورة الشباب وعنفوان القوى وهيجان العواطف.

وفي الحقيقة فإنّ المشكلة لا تختص بالشباب، فإنّه مادام الإنسان في هذه الدنيا فهو مبتلى بالإغراءات والشهوات والفتن ويخوض (جهاداً أكبر) لمواجهتها كما سمّاه النبي (صلى الله عليه وآله) في الحديث المشهور، ويعزّز قوة هذه الضغوط الميل العارم للنفس الأمّارة بالسوء نحو الاستجابة لها، مع تزيين الشيطان لها (إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة وإلى الخطيئة مبادرة وبمعاصيك مولعة) (إلهي أشكو إليك عدواً يضلني وشيطاناً يغويني.. يعاضد لي الهوى ويزيّن لي حب الدنيا).[٢]

والإنسان في هذه المواجهة يحتاج إلى معونة ومناعة وتحصين كالتطعيم الصحي ضد الأوبئة والأمراض الجسدية، وهذه المعونة يحتاجها الإنسان قبل التعرض للامتحان وأثناءه وبعده، فما هي الوسيلة لتحصيل هذه المعونة والتطعيم والتحصين؟ والجواب بكلمة واحدة إنّها (الصلاة)، ومن دلائل عظمة الصلاة إنها هي الوسيلة التي توفر الحصانة والمناعة في جميع تلك المراحل المترتّبة في الفضل

---

(١) الكلمة التي تحدّث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) من خلال شاشة قناة النعيم إلى الآلاف من طلبة الجامعات والمعاهد العراقية المشاركين في فعاليات ومواكب الوعي الفاطمي مساء السبت ٢/ج١٤٣٤/٢ الموافق ٢٠١٣/٤/١٣.

(٢) من مناجاة الشاكين للإمام السجاد (عليه السلام).

والسمو، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (عباد الله، إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله جل ذكره: الإيمان بالله وبرسله وما جاءت به من عند الله،... وإقامة الصلاة فإنها الملة).

ولبيان ذلك نقول أما قبل الامتحان فيحتاج الإنسان إلى اللطف الإلهي والعناية الإلهية لتحميه من الابتلاء بالمعاصي أصلاً، أو حمايته منها عند عروضها عليه حيث يبصّره الله تعالى بحقائق تلك المعاصي المنفرّة الموجبة للاشمئزاز والتقزّز وليس الاقبال والرغبة، وهذا ما توفره الصلاة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصلاة تستنزل الرحمة)[1] وعنه (عليه السلام) : (ما دمت في الصلاة فإنك تقرع باب الملك الجبار ومن يُكثِر قرع باب الملك يُفتَح له)[2] وعنه (عليه السلام) (إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل إبليس ينظر إليه حسدا، لما يرى من رحمة الله التي تغشاه).[3] وعنه (عليه السلام): (لو يعلم المصلي ما يغشاه من جلال الله ما سره أن يرفع رأسه من سجوده).[4]

ومن تغشته رحمه الله وأحاط به جلاله فهو في أمن وأمان وحصن وثيق من الوقوع في شراك إبليس، وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إنّ الصلاة قربان المؤمن) وكلما اقترب الإنسان من ربّه ابتعد عن الشيطان وموجبات الوقوع في المعصية، وإذا وُفِّق الإنسان إلى هذه المرحلة فهي الأكمل والأسمى والأعظم عند الله تعالى حينما لا

---

(١) (٢) (٣) (٤) الأحاديث المذكورة والتي بعدها نقلها عن مصادرها في جامع أحاديث الشيعة: ٢٩/٤ وما بعدها، وفي ميزان الحكمة: ١٠٧/٥- ١٣٥.

يجد في نفسه أي ميل للمعصية ولا رغبة له فيها، وبالتالي فهو لا يجد أي مشكلة في اجتنابها.

وفي المرحلة الثانية أي عند الابتلاء بما يوجب المعصية وحينما يكون بين خيارين أحدهما كبح جماحِ النفس والفوز بطاعة الله، وثانيهما الانسياق وراء الشهوة والوقوع في المعصية، وهنا يأتي دور الصلاة في زيادة مناعته وتحصينه من الوقوع في المعصية بل أن الثمرة الأبرز لإقامة الصلاة هي هذه، قال تعالى (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ) (العنكبوت/٤٥)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (اعلم أن الصلاة حُجزةُ الله في الأرض، فمن أحبّ أن يعلمَ ما أدركَ من نفع صلاته، فلينظر: فإن كانت حَجَزَتهُ عن الفواحش والمنكر فإنما أدرك من نفعها بقدرِ ما احتجزَ).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (الصلاة حصن من سطوات الشيطان)، وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن هائباً له ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيّعهن اجترأ عليه)، وهذه المرحلة وإن كانت أقل درجة من سابقتها لأن الإنسان يجتنب المعصية بمعاناة ومشقّة وجهاد، إلاّ انها مرحلة عظيمة أيضاً.

أما في المرحلة الثالثة وهي ما بعد الفعل ونفترض أن العبد لم يستفد من بركات صلاته مما أدى إلى سقوطه في الخطأ لسبب أو لآخر فإن الصلاة هي التي تمدّ حبل النجاة لإنقاذه على نحوين:

أولهما: إعادته إلى الحالة الصحيحة وتطعيمه من جديد ضد الانحراف والمعصية وزيادة مناعته بجرعة أكبر، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال ــ في رجلٍ يُصلّي معه ويرتكبُ الفواحش-: (إنّ صلاته تنهاهُ يوماً ما، فلم يلبث أن تابَ)، وعنه (صلى الله عليه وآله) قال ـ في رجل يُصلّي بالنهار ويسرقُ بالليل-: (إنّ صلاته لتردعهُ).

ثانيهما: إنها تكفّر الإثم الذي ارتكبه وتبيّض صفحته التي اسودّت بفعل المعصية وتمنحه فرصة التكامل من جديد، روي عن رسول الله (ﷺ) أنّه أخذ غصناً من شجرة كانوا في ظلّها فنفضه فتساقط ورقهُ ثم فسّر لأصحابه ما صنع فقال: (إن العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاتّت عنه خطاياه كما تحاتَت ورقُ هذه الشجرة).

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (سمعت رسول الله (ﷺ) يقول أرجى آية في كتاب الله (وأقم الصلاة طرفي النهار وزُلفاً من الليل) وقال يا علي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه فإن أصاب شيئا بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب أحدكم فما يظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي).

موقع الصلاة في الدين

لهذا كله احتلت الصلاة موقعاً مهماً من الدين.

عن رسول الله (ﷺ) قال: (مثلُ الصلاةِ مثلُ عمودِ الفُسطاط؛ إذا ثبتَ العمودُ نفعت الأطناب والأوتاد والغشاءُ، وإذا انكسرَ العمودُ لم ينفع طُنبٌ ولا وتدٌ ولا غشاء).

ولهذا كانت الصلاة مقياس دين الإنسان والتزامه بما فرض الله تعالى عليه، روي عن رسول الله (ﷺ) قال: (لكل شيء وجهٌ، ووجهُ دينكم الصلاة) ، وعنه (ﷺ): (أولُ ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فإن قبلت نُظر في غيرها، وإن لم تُقبل لم ينظر في عمله بشيء) ، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصلاة ميزانٌ، فمن وفّى استوفى).

ولذا كثرت الوصايا بها، عن رسول الله (ﷺ) قال: (ليكن أكثر همِّكَ الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين) ، ومما جاء في وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لأولاده قبيل وفاته (الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة، وهي آخرُ وصايا الأنبياء) ، وعنه (عليه السلام) (إن طاعة الله خدمته في الأرض فليس شيء من خدمته يعدل الصلاة).

التشديد على تارك الصلاة

فليس غريباً التشديد في قضية ترك الصلاة، عن رسول الله (ﷺ) (ما بين المسلم وبين الكافر إلاّ أن يتركَ الصلاة الفريضة متعمداً، أو يتهاون بها فلا يصلّيها) ، وعنه (ﷺ): (الصلاة عِمادُ الدين، فمن ترك صلاته متعمّداً فقد هدم دينه، ومن ترك أوقاتها يدخل الويل، والويلُ وادٍ في جهنّم كما قال الله تعالى (فويل للمصلين❖الذين هم عن صلاتهم ساهون) ، وعنه: (من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخافُ عِقابها، فلا أُبالي أن يموتَ يهودياً أو نصرانياً أو مجوسيّاً).

كيفية الصلاة التي تؤدي دورها الكامل في حياة الإنسان:-

ولكي تأخذ الصلاة دورها الكامل في حياة الإنسان لابد أن يؤتى بها بحدودها وشروطها.

(ومنها) الإتيان بها في أول وقتها، عن الإمام الصادق عليه السلام: (لكل صلاة وقتان: أوّلٌ وآخرٌ، فأول الوقت أفضلُه، وليس لأحدٍ أن يتّخذ آخر الوقتين وقتاً إلا من علّة، وإنما جُعِل آخر الوقت للمريض والمعتل ولمن له عذرٌ، وأولُ الوقت رضوان الله، وآخرُ الوقت عفو الله). وعنه (عليه السلام): (فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا) ، وعنه (عليه السلام): (لفضل الوقت الأول على الآخر خيرٌ للمؤمن من ماله وولده).

وروى الشيخ الصدوق في الفقيه بسنده عن حماد بن عيسى: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) يوماً: تُحسِنُ أن تُصلّيَ يا حمّاد؟... قُم فصلِّ، قال: فقمتُ بين يديه متوجّهاً إلى القبلة فاستفتحتُ الصلاة وركعتُ وسجدتُ، فقالَ: يا حمّاد، لا تُحسن أن تصلّي؟! ما أقبح بالرجل ان تأتي عليه ستون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامّة؟!

(ومن) شروط تأثيرها الورع عن محارم الله تعالى، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لو صلّيتم حتّى تكونوا كالأوتارِ، وصُمتم حتى تكونوا كالحنايا، لم يقبلِ الله منكم إلاّ بورعٍ).

(ومن) أبرز الموانع من قبولها وتأثيرها:

١- عقوق الوالدين، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (من نظر إلى أبويه نظر ماقتٍ وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة).

٢- الغيبة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلاّ أن يغفر له صاحبه).

نصيحة وتوصية:

فاهتموا بصلاتكم أيها الأحبّة وحافظوا على أول وقتها وواظبوا على أدائها جماعة في المسجد مهما تيسر لكم لتزدادوا نوراً على نور واستزيدوا منها فوق الفرائض اليومية، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال لأبي ذر لما سأله عن الصلاة (خير موضوع، فمن شاء أقلّ ومن شاء أكثر) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) لما سئل عن أفضل الأعمال بعد المعرفة قال (عليه السلام عليه السلام): (ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة)، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): (صلوات النوافل قُربات كل مؤمن).

خصوصاً صلاة الليل ولو بأقل عدد من الركعات، قال تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً) (الإسراء٧٩).

لقد لخّصَتْ الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هذه الأهمية للصلاة ودورها في تهذيب الإنسان وتكامله بقولها في خطبتها (فجعل الله... الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر) فالصلاة تنزّه الإنسان وتطهّره من التكبر والعتوّ والتمرّد والإستكبار والفرعنة التي هي أساس الوقوع في المعاصي وإتّباع الشيطان والابتعاد عن الله تعالى ولشدّة اهتمامها (سلام الله عليها) بالصلاة سألت أباها رسول الله (صلى الله عليه وآله) (يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟ قال: يا فاطمة: من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمسة عشر خصلة، ستّ منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره) ثم عدّدها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فراجع المصدر.[1]

فاغتنموا أيّها الأحبّة من الشباب والطلبة الجامعيين وجودكم في جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) معزّين إياه باستشهاد الصدّيقة الطاهرة (عليها السلام)، واغتنموا هذه النفحات الفاطمية لتحصيل هذه المقامات الرفيعة والفرص العظيمة للطاعة والله ولي التوفيق.

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ٣/٢٣.

خطاب المرحلة

(٣٦٩)

الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) تحمل هذا الدين وتحميه[١]

الحمد لله وحده كما يستحقه حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على أمينه على وحيه وسيد خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

السلام على أمير المؤمنين عبد الله وأخي رسوله، وعلى الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) الممتحنة الصابرة الشهيدة المحتسبة المهتضم حقها، ورحمة الله وبركاته.

السلام عليكم أيها المؤمنون ورحمة الله وبركاته.

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (يحمل هذا الدين في كل قرن عُدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد)[٢].

والقرن هم أبناء الجيل الواحد باعتبارهم مقترنين في الزمان، فمعنى الحديث الشريف أنه يوجد في كل جيل من الأجيال من يحمل رسالة الإسلام المحمدي الأصيل ويحميه من الشبهات والبدع والتحريف والضلالات والأهواء وينقي

---

(١) الخطاب الذي وجّهه سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) إلى عشرات الآلاف من المؤمنين الذين اجتمعوا في ساحة ثورة العشرين في النجف الأشرف قبل أن ينطلقوا في التشييع الرمزي للسيدة الزهراء (عليها السلام) في ذكرى استشهادها ضمن فعاليات الزيارة الفاطمية صباح يوم الأحد ٣/ج٢/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٤/١٤.

(٢) رجال الكشي: ٢، وروى البرقي في المحاسن مثله وفيه (فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) (بحار الأنوار: ٩٢/٢ عن بصائر الدرجات: ٣٠/١، باب ٦، ح ٧).

الإسلام مما علق به من تلك البدع والشبهات كما يفعل الحداد حين يصنع الحديد في النار وينفخ فيها ليزيل عنه الشوائب.

وفي هذا الحديث الشريف تطمين وتحذير ودعوة.

أما التطمين فلأنه يطمئن الناس بأن الله تعالى لا يخلي الأرض من العلماء العاملين المخلصين الواعين الذين يؤدون هذه الأمانة الإلهية فإنهم موجودون في كل جيل، فلا يقلق الناس من هذه الناحية، أو يبررون ضلالهم وانحرافهم وسوء اختيارهم لمسلكهم في الحياة بعدم وجود مثل هؤلاء العلماء.

وفي الحديث إخبار وتحذير بأن المبطلين والمدعين والمنحرفين وأهل الأهواء وطلاب الدنيا من المتلبسين بالعناوين الدينية ومن ينخدع بهم من الجهلة والسذّج سوف لا يتوانون عن تحريف هذا الدين وإدخال البدع والضلالات تحت أي عنوان وقد تُعطى البدعة عنواناً دينياً مقدساً، ولا يتوقفون عن خداع الناس بمكرهم ودجلهم، وأنهم موجودون في كل جيل ويعملون باستمرار كما أن العلماء العاملين موجودون في كل جيل ويواجهونهم.

وفي الحديث أيضاً دعوة للناس للالتفات إلى هذا الصراع وهذه المواجهة، والالتفاف حول مثل هؤلاء العلماء الذين وصفهم الحديث الشريف لاتّباعهم والالتزام بما يصدر منهم، وعدم الانخداع بمن يدّعون القداسة والقيمومة على الدين والمؤسسة الدينية ليطلبوا بها الدنيا؛ لأن عملية التأويل والتحريف وخداع الناس لا تكون إلا ممن أعطى لنفسه عناوين دينية كبيرة، ووضع له حاشيته والمستفيدون منه هالة مقدسة وجعلوه صنماً يعبد ويطاع من دون الله تعالى.

لذلك يؤكد الأئمة (عليهم السلام) على أن نختار بوعي ودراية وبصيرة وليس بتقليد الأسلاف أو بالسلوك الجمعي مع عامة الناس ونحوها.

روى علي بن سويد قال: (كتب إليّ أبو الحسن الأول -أي الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)- وهو في السجن: وأما ما ذكرت يا علي: ممن تأخذ معالم دينك، لا تأخذن دينك عن الخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم، إنهم ائتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرّفوه وبدّلوه فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله وملائكته ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة)[1].

وروى البرقي في المحاسن من مواعظ السيد المسيح (عليه السلام) قوله: (كونوا نقّاد الكلام، فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله كما زخرف الدرهم من نحاس بالفضة المموهة، النظر إلى ذلك سواء والبصراء به خبراء)[2].

ولأن هذه المواجهة موجودة في كل جيل فقد بدأت بشكل علني بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة وجسده الشريف لا زال مسجّىً لم يدفن، حيث عمد زعماء الانقلاب إلى التأويل والتحريف والادعاءات الباطلة.

وكانت الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أول هؤلاء العدول الذين يحملون هذا الدين وينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين، وواجهتهم ودحضت ادعاءاتهم الخائبة، في كل الاتجاهات التي غيّروا وبدّلوا فيها.

فعلى صعيد تلاعبهم بكتاب الله تعالى قالت (سلام الله عليها): (كيف بكم وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أمورُه ظاهرةٌ وأحكامُه زاهرةٌ، وزواجرُه لائحةٌ، وأوامرُه واضحة، وقد خلّفتمُوهُ وراء ظهوركم، أرغبةً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ (الكهف: ٥٠) ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران : ٨٥)).

---

(١) بحار الأنوار: ٨٢/٢ عن رجال الكشي كذلك.

(٢) بحار الأنوار: ٩٦/٢، ح ٣٩، عن المحاسن: ٢٩٩-٢٣٠.

وقالت (عليها السلام): (يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريّاً، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (النمل:١٦)، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾ (مريم : ٥-٦)، وقال: ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ﴾ (الأنفال:٧٥)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء:١١)).

إلى أن قالت (عليها السلام): (أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إنا أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أولستُ أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟).

وفي موضوع الإمامة وانقلابهم على وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخليفة من بعده وإقصاء أمير المؤمنين قالت (عليها السلام): (ويحهم! أنى زعزعوها؟ عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطبين -أي الفطن الحاذق العالم بكل شيء- بأمور الدنيا والدين؟ ﴿أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الزمر : ١٥)) (وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردّهم إليها، وحملهم عليها) (ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً رويّاً، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف : ٩٦)، ويحهم! ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس : ٣٥) هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ -أي عاقبة- ما أسس الأولون).

وردّت على افترائهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتزويرهم حديثاً عنه زعموا أنه قال: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً ولا فضة)) إلخ فقالت (عليها السلام): (سبحان

الله! ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويقفوا سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور والبهتان، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً) (ما أزاح به علة المبطلين وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف:١٨).

أسباب الانحراف والتأويل:

وهنا لا بد أن نقف عند تحليل السيدة الزهراء (سلام الله عليها) وتشخيصها لأسباب هذا الانحراف والتغيير في الدين والتخاذل والنكوص عن الحق ومساندة الباطل، وكيف تعطى له الفرص ليستفحل ويتجذّر في المجتمع، ومن كلماتها (عليها السلام) في ذلك (معاشر المسلمين، المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد : ٢٤) كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم).

وقالت (عليها السلام): (أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض -أي الراحة وسعة العيش- وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة -وهي الراحة- ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغّتم- أي قاؤوا ما شربوه بسهولة- فإن ﴿تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (إبراهيم : ٨)).

وقالت (عليها السلام): (وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين وللغرّة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً -أي استفزّكم فغضبتم له- فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير

مشربكم) (ابتداراً، زعتم خوف الفتنة ألاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة : ٤٩)).

وتبيّن (سلام الله عليها) لهم العاقبة (فنعمَ الحكمُ الله والزعيم محمد (ﷺ)، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، و ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ (الأنعام:٦٧) و ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (هود : ٣٩)).

فإذن يتحصل من خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) أن الأسباب عديدة والمسؤولية يتحملها طرفان:

الأول: بعض رجال الدين بانقيادهم لأهواء النفس وميلهم لحب الدنيا وتزيين الشيطان وحسدهم لأهل الحق وتصدّيهم لمواقع ليسوا مؤهلين لها (فوسمتم غير إبلكم ووردتم غير مشربكم) حتى طُبع على قلوبهم فحرموا من التدبر في الآيات الكريمة والروايات الشريفة فأخذوا يأوّلونها ويحرفون معانيها.

الثاني: عامة الناس بجهلهم وحماقتهم وسذاجتهم وميلهم إلى الدعة والراحة وتخاذلهم عن نصرة من تجب طاعته وسكوتهم عن المنكر والباطل، ونعيقهم مع كل ناعق وخوضهم مع الخائضين وإسراعهم إلى الشبهات والقيل والقال وتصديق المدّعين وعدم تصحيحهم للأخطاء التي يقعون فيها وعدم توبتهم من الذنوب التي يرتكبونها.

وهذه الأسباب لحصول الانحراف وابتعاد الناس عن الحق موجودة في كل زمان، لذا يعلن الحديث النبوي الشريف أن الله تعالى يهيئ في كل جيل من يواجه هذا الانحراف، وكانت الصدّيقة الطاهرة (عليها السلام) على رأس من اجتباهم الله تعالى لأداء هذا الدور العظيم، فكانت هذه واحدة من الوظائف المباركة التي قامت بها الصدّيقة الزهراء (عليها السلام)، وتحمّلت بسبب قيامها هذا الكثير من المشقة والمعاناة

والظلم فهتكوا حرمة دارها التي أذِن الله لها أن ترفع، وقام القوم بإيذائها جسدياً ومعنوياً ومنعها من البكاء على أبيها (صلى الله عليه وآله) حتى قضت شهيدة صابرة محتسبة في مدة قصيرة.

ووقف أمير المؤمنين (عليه السلام) عند دفنها مخاطباً رسول الله، ومما قال في إدانة الانقلابيين وتجريمهم: (وسَتُنبِّئُك ابنتك بتضافر[1] أمتك على هضمها، فأحْفِها السؤال، واستخبرها الحال)[2].

أيها الأحبة:

إن الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) أسوة لنا جميعاً بل هي حجة علينا جميعاً، فلنأخذ منها هذا الدرس الشريف ونسير على هديها ونعمل جميعاً على حمل رسالة الإسلام ومذهب أهل البيت (عليهم السلام) إلى الدنيا بأسرها، ونحميها من الانحراف والبدع والضلالات والشبهات وندافع عنها، ولا يقول أحدٌ: إن هذه وظيفة الحوزة العلمية ورجال الدين، فهذا تفكير غير صحيح، والفرصة متاحة للجميع أن يكونوا من هؤلاء المدافعين عن الدين ضمن الإطار الذي تضعه المرجعية الدينية الرشيدة العارفة بطبيعة الظروف.

والحديث النبوي الشريف يدعوكم جميعاً لكي تكونوا من حماة الدين وحملته بعد أن تهذّبوا أنفسكم وتتعلموا من العلوم والمعارف الدينية ما يؤهلكم لأداء هذا العمل المبارك، لأن الحديث لم يخصص هذه الوظيفة الشريفة -أي حمل الدين وحمايته- بشخص أو فئة أو شريحة معينة كالحوزة العلمية والمؤسسة الدينية، ولا

---

(١) لاحظ التعبير عن اشتراك أكثر الأمة بهضمها لأنهم بين من قام بالعدوان أو رضي به أو سكت عنه.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ٢٠٢.

بالرجال دون النساء، وإنما وصفت هؤلاء الذين يحملون الدين ويحمونه أنهم عدول موجودون في كل قرن، فابذلوا وسعكم لتكونوا منهم وتلتحقوا بالركب الذي قادته الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) على نهج أبيها وزوجها أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما).

والفرصة أوسع ما تكون هذا الزمان لسهولة الحصول على المعلومة وسهولة إيصالها إلى أي شخص أو جهة في أنحاء العالم نتيجة التطور الهائل في تقنيات الاتصال، كما أن الحجة اليوم أكبر على الجميع للقيام بمسؤولياتهم في إيقاظ الآخرين وتوعيتهم وإرشادهم وهدايتهم، حيث لا يقتصر المدعوون اليوم على غير المسلمين لهدايتهم إلى الإسلام، ولا على غير أتباع أهل البيت (عليهم السلام) من المسلمين لهدايتهم إلى ولاية أهل البيت والأخذ منهم، بل ابتلينا داخل إطار مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بالبدع والضلالات والتجهيل والتخلف وتسطيح العقول، كما ابتلينا أيضاً بصناعة القيادات غير الصالحة وغير المؤهلة لهذه المواقع الشريفة وأصحاب الدعاوى الضالة الباطلة، واستخدم في الترويج لذلك المال والإعلام والمكر والأساليب الخادعة.

لقد وضع الأئمة المعصومون (عليهم السلام) معالم القيادة والمرجعية التي تتبعونها في أحاديث بعضها معروف لديكم، ومنها ما رواه الإمام الصادق (عليه السلام) عن جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان)[1].

فتثبّتوا ممن ترجعون إليه أن يكون حاملاً للرسالة الإلهية مدافعاً عنها حامياً لها، وآمراً بالمعروف والعدل والإحسان صائناً لها من الانحراف والتأويل والبدع.

---

(١) أصول الكافي، ج١، كتاب التوحيد، باب: أنه لا يعرف إلا به، ح١.

وفي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن لكم معالم فاتبعوها، ونهاية فانتهوا إليها)[1].

وفقنا الله تعالى وإياكم لما يحب ويرضى.

(١) بحار الأنوار: ٩٩/٢، ح٥٢، عن المحاسن: ٢٧٢.

خطاب المرحلة

(٣٧٠)

القرآن الكريم ومقامات السيّدة الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام)[1]

بمناسبة ميلاد السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) نحاول أن نتعرّف على بعض مقاماتها وملامح عظمتها من خلال استقراء الآيات الكريمة وبمعونة الأحاديث الشريفة وهي كثيرة نعجز عن استقصائها، ونفس أسمائها وألقابها كاشفة عن مقاماتها (الطاهرة، المعصومة، الراضية، المرضيّة، أمّ أبيها، سيّدة نساء العالمين، الكوثر، المحدَّثة، البتول) وغيرها.

لكنّنا نشير اليوم باختصار إلى مقاماتها (سلام الله عليها) الّتي نتعرّف عليها من خلال الاقتران والتلازم بين القرآن الكريم وأهل البيت (عليهم السلام) -وهي منهم-، هذا التلازم الّذي أفاده حديث الثقلين الذي أجمع الفريقان[2] على صحّته وصدوره عن النبي (صلى الله عليه وآله)، ففي مسند أحمد بن حنبل (١٨١/٥ ح٢١٠٦٨) بسنده عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إنّي تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل مدود ما بين السماء والأرض- أو ما بين السماء إلى الأرض- وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض) ورووه عن جمع غفير من الصحابة.

وقد بيّن النبي (صلى الله عليه وآله) بالقول وبالفعل المقصود من أهل البيت في مواطنٍ كثيرة وهُم علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ففي مستدرك الصحيحين روى بسنده عن أمّ سلمة أنّها قالت: في بيتي نزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الأحزاب/٣٣) قالت:

---

(١) كلمة سجّلها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) لقناة النعيم الفضائية بمناسبة ذكرى ميلاد السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) يوم ٢٠/ج٢/١٤٣٤ الذي وافق ٢٠١٣/٥/١.

(٢) لمعرفة مصادره من كتب العامّة راجع (فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ٥٢/٢).

فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال: (اللهمّ هؤلاء أهل بيتي) قالت أمّ سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنّك إلى خير. وهؤلاء أهل بيتي اللهمّ أهل بيتي أحق).[1]

ولا حاجة بعد هذا للدخول في مناقشات لغوية في معنى أهل البيت ومن هو المشمول بها بعد أن حدّد النبي (صلى الله عليه وآله) بنفسه المراد بهذا العنوان.

فالسيّدة فاطمة الزهراء من أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم -بموجب حديث الثقلين- صنو القرآن وعدل القرآن ولا يفترقان حتّى يردا الحوض يوم القيامة، ومن هذا الاقتران والملازمة نستنتج خصائص كثيرة ومقامات رفيعة لأهل البيت (عليهم السلام) وللصدّيقة الطاهرة (عليها السلام) ولأمير المؤمنين (عليه السلام) لتضاف إلى الأدلّة على إمامته وتقدّمه على الخلق أجمعين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها:

١- مقام العصمة، لأنّ القرآن (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلّت/٤٢) وكذلك السيدة الزهراء (عليها السلام) معصومة بغضّ النظر عن الأدلة الأخرى على عصمتها كآية التطهير وغيرها.

٢- مقام العلم والإحاطة بكل شيء ممّا علمهم الله تبارك وتعالى فقد وصف الله تعالى كتابه الكريم بقوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ) (النحل/٨٩) وقال تعالى (مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) (الأنعام/٣٨) فالسيدة الزهراء (عليها السلام) لها هذا المقام من العلم والإحاطة بمعرفة كلّ شيء وهو فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، قال تعالى (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء) (البقرة/٢٥٥).

٣- والقرآن له مقام الإمامة والقيادة والحجة ولزوم الطاعة على الخلق أجمعين (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) (الحشر/٧) وقال تعالى (وَمَا

---

(١) راجع مصادر الحديث في المصدر السابق: ١/ ٢٦٩.

يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم/٣-٤) وللقرآن مقام الإمامة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً) فكذلك السيّدة الزهراء (عليها السلام) لها مقام الإمامة والقيادة ولزوم الطاعة على الخلق أجمعين، لذا روي عن الإمام العسكري قوله (نحن حجج الله على خلقه وجدّتنا فاطمة حجّة الله علينا).[1]

٤- والقرآن هو الحق والحقّ معه (هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ) (الجاثية/٢٩) (فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) (الذاريات/٢٣) وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام) فإنّ الحقّ يدور معها حيث دارت.

٥- وللقرآن القيمومة[2] العليا المطلقة على الخلق قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا❖ قَيِّماً) (الكهف/١-٢) كما أنّ القيّم على الأسرة أو المجتمع له الولاية عليهم يقودهم ويدلّهم على ما يصلحهم ويسعدهم، فكذلك الزهراء (عليها السلام) لها القيمومة على الناس ومنهجها هو المنهج القيّم والمستعلي على المناهج كلّها، وقد علّلت الآية علّة القيمومة بأنّ لا عِوَجَ له.

٦- والقرآن مبارك (وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) (الأنعام/٩٢) (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ) (ص/٢٩) فهو كثير البركة والخير والعطاء ومبارك في آثاره على النفس والمجتمع لأنّه مصدر الهداية والإرشاد والسعادة والحياة المطمئنة للبشرية ومصدر العلوم كلّها، وهكذا الزهراء (عليها السلام) كثيرة البركة وعطائها لا ينفد، حتّى أنّ الله تعالى سمّاها الكوثر الذي يعني الخير الكثير.

٧- والقرآن عصمة للأمة من التفرّق والتشتّت والضياع (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

---

(١) خطاب المرحلة: ٧/ ٥٢.

(٢) شرحنا معاني هذه الصفات للقرآن في فصل (القرآن يصف نفسه) في كتاب (شكوى القرآن).

فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) (آل عمران/١٠٣) والقرآن وأهل البيت (عليهم السلام) هم الحبل الممدود الذي يعصم الأمّة، وفي هذا قالت السيّدة الزهراء (عليها السلام) (وجعل إمامتنا نظاماً للملّة وأماناً من الفرقة).

٨- والقرآن عزيز يصعب مناله في كتابٍ مكنون لا يمسّه إلاّ المطهّرون، وعزيز لأنّه قاهرٌ غالب على من خاصمه، وهو عزيز يندر وجود مثله، وعزيز لأنّه يمتنع عن النيل بسوء، وعزيز لأنّه مطلوب وكلّ مفقودٍ مطلوب، وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام) عزيزة بكل هذه المعاني.

٩- والقرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة للعالمين كما وصف نفسه وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام).

١٠- وللقرآن مقام الشفاعة كما وصفه النبي (صلى الله عليه وآله) (فعليكم بالقرآن فإنّه شافعٌ مشفّع).[1]

وللزهراء (عليها السلام) الشفاعة يوم القيامة حتّى ورد في الرواية أنها (عليها السلام) تلتقط مواليها ومحبّيها يوم المحشر كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء.

١١- والقرآن مخاصم لمن هجره وأعرض عنه ولم يعمل به وحجّته غالبة ومصدّقة من دون بيّنة أو دليل كما وصفه النبي (صلى الله عليه وآله) بأنّه (ما حل مصدّق) أي مخاصِم مصدّق فيما يقول وهكذا السيّدة الزهراء (عليها السلام) ستخاصم من ظلمها وأنكر حقّها وجحد ولايتها، وهي مصدّقة في دعواها.

١٢- والقرآن خالد محفوظ إلى يوم القيامة (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر/٩) وهكذا الحجج من أهل البيت (عليهم السلام) باقون ببقاء القرآن وهذا دليل على وجود الإمام المنتظر (عليه السلام) وذكر فاطمة وأهل البيت (عليهم السلام) باقٍ إلى يوم القيامة ونورهم باقٍ مهما حاول الحاسدون والمنافقون والمبغضون إطفاءه والقضاء

---

(١) ميزان الحكمة: ٧/ ٢٣٨ وكذا الأحاديث التالية في نفس المصدر.

عليه وإزالته (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف/٨).

١٣- وفي التمسّك بالقرآن النجاة من الفتن، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (إنّها دار بلاء وابتلاء وانقطاع وفناء، فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار)، فالتمسك بهدى الزهراء (عليها السلام) ينجي من الفتن ويقود إلى الهداية.

١٤- والقرآن يصف نفسه (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ❖ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) (الطارق/١٣-١٤) وهكذا كلمات فاطمة (عليها السلام) كلّها فاصلة ليس فيها هزل لا محصّل من ورائه أو هزيلة خالية من المعاني.

١٥- والقرآن أنيس، يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): (لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي) وهكذا ذكر السيّدة الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام) فإنّه أنيس للمحبّين والموالين وبلسم لنفوسهم المتعبة).

١٦- والقرآن لا يبلى ولا يُملُّ بكثرة التكرار، قال امير المؤمنين (عليه السلام) لا تُخلقهُ كثرةُ الرّد وولوجُ السمع) وهكذا ذكر الزهراء (عليها السلام) كلما يتكرّر يزدادُ اقبالاً وبهجة حتى لو استمر طيلة أيام السنة وعلى مدى السنين.

١٧- ولمن حمل القرآن وتعلّمه وعلّمه أجر عظيم، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبوسون بنور الله عزّ وجل) فلمن أحيا ذكر الزهراء (عليها السلام) ونشر فضائلها ومناقبها ومظلوميتها مثل هذا الأجر العظيم.

١٨- وإنّ على حامل القرآن أن يتّصف بالخير، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (إنّ أحقّ الناس بالتخشّع في السرّ والعلانية لحامل القرآن، وإنّ أحقّ الناس في السر

والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن) فعلى الموالين للسيّدة الزهراء (عليها السلام) ان يكونوا على مثل هذه الخصال الكريمة.

١٩- وللقرآن ارتباط وثيق بليلة القدر وكان نزوله فيها (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (القدر/١) (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) (الدخان/٣) وللسيّدة الزهراء (عليها السلام) ارتباط وثيق بليلة القدر؛ ورد في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) (فمن عرف فاطمة (عليها السلام) حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر)[1]، وقد شرحنا في بعض أحاديثنا وجوهاً لهذا الحديث.

٢٠- ومن آداب تلاوة القرآن أن يُقرأ بالحزن، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (اقرأوا القرآن بالحزن فإنّه نزل بالحزن)، وعنه (صلى الله عليه وآله) (اقرأوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا)، ومن وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) للمتّقين (أمّا الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلا يحزّنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم) فكذلك السيّدة الزهراء (عليها السلام) لا تُذكر إلاّ ويفيض القلب حزناً لذكراها، فضلاً عمّا لو ذُكرت مظلوميتها، روي أن رجلاً دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) وقد وُلدت له بنت فقال (عليه السلام) (ما سمّيتها؟ قال: فاطمة فقال (عليه السلام) (آه آه آه ثم وضع يده على جبهته – إلى أن قال- أما إذا سمّيتها فاطمة –فلا تسبّها ولا تلعنها ولا تضربها).[2]

وهذه الخصائص التي ذكرناها للزهراء (عليها السلام) ثابتة للأئمة الأطهار (عليهم السلام) لكونهم من أهل البيت (عليهم السلام) وإنّما خصصنا السيّدة الزهراء (عليها السلام) بالذكر لأنّها صاحبة المناسبة.

---

(١) راجع مصادره في الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (عليها السلام): ٤٣٨/١٨.

(٢) وسائل الشيعة كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب ٨٧.

إن ما قمنا به من بيان هذه المقامات لأهل البيت (عليهم السلام) فيه دعوة لإتباع هؤلاء السادة الهداة تلبية لدعوة الإمام (عليه السلام) (قال الرضا عليه السلام : رحم الله عبدا أحيا أمرنا ، فقيل له : وكيف يُحيي أمركم ؟.. قال : يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس ، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا)[1]

(١) جواهر البحار، الجزء الثاني، كتاب العلم، عن كتاب: معاني الأخبار.

خطاب المرحلة

(٣٧١)

المشاريع الشيطانية التي أعدّت للمنطقة الإسلامية والعربية[١]

يوماً بعد يوم تنكشف وتتّضح الخطة الشيطانية التي أُعدّت للمنطقة الإسلامية والعربية ضمن مشروع شرق الأوسط الكبير، والّتي تستهدف تمزيق وحدتها ونسيجها الاجتماعي وتفتيت دولها إلى دويلات وأقاليم ضعيفة ويبقى فقط الكيان الصهيوني[٢] القوّة المهيمنة في المنطقة لاستمرار السيطرة عليها بعد ان احترقت ورقة تركيع الشعوب والتحكم بثوراتها من خلال أنظمة ديكتاتورية تعتمد سياسة البطش والقسوة والتسلّط بالحديد والنار.

وقد استخدموا لتنفيذ هذه الخطّة وسائل عديدة على رأسها القوة العسكرية وأموال دول البترودولار والالتفاف على حركة الشعوب ومصادرة ثوراته التي سُمّيت بالربيع العربي حتّى أخضعوها لإرادتهم وبدأوا يتحكّمون بها من خلال الأنظمة العميلة في المنطقة.

ومن أقذر الوسائل وأخبثها وأخطرها إشعال الحرب الطائفية وإثارة الفتن بين المسلمين وتغذية التعصّب واستفزاز المشاعر والعواطف الدينية بالأفعال الدنيئة التي لا يقوم بها حتى أشد الوحوش ضراوة وبطشاً، وكان آخرها نبش قبر الصحابي

---

(١) البيان الذي وجّهه سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) يوم ٢٣/ج٢/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٥/٤ من خلال عدد كبير من الفضائيات إلى شعوب المنطقة بعد لقائه بعدد من القيادات الدينية والسياسية في عدّة دول.

(٢) قامت طائرات الكيان الصهيوني مساء نفس اليوم الذي أُعدّ فيه البيان بغارة جويّة على معسكرات ومخازن سلاح قرب دمشق بقنابل فراغية أحدثت زلزالاً في العاصمة.

الجليل الشهيد حُجر بن عدي الكندي في ريف دمشق يوم الخميس (٢٠١٣/٥/٢) ومحاولة نقل رفاته إلى جهة مجهولة، لكنهم لم يفلحوا حتى أدركهم الموالون.

إنّ المواقف الضعيفة المنهزمة التي تتّخذها القيادات الدينية والسياسية لا قيمة لها وهي لوحدها لا تقيم حقاً ولا تزهق باطلاً، بل لابد من تحرّك المراجع الدينية والسياسية العليا للتأثير على منظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتّحدة والاتحاد الأوروبي حتى تضغط على الدول الراعية والساندة لتلك الجماعات الضالة المفسدة والتي تتحكم في حركتها حتّى تلزمها بمعايير النبل والقيم الإنسانية، وإذا أرادت القتال فلتقاتل بشرف وشهامة.

ولابد من فضح هذه الجرائم وتعريف الدول الغربية التي تدعمهم إعلامياً وسياسياً ومالياً وتنوي تسليحهم بأنّهم يتعاملون مع من لا يعرف للموتى حرمة ونبش القبور فكيف يحفظ حقوق الأحياء ويحترم تنوّعهم، كيف يطمئنون إلى مستقبل العلاقة مع مثل هذه العصابات؟، ومن الذي يضبط حركة هذه القنابل الموقوتة التي ليس لها كابح ولا ناظم ولا بوصلة أمينة، وإذا اعتقدت تلك الدول الغربية إنّ دعم هؤلاء يصبّ في مصالحها، فإنّ ذلك وهم وعمره قصير حتّى ينقلب السحر على الساحر، ولا يعرفون حينئذٍ كيف الخلاص، فلتراجع هذه الدول سياستها الداعمة لهؤلاء قبل أن تتورّط في المزيد.

إنّ هذه الأحداث المؤلمة والمقلقة لا يصح أن نتعامل معها كمفردات جزئية غير مترابطة، بل علينا أن نضع كلاً منها في مكانها من منظومة المشاريع الإستراتيجية والخطط التكتيكية، وهذا ما يجب أن تنتبه إليه شعوب المنطقة وخصوصاً الشعب العراقي الممتحن الصابر الذي يراد له أن يكون وقود هذه الخطة الشيطانية، منذ حلّ الاحتلال الغاشم أرضه عام ٢٠٠٣ مروراً بتفجير الروضة العسكرية عام ٢٠٠٦ والحرب الطائفية الشرسة الّتي تلته، والصراعات السياسية على السلطة والمغانم

التي تلبس ثوب الطائفتَين زوراً وبهتاناً حتّى الأحداث التي شهدتها محافظاتنا الحبيبة خلال الأشهر الماضية.

على شعوبنا:

١- أن تكون واعية وتتحلّى بالصبر وضبط النفس وأن تبتعد عن الانفعالات والاستفزازات وردود الفعل العاطفية.

٢- وأن تراجع في كل أفعالها إلى القيادات الحكيمة الرشيدة العارفة بملابسات الزمان والمكان.

٣- وعليها أيضاً أن تتمسّك بالروح الوطنية التي تؤلّف بين أبناء الوطن الواحد وتتجنّب التعصّب بكل اتجاهاته، وترفض مشاريع التقسيم والتجزئة والدويلات الضعيفة المتناحرة.

٤- وأن تعتمد الحوار لتحصيل حقوقها، وعلى الحكومات أن تحترم شعوبها وتعمل بصدق وإخلاص لإسعاد شعوبها وتعاملهم جميعاً على أساسٍ واحد وهي المواطنة وأن تصغي بصدق وشفافية للمطالب المشروعة لشعوبها.

٥- وبنفس الوقت عليها أن تكون مستعدّة لكل الاحتمالات، لأنّ أغلب اللاعبين على الساحة ليسوا من العقلاء فيحتمل منهم كلّ سيء.

أجارنا الله تعالى وإيّاكم من مظلات الفتن ومن شرّ شياطين الجنّ والإنس وأعاد كيدهم إلى نحورهم.

٢٣/ ج٢/ ١٤٣٤

٤ / ٥ / ٢٠١٣

خطاب المرحلة
(٣٧٢)

درس من حياة الإمام الباقر (عليه السلام) في ترتيب وضع الشيعة[١]

الإمام الباقر (عليه السلام) قلّما تُخصّص له المجالس والمحافل، وبمناسبة ذكرى ميلاده الميمون نستعرض صفحة من سفر حياته المباركة لنستفيد منها في حياتنا وواقعنا اليوم وهي رعايته لشيعته وترتيب أوضاعهم حينما سُلّطت الأضواء عليهم.

اشتد البلاء على الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) وأمعن معاوية في قتلهم وسجنهم ومصادرة أموالهم وتهديم دورهم وصارت قوافل الشهداء تساق إلى ساحات الإعدامات أفواجاً أفواجاً، وقبل ذلك كان الإمام الحسن (عليه السلام) يوفّر غطاءاً قوياً لحمايتهم بهيبته وشروطه التي أملاها على معاوية وعدم سكوته على انتهاكاته.

يصف الإمام الباقر (عليه السلام) ما مرّت به الشيعة في تلك الفترة بقوله (وقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطّعت الأيدي والأرجل على الظِنّة، وكان من يُذكّر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجِن أو نهب ماله، أو هدمت داره).[٢]

وسُئل (عليه السلام) كيف أصبحت؟ قال (عليه السلام) (أصبحتُ برسول الله (صلى الله عليه وآله) خائفاً، وأصبح الناس كلّهم برسول الله (صلى الله عليه وآله) آمنين).[٣]

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في الأول من رجب/ ١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٥/١٢ بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الباقر (عليه السلام).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١/ ٤٣.

(٣) ميزان الاعتدال: ١٦٠/٤ بواسطة موسوعة سيرة أهل البيت (عليهم السلام) للمرحوم الشيخ القرشي: ١٣٢/١٨ وكذا بعض المصادر الآتية.

وكان الشيعة يشكون إلى الأئمة ما يحلُّ بهم، وروى أبو بصير قال (قلت لأبي جعفر (عليه السلام) جُعلتُ فداك اسم سُمّينا به استحلّت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا قال: ما هو؟ قال الرافضة) فأجابه الإمام (عليه السلام) بما يطيّب خاطره ويخفّف عنهم آلامهم وقال (عليه السلام) (ذلك اسم قد نحلكموه الله) وشرح له منشأ التسمية فقال (عليه السلام) (إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسى (عليه السلام) فلم يكن في قوم موسى (عليه السلام) أحد أشدّ اجتهاداً ولا أشدّ حباً لهارون منهم فسماهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى أن ثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد نحلتهم).[1]

ولكن بلطف الله تعالى وبفضل السياسة الحكيمة للإمام السجاد (عليه السلام) وامتداد إمامته الشريفة (٣٤) عاماً تحوّل وضع الشيعة من قلة مستضعفين يتخطّفهم الأعداء إلى رقم صعب على الساحة، وواقع ممتد على طول البلاد الإسلامية وفيهم الفقهاء والعلماء وذوو النفوذ ممن رباهم الإمام السجاد (عليه السلام) ونشرهم في البلدان، وكان وجودهم يستمد القوة والمنعة من هيبة الإمام السجاد وامتلاكه قلوب جميع طوائف المسلمين، كما تشهد به واقعة انفراج المسلمين عند تقدمه لاستلام الحجر الأسود بينما عجز الخليفة الأموي بجيشه وبطشه عن تحقيق ذلك.

هذا الواقع الجديد الذي تسلّمه الإمام الباقر (عليه السلام) للشيعة وهي الجماعة المؤمنة بإمامته وقيادته والمطيعة لأوامره وتسليط الأضواء عليهم ووضعهم تحت الدراسة والنظر من جميع المراقبين للتعرف على هذه الجماعة الرصينة التي تجاوزت كل الكوارث وحافظت على وجودها ونمت وازدهرت أوجد مسؤوليات جديدة، منها:

---

(١) المحاسن للبرقي ١١٩ كتاب الصفوة والنور- باب٢٤: الرافضة، ح٩٢.

١- حفظ وحدة الجماعة وتماسكها ومنع حالات التشرذم والانقسام وهو ما نجح به الإمام الباقر (عليه السلام) تماماً حيث لم تنشق أي فرقة كما حصل بعده في الزيدية والإسماعيلية والواقفة والفطحية ونحوهم.

٢- التعريف بهوية الجماعة وخصائص من ينتمي إليها لكي يعمل بها الأتباع ويُميّز بها المندسّون والمنتحلون ولإقامة الحجة على من عاداهم وفارقهم لأنه سيبتعد عن هذا المنهج الرصين.

ومن كلماته (عليه السلام) في ذلك (ما شيعتنا ألا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون إلا بالتواضع والتخشّع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة، والبر بالوالدين وتعهّد الجيران من الفقراء، وذوي المسكنة، والغارمين، والأيتام وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس ألا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم والأشياء).[1]

وقال (عليه السلام) (إنما شيعة علي (عليه السلام) المتباذلون في ولايتنا، المتحابّون في مودّتنا، والمتزاورون لإحياء أمرنا، الذين إذا غضبوا لم يظلموا، وإذا رضوا لم يُسرفوا، بركةٌ على من جاورهم، وسلم لمن خالطوا).

وقال (عليه السلام) (ليُعِن قويّكم ضعيفكم، وليعطف غنيّكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصيحته لنفسه)[2] وقال (عليه السلام) (بلّغ شيعتنا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم وبأن يعود غنيّهم على فقيرهم، ويعود صحيحهم عليلهم، ويحضر حيّهم جنازة ميتهم، ويتلاقوا في بيوتهم، فإن لقاء بعضهم بعضاً حياةٌ لأمرنا، رحم الله امرءا أحيا أمرنا وعمل بأحسنه، وقل لهم: إنّا لن نغني عنهم من الله شيئاً إلا

(١) تحف العقول: ٢٩٥.

(٢) أمالي الطوسي: ٢٣٢.

بعمل صالح، ولن ينالوا ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد، وإن أشدّ الناس حسرة يوم القيامة لمن وصف عملاً ثم خالفه إلى غيره).[١]

٣- تحذيرهم من مخالفة توجيهات الإمام وتأويل كلامه بما يناسب أهوائهم ومصالحهم فيشوهون صورة الإمام وينفرون الناس من منهجه الشريف من أجل دنيا تافهة لأنّ الناس تنسب أفعال المنتمين لجماعة إلى رئيس تلك الجماعة حسنة كانت أو سيئة، وفي ذلك يقول (عليه السلام) (رحم الله عبداً حبّبنا إلى الناس، ولم يبغّضنا إليهم، أما والله لو يروون عنا ما نقول ولا يحرّفونه، ولا يبدّلونه علينا برأيهم ما استطاع أحدٌ أن يتعلق عليهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فينيط إليها عشراً، ويتأولها على ما يراه).[٢]

٤- تعليمهم التقية والتصرف بحكمة مع الآخرين وأن يبتعدوا عن المواقف العاطفية والعصبية والانفعالية ليحموا أنفسهم من الأعداء ويحافظوا على وجودهم واتساع أمرهم، قال (عليه السلام) (التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له).[٣]

وقال (عليه السلام) (اكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنّا، فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه، وإن اشتبه عليكم الأمر فقفوا عنده، وردّوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شُرح لنا).[٤]

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢٢٣.

(٢) عيون الأخبار وفنون الآثار ٢٢٣.

(٣) الكافي للكليني (٣٢٩ هـ) الجزء٢ صفحة٢١٩ باب التقية.

(٤) أمالي الطوسي: ٢٣٢.

وكان (عليه السلام) يتفقد الشيعة ويسأل عنهم ويحنو ويشفق عليهم ويقضي حوائجهم ويطيّب خواطرهم ويخفف آلامهم ويزرع الأمل في قلوبهم، وفد عليه جماعة من شيعته من خراسان وفيهم رجل اسمه زياد الأسود وقد تشققت رجلاه من المشي، فقال (عليه السلام) له: (ما هذا يا زياد؟) فذكر له زياد انه مشى على قدميه عامة الطريق لأن بعيره لا يقوى على حمله، فرقّ الإمام (عليه السلام) لحاله وبكى وقال له: أبشر فأنت والله معنا تحشر) فقال زياد: معكم يابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال (عليه السلام) (نعم، ما أحبّنا عبدٌ إلا حشره الله معنا، وهل الدين إلا الحب، إن الله تبارك وتعالى يقول في كتاب (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (آل عمران/٣١).[1]

وقال (عليه السلام) لجماعة من شيعته (إنما يغتبط أحدكم إذا بلغت نفسه هاهنا -وأومأ بيده إلى حلقه- ينزل عليه ملك الموت فيقول له: أما ما كنت ترجوه فقد أعطيته، وأما ما كنت تخافه فقد أمنت منه، ويُفتّح له بابٌ إلى منزله من الجنة فيقول له: انظر إلى مسكنك من الجنة فهذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) هم رفقاؤك، وهو قول الله عز وجل (الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ❖ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) (يونس/٦٣-٦٤)[2]، فهذه البشرى يتلقّاها في الحياة الدنيا قبل البشرى بنعيم الآخرة.

ومن حبّه (عليه السلام) لشيعته خصوصاً العلماء وحملة الحديث والرواية فقد أوصى ولده الإمام جعفر الصادق بهذه الرعاية الشاملة لكل شؤونهم وأن يغدق عليهم،

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢٢٦.

(٢) عيون الأخبار وفنون الآثار: ٢٢٧.

فقال له (يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً) فقال له الإمام الصادق (عليه السلام) (جُعلت فداك، والله لأدعنهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً).[1]

أيّها الأحبّة:

علينا اليوم أن نستفيد من هذه الصفحة المباركة من حياة الإمام الباقر (عليه السلام) لأن الشيعة اليوم تحت الأضواء بعد أن انطلقوا من القمقم الذي حبسه فيه أعداؤهم طيلة أربعة عشر قرناً وبهروا العالم بعدة أمور كشعائرهم المليونية وتاريخهم المشرق وهيكلية تنظيمهم الرصينة وسعة انتشارهم وطاعتهم لقيادتهم وتمسكهم بدينهم، وحركتهم الدؤوبة في توسيع مدرستهم وإقناع العالم بها وعمق جذورهم الفكرية وقدرتها على حل كل المشاكل التي تواجه البشرية وغيرها.

وهذا الوضع يلزمنا بمسؤوليات إضافية تجاه أنفسنا ومذهبنا وأئمتنا سلام الله عليهم، كتلك التي قام بها الإمام الباقر (عليه السلام) ، وهي بنفس الوقت فرصة عظيمة لنا أن تشملنا الألطاف الإلهية فنكون ممن اختارهم الله تعالى لتحمّل هذه المسؤولية المباركة.

---

(١) الإرشاد: ١٧٤/٢.

خطاب المرحلة

(٣٧٣)

الإمام الهادي (عليه السلام) يواجه أصحاب الدعاوى الباطلة [١]

تعوّدنا في ذكريات الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) أن نستطلع صفحة من سفر حياتهم الكريمة الغنيّة لنأخذ منها الدروس والعبر بما يرتبط بواقعنا المعاصر، وفي ذكرى استشهاد الإمام علي الهادي (عليه السلام) عاشر الأئمة الأطهار (عليهم السلام) نأخذ منه درساً في مواجهة أهل البدع والضلالات وأدعياء العناوين الدينية الزائفة.

ففي عدّة مصادر بسندهم عن أبي هاشم الجعفري -من ذرية جعفر بن أبي طالب- قال: ((ظهرت في أيّام المتوكّل امرأة تدّعي أنّها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال المتوكّل: أنت امرأة شابّة وقد مضى من وقت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما مضى من السنّين، فقالت: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) مسح على رأسي وسأل الله أن يردّ عليّ شبابي في كلّ أربعين سنة، ولم أظهر للنّاس إلى هذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت إليهم.

فدعا المتوكّل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش وعرّفهم حالها، فروى جماعة وفاة زينب بنت فاطمة (عليها السلام) في سنة كذا. فقال لها: ما تقولين في هذه الرّواية.

فقالت: كذب وزور، فإن أمري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت فقال لهم المتوكّل: هل عندكم حجّة على هذه المرأة غير هذه الرواية؟ فقالوا: لا. فقال أنا بريء من العبّاس أن لا أنزلها عمّا ادّعت إلاّ بحجّة.

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حضّار مجلسه العام يوم الثلاثاء ٣رجب١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٥/١٤.

قالوا: فأحضر ابن الرضا (عليه السلام) فلعلّ عنده شيئاً من الحجّة غير ما عندنا فبعث إليه فحضر فأخبره بخبر المرأة فقال: كذبت فإنّ زينب توفّيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا، قال: فإنّ هؤلاء قد رووا مثل هذه وقد حلفت أن لا أنزلها إلاّ بحجّة تلزمها.

قال: ولا عليك فها هنا حجّة تلزمها وتلزم غيرها، قال: وما هي؟ قال: لحوم ولد فاطمة محرمة على السباع فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها السباع، فقال لها: ما تقولين؟، قالت: إنّه يريد قتلي، قال: فها هنا جماعة من ولد الحسن والحسين (عليهما السلام) فأنزل من شئت منهم، قال: فوالله لقد تغيّرت وجوه الجميع فقال بعض المبغضين: هو يحيل على غيره لم لا يكون هو؟

فمال المتوكّل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع، فقال: يا أبا الحسن لم لا يكون أنت ذلك؟ قال: ذاك إليك، قال: فافعل! قال: أفعل فأتى بسلّم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسود فنزل أبو الحسن (عليه السلام) إليها فلمّا دخل وجلس صارت الأسود إليه فرمت بأنفسها بين يديه، ومدّت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح على رأس كلّ واحد منها ثمّ يشير إليه بيده إلى الاعتزال فتعتزل ناحية حتّى اعتزلت كلّها وأقامت بإزائه.

فقال له الوزير: ما هذا صواباً فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر خبره، فقال له: يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً وإنّما أردنا أن نكون على يقين ممّا قلت فأحب أن تصعد، فقام وصار إلى السلّم وهي حوله تتمسّح بثيابه.

فلمّا وضع رجله على أوّل درجه التفت إليها وأشار بيده أن ترجع فرجعت وصعد، فقال: كلّ من زعم أنّه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس، فقال: لها المتوكّل: انزلي.

قالت: الله الله ادّعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضرّ على ما قلت، فقال المتوكّل: القوها إلى السبّاع فاستوهبتها والدته)).[1]

أقول نستخلص من هذه الرواية عدّة دروس:

١- تفاعل الإمام (عليه السلام) الايجابي مع قضايا الأمة ومشاكلها وتحدّياتها وحضوره الميداني في وسط الأمة، لا كما نشهده من السلبية والانكماش والانعزال الذي رسّخته المرجعية والحوزة التقليدية فهذا منهج مبتدع وبعيد عمّا سار عليه الأئمة الأطهار.

إن الأئمة ونوّابهم بالحق هم سفن النجاة ومصابيح الهدى فإذا لم يكونوا حاضرين في الميدان مع الأمة فإلى من تلتجئ؟ وممن تأخذ الحل؟ ومن المسؤول عن ضلالها وتشوشها وانتشار الفساد والانحراف فيها؟.

٢- تفرّد أهل البيت (عليهم السلام) بالمناقب والفضائل التي حباهم الله تعالى بها، بحيث لا يضاهيهم أحد مما يؤكد استحقاقهم للإمام والخلافة بما فضّلوا به على الخلق أجمعين رغم أنوف الشانئين والحاسدين ، لذلك تجد الأمة تفزع إليهم في كل معضل ومشكل (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن) وكما قال الفراهيدي في جوابه على من سأله عن استحقاق أمير المؤمنين (عليه السلام) للإمامة والخلافة قال (لحاجة كلّ الخلق إليه واستغنائه عنهم جميعاً).

٣- فشل المتقمصين للخلافة وعجزهم وافتضاح أمرهم في كلّ مشكلة تواجههم والشواهد على ذلك كثيرة، وفي ذلك حجّة على من يتّبعهم ويواليهم ويعطيهم المشروعية، وبدلاً من معالجتهم لهذه المشاكل والصعوبات التي يعاني منها الناس تجدهم يرسّخونها وينشرونها لكي يشوّشوا فكر المجتمع ويشغلوه بهذه الفتن ولا يلتفت إلى مظالم الحكّام واستبدادهم واستئثارهم بمقدرات الأمة فبالرغم من

---

(١) الخرائج والجرائح: ٤٠٤/١ باب معجزات الإمام الهادي (عليه السلام)، ح١١ ومصادر أخرى.

أن المتوكّل يقطع بأنّ هذه المرأة ليست بنت علي وفاطمة ويمكنه كرئيس دولة قوية ومتنفّذة أن يتحرى عن أصل هذه المرأة وأبويها ومن أيّ مدينة إلاّ أنّه تمادى في نشر هذه الفتنة ويقسم على (أن لا أنزلها عمّا ادعت إلا بحجة) وهو يتمكّن من دحض قولها بالتعرّف على هويتها.

٤- معرفة المدّعين لهذه العناوين الدينية بأنّهم كاذبون ومفترون وإنّ ما يقولونه زور وبهتان كهذه المرأة التي ادّعت أنّها بنت علي وفاطمة (عليهما السلام) وهكذا كلّ المدعين لذلك تجدهم يعترفون عندما تضغطهم الحجّة والدليل، ويتعرّضون للعقوبة لكنّهم يراهنون على جهل الناس وسذاجتهم وتسطيح عقولهم وخداعهم بأمور تشتبه عليهم فتتبعهم الناس من دون تعقّل ورويّة ودقّة نظر فيكونون من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً.

٥- وممّا يحتاج إلى الدراسة والتأمّل أسباب نزوع هؤلاء إلى هذه الإدّعاءات مع معرفة كذبهم في قرارة أنفسهم وعظيم جنايتهم إذ يضل خلق كثير بسببهم، وقد عبّرت هذه المرأة بدقّة عن السبب وهو قولها ((حملني الضرّ على ما قلت)) فإنّها في فاقة وحاجة ولم تجد سبيلاً لسدّها فالتجأت إلى الخداع بهذه الفريّة لتستهوي قلوب بعض العامّة ويغدقون عليها بالأموال، وقد يكون السبب عند غيرها حبّ الجاه والنفوذ والتسلّط على رقاب الناس وغيرها.

٦- اعتماد لغة الحوار والدليل والإقناع للرد على المعاندين والمدّعين وأصحاب الشبهات والضلالات ومقارعة الحجة بالحجة، ما لم ينتقل الطرف الآخر إلى العمل المسلّح الذي يفسد في الأرض، أو يكون خطره عظيماً بأن ينسب الفتن والبدع التي يفتريها من عنده إلى نفس الإمام المعصوم وإلى مدرستهم الشريفة.

فقد أمر الإمام الهادي (عليه السلام) بقتل عدد من أمثال هؤلاء كقوله (عليه السلام) في ابن بابا القمي (يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً، وأنّه بابٌ عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان

فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد: إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل، فإنّه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة).[١]

ومنهم فارس بن حاتم، يروي محمد بن عيسى بن عبيد: ان أبا الحسن العسكري (عليه السلام) أمر بقتل فارس بن حاتم وضمن لمن قتله الجنة، فقتله جُنيد، وكان فارس فتّاناً يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة، فخرج من أبي الحسن (عليه السلام): (هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتاناً داعياً إلى البدعة، ودمه هدرٌ لكل من قتله، فمن هذا يريحني منه ويقتله، وأنا ضامن له على الله الجنّة).[٢]

ويروي جنيد أن الإمام الهادي (عليه السلام) بعث إليّ فدعاني فصرت إليه، فقال (آمرك بقتل فارس بن حاتم) فناولني دراهم من عنده وقال اشترِ بهذه سلاحاً فاعرضه عليّ) إلى آخر الرواية.[٣]

أيّها الأخوة:

هذا درس من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) نستلهمه ونهتدي به في هذا الزمن الذي كثرت فيه الدعاوى وكثر المدّعون كالدعوات المرتبطة بالإمام المهدي (عليه السلام) أو دعوات الانتساب إلى ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله) بدون بيّنة سوى ظنون لا تغني عن الحقّ شيئاً، ودعاوى أصحاب النور والأعمال الروحانية وأصحاب الكرامات، مضافاً إلى هذه القبور الوهمية التي تظهر بعدد هائل بعنوان أنّها لأولاد وبنات المعصومين (عليهم السلام).

---

(١) رجال الكشي: ٥٢٠/ ٩٩٩.

(٢) (٣) رجال الكشّي: ٥٢٤/ ١٠٠٦.

والهدف من كل هذه الدعوات التي يعرف أصحابها قبل غيرهم كذبها هو الضحك على عقول الناس لخلق نفوذ وجاه وأتباع واستدرار الأموال طمعاً في هذه الدنيا الدنيّة.

وفي ذلك تشويش لعقائد الناس وتشويه لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وتجهيل للناس واستخفاف بهم ممّا يخدم مشاريع أعداء الإسلام ويفتح الطريق لهم بيسر ليستعبدوا المجتمعات الإسلامية فعلينا جميعاً أن نتأسّى بالإمام الهادي (عليه السلام) وكلّ الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ونقف بحزم وشجاعة وحكمة أمام هؤلاء المدّعين ونفضحهم ونكشف زيف دعاواهم.

خطاب المرحلة

(٣٧٤)

مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تتناهى كأعدائه[١]

مما جاء في القصيدة الأزرية[٢] المشهورة:-

يا ابن عم النبي أنت يد الله ... التي عمَّ كل شيء نداها
خصّك الله في مآثر شتى ... هي مثل الأعداء لا تتناهى

(١) محاضرة ألقيت بمناسبة ذكرى ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في ١٣/ رجب/ ١٤٣٤ المصادف ٢٤/ ٢٠١٣/٥.

(٢) القصيدة الأزرية تناهز الألف بيتاً من الشعر ضاع منها حوالي نصفها، وهي ملحمة رائعة يندر وجود مثلها سُميت بقرآن الشعر أودع ناظمها المرحوم الشيخ كاظم الأزري فيها سيرة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ومناقبهم وفضائلهم وفيها تاريخ حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومناقبه وفضائله بالتفصيل، ويحكى عن صاحب الجواهر (قده) انه كان يتمنى لو وضعت القصيدة الأزرية في ميزان أعماله ليلقى الله تعالى بها، ويضع كتابه الموسوعي العظيم (جواهر الكلام) في ميزان الأزري الذي توفي عام ١٢١١ هجرية وقيل ١٢٠١.

وقد خمّسها الشيخ جابر الكاظمي المتوفى سنة ١٣١٣هـ نذكر بعضا منها لينتشي متذوقو الأدب:

إن ربـاً أولاه أعظم مَنٍّ ... وحباه بكل حسنى وحُسن
هو مذ شاء خلق إنس وجنٍّ ... قلبَ الخافقين ظهراً لبطنِ
فرأى ذات أحمد فاجتباها
ضمنت منه طيبة خير رمس ... مستجاراً أمسى إلى كل نفس
إن يبدِّد به سما كل شمسِ ... لستُ أنسى له منازل قدسِ
قد بناها التقى فأعلى بناها
بهم المعجزات زادت بروزاً ... بعدما كان كنزها مكنوزا
فئة للغيوب حلّت رموزاً ... لم يكونوا للعرش إلاّ كنوزا
خافيات سبحان من أبداها

حقاً أن فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) ومناقبه فاقت الحصر هذا مع جهلنا وقصورنا، وبمقدار ما وصل إلينا، قال بعضهم ((إن أولياء علي (عليه السلام) أخفوا مناقبه خوفاً وأخفاها أعداؤه حسداً وظهر بين هذا وذاك ما ملأ الخافقين))، يكفي أن نلتفت إلى واحدة من مناقبه (عليه السلام) وهو قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يوم الخندق (ضربة علي لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين الجن والإنس) وهي مطلقة لكل الجن والإنس إلى يوم القيامة، فهذا الحديث وحده يجعل ميزان أمير المؤمنين (عليه السلام) مفتوحاً للمزيد من الشرف والرفعة إلى يوم القيامة.

والمفروض أن إنساناً كاملاً له كل هذه الفضائل والخصال الكريمة أن يعشقه الناس ويذوبوا في حبّه، وقد عشق علياً فعلاً كثيرون ممن عرفوا شيئاً من فضله وسمّو ذاته واخلاقه، وذابوا في حبِّه حتى من غير المسلمين كما هو معروف، لكن الغريب أن يكثر أعداء علي (عليه السلام) بشكل عجيب حيث أبدع الأزري في تسجيل هذه المفارقة من خلال التشبيه بين فضائل علي (عليه السلام) وأعدائه في الكثرة، بحيث ورد في بعض كلماته (عليه السلام) قوله (فنظرتُ فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضَنِنتُ بهم عن الموت، وأغضيتُ على القذى وشربت على الشجن وصبرتُ على أخذ الكظم وعلى أمرَّ من طعم العلقم)[1]، حتى سُبَّ على المنابر سبعين عاماً، وتتبّعوا أولاده وشيعته قتلاً وتعذيباً وتشريداً، ولم تسلم من حقدهم حتى مراقدهم الشريفة، يقول الشاعر في هدم المتوكل العباسي لقبر الحسين (عليه السلام) ومحو آثاره:

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبّعوه رميماً

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢٦.

وجرائمهم المعاصرة في تفجير الروضة العسكرية المطهّرة ونبش قبر الصحابي الشهيد حجر بن عدي، ويتباهون بتلك الجرائم حيث يظهر أحدهم في الصور وهو يلوك قلب[١] أحد الجنود ليؤكّد انتماءه إلى تلك الفئة الباغية الضالة.

هذه الظاهرة الغريبة الموغلة في الانحطاط البعيدة عن منطق العقل والحكمة تستحق الدراسة لمعرفة الأسباب.

ويمكن أن نسجّل هنا عدة أسباب أدّت إلى كثرة أعداء أمير المؤمنين(عليه السلام):

١- ان علياً (عليه السلام) يمثل الحق، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (علي مع الحق والحق مع علي)[٢] والناس تكره الحق قال تعالى (بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ) (المؤمنون/٧٠) (الزخرف/٧٨)، وتروى عنه كلمته (عليه السلام) (ما أبقى لي الحق من صديق).

روى في كنز العمال أن عمراً سأل من تستخلفون بعدي فذكروا رجالاً منهم علي بن أبي طالب فقال ((إنكم لعمري لا تستخلفونه، والذي نفسي بيده لو استخلفتموه لأقامكم على الحق وإن كرهتم))[٣]

كان لا يجامل ولا يداهن في الحق، فيعمل به وان عاداه الناس او تسبَّب في تفرق اصحابه، ومن كلماته (عليه السلام) (لا تزيدني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عنّي

---

(١) صُدم العالم بظهور صور فيديوية لأحد قادة المعارضة البارزين في سوريا وهو قائد كتيبة عمر الفاروق المستقلة في مدينة حمص غرب سوريا المدعو أبو صقار وهي من أبرز فصائل الجيش الحر وهو يقطع قلب وكبد أحد قتلى القوات النظامية السورية ويأكلهما وظهر وهو يقول (سنأكل قلوبكم وأكبادكم يا جنود بشار الكلاب) وقد أحرج الفلم الإئتلاف السوري المعارض ودول الغرب التي تدعمه خصوصاً أمريكا التي تتحدث هذه الأيام عن احتمالات تسليح المعارضة كما ظهر في صور أخرى وهو يطلق صواريخ على مناطق شيعية في لبنان محاذية للحدود.

(٢) راجع مصادره من كتب العامة في كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ٢/١٣٥-١٣٩.

(٣) كنز العمال: ٦/ ١٥٧، ح ٣٣٠١٦.

وحشة) روى الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (بعث علي بن ابي طالب (عليه السلام) إلى بشير بن عطارد التميمي في كلام بلغه عنه، فمرّ به رسول علي (عليه السلام) إلى بني أسد، فقام إليه نعيم بن دجاجة -وقيل خارجة- الأسدي- وروي أنّه كان من شرطة الخميس - فأفلته، فبعث إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فآتوه به، فأمر به أن يضرب، فقال له نعيم: أما والله إنّ المقام معك لذلّ وان فراقك لكفر، قال: فلما سمع ذلك علي (عليه السلام) قال له: قد عفوت عنك، إن الله تعالى يقول: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) (المؤمنون/٩٦) أما قولك إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها، وأما قولك إن فراقك لكفر حسنة اكتسبتها فهذه بهذه).[1]

٢- عدله (عليه السلام) مما سبّب حنق أصحاب الامتيازات والنفوذ والاستئثار والطبقيّة، وألبوا الناس عليه (عليه السلام)، وحينما جلس الستة أهل الشورى للتداول في أمر الخلافة بعد مقتل عمر ووافقوا أن يبايعوا علياً بشرط أن يعمل بسيرة الشيخين التي أوجبت التمايز والطبقية وهو ما رفضه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصرّ على أن يعمل بكتاب الله تعالى وسيرة رسوله (صلى الله عليه وآله) فتركوه وبايعوا عثمان.

وبعد وصوله (عليه السلام) للخلافة عبّأوا الجيوش لقتاله بتلك الأموال التي جنوها من السياسة غير العادلة، ولم يستمع (عليه السلام) إلى من أشار عليه بإبقاء معاوية في الشام وإعطاء طلحة والزبير العراق لدفع فتنتهم ولما عوتب (عليه السلام) على التسوية في العطاء قال (عليه السلام): (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليتُ عليه، لو كان المال لي لسوّيت بينهم فكيف وإنما المال مال الله).[2]

---

(١) رجال الكشي: ٦٠.

(٢) نهج البلاغة/ الخطبة ١٢٣.

ومن كلام له (عليه السلام) بعد أن ردَّ على المسلمين ما منحه عثمان من أراضٍ عامة (والله لو وجدتُه قد تُزُوِّجَ به النساء ومُلِكَ به الإماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق).[1]

٣- الحسد، لسمو منزلة علي حتى كان نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله)بنص الاية الشريفة آخاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأشركه في أمره وجعله إماماً وهادياً من بعده وألزم الأمة بولايته وهذه المناقب التي لا تحصى والدرجات الرفيعة أوجبت كثرة الحسّاد والمبغضين، قال تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ) (النساء/٥٤) وقد فسّرتها الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في الكافي (نحن الناس المحسودون على ما أتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين)[2] واعترف غاصبوه حقّه في الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأن قريش كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم فتذهب بالفخر كله.

وفي ذلك قال الشاعر مخاطباً أمير المؤمنين (عليه السلام):

إن يحسدوك على علاك فإنّما متسافل الدرجات يحسدُ من علا

٤- انه (عليه السلام) كان ناصحاً للأمة يبيّن لها طريق الرشاد ويصحّح أخطاءها ولا يجامل ولا يداهن، والناس لا يحبون من ينصحهم ويهدي إليهم عيوبهم قال تعالى (وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) (الأعراف/٧٩) وكان (عليه السلام) يوصي ببذل النصيحة مطلقاً، قال (عليه السلام) (أمحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة)[3] ويدعو إلى تقبّل النصيحة ولو كانت مرّة لقوله (عليه السلام) (مرارة النصح أنفع من

(١) نهج البلاغة/ الخطبة ١٥.
(٢) الكافي: ١/١٥٩ ح١.
(٣) نهج البلاغة، الكتاب/٣١.

حلاوة الغش)[١] ويقول الإمام الباقر (عليه السلام) (اتبّع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتّبع من يضحكك وهو لك غاشّ).[٢]

٥- خبث المعدن والأصل وسوء السريرة فيتحول إلى باطن خبيث يكره خصال الخير والنبل والكمال، لذا كان حب علي (عليه السلام) ميزاناً يميِّز بين من أصله طيّب أو خبيث، فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن علي (عليه السلام) (والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمي إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق)، وروى الترمذي في صحيحه بسنده عن أم سلمة قالت (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا يحبّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن).[٣]

٦- المصالح الدنيوية والامتيازات والانسياق وراء الشهوات، فيرى اللاهثون وراء هذه الدنيا الزائلة أنّ علياً (عليه السلام) حجر عثرة في طريقهم وقد عبّر (عليه السلام) عن هذه المخاوف المتبادلة بقوله (عليه السلام) حينما ودّع صاحبه البار أبا ذر الغفاري (لقد خفتهم على دينك وخافوك على دنياهم)، إنّ كثيراً ممن حاربوا علياً وأعلنوا عداوته يعترفون في السر بعلّو منزلته وقد سجل التاريخ الكثير من هذه الاعترافات لمعاوية وعمرو بن العاص وغيرهما، سُئل مروان بن الحكم عن قتالهم لعلي (عليه السلام) وسبّه على المنابر وهل أنّه كان فعلاً شريكاً في قتل عثمان، قال مروان ((والله إنّ علياً أبرأ الناس من دم عثمان ولكن لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بسبّ علي)).[٤]

---

(١) غرر الحكم/ ٩٧٩٩.

(٢) المحاسن: ٤٤٠/٢ ح٢٥٢٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، صحيح الترمذي: ٢٩٩/٢ وراجع مصادره لدى العامة في فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢٥٣/٢.

(٤) من مصادره لدى العامة:

هذا ما سجلناه من دواعٍ وأسباب، ولعله توجد غيرها يكتشفها المتتبع، ولكن ماذا كانت النتيجة، قال تعالى : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال/٣٠٩) فكانوا كلما أوغلوا في معاداة علي (عليه السلام) وسبّه على المنابر والافتراء عليه والانتقاص منه كان علي (عليه السلام) يرتفع ويزداد تألّقاً حتّى اعترفوا بذلك فقال قائلهم ((لقد سببنا علياً سبعين سنة على المنابر فكأننا كنّا نأخذ بضبيعه ونرفعه إلى السماء)).[1]

هذه الظاهرة المؤلمة في حياة البشر تتكرر أيضاً بدرجات متفاوتة طبعاً مع كل الأنبياء والرسل والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) ومع العلماء الربانيين العاملين المخلصين ولنفس الأسباب المتقدّمة، ممّا يوجب الحسرة الألم والاستنكار والاستغراب قال تعالى (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) (يس/٣٠).

لذا على العاملين الرساليين أن لا يستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه وأن لا يشعرهم كثرة أعدائهم بالإحباط واليأس فهذا دليل نجاحهم وتأثيرهم في الناس، ولو كانوا فاشلين ولا يمتلكون القدرة على الإصلاح والتغيير لما عاداهم أحد ولا حسدهم أحد.

---

(١) الضبع وسط العضد من اليد.

خطاب المرحلة

(٣٧٥)

الإمام الكاظم (عليه السلام) وتكثير النسل[١]

توجد ظواهر عديدة ملفتة للنظر في حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) منها كثرة ذريّته حتّى عدّت له المصادر سبعة وثلاثين ولداً من الذكور والإناث من زوجات شتّى كلهنّ أمّهات ولد أي من الجواري اللواتي كان الإمام يشتريهنّ ويعتقهنّ ثمّ يتزوّج بهنّ، هذا رغم قصر عمره الذي لم يمتد أكثر من ٥٥ عاماً قضى شطراً كبيراً منها في سجون الملوك العباسيين تجاوزت عشر سنين.

وهذه الظاهرة -أي تكثير النسل- يكفي في فهم مبرراتها استحبابها شرعاً وتوجد أحاديث كثيرة للحثّ عليها، كرواية الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): تزوّجوا فإنّي مكاثرٌ بكم الأمم غداً في القيامة حتّى أن السقط يقف محبنطئاً على باب الجنة فيقال له: ادخل، فيقول: لا حتى يدخل أبواي قبلي).[٢]

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: (ميراث الله من عبده المؤمن الولد الصالح يستغفر له)[٣].

وروى أحد أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام): إني أحببت طلب الولد منذ خمس سنين، وذلك أن أهلي كرهت ذلك وقالت: إنّه

---

(١) كلمة ألقيت من قناة النعيم الفضائية بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) في ٢٥/ رجب/ ١٤٣٤ المصادف ٥/ حزيران/ ٢٠١٣.

(٢) وسائل الشيعة باب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب١ ح١٤.

(٣) المصدر، باب ٢، ح٦.

يشتد عليّ تربيتهم لقلّة الشيء، فما ترى؟ فكتب إليّ: اطلب الولد فإنّ الله رازقهم).[١]

وفي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّ أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع ومشفّع، فإذا بلغوا اثنتي عشر سنة كُتبت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات).[٢]

وفي حديث عن الرضا (عليه السلام) (اما علمت أن الولدان تحت العرش يستغفرون لآبائهم، يحضنهم ابراهيم وتربّيهم سارة في جبل من مسك وعنبر وزعفران).[٣]

ولعل هذا أحد الوجوه التي تفسّر اقدام المعصومين (عليهم السلام) على تكثير الزوجات حتّى بلغت عند النبي (صلى الله عليه وآله) تسعاً وعند أمير المؤمنين (عليه السلام) ثمان، وإنّما سُمّيت الزهراء (عليها السلام) بالكوثر لأنّ الله تعالى أكثر ذريّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها، واستشهدت وهي في الثامنة عشرة من عمرها ولها الحسن والحسين والعقيلة زينب (صلوات الله عليهم أجمعين) وأسقطت المحسن، فالإمام الكاظم (عليه السلام) جرى على سنّة أجداده الطاهرين وهو أولى الناس بهم.

ويضاف إلى هذا الوجه العام وجه خاص وهو وجود عدة شواهد تشير إلى خطة ستراتيجية وضعها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) وساروا عليها تستهدف تكثير نسل آل أبي طالب بعد واقعة كربلاء رداً على سياسة الاستئصال والاجتثاث التي اتّبعها معهم أعداءهم تحت شعار (لا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية) بحيث خلت بيوت بأكملها من الرجال كدور عقيل بن أبي طالب والعباس بن أمير المؤمنين وأخوته الذين استشهدوا جميعاً في كربلاء.

---

(١) المصدر، باب ٣، ح١.

(٢) المصدر، باب ١، ح١.

(٣) المصدر، أبواب مقدمات النكاح، باب ١٦، ح٢.

سُئل الإمام السجاد (عليه السلام) عن سبب حنوّه الزائد على آل عقيل فقال (عليه السلام) (إنّي اذكر يومهم مع أبي عبد الله (عليه السلام) فأرقّ لهم).[١] ولما قدّم له المختار أموالاً كثيرة بنى بها دور عقيل التي هدّمها الأمويون[٢].

فكان للإمام السجاد (عليه السلام) خمسة عشر ولداً بين ذكر وأنثى وتولّى (عليه السلام) تربية الولد الوحيد الذي تركه عمّه العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو عبيد الله وزوّجه بنته خديجة وجمع له معها ثلاث حرائر من بنات الأشراف يقصد بذلك تنمية نسل عمّه العبّاس[٣].

وكان الإمام الكاظم (عليه السلام) يقبل هدايا هارون العباسي ويقول: (والله لولا إني أرى من أزوّجه بها من عزّاب بني أبي طالب لئلاّ ينقطع نسله ما قبلتها أبداً)[٤].

هذه شواهد على السياسة الممنهجة أو الإستراتجية التي خطط لها الإمام الكاظم (عليه السلام) ليحبط مشروع الأعداء في إنهاء هذا البيت الطاهر وأثمرت خطوات الإمام الكاظم (عليه السلام) عن هذا العدد الهائل من السادة الأشراف وفيهم الكثير من مراجع الدين والعلماء والقادة والمفكّرين والصلحاء وأعلام الأمّة.

إنّ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) مدعوّون لبذل الوسع في تكثير النسل لعدّة مبررات منها:

١- الأخذ بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) وتلبية رغبتهم التي نقلتها الأحاديث الشريفة المتقدمة.

---

(١) كامل الزيارات: ١٠٧.

(٢) سيرة أهل البيت (عليهم السلام) للشيخ القرشي: ١٥/ ٢٠١.

(٣) بطل العلقمي للمظفّر: ٣/ ٣٦٩.

(٤) الوسائل،كتاب التجارة، أبواب ما يكتسب به، باب ٥١، ح١١.

٢- إنّ فيها استجابة لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/٢٤).

وفي الذريّة حياة مستمرة للإنسان حتّى يوم القيامة قال الشيخ الصدوق في الفقيه (روي أنّ من مات بلا خلف فكأنّ لم يكن بين الناس، ومن مات وله خلف فكأنّه لم يمت)[١].

٣- الذرية مصدر لكثير من الطاعات للوالدين حتى بعد موتهم كحديث السقط الذي تقدم في الروايات الشريفة، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في المرض يصيب الصبي، قال(عليه السلام): (إنّه كفّارة لوالديه)[٢]، ويلخص النبي (صلى الله عليه وآله) بعض هذه الطاعات بقوله (إنّ ولد أحدكم إذا مات أُجر فيه، وإن بقي بعده استغفر له بعد موته)[٣] والحديث النبوي المشهور (إذا مات المرء انقطع عمله إلاّ من ثلاث) أحدها ولد صالح يدعو ويستغفر له.

وفي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إن الله ليرحم الرجل لشدة حبّه لولده)[٤].

وروى الإمام الصادق (عليه السلام) قال (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مرّ عيسى بن مريم (عليه السلام) بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو لا يُعذّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل وهو يعذّب، ومررت به العام فإذا هو ليس يُعذّب،

---

(١) الوسائل، كتاب النكاح، أبواب أحكام الأولاد، باب١، ح١٠.

(٢) -١٢ المصدر باب١ ح١٢، ١٣.

(٤) المصدر باب٢ ح٧.

فأوحى الله إليه أنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً فلهذا غفرت له بما عمل ابنه).[1]

٤-إن اتباع أهل البيت (عليهم السلام) هم الجماعة الخيّرة الطيّبة التي اختارها الله تعالى لتحتضن ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وتحافظ على الإسلام الأصيل فتكثيرهم اعزاز للدين والولاية وتثبيت لقيم الخير والإنسانية في هذه الأرض فالخير منهم مأمول والشر منهم مأمون، فهم كالشجرة الطيبة المثمرة التي تكون هي أولى بالتكثير.

٥- إن في تكثير الشيعة نصرة للإمام الموعود (عليه السلام) وتقوية لأركانه وتمهيداً لظهوره المبارك، تطبيقاً لقوله تعالى (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) (الأنفال/٦٠) وأعظم قوة نعدّها لنصرة الإمام (عليه السلام) هي هذا النسل المبارك لأنّ الموارد البشرية هي أعظم الموارد التي تحرص الدول على تحصيلها فاستكثروا منه ما استطعتم.

٦- إنّ الشيعة في المنطقة مستهدفون بحرب إبادة واجتثاث كما تشهد به الوقائع الجارية خصوصاً عندنا في العراق وقد فقدنا خلال العقود الأربعة الماضية أكثر من مليون ونصف المليون من الرجال الذين تزهو بهم الحياة في حروب عبثية وإعدامات ومقابر جماعية في عهد النظام المقبور ثمّ في المفخّخات والتفجيرات وأنواع آلات القتل والتدمير.

وفي ضوء المعطيات المتقدمة لا يسع اتباع أهل البيت (عليهم السلام) السائرين على نهجهم من الرجال والنساء إلاّ أن يبذلوا وسعهم في تحقيق هذه الغاية الشريفة والرغبة الأكيدة للمعصومين (عليهم السلام)، ومهما قيل من مبرّرات للإكتفاء بواحد أو اثنين من الأبناء فإنّها لا تصمد أمام هذه المعطيات، إلاّ أن يكون السبب خارجاً عن

---

(١) المصدر باب٢ ح٥.

الإختيار كما لو جرى القضاء الإلهي بذلك، قال تعالى (وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً) (الشورى/٥٠) أو حصلت موانع صحيّة قاهرة ونحوها.

والسؤال الآن هو بأي عدد من الذرية يتحقّق معنى تكثير النسل؟ والجواب إنّه يتحقق بأربعة على الأقل، لأنّ الزوجين إذا أنجبا اثنين -ذكوراً او اناثاً- فإنّهما لم يزيدا شيئاً فإن اثنين ولدا اثنين، ثمّ هما يحتاجان إلى واحد آخر لتعويض حالات النقص في المجتمع لأنّ كثيراً يموتون في عمر الطفولة أو الصبى أو الشباب قبل الزواج بالموت الطبيعي أو الحوادث كالتفجيرات وحوادث السير أو في الحروب ونحوها، أو يتزوّجون ولكن لا ينجبون أو ينجبون دون العدد، فيحصل نقص في المعدّل يسدّه انجاب الثالث، ويتحقق التكثير بالرابع، وكلما زاد على ذلك كان أفضل وأقرّ لعين رسول الله (ﷺ).

لقد حاولت حكومات الغرب إقناع الشعوب بتحديد النسل وتقليله لكنهم أصيبوا بكارثة حيث بدأ عدد السكّان ينخفض وارتفع عدد المسنين في المجتمع، والجدل الآن دائر عندهم عن كيفية معالجة هذه المشكلة.

واتّبعوا سياسة (التعقيم) في بلاد المسلمين قبل عقدين أو أكثر وفق آليات معيّنة كشفت عنها بعض الوثائق السريّة المسرّبة وحدّدوا مدداً معيّنة حتى يثمر مشروعهم الشيطاني وسارت على هذا المنهج

بعض الدول الإسلامية -كالجمهورية الإسلامية في إيران- حيث تبنّت الحكومة[1] في نهاية الثمانينات سياسة تقليل الإنجاب لمنع الانفجار السكّاني -كما قيل- الذي أعتبر السبب في ارتفاع نسبة البطالة وانخفاض مستويات التعليم ونوعية المعيشة -بحسب التقرير- حيث أن معدل النمو تجاوز الذروة بما يقدر بـ ٣,٢ ٪ بعد

(١) المعلومات من تقرير نُشر على المواقع الالكترونية بتاريخ ٢٠١٣/٤/٢٢.

انتصار الثورة الإسلامية وتشجيع الإمام الخميني الراحل (قدس) على كثرة الإنجاب لبناء جيش الـ٢٠ مليون مسلم.

لكن بعد عشرين عاماً أظهرت الإحصاءات أن معدل عدد الأطفال المولودين لكل امرأة يصل إلى ١,٦ أي أقل من ٢,١ الذي يعتبر الحد الأدنى المطلوب في الدول الصناعية لتجنب الانخفاض في عدد السكان، لذا تحرّكت القيادات الإيرانية منذ العام الماضي للتشجيع على الإنجاب من جديد.

ونحن نعتقد أنّ تكثير النسل ليس السبب في تلك المشاكل التي أشار اليها التقرير لأنّه عملية مباركة مثمرة تعود بالازدهار على الفرد والمجتمع، وأنّ أقوى الموارد التي تمتلكها الدول هي الموارد البشرية، خذ الصين مثلاً فإنّ سكّانها تجاوز المليار ومئتي مليون، واقتصادها في نمو مضطرد أقلق الدول الصناعية الكبرى.

والغريب أن الزوجين يبذلان كل ما عندهما من أجل تحصيل الولد، وقد يسافران إلى دول بعيدة لتحقيق ذلك، لكن من يرزقهما الله تعالى الولد يتوقفان عن إنجاب المزيد مراعاة لأوضاع معيّنة، كالوضع الاقتصادي والمعيشي، وقد تقدم في الرواية عن الإمام الكاظم (عليه السلام) عدم الإصغاء لمثل هذه المبرّرات، وقال تعالى (إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه) (النور/٣٢) والوارد في الروايات عكس ذلك فإن الرجل يُرزق إذا تزوج وأنجب، عن الإمام الصادق (عليه السلام) (الرزق مع النساء والعيال)[1]، فتكثير الإنجاب أحد أسباب الرزق للفرد والازدهار للدولة، وتقليل الإنجاب لأجل تخفيف الأعباء الاقتصادية وغيرها تفكير خاطئ لدى الدولة والفرد على حد سواء.

إن المنع من الإنجاب سواء كان بالطرق الطبيعية أو بالعلاجات بلا مسوّغ معقول ومقبول يتطابق بالنتيجة مع قتل الإنسان الموجود فكلاهما يحرم الأمة من هذا

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب مقدماته وآدابه، باب١١ ح٤.

الوجود الذي جعله الله تعالى خليفته في أرضه قال تعالى (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم) (الإسراء/٣١) (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) (الأنعام/١٥١).

ولا نغفل أيضاً عن قتل معنوي آخر من خلال إهمال تربية الأطفال تربية صالحة فيصبحوا أفراداً سيئين منحرفين وربما يتحولون إلى مجرمين ويجلبون الشر للمجتمع، ومن أمثلتها أيضاً الهجرة إلى الغرب وعموم بلاد الكفر وتعريض الأبناء لتلك الضغوط والمغريات والشهوات فيبتعدون عن الدين ويلتحقون بالمجتمعات الضالة فهذا كله قتل معنوي للإنسان على خلاف ما أراده الله تعالى ورسوله.

ولأجل تحقيق الإنجاب لمن ليس عنده ذرية ولتكثير النسل فقد علَّم الأئمة (عليهم السلام) شيعتهم أعمالاً لعلّها تكون سبباً لرزقهم بالأولاد منها:

١- رفع الصوت بالآذان في المنزل، روى هشام بن ابراهيم صاحب الإمام الرضا(عليه السلام) (أنه شكى إلى أبي الحسن (عليه السلام) سقمه وأنه لا يولد له فأمره أن يرفع صوته بالآذان في منزله، فقال : ففعلت، فأذهب الله عني سقمي وكثر ولدي).[1]

٢- الاستغفار، ففي الكافي شكا الابرش الكليني إلى أبي جعفر-الباقر- (عليه السلام) أنه لا يولد له وقال له علمني شيئاً، فقال له: استغفر الله في كل يوم (أو) في كل ليلة مائة مرة فإن الله عز وجل يقول (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ❖ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ❖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ) (نوح/ ١٠-١١-١٢) وفي رواية أخرى (فإن نسيته فاقضه).[2]

٣- الدعاء، سواء بالنصوص المذكورة في القرآن الكريم أو كتب الأدعية لطلب الولد كقوله تعالى (رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) (آل عمران/٣٨) وقوله

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، أبواب احكام الأولاد، باب١١ ح١.

(٢) المصدر، باب ١٠ ح١- ٣.

تعالى (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) (الفرقان/٧٤) وقوله تعالى (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (الأنبياء/٨٩) أو تدعو بأي شيء يعبّر عمّا في قلبك.

٤- التوسّل بالمعصومين (سلام الله عليهم) وتوجد حكايات موثوقة كثيرة لمؤمنين توسّلوا إلى الله تعالى بالزهراء (عليها السلام) أو بالحسين (عليه السلام) أو بالإمام الرضا (عليه السلام) فتحقّق مرادهم فيما طلبوا.

هذا درس نستفيده من حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) أحببنا بيانه لأن فيه إدخالاً للسرور على النبي وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين)، ولأنه يدلّنا على تكليف مهم موجّهٍ إلينا فاعتبروا يا أولي الأبصار.

خطاب المرحلة

(٣٧٦)

إخراج الزكاة: الآثار العظيمة وعاقبة الترك[١]

انتهى موعد حصاد الحنطة والشعير هذا العام بإنتاجٍ وفير تجاوز مليون طن من الحنطة ومائة وسبعين ألف طن من الشعير، رغم ما تعرضت له بعض المحافظات من أمطار غزيرة وسيول أتلفت جزءاً كبيراً من المحصول بسبب مشاكل خزنية وتسويقية وسياسية[٢] لسنا الآن بصدد بيان تفاصيلها.

إنّ هذه النعم تلزمنا شكر الخالق المنعم الذي شمل برحمته كلّ مخلوقاته حتى من لم يعرفه ومن لم يطلب منه بل حتى على من عصاه وناواه، وبالشكر تدوم النعم كما ورد في الحديث الشريف، قال تعالى (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم/٧) فهذه وسيلة من يريد استزادة النعم والخيرات.

ومن تمام شكر النعمة أداء حقوقها، لكن الملفت للنظر والمثير للتعجّب غفلة هؤلاء المزارعين عن إخراج الحقّ الشرعي عصياناً لقوله تعالى (وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) (الأنعام/١٤١) وقوله تعالى (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات/١٩) فقد فرض الله تعالى في الغلات الزراعية وفي الثروة الحيوانية زكاة قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ) (التوبة/١٠٣) وفي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (لما نزلت آية الزكاة خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا.. في شهر رمضان، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مناديه فنادى في الناس: إن الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة

(١) حديث سُجّل لقناة النعيم الفضائية يوم الأربعاء ٢/شعبان/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٦/١٢.

(٢) قام المزارعون بحصد المحاصيل وتأخرّت مخازن وزارة التجارة في تسلّمها، وكان الوزير من التحالف الكردستاني قد علّق حضوره في اجتماعات الحكومة لخلافات مع الحكومة المركزية.

كما فرض عليكم الصلاة)[1] وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (ولو أنّ الناس أدوا حقوقهم لكانوا عايشين بخير) وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) (حصّنوا أموالكم بالزكاة) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (إنّ الله عزّ وجل فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلاّ بأدائها وهي الزكاة) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ولو أنّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له، وإنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا وجاعوا ولا عروا إلاّ بذنوب الأغنياء، وحقيقٌ على الله تبارك وتعالى أن يمنع رحمته ممّن منعه حقّ الله في ماله، وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق أنّه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلاّ بترك الزكاة) وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إنّ الزكاة جُعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام، فمن أعطاها طيب النفس بها فإنّها تجعل له كفّارة، ومن النار حجاباً ووقاية، فلا يُتبعنها أحدٌ نفسه ولا يكثرنّ عليها لهفه، وإنّ من أعطاها غير طيب النفس بها، يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسُنّة مغبون الأجر ضال العمل طويل الندم)

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه ملكاً من خزّان الجنّة فيمسح صدره ويسخّي نفسه بالزكاة).

ومن وصية لأمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (الله الله في الزكاة فإنّها تطفئ غضب ربّكم).

وفي الحديث الشريف قال (شابٌ سخي مرهق في الذنوب أحبّ إلى الله عز وجل من شيخ عابد بخيل) ويشرح حديث آخر معنى السخي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (من أدّى ما افترض الله عليه فهو أسخى الناس) وفي حديث عن أبي جعفر الباقر

---

(١) الروايات المذكورة من وسائل الشيعة، كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ١، ٢، ٣.

(عليه السلام) قال (إنّ الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ) (البقرة/٤٣) فمن أقام الصلاة ولم يُؤت الزكاة فكأنّه لم يقم الصلاة).

وإنما تجب الزكاة في الغلات الزراعية ضمن شروط معيّنة ذكرها الفقهاء (قدس الله أرواحهم) في الرسائل العملية، ومنها بلوغ النصاب وهو (٨٤٧) كيلوغرام فإذا كان الحاصل أقل من ذلك فلا زكاة عليه، فإذا بلغت الغلّة مقدار النصاب وجبت فيه الزكاة ومقدارها (١٠٪) من الحاصل إذا كانت المزروعات تسقى بشكل طبيعي من دون آلة سيحاً بالمطر أو بفيضان النهر ونحوها، وتكون الزكاة بنسبة ٥٪ إذا كان السقي بالآلات.

ومن الأحاديث الشريفة المتقدمة نستطيع تلمس عدة آثار مباركة لإخراج الزكاة:

١- إنّها من أعظم القربات إلى الله تعالى وانها مقرونة بالصلاة.

٢- توجب المحبة الإلهية للعبد وشموله بالرحمة العظيمة.

٣- إنّها تُطفئ غضب الرب، وتوجب كفّارة الذنوب وإنها حجاب ووقاية من النار.

٤- إنّها اختبار يعطي فرصة للعبد لكي ينجح فيه فيستحق الجائزة، فبدون خوض الامتحان لا يرتقي الإنسان إلى مرحلة أعلى وأكمل، وإنّ امتحان إخراج شيء من المال صعبٌ على الإنسان لكنّه منتج ومثمر، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ما بلى الله عز وجل العباد بشيء أشد من إخراج الدرهم).

٥- انها سبب لزيادة النعم ودوامها.

٦- تحصّن المال من التلف والخسارة، وإنّ من يبخل بالزكاة يخسر أكثر منها من المال بتلف أو سرقة أو خسارة فيخسر الدنيا والآخرة.

٧- تقضي على الفقر وتنمي الاقتصاد وتزدهر بها أحوال الناس، لأنّ الناس إذا كانوا فقراء فإنّهم لا يمتلكون قدرة على الشراء فيصاب السوق بالكساد، فإذا

توفّر لديهم المال تحرّك السوق وعاد بالنفع على نفس دافعي الزكاة وسائر الحقوق الشرعية وهذه الحقيقة يعرفها دافعوا الضرائب في الدول الصناعية والبنوك العالمية المموّلة.

وهذا الكلام يجري في إخراج سائر الحقوق الشرعية كالخمس وردّ المظالم لوضوح انطباق الأحاديث الشريفة عليها.

وإذا لم تكفِ هذه الروايات والآثار المباركة على إخراج الزكاة لتحفيز الناس وتحريكهم نحو إخراجها فلنقرأ في مقابل ذلك ما ورد من تحذير شديد من مغبة التخلّف عن دفع الحقوق الشرعية ففي الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (ما من عبدٍ منع من زكاة ماله شيئاً إلاّ جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه ينهش من لحمه حتّى يفرغ من الحساب، وهو قول الله عز وجل (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (آل عمران/١٨٠) يعني ما بخلوا به من الزكاة).

وقد طرد النبي (صلى الله عليه وآله) جماعة من المسجد وحرمهم من الصلاة معه لأنّهم لم يؤدّوا حقوق أموالهم، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال (بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المسجد إذ قال: قم يا فلان قم يا فلان، قم يا فلان، حتّى أخرج خمسة نفر، فقال: أخرجوا من مسجدنا لا تصلوا فيه وأنتم لا تزكّون).

وفي حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) (من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً) وفي حديثٍ عنه قال (من منع قيراطاً من الزكاة فليس مؤمن ولا مسلم، وهو قول الله عز وجل (... رَبِّ ارْجِعُونِ ❖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون/٩٩-١٠٠).

أيها الأحبة أمام هذه الأحاديث الموجبة للزكاة والمبيّنة لآثارها المباركة، والعاقبة المظلمة لتاركها لا يسع الإنسان إلاّ المبادرة لإخراجها بالنسبة التي ذكرناها، وليس

من الضرورة إيصالها إلى المرجعية الدينية فيجوز لصاحبها توزيعها على الفقراء المحتاجين أو المساهمة بها في المشاريع الخيرية والتي تخدم الصالح العام، كبناء مركز صحّي أو قنطرة لعبور الناس أو مدرسة أو محطّة تصفية المياه ونحوها مع الالتفات إلى أن الهاشمي الذي ينتسب إلى رسول الله (ﷺ) لا يجوز له أخذ الزكاة من غير الهاشمي، ويجوز العكس.

فما يمنع أحدكم من مساعدة أقربائه ومعارفه المحتاجين من الزكاة فيدخل السرور عليهم ويقضي حوائجهم وبنفس الوقت يؤدي هذه الفريضة العظيمة التي بها نماء لأموالكم وتحصين لها ونيل لرضا الله تبارك وتعالى.

إنّ الذي دفعنا إلى توجيه هذا الحديث إرشادكم إلى هذه الطاعة العظيمة المقرّبة إلى الله تبارك وتعالى ولما رأيناه من غفلة الغالبية العظمى من الناس عن هذه الفريضة ومن واجبنا إرشادهم ونصحهم وهدايتهم والله الموفّق.

خطاب المرحلة
(٣٧٧)

ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم[١]

يبحث الإنسان بطبعه وفطرته عن الأمور المعنوية والكمالات الروحية، ويظنّ أنه يحصل عليها من خارجه فيتحرك نحو الأسباب الموجبة لها بحسب ظنّه، لكنه يكتشف أنه لم يصل إلى ما يريد، لأنه لا يعلم إنها موجودة في باطنه وداخل نفسه فعليه استثارتها واستخراجها من داخله، فالساحة الأولى للعمل والميدان الأول للانطلاق هي النفس، حكي عن أمير المؤمنين قوله (ميدانكم الأول أنفسكم فحاسبوها قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر)، وهذا المعنى مكرّر كثيراً في كلمات المعصومين (عليهم السلام) حتى أصبح متواتراً كقول علي (عليه السلام): (سياسة النفس أفضل سياسة).[٢]

خذ مثلاً السعادة التي هي مطلوب كل إنسان والغاية التي يريد أن يصل إليها، يظن كثير من البشر أنها في كثرة المال، والحياة المترفة أو في مواقع السلطة والنفوذ، أو أنها في قضاء الوقت في اللهو والمتعة، ونحو ذلك، وقد تتحقق لهم بذلك لذة وراحة آنية لكنهم يشعرون في النهاية أنهم لم يحققوا السعادة المرجوّة، ولا نستغرب من وجود أعلى نسب للانتحار والمصابين بالأمراض النفسية في دول الغرب المترفة مادياً.

وهذا شيء طبيعي لأن السعادة من الأمور المعنوية التي لا تتحقق بالأسباب المادية للزوم وجود مشاكله بين الأسباب والنتائج فلا تصلح الأسباب من عالم

---

(١) كلمة سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في تجمع أئمة الجمعات في محافظات العراق يوم الأحد ٢٠ شعبان ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٦/٣٠.

(٢) غرر الحكم: ٥٥٨٩.

معين لتحقيق نتائج في عالم آخر وهكذا كل الأمور المعنوية لابد أن تتحقق بأسباب معنوية من سنخها -بحسب المصطلح- كالمعرفة بالله تعالى التي هي أصل الدين والغرض من إيجاد الإنسان (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) فإنها تنبع من داخل النفس بتهذيبها وكبح جماحها وشهواتها إلاّ فيما أحلّ الله ورخّص ففيه، وتطهير القلب من الرذائل الخلقية كالحسد والغل والحقد والأنانية، حينئذٍ تشرق المعرفة الإلهية في قلب الإنسان، ورد في الحديث (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) فالطريق إلى معرفة الله تعالى يمرّ عبر معرفة النفس وما يصلحها ويهذّبها.

والتوفيق أيضاً استعداد في النفس للاستجابة لداعي الهداية فمن طلبها، عليه أن يوفّر أسبابها في نفسه، ومن لا تتوفر فيه لا تزيده الموعظة والإرشاد والنصيحة إلاّ عتوّا واستكباراً، قال تعالى (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة/ ١٢٤-١٢٥) وقال تعالى (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً) (المدثر/٣١) فأسباب الهداية والتوفيق تعرض على الجميع لكن المواقف إزاءها متباينة بحسب الجهة الغالبة في النفس هل هي جنود الرحمن أم جنود الشيطان، ومن لا يناله التوفيق والهداية فبسببه وهو الذي لم يؤهل نفسها لتلقيها (نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ) (التوبة/٦٧) كذبذبات الراديو والتلفزيون أو اتصالات الأجهزة المحمولة فإنها موجودة في الفضاء إلاّ أنّه لا يستقبلها إلا الجهاز الذي يحمل المواصفات المناسبة لتلك الموجات.

وهكذا النصر والغلبة إنما ينطلق من داخل النفس فمن انتصر على نفسه وعزّز قواه المعنوية الداخلية من التقوى والصبر والمصابرة كان هو المنتصر حقيقة، ومن

عاش الهزيمة في داخله فلم يلتزم بما أمره الله تعالى كان هو المهزوم في الخارج، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ) (القرآن/١٥٥).

وكذلك الحرية والعزة والكرامة يحياها الإنسان في داخله فتنعكس على حياته الخارجية في المجتمع، من مناجاة أمير المؤمنين (إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي ربا) فالعزة كلها في تحرير النفس مما سوى الله تعالى، (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (المنافقون/٨)، ولا يُستعبد الإنسان والمجتمع من قبل الطواغيت والمستكبرين إلا بعد أن تتكبل نفوسهم بأغلال الخوف والجهل والطمع والشهوة والوهم والشك والتمرد فيصبح سلس القياد لغيره، قال الله تعالى (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) (الزخرف/٥٤) فإن فرعون لم يستعبد قومه ويصادر حرياتهم ويستخف بعقولهم إلا بعد أن أصبحت نفوسهم أسيرة الشهوات والخوف والقلق.

ومحل الشاهد من هذه الفكرة تطبيقها على علاقتنا بإمامنا المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه) (فحينما نطلب في الدعاء (اللهم إنا نرغب إليك بدولة كريمة...) فهذا لا يعني أن أملنا يتحقق ودعاءنا يستجاب بقيام حكومة يترأسها وتضمّ رجالاً يرفعون لافتات إسلامية أو يتظاهرون بالارتباط بالمرجعية الدينية، وإنما تتحقق الدولة الإسلامية بأن نعيش الإسلام في كل تفاصيل حياتنا ونحكّمه في كل أمورنا وقضايانا وتصرفاتنا {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}النساء٦٥،وهذا واضح من أوصاف هذه الدولة في الدعاء (تُعزُّ بها الإسلام وأهله، وتُذلُّ بها النفاق وأهله) ووصف الله تعالى الذين يقومون بشؤون هذه الدولة الكريمة بقوله سبحانه (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا

عَنِ الْمُنكَرِ) (الحج/٤١) فلا تكون الدولة كريمة إلا حينما يكون رعاياها أحراراً يعيشون بعزة وكرامة وأعداؤهم أذلاء مقهورين.

وقد يتحقق هذا المعنى للدولة الكريمة عند المؤمنين وهم بعيدون عن الحكم وليس لهم في السلطة نصيب، كما كان عند أهل البيت (سلام الله عليهم))[1]

((وهكذا فحينما ندعو لإمامنا المهدي (عليه السلام) بالفرج وتعجيل الظهور فان الفرج الحقيقي يبدأ من داخل أنفسنا حينما نهذّبها بطاعة الله تبارك وتعالى وتسير نحو الكمال، وإلا فما الذي نجنيه من ظهور الإمام (عليه السلام) إذا لم نحقق هذه الدرجات في داخلنا؟ ربما سنكون في الصف المعادي له أو مع المتخاذلين عن نصرته حرصاً على مصالح دنيوية أو وضع اجتماعي أو مكاسب سياسية ونحوها.

فالدولة الكريمة والفرج يبدأن من داخل النفس ثم يشرقان على الآخرين فإذا عاش المجتمع أجواءً إسلامية وكان سلوكه إسلامياً، وتفكيره مبنياً على أساس الإسلام فهذه هي الدولة الكريمة وهذا هو الفرج الحقيقي.

وهذا لا يتحقق إلا بمواصلة العمل الدؤوب على صعيد تهذيب النفس وعلى صعيد إقامة المشاريع الإسلامية الإصلاحية في المجتمع وإدامتها وأن لا يكتفي بالعمل الارتجالي الذي دافعه وهج العاطفة أو ردود الأفعال)).[2]

(ففي الكافي عن أبي بصير قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جُعلت فداك متى الفرج؟ فقال: يا أبا بصير وأنت ممن يريد الدنيا؟ من عرف هذا الأمر فقد فُرّج عنه لانتظاره).

((ولا يخفى ما في جواب الإمام (عليه السلام) من توبيخ لمن ينتظر الفرج طلباً للدنيا مثلاً لكي يكون الحكم لأتباع أهل البيت (سلام الله عليهم) فتكون له حصة من

---

(١) خطاب المرحلة: ٣/ ١٢٩.

(٢) خطاب المرحلة: ٣/١٣٠.

(الكعكة) كما يقولون فيكون الوصول إلى الحكم غاية وهدفاً وليس وسيلة لإحقاق الحق وإقامة العدل فيقع أمثال هؤلاء في الظلم والانحراف ولا يحققون الهدف المنشود، وهذا أحد وجوه معنى الرواية الشريفة (كل راية قبل المهدي فهي راية ضلالة) لأنها تتحرك لتغيير الظالم وأخذ موقعه والتمتع بالجاه والسلطة والثروة وليس لتغيير الظلم وخدمة الناس وإصلاح أحوالهم وتأسيس الدولة الكريمة التي تضمن الحياة السعيدة لكل إنسان.))[1]

وننـدب الإمام (عليه السلام) وندعوه لإزالة الظلم والجور وإقامة العدل (أين المعدُّ لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان)، ولا يكون الإنسان جزءاً من هذه الحركة المباركة إلاّ إذا أقام حياته وعلاقاته على العدل والإنصاف الآخرين، فليراجع الإنسان نفسه هل هو عادل في علاقته مع زوجته وأسرته ووالديه أو جيرانه أو أصدقائه في العمل أو من هم في رعايته إذا كان في مواقع المسؤولية، أم إنه جائر عليهم مقصر في حقوقهم ويظلمهم كالذي يحصل كثيراً في مجتمعنا؟ وحينئذٍ فلا يمنّي نفسه بإتباع الإمام والانخراط في جماعته الميمونة.

---

(١) خطاب المرحلة: ٤/ ٣٧٠- ٣٧١.

خطاب المرحلة

(٣٧٨)

تفسير أمير المؤمنين (عليه السلام) لثورات الشعوب ...

ثورة الشعب المصري نموذجا[١]

من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) في تفسير الأحداث التي أدّت إلى مقتل الخليفة عثمان، قال (عليه السلام): (وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع)[٢]

وقال (عليه السلام) في خطبته الشقشقيّة (إلى أن قام ثالث القوم نافجا حِضنيه - وهي تصوير للمتكبر- بين نثيله - وهو الروث - ومعتلفه- وهو موضع العلف أي أن همَّه هذان – وقام معه بنو أبيه يخضمون – وهو أشدّ من القضم الذي هو بطرف الأسنان – مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث فتلهُ، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته – أي بطره أو بطانته وهو حاشيته-)[٣]

يعطي الإمام (عليه السلام) باختصار قانونا وقاعدة تفسّر سقوط الحكام وثورات الشعوب عليهم، وهو الاستئثار والتفرد والاستبداد بالأمور وتقريب خواصّه من الأقرباء والمتملّقين والمنتمين لحزبه أو عشيرته ويغدق عليهم ويطلق أيديهم في المال العام ومؤسسات الدولة ، وهؤلاء ظلمة لا إنصاف لهم ولا رحمة فتحرم الغالبية

---

(١) كلمة كتبها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) فجر يوم الخميس ٢٤ شعبان ١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٧/٤ وألقاها من خلال قناة النعيم غداة إعلان القوات المسلحة عن عزل الرئيس المصري محمد مرسي ووضع خارطة طريق لمرحلة انتقالية استجابة لملايين المتظاهرين الذين تجمعوا منذ يوم ٦/٣٠ حتى مساء ٧/٣.

(٢) نهج البلاغة: خطبة (٣٠)

(٣) نهج البلاغة: خطبة (٣)

العظمى من الشعب من حقوقها، فيصبرون ويتململون ويشكون حتى إذا فقدوا القدرة على الصبر والتصبّر ثاروا و انتفضوا وسحقوا الحكام وأزالوهم.

هذه المعادلة التي حكمت دوما العلاقة بين الشعوب والحكومات المستبدّة، لكن سكر الملك ولذة السلطة والنفوذ والنفس الفرعونية التي يتخذها صاحبها إلها (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) (الجاثية/٢٣) تأبى الإذعان لهذه الحقيقة ولا تتعظ بالتجارب السابقة والأمثلة الكثيرة حتى تكبو وتسقط ويقضي عليها ما جنته.

لذلك كان أمير المؤمنين (عليه السلام) ينبّه ولاته وعماله إلى هذه الحقيقة ويحذّرهم من هذا السقوط فمن عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر لمّا ولاّه مصر (فاملك هواكَ، وشُحَّ بنفسك عما لا يحلُّ لك، فان الشُحَّ بالنفس الإنصاف منها في ما أحبَّت أو كرِهَت واشعر قلبكَ الرحمة للرعية، والمحبّةَ لهم واللطف بهم، ولا تكوننَّ عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم) وقال (عليه السلام) : (أنصفِ اللهَ، وأنصفِ الناسَ من نفسك، ومن خاصةِ اهلك، ومن لك فيه هوىً من رعيّتك، فإنك ألاّ تفعل تظلِم، ومن ظلم عِباد الله كان اللهُ خصمَهُ دونَ عباده، ومن خاصمه الله أدحضَ حجّته، وكان لله حرباً حتّى ينزع أو يتوب) وقال (عليه السلام) (وليكن أحبّ الأمور إليكَ أوسطَها في الحقّ وأعمّها في العدل واجمعها لرضى الرعيّة فإنّ سُخط العامة يُجحفُ برضا الخاص، وإنّ سُخطَ الخاصة يُغتفر مع رضى العامة) (وإنّما عماد الدين وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، العامةُ من الأمة، فليكُن صغوكَ لهم وميلك معهم).[1]

هذا هو دور الشعب وهكذا يؤسس أمير المؤمنين (عليه السلام) لما اتفقت عليه الدول المتحضرة اليوم من سيادة الشعب وكونه مصدر السلطات ومانح الشرعية والرجوع إليه في شؤونه حيث وصفه (عليه السلام) بأنه عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء.

---

(١) نهج البلاغة ج٣ (خطبة ٢٩١)

استحضرت كل هذه المعاني ووجدتها صادقة –وكيف لا تكون كذلك وقائلها أمير المؤمنين (عليه السلام)- ومطابقة للواقع وأنا أتابع غضبة شعب مصر وثورته وهو ينزل بالملايين إلى شوارع القاهرة وسائر المدن المصرية في مشهد قد لا نجد نظيراً له ليستعيد مصر ويحرّرها من خاطفيها الذين تلفّعوا باسم الإسلام ليحققوا مآربهم في الوصول إلى السلطة، وليرفع غطاء الشرعية عن من منحه إياها قبل عام[1] بسبب عدم البصيرة والاستعجال في الأمور.

لقد تنكّر الرئيس المعزول لشعبه وشركائه ونكث عهوده ولم يبذل الجهد الكافي لإصلاح أحوال الشعب وحلّ مشاكله بل زادها تأزّماً لعدم أهليته ولأنّه وحزبه انشغل بالاستبداد والاستئثار بالأمور وقادوا عملية واسعة للسيطرة على مفاصل الدولة كلّها من أعلى المناصب إلى ما هو دونها لينشئوا ديمقراطية مزيّفة تعيدهم إلى السلطة باستمرار في كل انتخابات لأن أدوات الوصول إليها من المال والإعلام والمناصب والوظائف ستكون كلّها بأيديهم، وبحسب تصريح أحدهم فقد قرّروا عدم إعطاء السلطة لغيرهم قبل مرور ثمانين عاماً أي بعمر تأسيس حزبهم، وكأنّهم يعترفون بذلك أنّ غرضهم من معارضة الحكومات السابقة هو نيل الدنيا وليس الآخرة كما هو المفروض في أدبياتهم ويريدون أن يأخذوا جزاء كلّ سنة من عمر معارضتهم سنة في لذّة السلطة الزائلة.

وكما قيل أنّهم فشلوا في كلّ شيء ولم ينجحوا إلاّ في جمع الشعب بكل فئاته على رفضهم والمطالبة برحيلهم، وبالغوا في النكاية بالشعب حين صمّوا آذانهم عن سماع صوته والنزول إلى رغبته ولو بإجراء استفتاء شعبي على بقائهم في السلطة

---

(١) وصل مرسي مرشح الإخوان المسلمين إلى كرسي الرئاسة بعد جولتين من الانتخابات وأعلنت النتائج الثانية يوم ٣/شعبان/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٦/٢٤ وفاز على منافسه بنسبة ٥١,٧٣٪.

وهو خيار دستوري، وذهب الحزب أبعد من ذلك حينما استخفّ بمعارضيه وقدرتهم على حشد الرأي العام وهدّد بالعنف وسفك الدماء.

لقد شخّص الشعب المصري بوعيه وحرارة ثورته في وقت مبكّر وقبل مرور عام على تولي الحزب المعزول أنّ بلدهم في خطر وتأريخهم في خطر ووحدتهم في خطر وكلّ مصالحهم الحيوية والإستراتيجية من الأمن والاقتصاد والثقافة والتنوّع الاجتماعي في خطر، حتّى عقيدة الشعب المصري المبنيّة على التسامح والأخوة والنقاء بدؤوا بمسخها وتشويهها وقسّموا الشعب المصري إلى طوائف وأعراق ودرجات، والإسلاميين إلى درجات واعتبروا حزبهم هو الجنس الأرقى وينظرون إلى الآخرين باستعلاء وازدراء، وغذّوا العنف والكراهية وأسّسوا أو اجتذبوا عدة خطوط من جماعات العنف وتصفية الخصوم، وما الحادث الوحشي المريع الذي أدّى إلى استشهاد المرحوم الشيخ حسن شحاتة ورفاقه[1] عنّا ببعيد، بعد تحريض شديد ضد الشيعة، وأُريدَ لمثل هذا الحادث أن يكون نذر شؤم لحرب طائفية طاحنة لم يعرفها الشعب المصري من قبل، من دون أن يكلّف النظام نفسه بالتحقيق في القضية ومعاقبة الفاعلين وهم معروفون مشخّصون بالصوت والصورة فجنوا على أنفسهم وقُتلوا بسيف البغي والظلم الذي سلّوه لتصفية خصومهم، وفي الحديث (لو بغى جبل على جبل لتدكدك).

---

(١) بينما كان يشارك المرحوم الشيخ شحاتة في احتفال أقيم في زاوية أبي مسلم بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام المهدي (عج) ليلة الاثنين ١٤ شعبان ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٦/٢٤ هجم المئات من المتعطشين للقتل المشحونين بفتاوى التكفير والمزوّدين بأدوات جارحة وعصي على المنزل ودمّروه ثم انهالوا على المجتمعين طعناً وضرباً فقتلوا الشيخ شحاتة وأربعة آخرين وجرحوا (٣٥) ومزّقوا أجسادهم وسحلوهم بعد الموت.

والشيخ شحاتة من كبار الدعاة إلى ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) في مصر وغيرها منذ اعتناقه لهذا المذهب قبل أكثر من عقدين.

وكانت القوات المسلّحة واعية أيضاً للتحريف الخطير في عقيدتها التي لا تزال تُدرّس إلى اليوم في أكاديمياتها على أن العدو الأوّل هو الكيان الصهيوني، وإذا بالنظام يتحوّل إلى خادم للمصالح الأمريكية والصهيونية بشكل وصف بأنه أكثر من الرؤساء السابقين المتهمين بالانبطاح والاستسلام للكيان الغاصب، ويجعل العدو الأول المعارضين له في الرأي والمخالفين له في العقيدة من أبناء وطنه، وإثارة الفتن والقلاقل في الدول الأخرى حين دعوا إلى التخلص من الشيعة والجهاد في سوريا، فلا نستغرب من الضغوط الأمريكية على الجيش والشعب ليتراجع عن رفضه للنظام، وتكرار النظام وأنصاره لكلمة الشرعية في خطاباتهم بشكل ممل[1] ليوحي للعالم أنّ الشرعية والديمقراطية مهدّدة في مصر استجلاباً لعطفه، ولكن ذلك كلّه لم ينفعهم.

إن الخسارة الكبرى التي يتحمّل وزرها هذا الحزب الذي اتّخذ من الإسلام شعاراً له ليس في فقد منصب الرئيس وقيادة البلاد ولا في محاكمة رموز الحزب ومثولهم أمام القضاء في تهم عديدة، وإنّما في خيانتهم للمشروع الإسلامي وفشلهم في تقديم الإسلام على أنّه الحلّ الوحيد لإنقاذ الناس من المشاكل والعقد وإدارة شؤون الحياة وإقامة دولة العدالة وحقوق الإنسان، ممّا يُعرِّض جهود وتضحيات العلماء والمفكّرين والشهداء إلى الضياع وبذلك فقد أحبطوا كلّ أملٍ في إقناع الشعوب بقيادة الإسلام للحياة في كلّ شؤونها، فهل تستحق شهوة السلطة والحكم والاستحواذ على المال العام على مدى سنة واحدة هذه الخسارة الإستراتيجية التي يصعب النهوض منها؟.

---

(١) قال أحد المراقبين أن كلمة الشرعية تكررت (١٥٨) مرة خلال عشر دقائق من خطاب الرئيس مرسي الأخير عشية عزله.

وهذه الانتكاسة المريرة المؤلمة سبّبها لنا غيره أيضاً من الأحزاب الإسلامية التي تمكّنت من السلطة بشكلٍ أو بآخر في دول المنطقة ومنها العراق، فإن أعظم قلقنا من انتكاس المشروع الإسلامي بسبب حماقات وأنانية ولؤم من يرفع شعاراته مكراً للوصل إلى السلطة.

إنّنا ننصح أحبتنا وأشقاءنا في مصر أن لا يتعجلوا الأمور لكيلا يقعوا في نفس الخطأ قبل عام فيأتي من يختطف منهم نصرهم وثورتهم ويركب الموجة مستغلا عدم وضوح الرؤية وعدم وجود خارطة طريق تفصيلية فيركب الموجة ويصادر جهد الجماهير وتضحياتهم كما اختطف الحزب المعزول انتصار ١١/شباط/٢٠١١.

ونحذّرهم من أن تدعوهم قدرتهم وسيطرتهم إلى ظلم أحد أو تصفية أحد لكونه معارضاً بالرأي ومخالفاً في العقيدة والتوجه السياسي

فليستفيدوا من أهل الخبرة من الوطنيين المخلصين في كل المجالات ليضعوا لهم برنامج يؤسس لدولة متحضرة تُحترم فيها إرادة الإنسان وكرامته وتوفّر له أسباب الحياة السعيدة التي يستحقها شعب مصر العريق الطيب المنجب.

(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد/٧) (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت/٦٩).

خطاب المرحلة
(٣٧٩)

تعاملوا في حياتكم بإيجابية[١]

قال الله تبارك وتعالى مخاطبا نبيه الكريم (ﷺ) {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} ﴿الأنبياء : ١٠٧﴾ وقال تعالى {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} ﴿الكوثر: ١﴾ والكوثر تعني الخير الكثير، وقال تعالى على لسان زكريا في دعائه لطلب الولد {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} ﴿مريم : ٦﴾ وقال على لسان عيسى بن مريم {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} ﴿مريم : ٣١﴾ أي كثير البركة و العطاء، ونحو ذلك من الآيات التي ضمت مجموعة من صفات الإنسان الصالح ويجمعها الوصف الذي نطلقه على المؤمن بانه (خَيِّر) وهي من صيغ المبالغة أي لا ترى منه إلا الخير، لذا وصفته بعض الاحاديث الشريفة بانه (الخير منه مأمول والشر منه مأمون).

ووردت احاديث كثيرة تدعوا إلى ان يكون الأنسان مصدر خير وعطاء وعنصرا مثمرا في المجتمع كالاحاديث التي تحث على السعي في قضاء حوائج الناس ومساعدتهم وإدخال السرور[٢] عليهم ورفع الأذى عنهم وفعل المعروف لجميع الناس بغضّ النظر عن الدين أو القومية أو النسب ونحو ذلك وتذكر لهذه الأعمال الإنسانية الصالحة ثوابا عظيما يفوق اكثر العبادات أهمية.

---

(١) حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع حشد كبير من الطلبة الجامعيين الذي أقاموا العشر الأواخر من شهر رمضان في النجف الأشرف ضمن برامج عبادي توعوي، والتقاهم سماحته يوم الاثنين ٢٧/رمضان/١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣/٨/٥.

(٢) اذكر حديثا واحدا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (فوالذي وسع سمعه الأصوات ، ما من احد أودع قلبا سرورا ألا وخلق الله له من ذلك السرور لطفا، فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه ، كما تطرد غريبة الابل) (نهج البلاغة/ الحكمة ٢٥٧)

وأكمل الشارع المقدس هذه الصورة الحسنة لسلوك المؤمن فطالبهُ بالعفو والصفح عن إساءة الآخرين، قال تعالى {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} ﴿النور : ٢٢﴾ وامر بنسيان إساءة الآخرين وكأنها لم تقع وان يبقى دائما يتذكر إحسان الآخرين اليه بل دعا الى مقابلة السيئة بالحسنة {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} ﴿فصلت : ٣٤﴾ ، كما امر بان يكون على عكس ذلك في العلاقة مع نفسه، وذلك بان يتذكر دائماً أساءته للآخرين حتى يكون رادعا عن تكرارها، وان ينسى إحسانه للآخرين حتى لا يحصل عنده شعور بالعجب والمنّ و التفضّل عليهم فيمنعه ذلك من الاستمرار في فعل المعروف، ففي الحديث الشريف (انسى اثنين : إحسانك إلى الغير وإساءة الغير اليك، واذكر اثنين: أساءتك إلى الغير وإحسان الغير اليك)

وطلب الشارع المقدس أن تختار الأحسن والأفضل للآخرين عندما تكون بين خيارين أو بين موقفين أو سلوكين فأمر بان تحمل فعل أو قول أخيك على سبعين محملاً حسنا، وان كان ظاهره السوء، لكنه مادام يحتمل أن يكون حسناً فلا تقصّر في الأخذ بهذا الاحتمال ، حتى وان تجاوزت السبعين احتمالا، وهو رقم يقال للتعبير عن الكثرة فلا يمنع من الأزيد .

وان يكون هذا هو منهج حياتك بان تفتش عن أحسن ما عند الآخرين فتنظر اليه على أساسه، وان تفتش عن أسوء ما في نفسك فتُقيّمها على أساسه لتكون بين هذا وذلك أنسانا صالحا يسعى نحو الكمال ويحب الخير للناس .

روي أن أخوة يوسف الصديق (عليه السلام) لما تعارفوا معه واعترفوا بجريمتهم تملكهم الحياء مما صنعوا به لكنه خففّ عليهم واعتبرهم أصحاب فضل عليه لانهم عرفّوه

الى أهل مصر انه ابن الأنبياء الكرام وكان يُنظر اليه على انه عبد كنعاني أُشتريَ من سوق النخّاسين، فهل يوجد سمو في التعاطي مع الأمور مثل هذا ؟

فيما روي من مواعظ النبي الكريم عيسى (عليه السلام) انه مرَّ هو وأصحابه على جيفة كلب ميت فقال بعضهم ما انتن ريحه وقال الآخر ما اقبح منظره وهكذا، لكن النبي الكريم المتأدب بخلق الله تعالى قال (ما اشَّد بياض أسنانه)[1].

إن الإنسان حينما يسير وفق هذه الرؤية ويتبع هذا المنهج من التفكير يحصل على ثمرات عديدة، منها القرب إلى الله تعالى، وراحة البال، والسعادة[2] وحسن الذكر عند الناس مضافا الى شيء مهم يحسُن الالتفات اليه وهو انه ستتجاوب معه كل عناصر الخير في الكون لأنه محكوم بسنن الهية ثابتة فمن اخذ بها نال كل خيراتها وبركاتها، {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} ﴿الأعراف : ٩٦﴾.

وبذلك يكون قوله تعالى {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} ﴿إبراهيم : ٧﴾ على القاعدة الطبيعية- كما يقال - وليس بالجعل التشريعي لزيادة النعم مقابل الشكر، وإنما هي حالة تكوينية طبيعية فان الإنسان الشاكر يكون جزءا منسجماً مع الكون فيحظى ببركات القوانين الإلهية التي تنظم حركة الكون .

وهذا ما يعترف به غير الموحدين أيضا فانهم يقولون إن الإنسان يجب أن يكون ممتنا شاكرا للكون - بحسب تعبيرهم لانهم لا يعتقدون بوجود الله سبحانه - على

---

(١) حلية الأولياء لابي نعيم الأصبهاني

(٢) واذكر حديثاً واحداً في ذلك باختصار وهو قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (السرور يبُسُط النفس ويثير النشاط، الغمّ يقبِضُ النفس ويطوي الانبساط) (غرر الحكم:٢٢٠٣و٢٠٢٤)

نعمه لكي يحصل الإنسان على المزيد من النعم وغيرها مما تستحق أن يسعى اليها الإنسان.

هذا المنهج والسلوك الذي أسس له الشارع المقدّس اصبح اليوم من اهم قضايا علم الاجتماع والتنمية البشرية التي يهتم بها العالم المتحضر فتؤلف الكتب وتعقد الندوات وتقدّم البرامج التلفزيونية التي تتحدث عن ((أهمية التفكير الإيجابي)) وتوصلوا فيها إلى جملة من النتائج التي بيّنها الشارع المقدس .

ونُقل لي أنّ من الكتب الواسعة الانتشار في هذا المجال كتاب (السر) ومما جاء فيه ((إن للأفكار قوة مغناطيسية ولها تردد وعندها قدرة على الأرسال و الاستقبال مثل الموجات الكهرومغناطيسية ويتم أرسال الأفكار هذه إلى الكون فتنجذب لها مغناطيسياً كل الأشياء التي تشبهها ثم ترجع ثانياً إلى المصدر الذي هو نفس الشخص، وان الإنسان اذا كان إيجابيا فانه يجذب كل خير اليه)).

إن الشارع المقدس علَّم الإنسان أن يكون تفكيره إيجابيا في كل حالاته حتى عندما يشتد عليه البلاء من خلال إعطائه ثقافة إيجابية توجه سلوكه فانه وعده بالأجر العظيم اذا صبر واحتسب وأن هذا البلاء كفارة لذنوبه التي اجترحها وبذلك يكون فرصة للإنسان حتى يراجع نفسه ويحاسبها ويصلح أخطاءه، ووعده بالفرج وزوال البلاء مع ثبات الأجر، { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ❖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ } ﴿البقرة : ١٥٥، ١٥٦﴾، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا❖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } ﴿الطلاق : ٢، ٣﴾ وبذلك يكون الإنسان سعيداً وهو في اشدّ حالات البلاء كالذي مرّ به الأنبياء و الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

خذ مثلاً ما جرى في واقعة كربلاء التي مثلّت اشرس جريمة عبر التاريخ لكن أصحاب الأمام الحسين (عليه السلام) كانوا فرحين سعداء لانهم نظروا إلى صورتها الأخرى المتمثلة فيما اعدَّ لهم من الكرامة والمقام المحمود عنده تبارك وتعالى والبركات العظيمة التي تثمرها إلى نهاية الدنيا.

وحينما حاول ابن زياد أن يظهر حقده وسمومه على عقائل النبوة وخاطب العقيلة زينب شامتاً (أرايت صنع الله بأخيك والعتاة المردة من أهل بيتك) قالت (عليها السلام) (ما رأيت إلا جميلاً أولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يأبن مرجانة) فوصفت ما حصل بانه جميل .

والإمام الكاظم (عليه السلام) في قعر السجون المظلمة والتعذيب وقيود الحديد لكنه كان يرى الجانب الآخر من الصورة ويقول في مناجاته (الهي طالما سألتك أن تفرغني لعبادتك وقد فعلت فلك الحمد) .

وهكذا النبي الكريم يوسف (عليه السلام) يقول {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } ﴿يوسف : ٣٣﴾ فالسجن مع عذابه ومشقته وضيقه يرى (عليه السلام) فيه الصورة الأخرى وهي نجاته من مكائد النسوة وفخوخ الشيطان لإيقاعه في معصية الله تعالى والأمثلة كثيرة .

أما من يتعامل مع الأمور و الأحداث بسلبية فانه يكون في شقاء وتعاسة ويكون عيشه منكدا ونحو الأسوأ من دون ان يغيِّر في الواقع شيئاً لان الأحداث جارية شاء

أم أبى عن أمير المؤمنين عليه (عليه السلام) قال (إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت ماجور، وان جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور)[1]

حكي إن مكتشف الكهرباء اجرى ٢٠٠٠ تجربة على نماذج المصباح الكهربائي قبل أن يصل إلى مراده فسخروا منه وانك أتعبت نفسك وخسرت الكثير في أجراء هذه التجارب الفاشلة فقال : ليس الأمر كذلك فقد استفدت معلومة وهي أن هذه الألفي طريقة للعمل غير منتجة.

تقول احدى النساء أنها كانت أما لطفلين ثم حصلت مشاكل مع زوجها وانفصلت عنه وكانت تشعر بضيق وحزن ومتعبة نفسيا وغاضبة على زوجها لأنه تركها وترك مسؤولية إعالة الأطفال على عاتقها حيث كانت مسؤولة عن دفع إيجار المنزل وفواتير الكهرباء والماء وغيرها وكانت الديون تتراكم عليها فبسبب كل تلك الضغوط كانت تشعر بالحقد والكره الشديد تجاه زوجها وبسبب الضغوط النفسية اصبح ذلك يؤثر على عملها فكانت ترتكب أخطاء في العمل وتتأخر في إنجاز ما هو مطلوب منها في العمل لأنها محطمة ولا تستطيع العمل بكفاءة عالية لإنجاز الأعمال المطلوب منها في وظيفتها ولكنها عندما قرات كتاب السر بدأت تغير طريقة تفكيرها وبدأت تنظر إلى الجوانب الإيجابية الموجودة في حياتها حيث قالت إن الجانب الإيجابي الذي أستفدته من زواجي هو الحصول على طفلين جميلين وانها سعيدة بهم وبوجودهم بحياتها ولا تتحمل فكره فقدانهم أو عدم وجودهم بحياتها فعندما بدأت تركز على الأمور الإيجابية والنعم الموجودة عندها في حياتها أصبحت اكثر راحة وأصبحت ممتنة لله وشاكرة لله على النعم الذي انعمها عليها وأصبحت

(١) ميزان الحكمة : ٢٦/٥

مشاعرها إيجابية وبالتالي تركيزها وكفاءتها في عملها اصبح افضل وإنتاجها في العمل اصبح اكثر وبالتالي بداء راتبها يزداد وبدأت تستطيع تسديد الفواتير....

ولكي يكون الإنسان معطاءاً محّبا للخير صبوراً عند الشدائد متفائلا عليه ان يصلح عقائده وتصوراته ونظرته للحياة أولا لأنها هي التي توجّه سلوكه، لذا ينبغي ان يلتفت إلى أمور:

١-إن كل ما حوله هو خلق الله وان الناس عيال الله تعالى ، عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: ((الخلقُ كُلُّهم عِيالُ الله عزَّ وجلَّ، فأحَبُّ خلقه إليه أنفعُهم لعِيالِه))[1] وفي دعاء الإمام السجاد(عليه السلام) برواية أبي حمزة الثمالي (والخلق كلهم عيالك) فلابد أن يكون كريماً معهم رحيماً بهم محبّا لهم مهما كانوا.

٢-إن ما يجري هو بقضاء الله وقدره {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} ﴿التوبة : ٥١﴾ وما دام الله مولانا وهو الذي يتولى أمورنا فلا يختار لنا إلا خيرا ولكننا قد لا نفهم ذلك {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} ﴿البقرة : ٢١٦﴾ فلابد من التسليم له و الرضا به لان الاعتراض و السخط له عواقب وخيمة في الدنيا و الآخرة.

٣-إن الله تعالى يقول (انا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا فله، وان ظن شراً فله)[2] فمن يكون ظنه حسناً ويبحث عن الأمور الحسنة في الحياة فانه سيتحقق له ذلك بأذن الله تعالى

---

(١) أخرجه البزار (٢/٣٩٨/ح١٩٤٩ ـ كشف الأستار ـ و البيهقي في شعب الايمان (٦/٤٢/٦-٤٣ ح ٧٤٤٦-٧٤٤٧)

(٢) الترغيب والترهيب – صفحة او الرقم :٤/٢١٥

٤-إن الدنيا زائلة ولا يستحق أي شيء فيها أن يكون محط الاهتمام إلا ما يقرّب إلى الله تعالى وينفع في الآخرة

٥-إن من ينظر إلى الجوانب الإيجابية الحسنة للأمور وان لم تكن كذلك حقيقة يكون سعيدا مرتاح البال وكفى بذلك ثمرة طيبة فالسعادة ليست في تحقيق كل ما تتمنى وتريد بل في كونك في طريق الوصول اليها وفي أجواء العمل من اجل تحقيقها.

٦- أما من ينظر إلى الأمور بسلبية فانه يكون في تعاسة وشقاء من دون أن يتغير حاله إلى الأفضل بل إلى الأسوأ.

خطاب المرحلة
(٣٨٠)

(ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ)[١]

ليوم القيامة أسماء عديدة في القرآن الكريم كيوم الدين ويوم الحسرة والندامة ويوم الفصل ويوم الذهول ويوم الزلزلة ويوم الجمع ويوم الورود ويوم النشور ويوم الحشر ويوم البعث ويوم الحساب والصاخّة والطامة الكبرى، وهي أسماء مشتقة من صفات ذلك اليوم المهول وخصائصه وما يجري فيه، ومن تلك الأسماء يوم التغابن، قال تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) (التغابن/٩).

والغبن ((أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء))[٢] فالبائع إذا أحسّ أنّه باع بأقل من استحقاق الشيء كان مغبوناً، وإذا شعر المشتري أنّه دفع أكثر مما يستحق الشيء كان مغبوناً.

فما هي المعاملة التي سيظهر فيها الغبن يوم القيامة؟ والجواب أنّها الصفقة التي عقدها الله تعالى مع عباده حينما جمعهم في عالم الذر (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف/١٧٢) فأخذ تعالى العهد على عباده أن يعبدوه ويطيعوه ولهم جميع ما في الأرض على أن يسيروا وفق منهجه الرباني، ولهم بذلك الجنّة التي عرضها السماوات والأرض.

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من مصلي ديوان الزهراء (عليها السلام) في حي الجامعة في النجف الأشرف يوم ٢٩/رمضان/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٨/٧.

(٢) المفردات للراغب، مادة (غبن).

هذه الصفقة أشير إليها في القرآن الكريم كثيراً كقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ) (البقرة/٢٠٧) (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة/١١١).

فمن وفى بهذه الصفقة ونال جزاءه الأوفى فهو الفائز، وأمّا المغبون فهو من لم يلتزم بتعهداته في تلك الصفقة وأضاعها وأضاع تلك المبايعة، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً) (آل عمران/٧٧)، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (المغبون من باعَ جنّة عليّة المرتبة بمعصية دنيّة)[١] وعنه (عليه السلام): (المغبون من شُغِل بالدنيا، وفاته حظّه من الآخرة)[٢] وعنه (عليه السلام): (من باع نفسه بغير نعيم الجنة فقد ظلمها)[٣] وعنه (عليه السلام): (المغبون من غبن نفسه من الله)[٤] وعنه (عليه السلام): (المغبون من غبن دينه)[٥] وعنه (عليه السلام) (إنّ المغبون من غبن عُمَره، وإنّ المغبوط من أنفذ عمره في طاعة ربّه)[٦].

ويزداد فرح المؤمن الفائز وحزن الفاسق والكافر الخاسر المغبون حينما يُعرض عليهما منزلاهما في الجنة والنار، ففي الرواية (في مجمع البيان روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فان مات

---

(١) غرر الحكم/ ١٣٥٢.
(٢) غرر الحكم/ ٢٠١٠.
(٣) غرر الحكم/ ٩١٦٤.
(٤) بحار الأنوار: ٢١٥/٧٧.
(٥) ميزان الحكمة: ٣٥٧/٦.
(٦) غرر الحكم/ ٣٥٠٢.

ودخل النار ورث أهل الجنة منزله)[1] فمن فقد منزله في الجنة يعاني ألمين، ألم العذاب في النار وألم الحسرة على منزله في الجنة وهو ينظر إليه.

وقد أشارت سورة التغابن إلى هذين الفريقين بعد وصف يوم القيامة بأنّه يوم التغابن، قال تعالى: (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ❖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (التغابن/٩-١٠).

وقد تقدّم في تعريف الغبن أنّه البخس بضرب من الإخفاء، والخفاء هنا هو ظهور الجزاء يومئذٍ للجميع بشكل لم يتوقعوه ولم يتصوروه قال تعالى بالنسبة للفريق الأول: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة/١٧) وقال تعالى في الفريق الثاني: (وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (الزمر/٤٧) فهناك تبدو لهم الأمور مختلفة تماماً عن مقاييسهم في الدنيا (وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ❖ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ❖ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) (ص/ ٦٢-٦٤).

هذا الشكل من الغبن واضح، لكن شكلاً آخراً منه يحتاج إلى التفات وتأمّل، وهو أنّ نفس المؤمنين يشعرون بالغبن أيضاً لأنّهم سيكتشفون بعد ارتفاع حجاب الغفلة عن بصائرهم أنّهم فوّتوا على أنفسهم فرصاً عظيمة للطاعة ولو استثمروها لحصلوا على درجة أعلى ومقاماً أرفع وقرب متزايد من رضوان الله تعالى وأوليائه العظام، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (من أغبن ممّن باع الله سبحانه

(١) تفسير نور الثقلين: ج٣/٥٣٢.

بغيره)[١] وغير الله تعالى مطلق يشمل ما يرجوه عامة المؤمنين من نعيم الجنّة كالحور العين ولحم الطير وفواكه ممّا يشتهون.

وأشار السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) إلى هذا في إحدى رسائله إليّ ((وأمّا الندم فهو للمؤمن لا للكافر، إن الكافر سوف يلهو بآلامه المبرحة في النار وأما المؤمن فسيعض على شفته ندماً من أنّه قضى حياته الدنيا (وهي بيت الطاعة) يطفّر كالقبّرة ولم ينل إلاّ هذا المقدار من الثواب.

إنّ ما ناله مهما كان ضخماً وعظيماً فإنّه مثل قشّة تجاه الدنيا وما فيها أزاء ما يرى من مقامات الأولياء وهذه المقامات تعرض عليه قليلاً ليعرف المؤمن ما فوّته على نفسه، ثمّ تختفي لقلّة تحمله في النظر إليها)).[٢]

ومثاله التاجر الذي يملك مالاً كثيراً ونفوذاً واسعاً وفرصاً جيدة للاستثمار ولا يوجد أيّ عائق في طريقه لكنّه يضع أمواله في أمور بسيطة لا تناسب المأمول فإنّه يشعر بالخسارة والغبن، فرأس مال الإنسان في هذه الدنيا عمره أيّاماً وليالي بل ساعات ودقائق لأنّها كلها يمكن أن تستثمر بطاعة ترفع درجته يوم القيامة بدل قضائها في أحاديث فارغة أو لهواً أو فضول أو أي عمل غير مثمر، ففي بعض الروايات أنّ ساعات عمر الإنسان تُعرض عليه على نحو صناديق بأشكال ثلاثة، ساعة الطاعة وساعة المعصية وساعة الفراغ فساعة الطاعة يفرح بها وساعة المعصية يتعذّب بها وساعة الفراغ يندم عليها، في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (ما من ساعة تمرُّ بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حَسِر عليها يوم القيامة).[٣]

---

(١) غرر الحكم/ ٨٠٨٣.

(٢) قناديل العارفين: ص٨٧.

(٣) كنز العمّال: ١٨١٩.

إنّ كل ثانية من حياة الإنسان يمكن أن يحولّها إلى طاعة عظيمة كما لو شغلها بتسبيحة ليغرس الله تعالى له بكل تسبيحة عشرة أشجار في الجنة وفي رواية أخرى شجرة، ففي أمالي الصدوق بسنده عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (من قال سبحان الله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال الحمد لله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال لا اله الا الله غرس الله له بها شجره في الجنة و من قال الله اكبر غرس الله له بها شجره في الجنة فقال رجل من قريش[1] يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال نعم و لكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها و ذلك إن الله عز وجل يقول يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (محمد/٣٣)).[2]

إنّ هذه الطاعة التي قد لا تستغرق أكثر من ثانية واحدة من وقت الإنسان قد يكون لها دور خطير عندما تتساوى حسنات الإنسان وسيئاته فيحتاج إلى حسنة واحدة لترجيح كفّة الحسنات، فيتحسّر على ثوان يتمنى لو كان استثمرها في تسبيحة من عمره الكثير الذي أضاعه من دون فائدة.

وينبغي الالتفات إلى حالة أخرى من الغبن يشعر بها حتى من استثمر عمره في الطاعة لكنّه لم يستفد من العمر الإضافي الذي يُعطى له لاكتساب المزيد من الحسنات، وهو الذي أشير إليه في الحديث الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: علم يُنتفع به، صدقة جارية، ولد صالح يدعو له)[3] فيستطيع الإنسان بفضل الله تبارك وتعالى أن يستمر في اكتساب الحسنات حتى بعد وفاته بأن يصبح من أهل العلم الذين يخلّفون أثراً نافعاً أو يؤسس مشروعاً مباركاً يكون صدقة

---

(١) لا يخفى على الفطِنْ من هو بقرينة الآية التي استشهد بها النبي (صلى الله عليه وآله) في ذيل الرواية.

(٢) بحار الأنوار: ٩٣/ ١٦٨ ح٣.

(٣) شرح أصول الكافي، ج٦، ص١٣٧.

جارية كمسجد أو شقق سكنية للفقراء أو طلبة العلم أو مدرسة دينية أو مركزاً صحيّاً أو يجري شبكة ماء.

والمصدر الثالث هو الولد الصالح بأن يتزوج امرأة صالحة ويتعب نفسه في تربية أولاده ليكونوا صالحين ثمّ يؤسس كلّ منهم أسرة صالحة وهكذا يتكاثرون وفق متوالية هندسية على مرّ الأجيال أي أنّ الاثنين يصبحون أربعة والأربعة ستة عشر بل أكثر بفضل الله تبارك وتعالى، وإذا به بعد أجيال يكون من ذريته الآلاف من الصالحين وتستمر حسناته بالزيادة، فاغتنموا هذه الفرص بفضل الله تعالى ولطفه.

خطاب المرحلة

(٣٨١)

سلامة الدين في اعتزال الناس[١]

الإسلام دين الاجتماع والتواصل ومظاهر ذلك كثيرة كالحج وصلاة الجماعة والجمعة ومنها تشريع العيد ففي دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في وداع شهر رمضان عن يوم الفطر (الذي جعلته... لأهل ملتك مجمعاً ومحتشدا) وفي الرواية عن الإمام الرضا (عليه السلام): (إنما جُعل يوم الفطر العيدَ ليكون للمسلمين مجتمعاً يجتمعون فيه ويبرزون لله عز وجل فيمجدونه على ما منَّ عليهم، فيكون يومَ عيدٍ ويوم اجتماع)[٢]، وهو دين إعمار الحياة المثمرة وبناء الأمة الصالحة الوسط الشاهدة على الناس جميعاً.

مضافاً إلى أن وظائف كثيرة لا يمكن القيام بها إلا بالتواصل مع الناس كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتكافل الاجتماعي وتعليم أحكام الدين.

وورد النهي عن الترهّب وترك إعمار الحياة كقوله (صلى الله عليه وآله): (ليس في أمتي رهبانية)[٣]، ويشرح (صلى الله عليه وآله) معناها لعثمان بن مضعون عندما أراد الترهب: (إن ترهّب أمتي الجلوس في المساجد انتظاراً للصلاة) فيعطي (عليه السلام) للرهبانية معنى اجتماعياً واسعاً خلافاً للمعروف عنها .

---

(١) الخطبة الأولى التي ألقاها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) لصلاة عيد الفطر السعيد يوم الجمعة عام ١٤٣٤ الموافق ٩/آب/٢٠١٣ م.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٥٢٢/١، ح ١٤٨٥.

(٣) بحار الأنوار: ١١٥/٧٠ عن الخصال للصدوق: ١٣٨/١.

ويخاطب أمير المؤمنين (عليه السلام) العلاء بن زياد الحارثي لما اعتزل الحياة وترهب: (يا عُدَيَّ – تصغير عدو- نفسه: أترى أن الله أحلّ لك الدنيا وهو يكره أن تأخذ منها؟)[1].

في مقابل ذلك توجد روايات كثيرة حثّت على الانفراد والعزلة عن الناس وذكرت فضل العزلة والآثار المباركة فيها كقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (العزلة عبادة) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (في الانفراد لعبادة الله كنوز الأرباح) وعنه (عليه السلام): (ملازمة الخلوة دأب الصلحاء) وعنه (عليه السلام): (الوصلة بالله في الانقطاع عن الناس)[2] وعن الإمام الرضا (عليه السلام): (يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء، تسعة منها في اعتزال الناس وواحدة في الصمت)[3].

وهنا قد يثار إشكال منشأه وجود التنافي بين التوجيه بالعزلة والمنحى الاجتماعي لدين الإسلام؟

ويجاب هذا الإشكال بأكثر من مستوى:

الأول: أن نضع هذه الأحاديث في موضعها الصحيح ولا نأخذها على إطلاقها، ونتعرف على المخاطبين بها وحالاتهم، ومن تلك الحالات التي خاطبتها هذه الأحاديث المحبِّبة للعزلة:-

١- وهي أوضحها: عندما يكون الاختلاط بالناس سبباً للوقوع في المعاصي فإن المجالس لا تخلو غالباً من المحرمات بل الكبائر، وعلى رأسها الغيبة التي جعلها الناس فاكهة المجالس، وهي من الموبقات التي توجب إحباط العمل وذهاب الدين، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (الغيبة أسرعُ في دين الرجل المسلم من الأَكْلَة في

---

(١) نهج البلاغة:

(٢) راجع مصادرها في ميزان الحكمة: ١٧/٦.

(٣) سفينة البحار: ٢٣٣/٦ عن كمال الدين.

جوفه) وعنه (ﷺ): (إن الرجل ليؤتى كتابه منشوراً فيقول: يا ربِّ، فأين حسناتُ كذا وكذا عملتُها ليست في صحيفتي؟ فيقول: محيت باغتيابك الناس)[١] ووصفتها بعض الروايات بالنار التي يرسلها على مغروساته – وهي الأعمال الصالحة - فيحرقها.

وينبغي الالتفات إلى أن المجالس لا تختص باللقاءات المباشرة بل تشمل اليوم ما يحصل من حوارات ولقاءات عبر مواقع التواصل الاجتماعي وتؤدي أحياناً إلى أمور محرمة كأحاديث الحب والغرام مع الجنس الآخر من دون مسوِّغ شرعي، وبعضهم يستفتي عن جواز تبادل هذه الأحاديث بين امرأة متزوجة ورجال أجانب من دون علم الزوج ويسأل هل هذا جائز؟ فتصوروا الانحدار والتسافل!. فهذه الموبقات وأمثالها من نتائج الاختلاط غير المنضبط، لذا كان في العزلة الحفاظ على الدين وعلى ما حصل عليه من الطاعات. عن رسول الله (ﷺ) قال: (العزلة سلامة) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (لا سلامة لمن أكثر مخالطة الناس) (سلامة الدين في اعتزال الناس) (من اعتزل سَلِم ورعُه) (مداومة الوحدة أسلم من خلطة الناس)[٢]، ولذا قيل إن ((في العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشيطان والمجانبة من كل سوء وراحة الوقت، وما من نبي ولا وصي إلا واختار العزلة في زمانه إما في ابتدائه وإما في انتهائه))[٣].

٢- عندما يكون الاختلاط مع الناس والحضور في مجالسهم مسبباً لتشوش الفكر بالأحاديث الفارغة المضيِّعة للوقت وتسمى مجالس البطّالين، وقلنا أنها تشمل ما يعرَف اليوم بالحوار عبر الإنترنت والرسائل القصيرة ومكالمات الهواتف

---

(١) ميزان الحكمة: ٥٠٦/٦.

(٢) ميزان الحكمة: ١٨/٦.

(٣) سفينة البحار: ٢٣٣/٦.

المحمولة، وأغلب لقاءات الناس ومجالسهم ومحادثاتهم من هذا القبيل، فكل ما يدور فيها هذر من الكلام وعبث ولهو باطل كأحاديث الألعاب الرياضية أو الشؤون العائلية الخاصة بالناس الآخرين.

فإذا تشوش الفكر بهذه الأحاديث فإنه لا يكون مؤهلاً للإقبال على الله تبارك وتعالى والأنس بذكره، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من انفرد عن الناس أنس بالله سبحانه) (الانفراد راحة المتعبدين) وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (لو ذُقتَ حلاوة الوحدة لاستوحشت من نفسك) ومن حِكم لقمان: (إن طول الوحدة أفهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طريق الجنة).لذا كان اعتياد هذه المجالس سبباً للحرمان من القرب الإلهي كما في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) في ليالي شهر رمضان: (أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خلّيتني)، وفي وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم: (الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان الله أنيسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومُعِزَّه من غير عشيرة).

٣- عندما لا يكون الفرد قادراً على أداء حق الاختلاط مع الناس ومراقبة ما يجري فيها ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمثل هذا يكون الأفضل له تجنب الاختلاط إلا بما هو ضروري حتى لا يكون من الساكتين على الباطل والراضين بالظلم، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل، فإن عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسُد ولا ترائي ولا تتصنع ولا تداهن) وعنه (عليه السلام) قال: (أقلُّ ما يجد العبد في الوحدة الراحة من مداراة الناس).

الثاني: أن نفهم من معنى العزلة غير المعنى المتعارف وهو الانكفاء على الذات وترك الاختلاط بالناس فلا يرد الإشكال أصلاً، وإنما يراد باعتزال الناس مباينتهم في السلوك والأفعال المخالفة للشريعة، فلا مانع من أن يعيش المؤمن وسط المجتمع بكل فئاته بشرط أن يكون متميزاً بعقيدته وأخلاقه وسلوكه وتقييمه للأمور عن أهل المعاصي ولا يتأثر بشيء من انحرافاتهم أو يداهن أو يجامل أو يتنازل عن شيء، وبثباته ومبدئيته سوف يكون موقفه قوياً مؤثراً في الآخرين وهادياً ومصلحاً لهم.

وهذه المباينة في العقيدة والسلوك مع أهل الباطل جعلها الله تعالى في القرآن الكريم علامة فارقة لسلوك الأنبياء (عليهم السلام) مع مخالفيهم والمتمردين عليهم، قال تعالى: ﴿بِسمِ اللهِ الرَحمَنِ الرَحِيمِ، قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (الكافرون: ١- ٣) وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً، فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاً جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾ (مريم: ٤٨، ٤٩).

إن الاختلاط وعدم التمايز في الرؤية والتوجهات والسلوك بين المؤمن وغيره خطير جداً لأنه يؤدي لتشويه صورة الدين وتمييعه وتضييع هويته وانحراف أحكامه حتى يصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً والأخطر من ذلك أنه يعطي مشروعية للانحراف والفساد بعد أن اختلط الحق بالباطل ولم يبق مائزٌ بينهما.

خذ مثلاً سلوك السياسيين فهل تجد فرقاً بين من يرفع شعاراً إسلامياً ويعتبر حزبه إسلامياً وبين الآخرين؟ فإذا لم تجد فرقاً من حيث الفساد والاستئثار بأموال الشعب والأنانية وعدم الاكتراث بحال الشعب وعدم الاهتمام بإعمار البلد وازدهاره، فماذا سيبقى في يدك من أدوات لإقناع المجتمع بمشروع الإسلام ونظامه في سياسة الأمة وإدارة شؤون البلاد؟.

وهكذا على صعيد السلوك الشخصي إذا كان (المتدين) يكذب ويخلف الوعد ويغشّ ويعتدي على حقوق الآخرين ويفتري عليهم ويكيد لهم فكيف سيحب الناس التدين والالتزام بالشريعة؟.

وللعلم فإن أهل الباطل يحاولون جاهدين لاستدراج أهل الحق حتى يكونوا مثلهم، كما لو وُجد موظف نزيه مثابر في عمله يخدم الناس بإخلاص فإنهم يقومون بكل وسائل الضغط والترغيب والترهيب ليتخلى عن مبدأيته ويصبح مثلهم، ليعطوا المبررات لأنفسهم ويتخلصوا من محاسبة الضمير وليصبغوا أفعالهم بالشرعية، فالعزلة والاعتزال الذي حثت عليه الآيات الكريمة والروايات الشريفة يعني إبقاء الخط الفاصل بين المنهجين والسلوكين والرؤيتين.

الثالث: أن يكون الاعتزال بمعنى الانقطاع عما سوى الله تعالى وعدم التمسك بأي سبب من المخلوقات، عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (لا يكون العبد عابداً لله حق عبادته حتى ينقطع عن الخلق كلهم إليه فحينئذٍ يقول: هذا خالص لي، فيقبله بكرمه)[1].

فذكرُ الله تعالى والتمسك بالنبي وآله الكرام (صلوات الله عليهم وسلامه) وولاية أهل البيت (عليهم السلام) هو الكهف الذي نكون فيه دائماً ونأوي إليه باستمرار وان كنّا في أوساطهم ، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾ (الكهف:١٦).

روى لي السيد الشهيد الثاني (قدس سره) هذه القصة ويبدو أنها حصلت له بعد معاناة اعتقاله عام ١٩٧٤ قال: ((إنني يوماً فتحت القرآن الكريم لأجد فيه منزلتي أمام الله سبحانه أو قل – بالتعبير الدنيوي- (رأي) الله فيَّ، فخرجت هذه الآية من سورة الكهف: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ

(١) بحار الأنوار: ١١٢/٧٠ عن عدة الداعي: ٢٣٣.

رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾، إن كل هذه الآية مفهومة لي بحسب حالي يومئذٍ إلا قصة (الكهف) الذي يكون من المطلوب أن آوي إليه، أي كهفٍ هذا؟ وذهبت إلى الحرم العلوي (على ساكنها السلام) عسى أن ينفتح لي هناك عن هذا المعنى، وبدأت بزيارة (أمين الله) حتى وصلت إلى قوله (عليه السلام): (اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك.. إلى قوله: يا كريم) وقد حصل لي في تلك اللحظة (حدس) قوي بأن الكهف الذي يجب أن أدخله هو هذا، أي أن تصبح نفسي على هذه الأوصاف وتجانب ما سواها، وقد عرضت ذلك على (مولاي) فأقرّه وقال بصحته))[1].

وفي ضوء ما تقدم يندفع الإشكال وأن المعاشرة مع الآخرين أفضل من العزلة إذا كانت مثمرة ونافعة ويؤدي فيها الفرد وظائفه ولا تستدرجه المجاملات إلى الوقوع في المعاصي؛ لأن الاختلاط مع الآخرين يوفر فرصاً عظيمة للطاعة كقضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم وهدايتهم وإرشادهم و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك.

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم) وقال (صلى الله عليه وآله) لرجل أراد الجبل ليتعبد فيه: (لصبرُ أحدكم ساعة على ما يكره في بعض مواطن الإسلام خير من عبادته أربعين سنة)[2]، وعليه أن يكون يقظاً ملتفتاً حتى لا يتسبب اختلاطه مع الناس بالوقوع في المعاصي أو تشويش فكره بفضول الكلام، وأن يلتزم بمبادئه والأفعال الموافقة للشريعة ويعتزل سلوكياً الآخرين ويحذر من مناهجهم ورؤيتهم.

---

(١) قناديل العارفين: ١٥٣.

(٢) نقلها عن مصادرها في ميزان الحكمة: ١٩/٦.

أما من لا يملك الشجاعة والمعرفة والقدرة على أداء وظائفه مع الآخرين فالحل المناسب له تقليل اختلاطه بالناس والاقتصار على مقدار الضرورة وأن يحرص على مجالسة ومحادثة من يقرّبه إلى الله تعالى، روي الإمام الصادق (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (قالت الحواريون لعيسى (عليه السلام): يا روح الله، مَن نجالس؟ قال: من يذكّركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغّبكم في الآخرة عمله)[1]وفيه إشارة إلى أن من لم تستفد منه هذه الأمور فلا تضيّع وقتك[2]وعمرك الثمين بمجالسته أو محادثته عبر الإنترنت وأجهزة الاتصال ومصاحبته، فكيف بمن تكون مجالسته سبباً لعكس هذه الصفات كما هو حال أغلب الناس مع الأسف؟ لذا ورد في بعض الأحاديث: (فرَّ من الناس فرارك من الأسد)[3].

إن المؤمن له أنس بربّه لا يستوحش معه ولا يحتاج إلى غيره إلا بمقدار الضرورة، وينفر من مخالطة الناس أزيد من ذلك ومجاملتهم ومداهنتهم، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ما من مؤمن إلا وقد جعل الله له من إيمانه أنساً يسكن إليه حتى لو كان على قلّة جبل لم يستوحش)[4] وروي عنه (عليه السلام) قوله: (خالط الناس تخبرهم ومتى تخبرهم تَقْلِهم – من القلى أي البغض والاجتناب-).

---

(١) سفينة البحار: ٢٣٥/٦.

(٢) عن الإمام الباقر، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: (يا علي من لم ينتفع بدينه ولا دنياه فلا خير لك في مجالسته..) مكارم الأخلاق، وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام).

(٣) في مصباح الشريعة: روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (قال عيسى بن مريم عليه السلام: اخزن لسانك لعمارة قلبك، وليسعك بيتك وفرّ من الرياء وفضول معاشك، وابك على خطيئتك، وفرّ من الناس فرارك من الأسد والأفعى، فإنهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء، ثم الق الله متى شئت) نقلاً عن بحار الأنوار: ١١٠/٦٧.

(٤) الحديث وما بعده في بحار الأنوار: ١١١/٧٠ عن عدة الداعي: ٢٣٢.

فترجيح الاختلاط او العزلة وتحديد مقدارهما يدور مدار ما يقربّك الى الله تبارك وتعالى ويجنّبك معصيته ولا يحرمك من طاعته .

وعلى أي حال فإن الاعتزال فترة محددة أمر مفيد، فقد كان رسول الله (ﷺ) يعتزل الناس في غار حراء في مكة، أما في المدينة فقد كان يطوي فراشه ويشد مئزره للعبادة في العشرة الأواخر من شهر رمضان.

ولأجل تحقيق هذا النقاء وتصفية الباطن لله تعالى شُرّع الاعتكاف في المساجد، وقد وردت الأحاديث في فضله وآثاره المباركة.

ونثني هنا على المبادرة التي يقوم بها جمع كبير من الشباب وطلبة الجامعات منذ عدة سنوات بإقامة العشر الأواخر من شهر رمضان إلى جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) ويُنظَّم لهم برنامج عبادي وتثقيفي مفيد بفضل الله تبارك وتعالى.

خطاب المرحلة

(٣٨٢)

أمير المؤمنين (عليه السلام) ومكر طلّاب الزعامات[١]

كان من أقوى الأسلحة التي فتكت بجيش أمير المؤمنين (عليه السلام) ومجتمعه وأوهنت دولته وأضعفتها هو مكر الاعداء وخُدعهم حتى عبّر عنه بقاصم الظهر قال (عليه السلام) (ما قصّم ظهري إلا رجلان : عالم متهتك وجاهل متنسك ،هذا ينفّر عن حقه بهتكه ،وهذا يدعو الى باطله بنسكه)[٢] ومحل الشاهد هو الاول وهو الذي عنده علم وفكر وفطنة إلا انه يستخدمها في المكر وخداع الناس وإبعادهم عن الحق.

وقد واجه الامام (عليه السلام) الوان المكر والخداع من اول لحظة لتحملّه مسؤولية الإمامة وقيادة الأمة بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) عندما نفى زعماء الانقلاب موت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهددوا بالقتل كل من يقول بذلك حتى لا تتوجه الأمة الى الخليفة الشرعي وليكسبوا الوقت حتى يعدّوا العدّة ويهيئوا الأمور لمن يريدون وهذا ما حصل، وقد تناولته في خطاب سابق.

والى أيام خلافته وتصدّيه لشؤون الأمة حين واجه العتاة والدهاة والماكرين كمعاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة كخدعة رفع المصاحف في معركة صفّين التي شقّت جيش الإمام (عليه السلام) فنشأت فرقة الخوارج، وكان (عليه السلام) يلام على انه ليس بمستوى دهائهم وانه غير مؤهل لقيادة الدولة لان الدهاء والخداع من مقومات السياسة وتدبير السلطة ،فيتأسف (عليه السلام) لهذه الانتكاسة في الأمة وانقلاب الموازين في تصوراتها، قال (عليه السلام) (ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتخذ أكثر أهله الغدر

---

(١) الخطبة الثانية التي ألقاها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) لصلاة عيد الفطر السعيد يوم الجمعة عام ١٤٣٤ الموافق ٩/آب/٢٠١٣ م.

(٢) غرر الحكم /٩٦٦٥

كَيساً – أي الفطنة والذكاء –، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم – قاتلهم الله – قد يرى الحُوّل القُلّب – وهو البصير بتحولات الأمور وتقلبيها – وجه الحيلة ، ودونها مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين)[1] فيصف نفسه بأنه عارف بالأمور ووجوهها وعواقبها ويعرف كيف يحقق مراده ويصل الى مطلوبة لكن كثيراً من تلك الوسائل مخالفة لأوامر الله تعالى ،فيتركها لله تعالى وهو قادر عليها ،لكن خصومه لا يتورعون في دينهم وليس عندهم تقوى تحدّد له بوصلة سلوكهم فيقتحمون تلك الوسائل الشيطانية .

ومن كلام له (عليه السلام) في نفس السياق قال (عليه السلام) (والله ما معاوية بأدهى منّي ، ولكنه يغدرُ ويفجُرُ . ولولا كراهيةُ الغدر لكنت من أدهى الناس . ولكن كلّ غَدرة فَجرة وكلّ فَجرة كَفرة ، ولكلّ غادرٍ لواءٌ يُعرف به يوم القيامة . والله ما أُستغفل بالمكيدة ولا أُستّغمز بالشديدة)[2]

فالإمام (عليه السلام) وإن كان لا يستعمل الدهاء والمكر لأن فيه سخط الله تعالى إلا ان ذلك لا يعني أنه مغفّل تنطلي عليه المكائد ولا يلتفت اليها ،ولا انه ممن يضغط عليه ويستضعف بالقوة ليغيّر مبادئه التي يؤمن بها .

ويعلل الإمام (عليه السلام) في الخطبة السابقة سبب رفضه لتلك السياسات بقوله (ولا يغدرُ من عَلِم كيف المرجع) أي أن من علم أن مآل الأنسان إلى الموت والدنيا إلى الفناء ثم يحشر ليحاسب على أعماله فانه لا يقدم على ما يضّره في اخرته.

وهذا التباين الذي ذكره الإمام (عليه السلام) بين سياسته وسياسة خصومه يمثّل المفارقة الدائمة بين المنهجين ولا يختص بزمان دون زمان حتى زماننا الحاضر

---

(١))نهج البلاغة : ١١٥ الخطبة (٤١)

(٢) نهج البلاغة : ٤٣٢ الخطبة (١٩٨)

،واليكم بعض الأساليب الماكرة التي تدَّبر اليوم لخداع الشعوب والسيطرة عليها والتحكم فيها وسوقها الى ما يريده الحكام:

١- ما يسمى بالمصطلح (ركوب الموجة) بان يستغل السياسيون مطالب حقيقية ومشروعة للشعب فينادي بها لكسب الجماهير اليه والتقوّي بهم للضغط على خصومه لتحصيل مكاسب اكبر سواء كانوا داخل الحكومة او خارجها، كمطلب تحسين الخدمات وإيجاد وظائف للعاطلين او معالجة الخروقات الأمنية او الغاء الرواتب التقاعدية الباهظة للبرلمانيين وأمثالهم وهي مطالب مشروعة نؤيدها وندعمها لكن جهات شبابية مجهولة تحاول تحريك الناس تحت عنوان هذه المطالب لأغراض معينة على راسها السيطرة على توجيه المجتمع والتحكم بحركته وانتزاع قيادته لتكون بيد جهات خفية تعمل على مواقع التواصل الاجتماعي وبدعم داخلي وخارجي مالياً واعلامياً وسياسياً وليضغطوا بذلك على الجهات الفاعلة على الارض حتى تسير في ركابهم .

٢- الهاء الشعوب بالألعاب والمتع واللهو والعبث لأشغالهم عّما يجري من فساد وظلم وطغيان وتحويل انتباههم الى اللهو واللعب بدلاً من القضايا الحيوية والاهداف الحقيقية والحركة الواعية البناءة الى ترفض ظلم وفساد اولئك الحكام ،وهذه السياسة يسمونها (استراتيجية الالهاء)[1] وتشمل سيلاً لا ينتهي من الالعاب والبطولات والمسابقات والمهرجانات ونحو ذلك.

٣- خلق المشاكل وافتعال الازمات لتمرير سياسات معينة تكون مرفوضة في الوضع الطبيعي مثلاً يريدون تخفيض دعم السلع الاساسية او الضمان الاجتماعي

---

(١) بعض هذه الكلمات لخصّها أحد الاخوة الواعين من كتاب (أسلحة صامتة لحروب هادئة) لعالم الاجتماع الأمريكي (افرام نعوم تشومسكي)

او الخدمات العامة كالصحة والتعليم فيخلقون ازمات مالية ليقنعوا الشعب بضرورة اتخاذ هذه الاجراءات.

او يريدون مثلاً وضع الشعب تحت المراقبة والتجسس عليه وجمع المعلومات التفصيلية عنه وتقييد حرياته وحركته، او اعتقال وتصفية المعارضين، فيفتعلون مشكلة أمنية كتفجيرات مثلاً او اظهار اعترافات شبكة تجسس وهمية وهكذا مما يجعل اتخاذ تلك الاجراءات أمراً مقبولاً وتسمى هذه السياسة (ابتكر المشاكل ثم قدّم الحلول)

٤- استراتيجية التدرّج :باعتماد التدريجية في تطبيق التكتيكات حتى يصلوا الى النتيجة التي يريدونها ولو فعلوها مباشرة لأحدثت ضجة وثورة عارمة كبعض الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية ،وقد تطول المدة او تقصر بحسب أهمية القضية مثلاً يريدون تقليل الرواتب فيتركون حالة البطالة تزداد ويستقدمون عمالة اجنبية رخيصة فيرضى المواطن بأقل ما يمكن.

٥- استثارة العاطفة بدل الفكر لتعطيل حالة الوعي والتأمل والتحليل وتمييز ما هو عقلاني عن غيره فيفقد الأنسان قدرته على النقد البنّاء الذي يقود عملية الاصلاح كما ان استعمال المفردات العاطفية يسمح بالمرور الى اللاوعي حتى يتم زرعه بأفكار ورغبات ومخاوف ونزعات او سلوكيات.

٦- إبقاء الشعب في حالة جهل وحماقة بطريقة يكون غير قادر على استيعاب الطرق المستعملة للتحكم به واستعباده بان تكون نوعية التعليم المقدّم للطبقات السفلى هي النوعية الافقر حتى تبقى الهوّة المعرفية التي تفصل الطبقات السفلى عن العليا غير مفهومة من قبل الطبقات السفلى.

٧- التعويض عن الثورة ورفض الظلم والفساد بالإحساس بالذنب بجعل الفرد يعتقد انه المسؤول الوحيد عن تعاسته وان سبب مسؤوليته تلك هو نقص في قدراته وقابلياته او تقصير في جهوده فيقوم بامتهان نفسه بدل التحرك للتغيير والاصلاح.

ولا يخفى عليكم سريان بعض هذه الاساليب الى الشعائر الدينية وهو ما نبهنا عليه في خطابات سابقة.

هذه نماذج من وسائلهم لترويض الشعوب وتسييرها في ظل الديمقراطيات الشكلية مستفيدين من ماكنة إعلامية مؤثرة وتمويل ضخم مصدره ما سرقوه من أموال هذه الشعوب المغلوبة على أمرها.

وأما المكر المستخدم لتحصيل المواقع الدينية المقدّسة فهو لا يقل دهاءاً عن هذه ويقترب من جملة منها كالذي ذكرناه من فعل الانقلابيين بعد رسول الله (ﷺ) او ما تقوم به بعض الجهات المتنفذّة بصناعة الزعامة التي يريدون ويسوّقونها الى الاتباع والمريدين الذين لا يتمكنون من المناقشة والتأمل لطول سياسة التجهيل المتبعة معهم ولأنهم اوهموهم بأن في ذلك خروجاً عن الدين ونحو ذلك فيسلّمون بالنتيجة وهذه أخطر حالات المكر التي تتعرض لها الأمة وهي راضية بحالها مستسلمة للأغلال التي كبلّوها بها ولا تسمع الى العلماء المخلصين العاملين الواعين.

بيان تأبين في ضحايا تفجير سبع البور[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة/١٥٥)

نعزي أنفسنا وجميع المؤمنين باستشهاد ثلة منهم وهم يؤدّون صلاة العشائين في هذه الليالي الشعبانية المباركة، عندما استهدفهم مجرم أثيم بتفجير انتحاري.

إنّ فقد هؤلاء الأحبة وإن كان مؤلماً محزناً إلاّ أنّ التجارب أثبتت أنّ هذه الدماء مباركة ومعطاء، وأنّها تساهم أكيداً في بقاء شجرة الإسلام وولاية أهل البيت (عليهم السلام) مورقة.

لقد أصبح العالم المتحضّر اليوم يعرف جيداً الطبيعة الوحشية لمنفذّي هذه الجرائم والإتّجاه الفكري المتحجّر والمتخلّف الذي ينتمي إليه هؤلاء ويغذّيهم بفتاوى التكفير ويموّل إرهابهم الأعمى، وأصبح يسمّيهم (آكلي لحوم الموتى).

إن الوفاء لهذه الدماء الزكيّة يقتضي المضي بثبات على نهج هؤلاء الأبطال الذين لم يتردّدوا ولم يتقاعسوا عن العمل الديني المبارك وإعلاء راية أهل البيت (عليهم السلام) مع علمهم أنّ منطقتهم محاطة بالإرهابيين، وإنّ استهدافهم متوقّع في أيّ لحظة، لكنّهم كانوا متألّقين في عملهم دؤوبين على إقامة الشعائر الدينية خصوصاً تنظيم الزيارات الأسبوعية لروضة الإمامين العسكريين (عليهما السلام) المطهّرة لرفع الغربة عن هذه البقعة المباركة وإدخال السرور على قلب مولانا الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه).

---

(١) نشر في العدد (١٢٩) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الثلاثاء ٢٩ شعبان ١٤٣٤ المصادف ٩ تموز ٢٠١٣.

إنّ عزائنا وسلوتنا هو في الدرجات الرفيعة التي يعطيهم الله تبارك وتعالى وهو يختارهم للقائه في مكانٍ مبارك وحالٍ مبارك ووقت مبارك فطوبى لهم وحسن مآب.

ونسأل الله تعالى أن يلهم ذويهم والمفجوعين بهم الصبر والسلوان وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل والأجر الجزيل الذي وعد به المجاهدين في سبيله إنّه وليّ النعم.

محمد اليعقوبي – النجف الأشرف

١٣ شعبان ١٤٣٤

٢٠١٣ /٦/٢٣

خطاب المرحلة
(٣٨٣)

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾[١]

بالأمس كان هنا وفد من المصلين في جامع الرحمن في منطقة سبع البور شمال بغداد التي استهدفها تفجير انتحاري مجرم[٢] أثناء إقامة صلاة العشاءين فاستشهد (١٥) بينهم إمام المسجد وأخواه وجرح (٢٥)، وكان مع الوفد عدد ممن أصيبوا في الحادث وقد أشاروا في حديثهم إلى أنّ عدد المصلين ازداد بعد هذا الحادث المروِّع، كما ازداد عدد السيارات التي تتوجه أسبوعياً من المنطقة لزيارة الإمامين العسكريين ورفع الغربة عن روضتهما المطهرة في سامراء.

ومن لطيف الصدف أن تكون زيارتهم في يوم ذكرى واقعة مشابهة حصلت في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) تسمى (حمراء الأسد) بعد معركة اُحُد بيوم أو أكثر وهي غزوة لا يعرف تفاصيلها إلاّ من ندر، وفيها درس ينطبق على الوفد الزائر وعلى واقعنا المعاصر وهو من دروس واقعة اُحُد وتداعياتها.

وقد تضمنت سورة آل عمران في القرآن الكريم دروساً ومواقف وعبر من معركة (اُحُد) التي عصى فيها بعض المسلمين أوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وركنوا إلى الدنيا فتحولّ النصر الذي تحقق على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) في بداية المعركة إلى هزيمة للمسلمين فاستشهد (٧٠) على رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع موكب السراج المنير من القرية العصرية في الناصرية يوم ١٧/شوال/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٨/٢٥.

(٢) وقع الحادث يوم السبت ١٢/شعبان/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٦/٢٢ وقد أصدر سماحة المرجع (دام ظله) البيان المتقدم عن الحادث.

(ﷺ)، وعاد المشركون متجهين إلى مكة، لكنّهم تلاوموا في الطريق بأنّهم لم يقضوا على النبي (ﷺ) ولا سيطروا على المدينة لاستئصال الدين الجديد فقرروا العودة باتجاه المدينة.

فنزل الوحي على رسول الله (ﷺ) وأخبره بعزم قريش وأن تكليفه الخروج بمن معه لمواجهتهم وإراءتهم أن ما حلّ بهم يوم اُحُد لم يضعف عزيمتهم ولم يُقلل من قوّتهم واشترط أن لا يخرج معه إلاّ من شهد اُحُداً، وكانوا مثخنين بالجراح مفجوعين بأحبتهم ومهزومين معنوياً، فاستجابوا لرسول الله (ﷺ) وخرجوا معه لملاقاة قريش المزهوة بالانتصار والتي تفوقهم عدة وعدداً وأعطى أبو سفيان أموالاً لبعض القوافل المتجهة إلى يثرب ليخوّف المسلمين ويرعبهم وأنّ قريش قد جمعت لكم الجموع لكنّهم أصرّوا على المضي مع رسول الله (ﷺ) وقالوا: (حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران/١٧٣).

روى في الدرّ المنثور ((أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله (ﷺ) من الأنصار كان شهد اُحُداً قال: شهدتُ مع الرسول (ﷺ) اُحُداً، أنا وأخٌ لي فرجعنا جريحين، فلما أذّن رسول الله (ﷺ) بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: تفوتنا غزوة مع رسول الله (ﷺ)؟ مالنا من دابة نركبها وما منّا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله (ﷺ) وكنت أيسر جرحاً منه، فكنت إذا غُلِب حملته عقبة ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرج رسول الله (ﷺ) حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثلاثة أميال فأقام بها ثلاثاً ثم رجع إلى المدينة))[1] لأن أبا سفيان لما علم بخروج النبي (ﷺ) وأصحابه الموتورين في اُحُد خشي أن يقابلهم وهم قادمون للانتقام من قريش، مضافاً إلى شخصٍ ممن أسلم حديثاً لكنه لم يعرف أبو سفيان بإسلامه توجّه إلى أبي سفيان

(١) الدر المنثور: ٣٨٧/٢.

وحذّره من ملاقاة المسلمين لأنهم خرجوا عن بكرة أبيهم لينتقموا من قريش وتسمى هذه الغزوة (حمراء الأسد) باسم الموضع الذي مكث فيه رسول الله (ﷺ) منتظراً قدوم قريش.

وإنما ذكرتُ ملخص الواقعة لأن القليل ممن يعرفها، ولا شك أن معرفتها توفّر بيئة لفهم الآيات المتعلقة بها ليستطيع تدبّرها وأخذ الدرس منها، قال تعالى (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ) وهم من شاركوا في أُحُد وأصيبوا لكنهم استجابوا لدعوة رسول الله (ﷺ) وخرجوا معه (مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) وهو القتل والجرح والآلام في معركة أُحُد (لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فالقبول لا يكون إلا من الذين اتقوا والذين هم محسنون: (الذين قال لهم الناس) وهم من بعثهم أبو سفيان لإرعاب أصحاب رسول الله (ﷺ) (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) وهم قريش (فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وكان هذا دليل نجاحهم في الاختبار وصحة إيمانهم (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ) وهو الأجر العظيم الذي ذكر آنفاً وانتصارهم على الخوف الذي زرعه فيهم الشيطان وأولياؤه، وفي تحوّل هزيمتهم إلى نصر حيث راحوا يلاحقون قريشاً وفي تحوّل نصر قريش إلى هزيمة حيث جبنوا عن لقاء النبي وأصحابه وآثروا الرجوع إلى ديارهم (لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) إذ دفع الله تعالى عنهم قريش ولم يحصل قتال (وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران: ١٧٢-١٧٤).

إنّنا في العراق نصاب يومياً بالجروح والقروح حتى إنه لم يبق مكان آمن من التفجيرات والاستهدافات فما أحوجنا إلى استلهام هذا الدرس والاستفادة منه بأن لا نشعر بالإحباط واليأس مما يحلُّ بنا، بل نلملم جراحنا ونتقدم في العمل حتى نحصل على ما ذكرته الآية الشريفة (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ) (آل عمران/١٧٤) فإن هذا هو ما نبحث عنه ونريده وهو هدفنا، وليس نريد شيئاً مما

يريده أهل الدنيا حتى إذا فاتنا ينتهي كل شيء، وإذا تخلينا عن أهدافا وهويتنا بسبب هذه الأعمال الوحشية فقد أعطينا للعدو مراده، فالرد الصحيح هو بالمضي في العمل الرسالي الذي يرضي الله تبارك وتعالى ورفع الهمّة والعزيمة في التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

والمثال الآخر لهذه المواقف الربانية ما حصل في حسينية حبيب بن مظاهر القريبة من جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) في حي القاهرة ببغداد وكان يرتادها جمع من طلبة الجامعة لأداء صلاة الظهرين ويطالعون دروسهم استعداداً للامتحانات، فامتدت يد الحقد والحسد والتكفير إلى هذه الفئة الصالحة وفجّر انتحاري نفسه وسط الجمع ثم تلاه آخر[1]، وكانت حصيلة التفجيرين (٣١) شهيداً و (٥٧) جريحاً، والذي حصل بعد الحادث زيادة المصلين في الحسينية من الطلبة الجامعيين وأبناء المنطقة وتصدي أحد الفضلاء لإمامة الجماعة فيها.

إن هاتين الجماعتين خير مثال لقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (بقية السيف أبقى عدداً وأكثر ولدا)[2] لأنها استجابت لله ولرسوله بعد أن أصابهم القرح وقد وعد الله تعالى بأنهم يعودون بنعمة من الله وفضل أسوة بأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) الذين خرجوا معه إلى (حمراء الأسد).

إن الوقائع التي يحكيها القرآن الكريم ليست حوادث تاريخية وقصصاً تذكر للتسلية والإطلاع بل هي دروس حيّة ورسالة هداية وإصلاح وثبات على صراط الحق لجميع الأجيال حتى يوم القيامة، ومنها هذه الآيات سورة آل عمران التي لم تكن مفهومة بهذا الشكل قبل أن نتعرف على بيئتها وظروفها، وعرفنا الآن إنها

---

(١) وقع الحادث يوم الثلاثاء ٨/شعبان/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٦/١٨.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨١.

دعوة للثبات والاستمرار في الاستجابة لله ولرسوله في بناء النفس وإصلاح المجتمع ورفع المعنويات غير متأثرين بالمصائب والآلام.

خطاب المرحلة

(٣٨٤)

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾[1]

لا شكّ أنّ الابتلاءات التي تعصف بالعراق وأهله شديدة قلّما يتعرّض لمثلها شعب آخر، ولا تقتصر على الوضع الأمني الذي أصاب الناس بالخوف والقلق حيث لم تعد فيه مدينة آمنة، وإنّما يتعدّاه إلى الوضع الاقتصادي المزري بكثير من الناس، وكذا الجانب الخدمي والاجتماعي والسياسي البائس.

وهذه الأوضاع المزرية لها أسبابها طبعاً، والمصلح الحاذق -كالطبيب الماهر- يبحث عن علّة الداء فيعالجها، ولا يكتفي بمعالجة الأعراض المرضية ولسنا بصدد بيان هذه العلل، وإنما نريد أن نلفت النظر، إلى أن هذه البلاءات يمكن أن يكون تأثيرها على الأمة إيجابياً فتكون سبباً ومقدمة ليقظة الأمة ونهضتها وحركتها نحو ما يصلحها ويعيد إليها عزّتها وكرامتها، ويمكن أن يكون دورها سلبياً فتكون سلباً ليأس الأمة وفشلها وإحباطها ونومها وانهيارها، ومثال ذلك: أنّ من يكون متعباً بحاجة إلى النوم فإنّه يتثاءب، ومن يستيقظ من نومه يتثاءب، فالحالة واحدة وهي (التثاؤب) إلاّ أنّها قد تكون مقدّمة ومؤشراً للصحوة والاستيقاظ والنشاط والحيوية، وقد تكون علامة على الكسل والخمول والركود والنوم.

ولا شك أن المطلوب من الأمة الحيّة الواعية المتطلّعة إلى الارتقاء والازدهار، تجعل هذه الصعوبات والمحن والضغوط سبباً لتكاملها وتقدّمها ويقظتها واستشعارها لمسؤولياتها.

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع وفد من أهالي الحمدانية وسهل نينوى التابعة للموصل زاروا سماحته يوم الأربعاء ٢٧ شوال ١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٩/٤.

وهذا الدرس نستفيده من القرآن الكريم وهو يتناول تداعيات معركة أُحُد، قال تعالى: (وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ) (النساء/١٠٤) فالآية تدعو المؤمنين إلى عدم الضعف والاستكانة والانهزام أمام الضغوط والتحديات وأن لا يقصّروا في متابعة القوم والاستمرار في مواجهتهم في كل ساحات العمل والتحدّي سواء كانت عقائدية أو فكرية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو عسكرية وغير ذلك، وتهيئة كل أسباب ومقوّمات هذه المواجهة، ولا يقعدكم ما يصيبكم من ألم القتل والجراح والخسائر والجهود، لأنّ الآخر يصيبه نفس ما يصيبكم ومع ذلك فإنّه لا ينسحب من المواجهة ويستمر في استهدافكم فلماذا تشعرون أنتم بالوهن والضعف والانسحاب، مع أنّ عندكم ميزة ليست عند أعدائكم وهي أنّكم ترجون ما عند الله تعالى من الرضوان ومجاورة أحبّائه وأوليائه (صلوات الله عليهم أجمعين) وهذا يشكّل حافزاً ودافعاً قويّاً يفتقده خصمكم.

ولهذا جاءت الآية الأخرى لتطمئن المؤمنين وتقول لهم (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران/١٣٩) فالضعف والتخاذل والخوف والقلق غير مبرّر لأنّكم الأعلون دائماً بطاعتكم لله تبارك وتعالى ورجائكم لما عنده وموالاة أوليائه، فأنتم أعلون إن كنتم ترجون من الله تعالى رضوانه.

وأنتم أيّها الأحبّة في الموصل وسهل نينوى قد كثر استهدافكم لأسباب سياسية واقتصادية وجغرافية وقومية وطائفية فكثر أعداؤكم وعظمت محنتكم، لكن لا يكن كل ذلك سبباً للتنصّل عن مسؤولياتكم التي يمكن أن نلفت النظر إلى عناوين بعضها:

١- وحدتكم لأنّ فيها قوّتكم وقدرتكم على تحصيل حقوقكم وتوجب احترام الآخرين بوجودكم، والالتفاف حول المخلصين من أبنائكم.

٢- تأسيس المنظمات الخيرية لمساعدة العوائل المحتاجة والأرامل والأيتام وهم كثر خلّفتهم المحنة الشديدة والطويلة والشرسة وقد أعطيت الأذن للمؤمنين بأن يصرفوا حقوقهم الشرعية في هذا المورد.

٣- تشجيع جملة من شبابكم الواعين المحبّين للعلم ليلتحقوا بالحوزة العلمية في النجف الأشرف ليكونوا حلقة الوصل مع المرجعية الرشيدة وليفقّهوكم في الدين ليعزّزوا عقيدتكم ويثبّتوا قلوبكم على الحق.

٤- المواظبة على إقامة شعائر الدين من صلوات الجمعة والجماعة وإحياء الشعائر الحسينية وإعمار المساجد، وجعلها منبراً للتوعية والتربية والتزوّد بالأخلاق والمعرفة.

وأنتم بالتزامكم بهذه الخطوات العملية وأمثالها تتحقّق استجابتكم للآية المتقدمة (وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ) لأنّ عدم الوهن يتحقق من خلال الاستمرار بالنهوض بالواجبات التي أشرنا إلى عدد منها.

إنّ المتقاعس والمتخاذل سوف لا ينجو من البلاء وسيصيبه بشكل أو بآخر فتكون خسارته مضاعفة لأنّه سيذوق الألم وسيحرم من الأجر والثواب لأنّه لم يرابط لأداء مسؤولياته، فترون الإنفجارات لا تفرّق بين سنّي وشيعي أو عربي و شبكي أو صغير وكبير أو رجل وامرأة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إنّك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور)[1] فالأقدار والبلاءات جارية على كل حال وأنت بموقفك -إيجاباً أو سلباً- محدِّد أثرها عليك؛ والمهم أن تكون دائماً ممن ترجو الله تبارك وتعالى وتحتسب عنده، واجعل هذا دائماً الفرق بينك وبين خصمك كما أشارت إليه الآية المتقدّمة ومحنتكم هذه تلزم الجميع بالوقوف إلى جانبكم ومد يد العون لكم ورفع الظلم

(١) منتخب ميزان الحكمة: ٣٦٠ رقم ٣٤٥٥.

والحيف عنكم، وتتأكّد أكثر على أبناء قوميتكم ومنطقتكم الذين تبوؤا المواقع المتنفّذة بأصواتكم ولا يجوز لهم الانشغال عن همومكم وآلامكم بمصالحهم الشخصية والفئوية.

خطاب المرحلة

(٣٨٥)

ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه[1]

لما عصى إبليس أمر ربه تبارك وتعالى في السجود لآدم (عليه السلام) وطرد من زمرة الملائكة أطلق تهديداً خطيراً واستراتيجياً يستمر إلى يوم يبعثون (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الحجر/٣٦) (ص/٧٩) فهدّد بقوله الذي حكاه القرآن الكريم (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ❖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (ص/٨٢-٨٣) وفي آية أخرى (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ❖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) (الحجر/ ٣٩-٤٠) وفي آية ثالثة (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (الأعراف/ ١٦-١٧).

وهو -لعنة الله عليه- حينما أطلق هذا التهديد لم يكن يعلم الغيب ليجزم بهذه النتيجة، وإنّما كان يهدّد ويأمل أن يحقّق هذه النتيجة ويبذل وسعه لتحقيقها وهي غواية جميع البشر إلاّ عباد الله الذين استخلصهم لنفسه ، ولا أدري إن كان يحتمل نجاحه في هذه العملية وهو يعلم أنّه يُقابل حشداً إلهياً فيه لطف رباني عميم ورحمة واسعة وإرادة دائمة لهداية البشر وصلاحهم وتواتر الحجج والبيّنات ظاهرة وباطنة (لا تخلو الأرض من حجّة) مضافاً إلى مواسم كثيرة تُغلُّ فيها الشياطين خصوصاً في شهر رمضان ورميهم بالشهب الثاقبة، بينما لا يملك إبليس إلاّ الدعوة والتزيين (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) (إبراهيم/ ٢٢) لذا قال تعالى (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) (النساء/٧٦).

---

(١) كلمة ألقيت من قناة النعيم الفضائية يوم ٤ ذق ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٩/١١ بمناسبة الذكرى الخامسة لاستشهاد السيد الصدر الثاني (قدس).

لكن المفاجئة إن البشر أعرضوا عن الاستجابة لداعي ربّهم مع هذه الألطاف والتأييدات المعدّة للهداية وأقرّوا عين إبليس ولم يخيّبوا ظنّه، قال تعالى (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ❖ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) (سبأ/ ٢٠-٢١) والمراد بظنّ ابليس الذي صدقوه تهديداته السابقة، بل ما أسرع استجابتهم له بمجرّد أن دعاهم.

وتسجّل السيّدة الزهراء (عليها السلام) هذا التعجّب والاستغراب في خطبتها: (وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين وللعزّة فيه ملاحظين، ثمّ استنهضكم فوجدكم خفافاً وأحشمكم فألفاكم غضاباً)[1]، أي وجدهم الشيطان مسارعين خفافاً للاستجابة له وترك وصيّة الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وآله).

لذا يحذّر أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس من الاغترار بهذه الدعوة والاستجابة لها، قال (عليه السلام): (فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ)[2] ولم يأخذ بهذا التحذير.

ولم يأخذ بهذا التحذير إلاّ القلة (إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سبأ/ ٢٠) وبثبات هذه القلة وإخلاصها وعملها الدؤوب حفظ الله تعالى هذا الدين وبارك في عطائهم وجعلهم مناراً للأجيال، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (أولئك هم الأقلون عدداً والأكثرون عند الله قدراً)[3].

---

(١) (الاحتجاج: ١/ ١٣٠)

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

(٣) نهج البلاغة، قصار الكلمات: ١٤٧.

أمّا أكثر الناس فقد سقطوا في فخوخ الشياطين، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (يس/٦٢).

ولم يكتفِ منهم اللعين بالغواية في موقف أو حالة أو زمان بل ظلّ يمعن في غوايتهم وإضلالهم حتّى نزع من قلوبهم الاطمئنان بالآخرة فجعلهم يشكون فيها، وعدم الإيمان بالآخرة تعني التحلّل من كلّ رادعٍ عن الفساد والانحراف والظلم والانحطاط والحيوانية.

وقوله تعالى في آية سورة سبأ المتقدّمة (لنعلم) ليس علماً بعد جهل تعالى الله عن ذلك، وإنّما معناه لنظهر لهم حقائقهم وبواطنهم حتى يعرفوا أنهم نالوا العذاب باستحقاق ولا يعترضوا لو عوقبوا بناءً على العلم الإلهي من دون إبراز لحقائق أعمالهم بأنهم لو اعطوا الفرصة لكانوا على خير.

ولكنّ الله تعالى يحذّرهم بحقيقة يجب أن ينتبهوا إليها وهي أنّه محيط بأفعالهم ونياتهم لأنّه تعالى حفيظ على كل شيء (لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ) (سبأ/٣) (يونس/٦١).

وهكذا كان الناس في كلّ موقف وفي كل مفصل من مراحل التاريخ ينحازون إلى صفّ إبليس إلاّ قليل ممن عصم الله تعالى (إِلَّا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) (سبأ/٢٠)، في تفسير القمي عن الإمام الصادق (عليه السلام) (لما أمر الله نبيّه أن ينصّب أمير المؤمنين (عليه السلام) للناس في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) في علي بغدير خم فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فجاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر وحثوا التراب على وجوههم، فقال لهم إبليس: مالكم؟ قالوا: إن هذا الرجل، قد عقد اليوم عقدة لا يحلها شيء إلى يوم القيامة. فقال لهم إبليس: كلا إنّ الذين

حوله قد وعدوني فيه عدة، فأنزل الله على رسوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) (سبأ/٢٠)[١].

ويجب أن نفهم من إقرار عين إبليس باتباعه له مراتب وإذا عجز اللعين عن المرتبة الشديدة للانحطاط فإنّه يقبل بما هو أهون منها والمهم عنده الإبعاد عن رضوان الله تعالى ولو درجة وإيجاد النقص في ما يقرّب إلى الله تعالى، فلا يقتصر عمله على الغواية إلى حدّ الكفر والشرك أو إلى حد ارتكاب المعاصي من المؤمنين، بل يعمل-في حالة عجزه عن ذلك- على التزيين لترك الأولى بفعل المكروه أو ترك المستحب.

روى الشيخ الطوسي في الأمالي عن الإمام الصادق (عليه السلام) إنّ إبليس كان يأتي الأنبياء من لدن آدم حتّى عيسى (صلوات الله عليهم أجمعين) ويحادثهم، وفي إحداها (قال يحيى بن زكريا (عليهما السلام): فهل ظفرت بي ساعة قط، قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني. قال يحيى: فما هي؟. قال: أنت رجل أكول فإذا أفطرت أكلت وبَشَمَت -أي امتلأت- فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل، قال يحيى (عليه السلام): فإنّي أعطي الله عهداً أن لا أشبع من الطعام حتّى ألقاه، قال له ابليس: وأنا أعطي الله عهداً إني لا أنصح مسلماً حتّى ألقاه. ثمّ خرج فما عاد إليه بعد ذلك.)[٢]

هذا مثال على صعيد الفرد، أما على صعيد الأمة -وفي نفس المستوى من الحديث- فإنّ مما يسعد إبليس اللعين إعراض أغلب الناس عن نصرة واتباع المرجعية الرسالية العاملة المخلصة المتأسيّة بوصف أمير المؤمنين (عليه السلام) للنبي (صلى الله عليه وآله) (طبيب دوّار بطبّه) ورجوعهم في المرجعية والقيادة إلى الحوزة المتقاعسة عن تحمّل

---

(١) البرهان: ٨ /٦٨ عن تفسير القمي: ٢/ ٢٠١، الأمثل: ١٠/ ٥٤٧.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٤٨- ٣٤٩، بحار الأنوار: ١٣/ ١٧٣.

مسؤولياتها اتجاه الدين والأمة مع اعترافنا بأنّها تقيم طقوس الدين، إلاّ أنّها لا تهتم بأمور الإسلام ولا المسلمين ولا تشعر بالغيرة عليهما والرحمة بهما وهذه أوصاف مأخوذة من طبيعة عملها ومنهجها الذي اختارته فلا ينبغي لها الاستياء من هذا التوصيف.

ولقد دلّت الأحاديث الشريفة على أنّ المرجعية الأولى أشدّ على إبليس من الثانية عن معاوية بن عمّار قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) رجل راوية لحديثكم يبُثُّ ذلك في الناس ويشدّده في قلوبكم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيّهما أفضل، قال: الراوية لحديثنا يشدُّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد)[1] ومن المعلوم أنّ شدّ قلوب الشيعة لا يتحقّق بمجرد كتابة الرسالة العملية.

وفي الاحتجاج وتفسير العسكري عن الإمام الهادي (عليه السلام): (لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه والدالّين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحدٌ إلاّ ارتدّ عن دين الله ولكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجل)[2] وهذا ما تقوم به المرجعية الرسالية العاملة كما هو واضح، والأدلة كثيرة، فإنّ قولهم (عليهم السلام): (الفقهاء قادة) وأنّم نوّاب الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين هم (ساسة العباد) لا ينطبق إلاّ على المرجعية العاملة.

إنّ تصدّي الحوزة غير العاملة للمرجعية، يتسبّب في نتائج خطيرة تساعد اللعين في مشاريعه، منها:

---

(١) أصول الكافي، ج١، كتاب فضل العلم، باب فضل العلماء، ح٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦/٢.

١- تعطيل فرائض مهمة كصلاة الجمعة التي عُطّلت مئات السنين وهي عنوان عزّة الأمة وكرامتها ومصدر وعيها وتربيتها، وكفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي وصفها الإمام الباقر (عليه السلام) بأنّها أسمى الفرائض وأشرفها (وأنّها سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحلّ المكاسب وتردّ المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر)، والمتابع يلاحظ كيف أن المنكر يجري على مرأى منهم فلا يغيّرونه وفيهم نزل تقريع الله تبارك وتعالى وتهديده (لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) (المائدة/ ٦٣) وقوله تعالى: (كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) (المائدة/٧٩) وقوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ) (الأعراف/١٦٥).

٢- تراجع العمل الإجتماعي للحوزة العلمية إلى حدّ الإصابة بالشلل أحياناً لأنّ كلّ مؤسسة تقوم برأسها وعقلها المدبّر، فالحوزة مرهونة بمرجعيتها وطريقة تفكيرها ومنهجها في التعاطي مع شؤون الأمة، فتجد في مرجعية الشهيدين الصدرين (قدس الله روحيهما) كيف انطلق وكلاؤهما وطلبتهما في الإصلاح الاجتماعي وإيجاد يقظة وصحوة لدى المجتمع.

٣- ضعف الحالة الدينية في المجتمع وانتشار الفساد والظلم والجهل وترك الواجبات الشرعية وهي نتيجة طبيعية للعاملين أعلاه، وكشاهد على ذلك نذكر وضع المجتمع العراقي في السبعينيات قبل نهضة السيد الشهيد الصدر الأول وقبل نهضة الشهيد الصدر الثاني في التسعينيات.

٤- خمول الحركة الإسلامية وتعطيل المشاريع الإسلامية عن الانتشار والتوسع والنمو والإزدهار لتخلي سدنته وحفاظه عنه بينما في عهد مرجعية الشهيدين

الصدرين (قدس الله سرهما) يقدّم الإسلام كمشروع يقود الحياة ويعيد للأمة هيبتها وعزّتها وكرامتها وريادتها ويقيم الحجّة على الأنظمة الوضعية الأخرى.

٥- عدم وجود من يرعى شؤون الأمة ومصالحها ومن يستمع لهموم الناس ويقضي حوائجهم ويرفع الظلم عنهم ويدافع عن حقوقهم خلافاً للعهد الذي أخذ عليهم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظّةِ ظالم ولا سغب مظلوم)[1].

٦- بسبب تقوقع هذه الجهة وانكفائها على ذاتها وأنانيتها فيحصل لديها ضعف الوعي بقضايا الأمّة والظروف والملابسات المحيطة بها ونتيجته فقدان الرؤية الصحيحة لمعالجتها واتخاذ المواقف الحكيمة وفي ذلك مخالفة لتوجيهات أهل البيت (عليهم السلام) حيث ورد عنهم: (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس)[2].

وغيرها من الأمور التي تظهر لمن يتابع حركة المرجعية في حياة الأمة وعلاقتها معها.

والأمر لا يقتصر على إبليس فإنّ شياطين الإنس أيضاً يصدق ظنهم على هؤلاء الناس فيستجيبون لهم بشكل غريب، هذا فرعون يحكي عنه القرآن الكريم (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ) (الزخرف/٥٤) أي أنّه بمجرد دعوته للناس لاتباعه والاستجابة لعبادته وجدهم يسارعون خفافاً لطاعته، لا لأهلية عند فرعون ولا لقوة ذاتية يملكها وإنّما لأنهم قوم فاسقون يسرعون إلى الباطل.

وهذا عبيد الله بن زياد كان يتوقّع انقلاباً عليه من أهل الكوفة حينما وصل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته لأنّه من غير المعقول أن تتخاذل الناس عن ابن

---

(١) نهج البلاغة: ٤٤ الخطبة الشقشقية.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٧.

بنت رسول الله (ﷺ) الإمام المعصوم الطاهر وتنصر الخبثاء أولاد الحرام، فعبأ جيشاً يعادل ألف مرة أصحاب الحسين وأسنده بقوّاتٍ من كربلاء إلى الكوفة، لكن شيعة آل أبي سفيان – كما وصفهم الإمام (عليه السلام)- لم يخيّبوا ظنّ ابن زياد وصدّقوا عليهم ظنّه واتبعوه ونفّذوا إرادة ابن زياد بوحشية فاقت ما طلبه منهم.

ومن ذلك ما يجري اليوم من تكاثر أدعياء الزعامات والعناوين المقدّسة وكلّ منهم يصاحبه القلق في بداية دعوته لأنه يتوقع أنّ الناس ستسأله عن أصله ومؤهلاته وتوفّر الشروط فيه وإنّ الأمة ستراقب حركته ليتأكدوا من مصداقيته، لكن شيئاً من ذلك لا يحدث ويصدّق هؤلاء المدعون على الناس ظنّهم فيتخذونهم ألعوبة بأيديهم.

نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق والتأييد (وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان فقد أسلمني خذلانك إلى حيث النصب والحرمان).

خطاب المرحلة

(٣٨٦)

بمناسبة حلول العام الدراسي:

دروس أخلاقية وتربوية من قصة قصيرة [١]

أنصح دائماً الخطباء والمعلمين وأولياء الأمور وكل المهتمين بالتربية والإصلاح والإرشاد أن يستفيدوا من القصص والحوادث والوقائع في أداء رسالتهم، لأنّها تشدُّ المتلقي وتثبت في عقله ووعيه لترابط الأحداث فيها، وهذا يؤدي إلى رسوخ الفكرة لديه، وهذه الثمرات واضحة، فالخطيب مثلاً حينما يبدأ بعرض حكاية أو حادثة فتجد الحضور ينشدّون إليه ويصغون، فهذا الأسلوب ناجح ومثمر خصوصاً في تربية الأطفال وتثقيفهم.

ولاشك أن الكتب حافلة بعدد هائل من القصص التي يمكن الاستفادة منها لتربية المجتمع وتوعيته وتوجيهه نحو الأخلاق السامية والمثل الإنسانية، وسأروي لكم واحدة منها ونحاول استخلاص الدروس والعبر.

كان المرحوم الميرزا النائيني مرجع الشيعة قبل حوالي ثمانين عاماً (توفي سنة ١٣٥٥ هجرية الموافق ١٩٣٦) وهو من العلماء المحققين وأستاذ لعدد كبير من المراجع والعلماء كالسيد الحكيم والسيد الخوئي والشيخ حسين الحلي وأمثالهم (قدس الله أرواحهم جميعاً) وكان يحضر بحثه أكثر من (٤٠٠) طالب بمختلف

---

(١) حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الهيئة التدريسية في قضاء المناذرة في محافظة النجف وجمع من المثقفين والأكاديميين في مركز اليقين الثقافي في الكوت يوم السبت ١٤/ذ.ق/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/٩/٢١، ومع حشد من الفتيان من طلبة العلوم الدينية في مدينة الصدر في بغداد يوم الخميس ١٢/ذ.ق/١٤٣٤.

المستويات، لكن الذين يفهمون مطالبه العلمية المعمّقة لا يتجاوز عشرة بالمئة من العدد، وبين الحضور كثير لا يفقه شيئاً إلا أنه يحضر للتبرك ونحو ذلك، وإذا شارك في سؤال أو مناقشة فإنه ينكشف أمره أمام الحاضرين.

وكان من هؤلاء المتدنين في العلم شخص متوسط العمر إلا أنه فاجأ أستاذه والعلماء الحاضرين ذات يوم بمناقشات وتحقيقات أذهلتهم لأنها لا تتصور من أمثاله وإنما من العلماء المحققين الذين أمضوا سنين في البحث والتحقيق فانبهر الأستاذ وأوقف بحثه وطلب من الحاضرين الهدوء والإنصات لهذا الشيخ ليعرف سرّ هذه القفزة الكبيرة في مستواه العلمي، وهنا تحدّث الشيخ.

قال: خرجت ليلة أمس لأشتري الخبز فمررت على خربة يصدر منها أنين ظننت أنهم جراء لكلبة ولدتهم، فلما دخلت وجدت هرة مطروحة على الأرض ميتة وأفراخها يلوذون بها ليمتصوا منها اللبن فلا يجدون ويتألمون من الجوع، فانكسر قلبي ودمعت عيني وذهلت عن الغرض الذي خرجت من أجله، وعلى الفور ذهبتُ إلى السوق فاشتريت لبناً وقنينة إرضاع الأطفال وأخذت أملأها باللبن وأرضع صغار الهرّة حتى شبعوا وهدأوا وناموا، ثم ذهبت في الصباح الباكر وكررت ذلك، وشعرت حينئذٍ أن شيئاً ما حصل في قلبي أحسست ببرده وسكينته وعندما جئت إلى البحث وجدت نفسي أفهم كل ما تلقونه وكأنني واظبت عليه منذ سنين، فتأثر الشيخ النائيني والحاضرون وأجهش بعضهم بالبكاء وقال (قده): إنّها معاملة مع الله، والله يقول: (وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) (الأنفال/٦٠).

ونستطيع أن نستخلص عدة دروس تربوية وأخلاقية من هذه الحادثة:

١- الاطمئنان بما نعتقد به جزماً من أن الله تعالى لا يهمل أي عمل فيه خير وإحسان بل يجازيه بما هو أحسن منه ويكافئ صاحبه قال تعالى (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ

مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) (الكهف/٣٠) وقال تعالى (إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) (الأعراف/١٧٠) وقال تعالى (أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى) (آل عمران/١٩٥) وهذا الجزاء والثواب يكون في الدنيا والآخرة، ونحن لا نعلم شكله وكيفيته، فصاحب هذه الحادثة أعطي علماً جماً لأن وظيفته طلب العلم، ويمكن أن يكافئ آخر بسعة في الرزق أو بزوجة صالحة أو بذرية طيبة أو بجاه اجتماعي ومكانة بين الناس وغير ذلك.

٢- سعة رحمة الله تعالى، فإذا كان الإنسان وهو مخلوق ضئيل لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً يحمل هذا القلب الكبير والرحمة الواسعة وتهتز مشاعره لهذه الهررة مع أنها لا توجد رابطة ولا مناسبة بينهما فكم هي سعة رحمة الله تعالى بعباده الذين خلقهم بيده ونفخ فيهم من روحه واعتبرهم عياله كما في الحديث (الخلق عيال الله)، وإن نسبة رحمة الإنسان إلى رحمة ربه لا تساوي شيئاً، ففي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (: الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنَّه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد (صلى الله عليه وآله) ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة)[1].

فمجموع هذه الرحمات التي يتراحم بها الجن والإنس والحيوانات فيما بينهم هي كالجزء من مئة جزء من رحمة الله تعالى.

٣- أن نكون مطمئنين إلى أن الرزق مكفول للعباد وأن أي نفس خلقها الله تعالى لا تخرج من هذه الدنيا حتى تستوفي رزقها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (لكل ذي رمق قوت) وعنه (عليه السلام) قال: (عياله الخلائق، ضَمِنَ أرزاقهم، وقدّر

(١) كنز العمال للمتقي الهندي: ١٦٧/٣، بحار الأنوار: ٢١٩/٦.

أقواتهم)[١] فيجب أن لا ننهمك في طلب الدنيا والمال وربما تطلّب ذلك غض النظر عن مصدر هذا المال وأنه من حرام أو حلال كالذي ابتلي به مجتمعنا من انتشار الفساد وخيانة المال العام وسلوك الطرق الملتوية للاستزادة منه فيجرّون على أنفسهم نار جهنّم ولو أنّهم صبروا وكبحوا جماح نزواتهم لأتاهم رزقهم لأن الله تكفّل بذلك.

وفي هذه الحادثة شاهد على ذلك، لأن قططاً حديثة الولادة لا تقدر على شيء وفي خربة قد ماتت أمها التي تغذيها واحتمال بقائها حية ضعيف جداً ومع ذلك سخّر الله تعالى لها من يطعمها ويسقيها فكيف بالإنسان الذي زودّه الله تعالى بكل ما يعينه على طلب الرزق الحلال الذي يضمن له حياة كريمة لذا وردت الموعظة والنصيحة في الحديث عن رسول الله (ﷺ): (ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حِلّه، فإنه لا يُدرَك ما عند الله إلا بطاعته).[٢]

٤- أن لا تستصغر شيئاً من عمل الخير والإحسان فقد يكون عظيماً عند الله ويكافئك بأعظم الأجر، فمجتمعنا البعيد عن أخلاق الإسلام لا يرى ما فعله هذا الشيخ شيئاً له قيمة وربما يستهزئ به، لأن السائد هو العبث بهذه الحيوانات الضعيفة ورميها بالحجارة واللعب بإيذائها وهكذا، لكن ما فعله هذا الشيخ لقي قبولاً ورضا عند الله تعالى فكافأه بالأجر العظيم.

٥- أن لا ييأس الإنسان من تكرار التجربة إذا حصل له الفشل فيمكن أن ينجح في المرة الثانية أو العاشرة أو أزيد من ذلك ولا يجعل الشعور بالإحباط ينفذ

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

(٢) الكافي: ٧٤/٢ ح٢.

إلى قلبه وعقله، فهذا الشيخ لم يكن يفهم الدرس مدة لكنه بقي متواصلاً مع الحضور إلى أن جاءت الساعة التي فتح الله تعالى عليه بها وسجّل الإنجازات، فلنستفد من هذا الدرس في كل شؤون حياتنا في الدراسة أو في العمل أو عند إصلاح الآخرين أو في حل المشاكل وفك العقد وغيرها وكذلك في الدعاء فلا نشك ولا نحبط من عدم الإجابة ونظل نطرق الباب إلى أن يأذن الله تعالى بفتحها، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (أكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا يُنال ما عند الله إلا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه).[1]

٦- إن قنوات تحصيل العلم عديدة لا تقتصر على الطرق الطبيعية المتعارفة من الدراسة ومطالعة الكتب فقد يلهم الله تعالى العلوم والمعارف للشخص بأن يقذفها دفعة واحدة في قلبه وعقله عندما يطهرهما وينقيهما الإنسان فتصبح مرآة نقية تعكس الحقائق الواقعية (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الجمعة/٤) كما أوحى الله تعالى إلى أمّ موسى (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) (القصص/٧) بل إلى الحيوان كالنحل (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) (النحل/٦٨) فالشيخ صاحب القصة المذكورة لم ينل علمه بدراسة وقراءة كتب وسماع من أستاذه بل أُلقي في قلبه حتى شعر ببرودته المعنوية وطمأنينته، قال تعالى (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ) (البقرة/٢٨٢) وقال تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) (الأنفال/٢٩).

وهذا يزرع الأمل في قلوب طلاب العلم والمعرفة حتى لا يقولوا لسنا مؤهلين ولا نفهم شيئاً أو ما يقال في المثل الشعبي السيئ (عكَب ما شاب ودّوه للكتّاب) أي بعد أن بلغ سن المشيب بعثوه إلى الكتاتيب -على الطريقة القديمة- والمدارس

---

(١) ميزان الحكمة، الباب ١١٦٩،الحديث ٥٥٨٥.

ليتعلم، فهذا المثل وأمثاله يركّز ثقافة خاطئة تدخل اليأس من التعلم لدى من تقدّم بهم العمر فيستمرون على حرمانهم من قراءة القرآن والأدعية المباركة وضروريات حياتهم بينما هذه الحادثة تعلمنا أن كل شيء ممكن مع الإخلاص والصدق والأمل.

وهذا يدفع طلبتنا الأعزّاء الذين يتعسر عليهم فهم بعض الدروس إلى القيام بالمزيد من أعمال البر والإحسان كخدمة والديهم وإدخال السرور عليهم أو قضاء حوائج الناس أو مساعدتهم فيفتح الله عليهم بسبب ذلك.

٧- ومن خلال هذه الحادثة وأمثالها نتعرف على سبق شريعة الإسلام إلى وضع قوانين حقوق الحيوان والرفق بها ورعايتها مما يتبجّح بوضعه الغرب مؤخراً وهذا دليل على عظمة الإسلام وسمو تعاليمه، بحيث أن الله تعالى يكرّم هذا الشيخ ويعطيه الجزاء الكبير في الدنيا والآخرة لأنه أشفق على حيوانات ضعيفة وأطعمها وسقاها.

والأحاديث في ذلك كثيرة كالمروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (من قتل عصفوراً عبثاً عجَّ إلى الله يوم القيامة ويقول: يا ربِّ عبدُك قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة).[1]

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إن امرأة عُذِّبت في هرة ربطتها حتى ماتت عطشاً).[2]

وروي عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال (مرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قوم نصبوا دجاجة حية وهم يرمونها بالنبل، فقال: من هؤلاء لعنهم الله).[1]

---

(١) كنز العمال/ ٣٩٩٧١ ، بحار الأنوار: ٣٠٦/٦١.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٨٠/١ ح٨٦٤.

وقصة العابد الذي خسفَ الله تعالى به الأرض فهو يهوي أبد الآبدين لأنه رأى أطفالاً يعبثون بديك وينتفون ريشه ولم ينههم عن ذلك.[٢]

٨- إن الأعمال التي يقوم بها الإنسان لا يثاب عليها ولا يؤجر إلاّ إذا نوى بها القربة إلى الله تعالى وبدون هذه النية لا يكون عملاً تعبدياً فلا يعطى الأجر كمن انشغل بشيء فلم يأكل ولم يشرب من الفجر حتى الغروب فإنه لا يعتبر له صوماً حتى ينويه صوماً قربة إلى الله تعالى.

ويستثنى من ذلك الأعمال الإنسانية التي فيها خير وإحسان للآخرين حتى الحيوانات فإن الله تعالى يكافئ عليها حتى لو لم ينوي صاحبها القربة إلى الله تعالى، كهذا الشيخ فإنه اندفع إلى إطعام القطط الصغيرة بداعي الشفقة وربما لم يلتفت إلى نية القربة لكن الله تعالى جازاه خيراً، لأنّ الله تعالى خالق كل الموجودات وكلهم عياله فالإحسان الذي يقدمه الإنسان إلى أي مخلوق يعتبره إحساناً إليه (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن/٦٠)، في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (قال الله عز وجل: الخلق عيالي فأحبّهم إليّ ألطفهم وأسعاهم في حوائجهم)[٣] فكلما كان الإنسان أشفق وأرحم بعباد الله تعالى كان أقرب إلى رحمة الله وفضله (إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف/٥٦).

هذه عدة دروس ولعلكم تلتفتون إلى غيرها بالتأمل والتدبّر، وإنما اخترت هذا الحديث لأحفّز أخواني المدرسين والمعلمين ليكونوا أكثر رحمة وشفقة على طلبتهم، وأن يكونوا أكثر شعوراً بالمسؤولية عنهم (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن

---

(١) بحار الأنوار ٢٦٨/٦١ عن نوادر الراوندي: ٤٣.

(٢) كتاب (أسمى الفرائض) الفصل الثاني ح٥٠.

(٣) الكافي: ١١٩/٢.

رعيته) وأن لا يقصروا في أداء واجبهم فإن كل إحسان مدّخر لهم عند الله تعالى ويكافئهم عليه.

وأيضاً لأحفّز الطلبة لبذل مزيد من الجهد والإصرار والمثابرة على تحصيل العلم وأن يتوقعوا من الله تعالى كل مزيد من حيث لا يحتسبون ولا يتسرب الإحباط والملل إلى نفوسهم، وأن يكونوا بارّين بآبائهم ومعلميهم وإخوانهم وسباقين إلى فعل الخير، فربما جازاهم الله تعالى على فعل واحد من أفعال الخير بأن يفتح عقولهم لدروس كانت مقفلة عليها.

وأن لا يقصّر جميع المربين والخطباء والمعلمين وأولياء الأمور من إعطاء هذه الجرعات الأخلاقية لتهذيب النفوس وتطهير القلوب معززة بالقصص والحوادث لمواجهة حملات الإفساد والتخريب الأخلاقي والفكري والاجتماعي والله المستعان.

خطاب المرحلة
(٣٨٧)

المرأة وطلب المعالي[١]

يوجد شعور أو ارتكاز أو ثقافة لدى النساء قبل الرجال بأنهنّ قاصرات عن بلوغ المعالي ودرك الكمال، وقد ترسّخت هذه الثقافة حتّى تحوّلت إلى قناعة، فاخترتُ هذا العنوان للحديث عنه.

إنّ سلوك طريق الكمال يبدأ بالإرادة والعزم، وكلما كان العزم أقوى كان قطف الثمار أسرع (على قدر أهل العزم تأتي العزائم) وينسب السيد الخميني (قده) إلى شيخه (رضوان الله تعالى عليه) قوله (إن العزم هو جوهر الإنسانية ومعيار ميزة الإنسان، وإن اختلاف درجات الإنسان باختلاف درجات عزمه)[٢]

وإنما يشتد عزم الإنسان وتقوى إرادته بزيادة القناعة والمعرفة، لذا أقدّم بعض المحفزّات لرفع الهمّة.

يوجد في القرآن الكريم والروايات والأدعية الشريفة ثناء عظيم على من تكون همته كبيرة في طلب الكمال ونيل معالي الأمور، قال تعالى في وصف عباد الرحمن (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (الفرقان/٧٤) والزوج لغة يطلق على المرأة والرجل فتجري الآية فيهما معاً،

---

(١) حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع الملتقى السنوي الثالث لإدارات ومدرّسات فروع جامعة الزهراء (عليها السلام) النسوية في المحافظات وقد عُقد في النجف الأشرف يوم الخميس ٢٦/ذ.ق/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/١٠/٣.

(٢) الأربعون حديثاً: ٣٤.

ويسجّل القرآن الكريم علّو همتهم بأنهم يطلبون أن يكونوا للمتقين إماماً، ولا يكتفون بأن يكونوا من المتقين، وإن كانت درجتهم رفيعة.

وفي دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي رواه كميل بن زياد (واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك، وأقربهم منزلة منك، وأخصّهم زلفة لديك، فإنه لا ينال ذلك إلا بفضلك، وجُد لي بجودك) والنساء كالرجال يطلبن ما في هذا الدعاء كل ليلة جمعة فيمكن أن يكون أي واحد منّا -نساءاً ورجالاً- أحسن عباد الله نصيباً وأقربهم إليه تبارك وتعالى بعد الإمام المعصوم (عليه السلام)، والدليل على إمكان الوصول إلى هذه المرتبة بفضل الله تبارك وتعالى تعليم الإمام لنا أن ندعو الله تعالى بذلك ولو كان مستحيلاً فلا معنى لطلبه.

وفي دعاء الافتتاح الذي يدعى به كل ليلة من شهر رمضان المبارك (اللهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الإسلام وأهله وتذلّ بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها خير الدنيا والآخرة) فتطلب -سواء كنت رجلاً أو امرأة- في هذا الدعاء من الله تعالى أن يجعلك من القادة إلى سبيله في دولة الإسلام الكريمة وليس فقط من عامة المؤمنين والصالحين وإن كان هؤلاء في نعيم.

فإذن هذا كله ممكن ومتيسر للنساء والرجال على حد سواء بعد الأخذ بأسبابه ووسائله الموصلة إليه قال تعالى (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ) (آل عمران/١٩٥) فهذا الموقع الشريف وهي القيادة في الدولة الكريمة ممكن بل هو واقع بحسب ما أفادت روايات أخبار الظهور، ففي حديث مطول روته عدة مصادر كتفسير العياشي وغيبة النعماني وإرشاد المفيد وغيبة الطوسي وغيرهم كثير بأسانيد متعددة عن جابر الجعفي عن

الإمام الباقر (عليه السلام) وفيه تفاصيل عن بداية ظهوره (عليه السلام) وحركته المباركة وخطبته في المسجد الحرام، ومحل الشاهد فيها إنه بعد أن يطلب الإمام النصرة بقوله (عليه السلام) في خطبته (فنحن أولى الناس بكتاب الله إنا نشهد وكلّ مسلم اليوم إنا قد ظُلمنا وطُردنا وبُغي علينا وأُخرجنا من ديارنا وأموالنا وأهالينا وقُهرنا إلاّ إنا نستنصر الله اليوم وكلّ مسلم).

يقول الإمام الباقر (عليه السلام) (ويجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة، يجتمعون بمكّة على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف يتبع بعضهم بعضاً، وهي الآية التي قال الله: (أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فيقول (عليه السلام) ثمّ يخرج من مكة هو ومن معه الثلاثمائة وبضعة عشر يبايعونه بين الركن والمقام)[1].

وهذه الرواية تدل على عظمة المنزلة التي يصل إليها هذا العدد الكبير من النسوة ويتصفن بالخصال الكريمة التي ذكرتها الروايات الشريفة لأصحاب الإمام (عليه السلام)، فيتأهّلن لممارسة دور قيادي في دولة الإمام لأن الثلاثمائة وثلاثة عشر هُم القادة في تلك الدولة الكريمة.

ويبرز بذلك دور المرأة الإنسانة في التصدّي لأعلى المواقع ونيل أرقى الكمالات لا المرأة التي يُتاجر بحقوقها وتمتهن كرامتها ويُفرض وجودها في الأروقة السياسية بالكوتا ونحوها.

ولا شكّ أن الوسيلة التي تصل بها المرأة إلى هذه المقامات تبدأ من خطّ الشروع والقاعدة الأساسية وهي التزامها بواجباتها الدينية على أكمل وجه، عن النبي

---

(١) راجع مصادر الرواية في (المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عليه السلام)): ٣٥٢).

(ﷺ) قال: (كلّ امرأة صالحة عبدت ربّها وأدّت فرضها وأطاعت زوجها دخلت الجنّة).[١]

وهذا يتطلّب منها تفقّها ومعرفة بأمور الدين بمعناه الواسع الشامل للأحكام الشرعيّة والمبادئ الاعتقادية والأخلاق السامية ومعرفة أولياء الأمر وهم الأئمة الذين فرض الله ولايتهم ومودّتهم وقرن طاعتهم بطاعته.

وتتكفّل الحوزات العلمية بشكل عام تغذية هذه العلوم والمعارف والأحكام بفضل الله تبارك وتعالى وبهذا تتحقّق فائدة مزدوجة، تكاملكم في أنفسكم، وتأهيلكم لإنشاء أسرة صالحة وتربية أبنائكم بشكل سليم يحقّق لكم الصدقة الجارية التي ذكرها الحديث الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: علم يُنتفع به، صدقة جارية، ولد صالح يدعو له)[٢] فلا تتحقّق الصدقة الجارية بأي ولد بل بالولد الصالح الذي يستمر بالتكاثر والتوسّع إلى يوم القيامة فكم سيكون هذا الرصيد المبارك؟

ذكرنا هذا على نحو الاختصار لأنّه واضح وملتفت إليه، ولكنّنا نشير الآن إلى بعض الخطوات العملية التي تزيد في التكامل وتوصل إلى المراد بإذن الله تعالى، ونأمل أن تكون من الإضافات التي تتميّز بها هذه المؤسسة المباركة (جامعة الزهراء الدينية) عن بقية المؤسسات وتهتم بها:

١- إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنّها معطّلة وغائبة في المجتمع وهذا التعطيل لدى النساء أشدّ لضعف حركة التبليغ والوعظ والإرشاد،

---

(١) مستدرك الوسائل: ٢٣٨/١٤ ح١٦٦٠٢.

(٢) شرح أصول الكافي، ج٦، ص١٣٧.

رغم أنّ هذه الفريضة وُصِفت في الأحاديث الشريفة بأنّها أسمى الفرائض وأعظمها وأنّها منهاج الأنبياء وسبيل الصلحاء وغير ذلك.

ويكفي أن ننقل حديثاً واحداً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان عظمتها قال (عليه السلام): (وما أعمال البرّ كلّها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ كنفثة في بحر لجّي) فتصوّروا عظمة هذه الفريضة، فهل يسعنا بعد هذا أن نتقاعس عن إحيائها وتفعيلها؟ ومن نافلة القول الإشارة إلى أن أداء هذه الوظيفة لا يقتصر على الآمر والناهي المباشرين بل يشمل آليات أخرى ومنها المنشورات والكتيبات والمجالس والحوارات ونحو ذلك.

ومن هذه الناحية فقد نجحت فروع الجامعة بتقديم العشرات من المبلّغات الرساليات ومرشدات قوافل الحجّاج ولهنّ صفحات نافعة على مواقع التواصل الاجتماعي وتركن أثراً مباركاً فجزاهنّ الله خير الجزاء.

٢- الاتّصاف بالحياء والعفّة، وهاتان الصفتان في النساء خصّهما بالطلب الدعاء المأثور في زمن الغيبة الذي أوّله (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية) والذي يبيّن الصفات المطلوبة في كل شريحة كالعلماء والأمراء والأغنياء والفقراء والشباب وغيره إلى أن يقول (وعلى النساء بالحياء والعفة) فالتركيز عليهما ناشئ من أهميتهما ودورهما في تكامل النساء.

وقد وردت فيهما أحاديث كثيرة كالمروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (العفة رأس كل خير)[1] وقد جعلته إحدى الفاضلات عنواناً لكتاب مفصّل في هذه الخصلة الكريمة، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ما المجاهد الشهيد في سبيل الله

---

(١) غرر الحكم : رقم ١١٦٨.

بأعظم أجراً ممّن قدّر فعفّ، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة)[١] وعنه (عليه السلام): (بالعفاف تزكو الأعمال)[٢].

وورد في الحياء قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الحياء سبب إلى كل جميل)[٣] وقوله (عليه السلام): (الحياء مفتاح كلّ الخير)[٤] وتلاحظ أنّ العفّة والحياء يشتركان في صفة كونهما أصل وسبب ومنشأ كلّ خير وجميل.

وقد عُرِّفَ الحياء بأنّه ((انقباض النفس عن القبائح وتركها، وفي الحديث الشريف (إنّ الله حيِيّ) أي تارك للقبائح فاعل للمحاسن)).[٥]

وفُسّرت العفّة بأنها ((حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة))[٦].

فهما إذن ملكتان نفسيّتان وخصلتان كريمتان بهما جمال المرأة وكمالها، أمّا ارتداء الحجاب الخارجي مهما كان متكاملاً فهو جزء منهما ومظهر لهما لكنّه لا يكفي وحده للتعبير عنهما ما لم ينعكس أثرهما على السلوك الخارجي والتعامل مع الآخرين، فلا فضول في الكلام ولا ملاطفة ولا انبساط في الحديث ولا خضوع بالقول ونحو ذلك، أما ما نسمع عنه اليوم من جلسات مختلطة غير محتشمة أو صداقات أو حوارات بين المؤمنين والمؤمنات على مواقع التواصل الاجتماعي أو بأي وسيلة أخرى مباشرة أو غير مباشرة تحت عنوان الحوار المفيد أو الهادف أو أي

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٤٧٤.
(٢) غرر الحكم: رقم ٤٢٣٨.
(٣) بحار الانوار ج٧٧ ص٢١١.
(٤) غرر الحكم / ح ٣٤٠.
(٥) المفردات للراغب، مادة (حييّ).
(٦) المصدر، مادة (عف).

شكل آخر هو خداع منافي للحياء والعفّة ولا مبرّر له لإمكان التواصل مع أبناء نفس الجنس، وتوجد شواهد كثيرة على انتهاء هذه العلاقات إلى نتائج مؤلمة.

إنّنا نفخر بأن جامعة الزهراء الدينية لكل فروعها أصبحت رمزاً للحياء والعفّة ويشيد بها حتى من لا يوافقنا في بعض التوجّهات.

٣- والخطوة العملية الأخرى المطلوبة هي حثّ النساء على الترفّع عن المباهاة والتفاخر والتزيّن بأمور الدنيا والتنافس مع النساء الأخريات والتفوّق عليهنّ، فهذه أمور تافهة لا قيمة لها وإن التنافس الحقيقي بالعمل الصالح وبالخصال الكريمة التي أشرنا إليها، أمّا هذه المنافسات الدنيوية فهي من خدع الشيطان.

٤- السعي الدؤوب لحماية المجتمع من المشاكل العائلية والخلافات على أمور لا تستحق الالتفات إليها تُسبّب الكراهية والبغضاء بين الأخ وأخته والأمّ وولدها والزوج وزوجته والأب وأبنه وبين الجيران والأرحام ونحو ذلك وتتضاعف وتتضخّم وتؤدي إلى تفكّك الأسر وتخريب المجتمع وهو ما يبغضه الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) ويؤدي إلى تشوش الفكر وانشغال القلب وزيادة الهم، وعلى العكس فإنّ المرأة تستطيع أن تصبح بعواطفها الجيّاشة ورحمتها الواسعة وقلبها الكبير أن تصبح جسراً للمودّة والمحبّة والتواصل بإذن الله تعالى.

هذه بعض الخطوات العملية التي فيها تلبية لاستنصار الإمام المهدي (عليه السلام) في خطبة الإعلان عن حركته (إلا إنّا نستنصر الله اليوم وكل مسلم) فكونوا من أنصار الله تعالى وأنصار الإمام (عليه السلام) بتوفيق الله ولطفه.

خطاب المرحلة

(٣٨٨)

ونحشره يوم القيامة أعمى[١]

من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة وهو يناجي ربه بكل تذلّل وخضوع (عميت[٢] عينٌ لا تراك عليها رقيباً وخسرت[٣] صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيبا) وهاتان الفقرتان فضلاً عن بقية فقرات الدعاء تزوّدنا بقواعد في السلوك المعنوي إلى الله تبارك وتعالى، وتدلّنا على الجناحين اللذين نطير بهما في سماء الكمال ومعرفة الله تعالى وبلوغ رضوانه وهما المراقبة والحب، مراقبة الله تعالى في كل الأفعال والأقوال والمواقف، واحتواء القلب على محبة الله تعالى حتى يكون هذا الحب هو البوصلة الموجّهة لكل الحركات والسكنات، وبالحب والمراقبة تتحقق التقوى التي هي خير الزاد ليوم المعاد (وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ) (البقرة/١٩٧).

فالشخص الذي يفعل ما يحلو له من دون إحساس وجداني بأن الله تعالى مطّلع عليه وأنه بمحضر رب العزة والجلال دائماً (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر/١٩) (إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء) (آل عمران/٥) (وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء (إبراهيم/٣٨) مثل هذا الشخص لا يبصر الحقيقة وهو أعمى البصيرة وإن كانت

---

(١) حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من كوادر مدينة الديوانية وأقضيتها ونواحيها وحيّي الجهاد المعامل في بغداد يوم الاثنين ٨ ذ.ح ١٤٣٤هـ المصادف ٢٠١٣/١٠/١٤.

(٢) (٣) العبارة تحتمل أن تكون إخباراً عن العين والصفقة بأنّهما تعمى وتخسر وقد تكون إنشاءاً بمعنى الطلب من الله تعالى أن يعمي العين ويخسر الصفقة وكلاهما وارد.

له عينان تبصران: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف/١٧٩) (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً) (الإسراء/٩٧).

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ❖ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ❖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى) (طه/١٢٤-١٢٦).

فمن يعرض عن ذكر الله تعالى ويهمل وظائف العبودية لربه تحصل له عقوبتان:

الأولى: المعيشة الضيقة النكدة المليئة بالقلق والخوف وعذاب الضمير ويزداد هذا الضيق قسوة عليه عند الموت وما بعده في القبر والبرزخ.

الثانية: يُحشر يوم القيامة أعمى لا يرى طريق السعادة والنجاة ورضوان الله تعالى وإن كان يرى العذاب والألم والأهوال أي أنّ عماهُ ليس مطلقاً وإنّما عن خصوص ما ينجيه ويوصله إلى السعادة والفلاح أمّا العذاب والألم والمصير المشؤوم فإنّه يراه (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (ق/٢٢) (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ) (الفرقان/٢٢) (وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ) (يونس/٥٤) (سبأ/٣٣) (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ) (الشورى/٤٤) (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ) (البقرة/١٦٦) لأنه كان هكذا في دار الدنيا، كان معرضاً عن الهداية والرشد ولا يرى طريق السعادة لكنّه كان يبصر الشهوات والهوى والدنيا فتجلّت حقيقته في الآخرة كما اختار هو في الدنيا (وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً)

(الإسراء/٧٢) وبهذا نردّ على إشكال بعض متحذلقة الكلام بوجود تناقض في القرآن الكريم بين آيات الإبصار والرؤية وآيات العمى.

ولأنّ هذا الشخص نسي ذكر ربه وأعرض عن آياته وأهملها فكان جزاؤه يوم القيامة أن يُنسى بمعنى يهمل ولا يلتفت إلى استغاثته وندائه واستصراخه كما يقول أحدنا لمن أهمله ولم يلتفت إليه إنك نسيتني، فقد جوزي إذن بنفس فعله (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) (الشورى/٤٠) روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته)[١] والثاني أشد من الأول روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (فقد البصر أهون من فقدان البصيرة)[٢].

هل أنت من أهل البصيرة:

وتدلّنا الروايات على بعض علامات أهل البصيرة، كالمروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (أبصر الناس من أبصر عيوبه وأقلع عن ذنوبه)[٣] وعنه (عليه السلام) (ألا إن أبصر الأبصار ما نفذ في الخير طرفُه).[٤]

ومن موجبات النور في الدنيا والآخرة بحسب ما أفادت الروايات الشريفة:

١- تقوى الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الحديد/٢٨)

٢- الصلاة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (الصلاة نور).[٥]

---

(١) كنز العمال: ١٢٢٠.

(٢) (٣) غرر الحكم: ٦٥٣٦، ٣٠٦١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٥.

(٥) مصادر الروايات المذكورة في هذه النقاط في ميزان الحكمة: ١٧٧/٩ وما بعدها.

٣- تلاوة القرآن، عنه (ﷺ) (عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخرٌ لك في السماء) وعن الإمام الحسن (عليه السلام) (إن هذا القرآن فيه مصابيح النور).

٤- صلاة الليل، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ما تركتُ صلاة الليل منذ سمعت قول النبي (ﷺ): صلاة الليل نور)

٥- ترك فضول الكلام وهو مادة أكثر أحاديث الناس في مجالسهم، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أكثر صمتك يتوفر فكرك، ويستنر قلبك ويسلم الناس من يديك).

٦- تجنب ظلم الآخرين، والآخرون المقصودون بالظلم يمكن أن يكونوا الوالدين أو الزوجة أو الأولاد أو الجيران لتضييع حقوقهم أو عموم الناس عند عدم مراعاة الحق والعدل والإنصاف معهم، روي أن رجلاً قال لرسول الله (ﷺ): أحبُّ أن أحشرَ يوم القيامة في النور) قال رسول الله (ﷺ):(لا تظلم أحداً تُحشر يوم القيامة في النور).

٧- أن تشهد بالحق للآخرين وتنصفهم، على أي مستوى من المستويات كما لو أريد منك الشهادة لأحد بالصلاح وحسن السيرة لتزويجه أو بحق مالي له أو أي حق اعتباري آخر عن النبي (ﷺ) قال (من شهد شهادة حق ليحيي بها حق امرئٍ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نورٌ مدَّ البصر يعرفه الخلائق باسمه ونسبه).

٨- الدعاء، عن رسول الله (ﷺ) قال (أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي قلبي نوراً، اللهم اشرح لي صدري ويسّر لي أمري وأعوذ بك من وسواس الصدور وتشتت الأمور).

موجبات العمى:

أما ما يوجب العمى يوم القيامة هو كل إعراض وصدود عن شرع الله وحكمه وعدم العمل بكتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل شؤون الحياة مما أصبح مألوفاً اليوم في الأسواق ومعاملاتنا التجارية وفي السنائن العشائرية وفي العلاقات الاجتماعية وفي السياسة والحكم وإدارة مؤسسات الدولة وغيرها كثير.

ولكل شريحة في المجتمع امتحانها وابتلاؤها بآيات الله التي يلزم العمل بها فلرجل الدين والطبيب والمدرّس والمهندس والكاسب والزوجة والابن والوالدين وغيرها من العناوين له الآيات والأحاديث التي تخاطبه وتنطبق عليه قوله تعالى (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا) (طه/١٢٦) حيث بلغه تكليفه والمطلوب منه، عن النبي (صلى الله عليه وآله): (ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول: (رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً))[1].

وقد علّمنا هذا الحديث وكلمة الإمام الحسين (عليه السلام) السابقة المدى الواسع لمن يمكن أن تشملهم الآية وأنّه لا أحد -حتى الملتزمين بأداء العبادات الدينية- بمنأى عن حشرهم عمياً إذا لم يكونوا مراقبين لله تعالى متّقين عاملين بشكل تفصيلي بآيات الله تعالى.

وهذا يفسّر لنا لماذا يطلب الأئمة (عليهم السلام) منّا أن نشعر بأنّنا مشمولون بكل آية فيها تخويف وإنذار وتهديد وأنّها ليست مقتصرة على الكافرين والمشركين والمنافقين، ففي وصف سيرة الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه كان ((يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوّذَ من النار))[2] وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله في صفة الذين يتلون حقّ تلاوته

(١) ثواب الأعمال: ٣٣٧ ح١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٨٢/٢ ح٥.

(ويرجون وعده ويخشون عذابه)[١] ونعود الآن إلى ذكر بعض الروايات التي شخّصت بعض موارد هذا الإهمال للأوامر الإلهية الموجب للعمى ومنها.

١- عدم التمسّك بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ، عن الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل (ومن أعرض عن ذكري) قال (عليه السلام): يعني ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) وعن قوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال (عليه السلام): (يعني أعمى البصر في القيامة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو متحيّر يوم القيامة يقول (رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ❖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا) (طه/١٢٥-١٢٦) قال: الآيات الأئمة (عليهم السلام) (فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى) (طه/١٢٦) يعني تركتها، وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم).[٢]

٢- ترك الحج وهو مستطيع عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (من مات وهو صحيح موسر ولم يحج فهو ممن قال الله عز وجل (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه/١٢٤)، قال أبو بصير: قلت: سبحان الله: أعمى قال: نعم إن الله عز وجل أعماه عن طريق الحق).[٣]

---

(١) تنبيه الخواطر: ٢/٢٣٦.

(٢) الكافي: ١/٣٦١ ح٩٢.

(٣) الكافي: ٤/٢٦٩ ح٦.

خطاب المرحلة

(٣٨٩)

عوامل ازدهار التشيّع بين الأمس واليوم[١]

تشهد هذه الأيام توسعاً ملحوظاً وازدهاراً للتشيّع ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بعد أن كان أهل البيت وشيعتهم مبعدين محاصرين لا يسمح لهم بتحرك معتدٍ به وكان مصيرهم القتل والسجن والتعذيب والحرمان ومصادرة الممتلكات، يتحدث الإمام الباقر (عليه السلام) عن هذه المحنة المهولة بقوله (وقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطّعت الأيدي والأرجل على الظنّة وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله أو هُدّمت داره)[٢] وسُئل كيف أصبحت؟ قال(عليه السلام): (أصبحت برسول الله (صلى الله عليه وآله) خائفاً وأصبح الناس كلهم برسول الله (صلى الله عليه وآله) آمنين).[٣]

وقد تعرض شيعة أهل البيت لألوان القتل والتعذيب والتنكيل، كتب معاوية إلى عماله نسخة واحدة جاء فيها: انظروا إلى من قامت عليه البيّنة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه[٤] وأوعز إليهم بهدم دور الشيعة فقاموا بنقضها[٥] وعهد إلى جميع عماله بعدم قبول شهادتهم في القضاء

---

(١) خطبتا صلاة عيد الأضحى للعام ١٤٣٤ التي أقامها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) يوم الأربعاء ٢٠١٣/١٠/١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١/ ٤٢٠.

(٣) موسوعة سيرة أهل البيت (عليهم السلام) للمرحوم الشيخ باقر القرشي: ١٣٢/١٨، عن ميزان الاعتدال: ١٦٠/٤.

(٤) (٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٥/١١.

وغيره مبالغة في إذلالهم، وأجلى زياد بن أبيه خمسين ألفاً من الشيعة من الكوفة إلى خراسان.[١]

وروى أبو بصير قال: (قلت لأبي جعفر (عليه السلام) جعلت فداك اسم سُمّينا استحلت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال ما هو؟ قال: الرافضة، قال (عليه السلام) ذلك اسم قد نحلكموه الله).[٢]

لذا كانت حركة التشيّع محدودة جداً كالنقش في الحجر روى الشيخ الكليني بسنده عن إسماعيل بن عبد الخالق قال: (سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأبي جعفر الأحول وأنا أسمع: أتيتَ البصرة؟ فقال: نعم، قال (عليه السلام): كيف رأيت مسارعة الناس إلى هذا الأمر ودخولهم فيه؟ قال: والله إنّهم لقليل، ولقد فعلوا وإنّ ذلك لقليل، فقال (عليه السلام): عليك بالأحداث، فإنّهم أسرع إلى كل خير).[٣]

هكذا كان الإمام (عليه السلام) يتفقّد حركة المبلّغين والمرشدين ويطّلع على نتائج أعمالهم ويعطيهم التوجيهات المناسبة حتى لا يدخلهم اليأس من الحصار الخانق المفروض عليهم واليوم وصل صوت أهل البيت (عليهم السلام) إلى العالم كلّه ويأوي إلى هذا الكهف الشريف الناس أفواجاً.

ونجد من مسؤوليتنا البحث في جواب السؤال الذي يستحق التأمل فيه عن سر ديمومة هذا الكيان الشريف وصموده رغم كل تلك الحرب الجهنّمية التي أحاطت به حتى حافظ على وجوده بل نمى وازدهر وتوسّع وفرض نفسه على الجميع مما أصاب الحاسدين والحاقدين من بعض طوائف المسلمين الأخرى أو غير المسلمين بالذهول والدهشة، ولم يجد أعداء هذا الكيان الشريف حلاً إلاّ استخدام الوسائل

---

(١) راجع المصادر في موسوعة أهل البيت للمرحوم القرشي: ١٧٩/١٣.

(٢) المحاسن للبرقي: ١١٩ كتاب الصفوة وصور، باب٢٤: الرافضة.

(٣) الكافي: ٩٣/٨ ح٦٦.

الوحشية من القتل والتدمير والتفجير والتخريب بلا أي خطوط حمراء من أجل إيقاف زحف هذا التمدّد المبارك وتطويقه لأنّهم يجدون في مبادئ هذه المدرسة السامية وثقافتها العدوّ الوحيد والخصم العنيد لمشاريعهم الاستكبارية واتخاذ مال الشعوب دولاً وعباده خولاً أما غير أتباع أهل البيت (عليهم السلام) -مسلمين كانوا أو غير مسلمين- فلم يعبأوا بهم كثيراً لإمكان ترويضهم وامتلاك زمامهم بشكلٍ من الأشكال.

وإنّما جعلنا إثارة هذا السؤال والبحث في الجواب عنه واجباً علينا لأنّه يحمّلنا مسؤولية إدامة عناصر القوة والازدهار هذه، والتحرّك بها لإقناع الآخرين وهدايتهم إلى هذا الحق المبين.

وما يمكن أن نذكره من أسباب الديمومة والازدهار والتوسّع ما يلي: -

١- الحفظ الإلهي، فقد تعهّد الله تبارك وتعالى بحفظ كتابه الكريم وعترة النبي (صلى الله عليه وآله) الذين هم عدل الكتاب، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر/٩) والذكر شامل لأهل البيت (عليهم السلام) لأن ذكرهم ذكر الله تعالى، قال تعالى (قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً . رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) (الطلاق/١٠-١١)، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّ شيعتنا الرحماء بينهم، الذين إذا خلوا ذكروا الله، إنّ ذكرنا من ذكر الله، إنّا إذا ذكرنا ذُكر الله وإذا ذُكر عدوّنا ذُكر الشيطان).[1]

وفي روايتين عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) (في قول الله عز وجل (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الذكر أنا

(١) الكافي: ج٢، باب: تذاكر الأخوان، ح١.

والأئمة أهل الذكر وقوله عز وجل (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) قال أبو جعفر (عليه السلام): نحن قومه ونحن المسئولون)[1].

وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) عن هذا الحفظ في حديث الثقلين المشهور (إنّي مخلّفٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة).

٢- رعاية إمام العصر كل عصر ودعاؤه، في الكافي (عن عبد الله بن أبان الزيّات وكان مكيناً عند الرضا (عليه السلام) قال: قلتُ للرضا (عليه السلام): ادعُ الله لي ولأهل بيتي فقال: أولستُ أفعل؟ والله إنّ أعمالكم لتُعرض عليّ في كل يوم وليلة، قال: فاستعظمتُ ذلك فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عزّ وجل (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (التوبة/١٠٥) قال: هو والله عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)).[2] وفي رواية أخرى (هم الأئمة (عليهم السلام)).

وفي الرسالة المروية عن الإمام المهدي (عج الله فرجه) للشيخ المفيد (إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء- أي الشدّة وضيق المعيشة- أو اصطلمكم الأعداء).

٣- أصالة هذه المدرسة واقترانها بالإسلام نفسه فهي محفوظة بحفظ الإسلام لأنها ليست شيئاً آخر غير الإسلام المحمدي الأصيل فالتشيّع هو الإسلام وليس مذهباً من مذاهبه التي نشأت لاحقاً.

فقد غرس النبي (صلى الله عليه وآله) نبتة التشيّع لأمير المؤمنين (عليه السلام) منذ الأيام الأولى للإسلام عندما نزل قوله تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء/٢١٤) وبقي

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب القضاء، أبواب صفات القاضي باب٧، ح٤، ٦.

(٢) أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب عرض الأعمال على النبي (صلى الله عليه وآله) ح٤.

يصرّح بفضل علي (عليه السلام) وإنّه خليفته ووارثه والإمام بعده حتّى حسم الأمر في يوم الغدير وألزم أصحابه بأن يبايعوا علياً بإمرة المؤمنين قبيل وفاته (صلى الله عليه وآله) وكان الله يبارك هذه الحركة وينزل الآيات تلو الآيات ومنها البشارة لعلي وشيعته في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (البينة/٧-٨)، فقد روى الفريقان أنّها نزلت في عليّ وشيعته.

وكان من شيعته أعيان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) الآخذين بسنّته كسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وأبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص الأموي وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي الهيثم بن التيهان ونظرائهم، وروى الخطيب الخوارزمي في مناقبه بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أقبل عليٌ قالوا: جاء خير البرية).[1]

وتأكيداً لهذا الانتماء الأصيل روى جابر قال (قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إذا حدثتني بحديث فأسنده لي، فقال: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن الله تبارك وتعالى، وكلما أحدّثك بهذا الأسناد)[2] ولذلك لم يحتج الأئمة إلى ذكر سند أحاديثهم كما يفعل غيرهم، روى حفص بن البختري قال (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): نسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعه أو من

(١) المناقب للخوارزمي: ٣/ ٦٩.

(٢) ١٣- وسائل الشيعة، باب القضاء، أبواب صفات القاضي، باب٨ ح٦٧-٨٦.

أبيك فقال: ما سمعته مني فاروه عن أبي وما سمعته مني فأروه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)).[١]

ومن آثار هذه الأصالة جعل الكتاب الكريم وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) المعيار لقبول روايات أهل البيت (عليهم السلام) فقد روى عبد الكريم بن أبي يعفور قال (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به، ومنهم من لا نثق به قال (عليه السلام): إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله وإلا فالذي جاءكم به أولى به)[٢]

٤- سموّ المبادئ والقيم الإنسانية العليا التي احتوت عليها مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) والتي تُلهم البشرية السعادة وتضمن لها العدالة والحياة الكريمة خُذ مثلاً عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر لمّا ولاّهُ مصر أو الأهداف التي أعلنها الإمام الحسين (عليه السلام) لثورته المباركة[٣] أو رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام) وهكذا كلمات الأئمة الآخرين (عليهم السلام) وفي ذلك يقول الإمام (عليه السلام): (فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا) [٤].

ولذلك وجدنا التفاف الناس حول هذه المدرسة كلما أعطيت فرصة للناس لكي ينصتوا إليها ويأخذوا منها كالذي حدث في زمان الإمام الصادق (عليه السلام) حيث وجد فرصة لبثّ علوم آبائه وأجداده الطاهرين فوجد العلماء من شتى الاتجاهات عنده ما لم يجدوا عند غيره لأن هذا الصوت كان محجوباً ومحاصراً فالتفوا حوله وأخذوا منه حتى من صاروا بعد ذلك أئمة للمذاهب.

---

(٢) وسائل الشيعة، باب القضاء، أبواب صفات القاضي، باب٩ ح١١.
(٣) راجع كمثال خطابنا عن (ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وتأصيل مبادئ حقوق الإنسان).
(٤) جواهر البحار: ج٢ كتاب العلم، ص٣٠.

وكشاهد على اعتراف المجتمع الدولي بريادة وسبق أهل البيت (عليهم السلام) في تثبيت حقوق الإنسان فقد اعتمدت الأمم المتّحدة عام ٢٠٠٠ عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر كوثيقة تأسيس لمبادئ حقوق الإنسان.

٥- السلوك السامي وطريقة التعامل المثالية التي كان يظهرها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) إلى درجة كان يذهل العدو قبل الصديق ويجعل الجميع يذعن لهم بالتقدّم على كلّ الناس، حيث كانوا يتعاملون برحمة ونبل وشهامة مع الأعداء والأصدقاء.

والروايات في ذلك كثيرة من سيرة الأئمة (عليهم السلام)، فالإمام الحسين (عليه السلام) يسقي الجيش المعادي الذي اعترضه في الطريق بقيادة الحر الرياحي وهم ألف فارس مع خيولهم وكان آخرهم منهكاً فسقاه الإمام بيده الشريفة مما أثّر في قلب القائد الحر وجعله ينقلب على قيادته ويلتحق بالإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء.

هذا السمو والعفاف والطهارة والنبل جعل الأمة تعشق أهل البيت (عليهم السلام) وإن لم يكونوا من شيعتهم لأنّ أغلب الناس على دين ملوكهم كما قيل، لاحظ كمثال انفراج الناس سماطين عن الإمام السجاد (عليه السلام) عندما تقدّم إلى الكعبة لاستلام الحجر الأسود بينما عجز الأمير الأموي بجيشه الكبير عن تحقيق ذلك، ومن اعترافات أعدائهم بذلك قول هارون العباسي لولده المأمون عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): (هذا إمام القلوب وأنا إمام الأبدان).

يقول أبو حنيفة إمام مذهبه (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد، لما قدم المنصور بعث إليّ، فقال: يا أبا حنيفة إنّ الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيّئ له من المسائل الشداد)[1] إلى آخر الرواية.. ومحل الشاهد اعتراف المنصور العباسي بافتتان الناس بالإمام الصادق (عليه السلام).

---

(١) جامع مسانيد أبي حنيفة ١ / ٢٢٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ١٦٦.

٦- التعاطف الإنساني الذي تجاوز حدود الطائفة والدين مع أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم بسبب شدة الظلم والبطش والقسوة التي تعرض لها أهل البيت (عليهم السلام) وارتكبت في حقّهم أبشع الجرائم:

أنست رزيتكم رزايانا التي سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

من دون أن يرتكبوا جريمة أو يصدر منهم فعل مشين لذا ألّف غير الشيعة من المسلمين وغير المسلمين كثيراً في أهل البيت وصدرت منهم كلمات رائعة فيهم، فكانت هذه المظلومية سبباً لاجتذاب كثيرين إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً قضية أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والإمام الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

٧- تواصل وجود القيادة المتمثلة بالمرجعية الدينية الرشيدة العارفة بزمانها والتي تتوفر فيها شروط الشرعية التي أعطاها الأئمة (عليهم السلام) لورثتهم من العلماء الذين يقومون مقامهم في ولاية أمور الأمة وقد صدرت من الأئمة كلمات مهمة في وجوب طاعة نوّابهم المستحفظين على شريعتهم وحرمة التمرّد عليهم كقول الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) (وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)[1] وقوله (عليه السلام) (الراد عليهم، كالراد علينا وعلى الله تعالى، وأنه شرك بالله)[2].

مما أعطى لحركة المرجعية زخماً كبيراً في حياة الأمة وهيبة وطاعة عظيمة عزّزها ما يتمتع به هؤلاء النوّاب من علمٍ جم وأخلاقٍ رفيعة وشفقة كبيرة على رعاياهم.

---

(١) كمال الدين وإتمام النعمة: ٤٨٤ الباب(٤٥) ذكر التوقيعات، وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٠ الباب(١١) حديث (٣٣٤٢٤) من أبواب صفات القاضي.

(٢) الكافي: ٧ / ٤١٢ الحديث ٥، الاحتجاج للطبرسي: ٢ / ٣٥٦.

٨- الانفراج السياسي وتخفيف قبضة السلطات الجائرة وقد تصل الفرصة أحياناً إلى حد التمكين في الأرض من خلال الحصول على السلطة والحكم أو الحضور فيها أو وجود ظروف سياسية مناسبة كالفترة التي عاشها الإمام الصادق (عليه السلام) بين ضعف الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية فاستثمر الإمام (عليه السلام) تلك الفرصة واتسعت مدرسته حتى سمي المذهب باسمه.

أما التمكن من السلطة والحكم النافذ فإنه من أقوى مصاديق قوله تعالى (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) (الأنفال/٦٠) وقد كان التمكين في الأرض وتهيئة الأسباب (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً) (الكهف/٨٤) من أعظم الوسائل التي آتاها الله أنبيائه العظام لنشر دعواتهم، ولنأخذ مثلاً النبي (صلى الله عليه وآله) فقد وصف الله تعالى أصحابه عندما كانوا في مكة بأنّهم (قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) ثمّ حصل التمكين (فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ) (الأنفال/٢٦) وتحقق هذا التأييد بالهجرة إلى المدينة وتأسيس دولة الإسلام الكريمة المباركة حتى انتشر الدين ودخل فيه الناس أفواجاً.

وقد حظي التشيّع على مدى القرون بدول اتخذته شعاراً -بغضّ النظر عن مصداقيتها في تبنّي هذا الشعار- وأعطت فرصاً ثمينة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) بالانتشار والتوسّع، والمتابع لتاريخ المدارس الفقهية وتطورها يجد ازدهارها مقترناً بالوضع السياسي الملائم كالعصر الذهبي أيام الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي الذي زامن نفوذ الدولة البويهيّة في بغداد، ومثله ما حصل في أيام الدولة الحمدانية في الشام والفاطمية في مصر والصفوية في إيران والأدارسة في المغرب، وما نشهده اليوم من انطلاق صوت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بعد أن تمكن الشيعة في بعض بلدان المنطقة.

٩- الشعائر الدينية، فقد كان لهذه الشعائر وخصوصاً الشعائر والمجالس الحسينية وزيارات مراقد المعصومين (عليهم السلام) الأثر الفاعل في هداية الكثير من الناس وإلفات أنظارهم إلى مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم وفضائلهم وتوضيح مبادئ وأصول هذه المدرسة المباركة، خصوصاً بعد التطور التكنولوجي الهائل في وسائل الإعلام والاتصالات حتى صار العالم كلّه يرى ويتابع هذه الحركة المباركة ويتساءل عنها ويتفاعل معها.

كما أنّ لهذه الشعائر والمجالس الأثر الكبير في تمسّك الشيعة بعقيدتهم والتعرّف على تفاصيل مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) عقيدةً وأحكاماً وأخلاقاً وأفكاراً، وكانوا كلما شرّقت بهم الأهواء وغرّبت أعادتهم هذه الشعائر إلى هذه الجنة المباركة.

١٠- انتشار المبلغين والدعاة والمؤمنين المتحمّسين لنشر مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) حيث شيّدوا المساجد والحسينيات وأقاموا الشعائر الدينية ورفعوا شعارات أهل البيت (عليهم السلام) في كل بقاع الأرض، وعلى طريقة الآية الكريمة (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) والمثل المعروف (ربّ ضارة نافعة) فقد كان تشريد وتهجير أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم في بقاع الأرض سبباً لانتشار هذا الصوت الإلهي المقدّس، ويحيى ذكر أهل البيت (عليهم السلام) الآن في أقصى نقطة من شمال شرق الكرة الأرضية في روسيا وفي أبعد نقطة غرب الأرض في الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وما بينهما.

إن الالتفات إلى عناصر القوّة والديمومة والإقناع في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تزيد إيماننا بصحتها وأحقيتها وبنفس الوقت توجب علينا مسؤولية المحافظة على هذه العناصر وإدامتها وتنميتها، وتجنّب كل ما يضعفها ويحجّم دورها وأثرها، فنكون -والعياذ بالله- سبباً في خيانة هذه الرسالة العظيمة وخذلان أئمتنا الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

ومن أشكال هذا الخذلان:

١- توظيف هذه العقيدة الحقّة لمكاسب دنيوية كالذي يفعله بعض السياسيين الشيعة مما يوجب النفور من هذه العقيدة وسوء الظن بها للارتباط الوثيق بين الأيديولوجية وسلوك حاملها فلابد من فضح المتاجرين بالدين وتبرئة الدين من أفعالهم.

٢- تسقيط العلماء وامتهان كرامتهم وانتهاك حرماتهم وتشويه صورتهم والافتراء عليهم مما يؤدي إلى توهين المذهب وسقوطه في أعين الناس.

٣- سوء تصرف أتباع المذهب وابتعادهم عن تعاليم هذه المدرسة الشريفة إلى حدّ المباينة بحيث يصبحون شيعة بلا تشيّع أي بالاسم فقط فيجلبون العار للتشيّع ويصبحون عائقاً دون انتشاره لأنهم يعرضون مثلاً سيئاً.

٤- ترويج الأخبار المكذوبة والممارسات المبتدعة ظناً منهم أنه زيادة في إظهار الولاء والتعصّب للمذهب مما يوجب استفزاز الآخر ونفوره كبعض أخبار الغلو والحكايات الخيالية والطقوس الدخيلة على الشعائر الحسينية ونحو ذلك.

إن من المؤسف التفات أعداء التشيّع إلى مكامن القوّة فيه أكثر من أبنائه فعملوا بجد على إضعافها من خلال تشويه صورة المذهب و تسقيط المرجعية وتحجيمها والقضاء على العاملين الرساليين وإلقاء الفتن بين الشيعة واستدراجهم وإبعادهم عن الصورة الناصعة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ونحوه من الأساليب والشيعة غافلون عن ذلك منشغلون بلعق شيء من العسل غطوا به سمومهم ولكن الله تعالى يقيض لهذا المذهب الشريف ولأتباع أهل البيت (عليهم السلام) من يوقظهم من غفلتهم وفاءاً بوعده الحق في الحفظ والتمكين.

خطاب المرحلة

(٣٩٠)

شرف خدمة أهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم[1]

(روي انّ أبا عبدالله عليه السلام كان عنده غلام يمسك بغلته اذا هو دخل المسجد، فبينما هو جالس ومعه البغلة اذا اقبلت رفقة من خراسان ، فقال له رجل من الرفقة: هل لك يا غلام أن تسأله ان يجعلني مكانك، وأكون له مملوكاً، واجعل لك مالي كله، فانّي كثير المال من جميع الصنوف، اذهب فاقبضه ،وأنا أقيم معه مكانك؟

فقال: اسأله ذلك.

فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: جُعلت فداك تعرف خدمتي ، وطول صحبتي ، فان ساق الله اليّ خيراً تمنعنيه؟

قال: اعطيك من عندي ، وامنعك من غيري.

فحكى له قول الرجل ، فقال: إن زهدت في خدمتنا ورغب الرجل فينا ، قبلناه ،وأرسلناك. فلما ولّى عنه دعاه ـ الإمام ـ فقال له: أنصحك لطول الصحبة ولك الخيار، فإذا كان يوم القيام كان رسول الله صلى الله عليه وآله متعلّقاً بنور الله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام متعلّقاً برسول الله، وكان الأئمة متعلّقين بأمير المؤمنين، وكان شيعتنا متعلّقين بنا، يدخلون مدخلنا ويردون موردنا.

فقال الغلام: بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا. وخرج الغلام إلى الرجل فقال له الرجل: خرجت إليّ بغير الوجه الذي دخلت به! فحكى له قوله (أي قول الإمام سلام الله عليه).)[1]

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع تجمّع أئمة الجمعة في محافظة القادسية يوم ٢٠/ ذ.ح/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/١٠/٢٦.

أقول: هذا بعض ما أعدّه الله تعالى من الشرف والكرامة لخدّام أهل البيت (عليهم السلام) الموالين لهم مما لا يعدله شيء من هذه الدنيا الزائلة، وهكذا يتنافس عليها العارفون بها.

وقد تسأل بأن هذا الشرف هل هو مخصوص بمن عاصرهم وأتيحت له فرصة خدمتهم ويحرم منها غيرهم كأجيالنا الحاضرة وهذا ينافي عدالة الخالق ولا يليق بسعة رحمته وكرمه.

والجواب يكون بالالتفات إلى أن خدمتهم (عليهم السلام) لا تقتصر على قضاء الحوائج الشخصية لهم حتى تنحصر بمن عاصرهم وباشرهم فإن من أرقى أشكال خدمتهم دراسة علومهم وسيرتهم ونقلها إلى الناس وقد وردت عنهم (عليهم السلام) كلمات جليلة في حق أصحابهم الذين قاموا بهذا الدور بحيث ورد في الحديث أن تعليم حديث واحد من أحاديثهم أفضل مما بين المشرق والمغرب، وهذه فرصة متاحة للجميع ولا تنحصر بطلاب الحوزة العلمية، ووسائل الاتصال الحديثة أتاحت فرصة واسعة جداً للحركة.

وهكذا تتنوع الخدمة بحسب قابليات الشخص ومؤهلاته، فالبعض يقيم المجالس الحسينية والبعض الآخر يخدم الزوار ويوفّر لهم الطعام وأسباب الراحة وسائر الخدمات، أو يشارك في المواكب والشعائر، ووسائل الإعلام تقدّم خدمة بعرض هذه الحركة المباركة التي أقنعت الكثيرين بدراسة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) واعتناقه عن معرفة، فانتشر ووصل إلى بلدان لم يكن في المستطاع الجهر فيها بالدعوة إلى أهل البيت (عليهم السلام) في البلاد العربية وغيرها من بلدان العالم، ولا شكّ أن هذه الخدمات ليست أقلّ من عمل ذلك الغلام الذي ذكرته الرواية المتقدمة.

---

(١) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة للشيخ عباس القمي: ٢٨٣.

وقد تكون خدمة أهل البيت (عليهم السلام) بمواقف تنصرهم وتعزّ كلمتهم وتقوّي وجود شيعتهم كالقانونين الأخيرين للأحوال الشخصية وفق الفقه الجعفري والمحكمة الجعفرية العليا الذين قدّمهما وزير العدل معالي الشيخ حسن الشمري[1].

ولا نغفل أيضاً عن أن أي خدمة نقدّمها لأحد المؤمنين هي خدمة لأهل البيت (عليهم السلام) لأنهم أولياء أمورهم وآباؤهم المعنويون كما أن أي أب يتشكر عندما تقدّم خدمة لولده، ويتضاعف الجزاء حينما يكون المؤمن من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله).

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: " أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة:

" المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه ".[2]

وفي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن وجميع ولده وأهل بيته، وفيها: " الله الله في ذرية نبيكم، فلا يظلمن بحضرتكم وبين ظهرانيكم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم ".[3]

في أصول الكافي بسنده عن عمر بن يزيد قال: سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: (الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ أَنْ يُوصَلَ)، فقال (عليه السلام): نزلت في رحم آل محمّد (صلى الله عليه وآله).[4]

إن الالتفات إلى هذه المعاني سيزيد من الحافز والهمّة والحماس للمساهمة في هذه الخدمات الجليلة والله ولي التوفيق.

---

(١) نشر نص الكلام حول هذه القضية في بيان صحفي مستقل.

(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٥ باب ٣١.

(٣) الكافي: ج ٧ ص ٥٢ باب صدقات النبي... ح ٧.

(٤) الكافي: ج ٢ ص ١٥٦ باب صلة الرحم... ح ٢٨.

قانونا المحكمة الجعفرية والأحوال الشخصية الجعفري نصرة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وتحقيق للعدالة الاجتماعية[1]

أشاد المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بالخطوة المبدئية والشجاعة التي أقدم عليها وزير العدل العراقي بتقديم مشروع قانوني المحكمة الجعفرية والأحوال الشخصية إلى الحكومة لغرض التصويت عليها قبل عدة أيام.

ودعا سماحته الجهات ذات العلاقة - وكل من يشعر بمسؤوليته تجاه بلده - إلى الثناء على هذا الموقف ودعمه وحشد الرأي العام باتجاه إقراره وإنفاذه وقال سماحته في كلمة ألقاها أمام حشد من الوفود الزائرة لمكتبه في النجف الاشرف: إن المطالبة بسن مثل هذه القوانين مطالب مشروعة وحق كفله الدستور العراقي الذي يمنع من سنّ أي قانون يخالف ثوابت الإسلام وليس فيه تعد على حق احد باعتباره لا يلغي العمل بالقانون الوضعي الساري او تجاوز على حرية احد، بل ان من مقتضيات وجود المجتمعات المدنية المتحضرة هو توفير فرصة للمواطنين لان يمارسوا سلوكياتهم الشخصية ويتقاضوا لدى الجهات القضائية التي تتفق مع معتقداتهم الدينية والمذهبية والتي اقرها الدستور من دون تجاوز على حقوق الآخرين.

وأضاف سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله): إن قانون الأحوال الشخصية الوضعي المدني النافذ الآن يتضمن عدة مواد مخالفة للشريعة الإسلامية وهي قضايا ترتبط (بعقود النكاح، والطلاق، والوصايا، والقيمومة، والإرث) فوجود مخالفات صريحة للشريعة السمحاء فيها يؤدي الى وقوع الناس في مخالفات شرعية مالية وشبهات نسبية وغيرها، وهذا فيه سلب للحريات وتجاوز على المعتقدات.

---

(١) نشر في العدد (١٣٣) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الاثنين ٢٩ ذ.ح ١٤٣٤ المصادف ٤ تشرين الثاني ٢٠١٣.

وأكد سماحته على ضرورة الالتفات إلى أن توفير فرص متكافئة للمواطنين في اختيار احد القانونين (المدني الوضعي أو الشرعي الجعفري) ليحتكموا إليه في دعاواهم ليس فيه تجاوز على الحرية والديمقراطية المدعاة ولا على وحدة النسيج العراقي المتنوع في الأديان والطوائف، إذ ليس فيه إلغاء للقوانين الأخرى أو منع من الترافع لدى المحاكم المدنية، والناس مخيرون في ذلك فلا (إكراه في الدين) كما جاء في الآية الشريفة فكما لا نكره الآخرين على شيء من معتقداتهم وسلوكياتهم كذلك لا نرضى أن يكرهونا على شيء من ذلك، والله تبارك وتعالى هو المتكفل بحساب عباده فيما اختاروا.

خطاب المرحلة
(٣٩١)

الذين بدّلوا نعمة الله كفراً [١]

من آداب تلاوة القرآن الكريم أن نقف عند كل آية عذاب وتحذير وتخويف وتهديد لنتوقع استحقاقنا لها، وأن نقف عند كل آية وعد وترغيب وتكريم ونعيم لنرجو أن نكون مشمولين بها، ولا نتصور أننا في مأمن ومنأى من آيات التخويف والتهديد، ورد في وصف سيرة الإمام الرضا (عليه السلام) إنه كان (يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى وسأل الله الجنة وتعوّذ من النار)[٢] وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في صفة الذين يتلونه حق تلاوته قال (عليه السلام) (ويرجون وعده ويخشون عذابه)[٣]ولنأخذ ذلك مثلاً قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) (إبراهيم/٢٨).

يتصور أكثر الناس أن النعمة هي المال والحياة المرفّهة، وهذا لا شك مصداق مهم للنعمة لكن مصاديقها أوسع من ذلك بكثير مما لا يلتفت إليه أغلب الناس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان) وعنه (صلى الله عليه وآله) (نعمتان مكفورتان: الأمن والعافية) وعنه (صلى الله عليه وآله) (نعمتان مفتون فيهما كثير من الناس: الفراغ والصحة).[٤]

وكل نعمة من هذه النعم تتحلل إلى ما لا يعد ولا يحصى من النعم، قال تعالى (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا) (النحل/١٨) وقد شرحنا في بعض خطبنا

---

(١) كلمة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع طلبة فروع جامعة الصدر الدينية في المحافظات المتفوّقين في الامتحان المركزي الذي أُجريَ لهم في النجف الأشرف، يوم الأحد ٢٨/ذ.ح/١٤٣٤ الموافق ٢٠١٣/١١/٣.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٨٢/٢ ح٥.

(٣) تنبيه الخواطر: ٢٣٦/٢.

(٤) تجد مصادر هذه الروايات في: ميزان الحكمة: ٧٢/٩.

السابقة أمثلة على ذلك، ولكن الإنسان يغفل عنها غالباً، عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال (كم من مُنعَم عليه وهو لا يعلم) ولا يحسّ بقيمتها إلا إذا فقدها لا سامح الله، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (من كان في النعمة جهل قدر البليّة) وعن الإمام الحسن (عليه السلام) قال (تجهل النعم ما أقامت، فإذا ولّت عُرفت)، وإن كان في غنى عن الوصول إلى هذه المرحلة، إذ يكفي تذكرها والالتفات إليها أو تخيّل أضدادها لمعرفة قيمتها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (إنما يُعرف قدر النعم بمقاساة ضدّها).

ولابد أن نلتفت إلى أن الأهم من النعم المادية المذكورة النعم المعنوية، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (إن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب) وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (لا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق).

ومن النعم المعنوية اجتماع الكلمة على الإيمان بالله تعالى وبرسوله وولاية أهل البيت (عليهم السلام) كما ورد في تفسير قوله تعالى (وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا) (آل عمران/١٠٣) قالت الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) في خطبتها (فأنقذكم الله بأبي محمد (صلى الله عليه وآله)) وروى العياشي في تفسيره قال: كان أبو عبد الله (عليه السلام) إذا ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (بأبي وأمّي ونفسي وقومي وعترتي عجبٌ للعرب كيف لا تحملنا على رؤوسها والله يقول في كتابه (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) فبرسول الله (صلى الله عليه وآله) والله أنقذوا)[1] ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) في تفسير قوله تعالى (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) (لقمان/٢٠) (أما ما ظهر فالإسلام وما سوّى الله من خلقك، وما أفاض عليك من الرزق، وأما ما بطن

(١) تفسير العياشي: ٢١٨/١ ح١٢٦.

فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به)، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) (النعمة الظاهرة النبي (صلى الله عليه وآله) وما جاء به النبي من معرفة الله عز وجل وتوحيده، وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقدُ مودتنا) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (ما أنعم الله على عبد أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله عز وجل غيره) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (إن من النعمة تعذّر المعاصي)، وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) (النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب).

وبعد الاطلاع على سعة النعمة وتنوعها وأهميتها ينفتح السؤال عن كيفية الحفاظ عليها وإدامتها لأنها معرضة للزوال -والعياذ بالله- فلابد من الحذر، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (أحسنوا مجاورة النعم، لا تملّوها ولا تنفرّوها، فإنها قلما نفرت من قوم فعادت إليهم) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (أحسنوا صحبة النعم قبل فراقها، فإنها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها).

والذي يوجب بقاء النعمة ودوامها ويمنع من نفورها شكر النعمة، والذي يوجب نفور النعمة وزوالها كفر النعمة، وهما معنيان متضادان يعرف معنى كل منهما بعكس معنى الآخر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (أحسن الناس حالا في النعم من استدام حاضرها بالشكر وارتجع فائتها بالصبر) وعنه (عليه السلام) (إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (لا تدوم النعم إلاّ بثلاث: معرفة بما يلزم لله سبحانه فيها، وأداء شكرها، والتعب فيها) وعن الإمام الهادي (عليه السلام) (القوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها).

إن كفر النعمة وما يقابله من شكرها له معانٍ وأشكال عديدة:

١- عدم استعمالها في طاعة الله تعالى كما مرّ في الأحاديث الشريفة التي وصفت الفراغ والصحة والأمن بأنّها نعم مكفورة لأنّها لم تُستثمر في طاعة الله

تعالى، والأسوأ أن تستخدم في معاصيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أقل ما يلزمكم لله ألاّ تستعينوا بنعمه على معاصيه) وعنه (عليه السلام) قال (استتموا نِعم الله عليكم بالصبر على طاعته، والمجانبة لمعصيته).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (إن أردت أن يُختم بخير عملك حتى تُقبض وأنت في أفضل الأعمال فعظّم لله حقّه أن لا تبذل نعماءه في معاصيه).

٢- عدم أداء حقوق النعمة كمن لا يؤدي ما بذمته من الحقوق الشرعية أو يهمل أداء فريضة الحج وهو مستطيع أو لا يصوم شهر رمضان وهو قادر وهكذا، وفي ذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً، أو غنيّاً بدّل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتّخذ البخل بحقّ الله وفرا)[1] ومحل الشاهد تطبيق الإمام الآية بالنص على من لم يؤدي حقوق الله تعالى في أمواله، وعنه (عليه السلام) قال: (يا أيّها الناس: إنّ لله في كلّ نعمة حقّاً، فمن أدّاهُ زاده، ومن قصّر عنه خاطر بزوال النعمة وتعجّل العقوبة، فليراكم الله من النعمة وجلين كما يراكم من الذنوب فرقين) ويشرحها الإمام الرضا (عليه السلام) بقوله: (إنّ صاحب النعمة على خطر، إنه يجب عليه حقوق الله فيها، واللهِ إنّه لتكون عليَّ النعم من الله عزّ وجل فما أزال منها على وجل-وحرّك يده- حتّى أخرج من الحقوق التي تجب لله عليّ فيها).

فكلّ نعمة تستوجب حقّاً، الوالدان نعمة ولهم حقوق، والمرجعية المخلصة العاملة نعمة ولها حقوق، والجاه والموقع نعمة وعلى صاحبه حقوق، عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النعم)، وهكذا.

ومن كفر النعمة التقصير باستعمال ما أنعم الله تعالى عليه في خدمة الناس وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (إن لله عباداً

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٩ في ذكر المكاييل والموازين.

اختصهم بالنعم يُقرّها فيهم ما بذلوها للناس فإذا منعوها حوّلها منهم إلى غيرهم) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب فيها عرّضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال والفناء).

فالذي يمكّنه الله تعالى في الأرض ويضع تحت تصرفه موارد الدولة والشعب وهو يسخّرها لمصالحه الشخصية والحزبية فهو ممن بدّل نعمة الله كفراً، والذي يستعمل الوسائل العلمية الحديثة التي أنعم الله تعالى بها على عباده في غير مرضاة الله فهو ممن بدّل نعمة الله كفرا وهكذا.

٣- عدم التحديث بها ونشرها قال تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى/١١) روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله (إنّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سُمّي حبيب الله محدثاً بنعمة الله، وإذا أنعم الله على عبدٍ بنعمة فلم تظهر عليه سُمي بغيض الله مكذّباً بنعمة الله) فاعتباره مكذّباً بنعمة الله مبغوضاً عند الله تعالى لأنّه لم يحدّث بنعمة الله ولم يظهرها، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إنّي لأكره للرجل أن يكون عليه نعمة من الله فلا يظهرها).

وإنّ أعظم النعم على الإطلاق الإسلام كما دلّت عليه الروايات الشريفة عن الإمام الحسين (عليه السلام) في قوله تعالى (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) (الضحى/١١) قال (عليه السلام) (أمره أن يحدّث بما أنعم الله به عليه في دينه)، وتمام هذه النعمة التي كمُل بها الإسلام نعمة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) بدلالة النصوص القرآنية ومنها الآية الشريفة التي نزلت في واقعة الغدير وتنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام) إماماً وهادياً للأمة وخليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فنزل قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (المائدة/٣) وما ورد في تفسير

قوله تعالى {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ }التكاثر٨ من حديث الإمام الصادق (عليه السلام) مع أبي حنيفة قال: (نحنُ -أهل البيت- النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم اخواناً بعد أن كانوا أعداءاً وبنا هداهم الله إلى الإسلام وهي النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم الله به عليهم وهو النبي (صلى الله عليه وآله) وعترته)[1] فأهل البيت ليسوا نعمة فقط بل نعمة باقية ثابتة مقيمة فتكون كثيرة مباركة لذا وصفهم بالنعيم.

ومن مجموع هذه المقدمات نصل إلى نتيجة: أن أوضح مصاديق تبديل نعمة الله كفراً هم الذين لم يؤمنوا بالإسلام وأشركوا بالله تعالى وأنكروا نبوة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله).

وممن تنطبق عليهم الآية كلّ من أعرض عن ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يلتزم بوصية النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عمّن ظلم أهل البيت (عليهم السلام) ونصب لهم العداوة والبغضاء فهو ممن بدّل نعمة الله كفراً.

وهذه النتيجة مذكورة نصّاً في القرآن الكريم بلفظ الانقلاب الذي هو معنى آخر لتبديل النعمة كفراً قال تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران/١٤٤) فالألفاظ المستعملة نفسها وهي الانقلاب المرادف للتبديل والشكر المقابل للكفر.

ووردت في ذلك روايات عديدة ففي الكافي بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعدلوا عن وصيّه لا يتخوّفون أن ينزل بهم العذاب) ثمّ تلا هذه الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ٢٣٠/١٠.

قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ❖ جهنّم يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ) (إبراهيم/٢٨-٢٩) ثمّ قال (نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده، وبنا يفوز من فاز)[1].

وعلينا أن نتذكر أن من كفر النعمة عدم إظهارها والتحديث بها وعدم القيام بحقوقها كما دلّت عليه الروايات المتقدّمة، فمن قصّر في إظهار نعمة ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ولم يتحرّك لإقناع الناس بها بأيّ وسيلة خصوصاً مع توسّع وسائل تبادل المعلومات ونقلها، أو لم يحفظ حرمة أهل البيت (عليهم السلام) في سلوكه وصفاته فهو ممّن لم يشكر هذه النعمة وربّما انطبقت عليه الآية بمعنى من المعاني.

فليتفقّه كلّ شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في دينهم وليطلعوا على سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ومناقبهم وفضائلهم ومحاسن كلامهم ليوصلوها إلى البشرية جمعاء إذا أردنا أن نكون من الشاكرين على هذه النعمة، وحتى نكون صادقين مع الله تعالى ومع أنفسنا حينما نتبادل التهاني والتبريكات في مثل هذه الأيام ونحمد الله تعالى على التشرّف بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ومباهلة النبي (صلى الله عليه وآله) ونزول سورة هل أتى والتصدّق بالخاتم وغيرها من المناقب الكثيرة.

وعلينا أن نُحيي أمر أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً الشعائر الفاطمية والحسينية شكراً لله تعالى على نعمة مودّتهم وولايتهم وقد كثرت الروايات عنهم (عليهم السلام) أنّهم هم النعمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وبهم يفوز من فاز، وقد مرّ في الأحاديث الشريفة أن شكر النعمة يتحقق بإظهارها والتحدّث بها.

---

(١) الكافي: ١٦٩/١ ح١.

خطاب المرحلة

(٣٩٢)

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ؟[1] الملك/٣٠

الماء من النعم الإلهية العظيمة التي يغفل عنها الإنسان لاعتياده لها وتوفرها حوله، فالماء قوام الوجود في هذه الدنيا وبه تقوم الحياة ولا يمكن للمخلوقات (بشراً و حيوانات ونباتات) أن تحيا إلاّ بالماء، قال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْء أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء/٣٠) وقال تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء) (النور/٤٥).

وقد ذكر الله تعالى الماء في القرآن الكريم في عشرات المواضع ليذكّر الناس بهذه النعمة لعلهم يتعظون ويعودون إلى ربهم قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ ❖ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ❖ لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (الواقعة/٦٨-٧٠) (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) (النمل/٦٠) (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (العنكبوت/٦٣) (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) (السجدة/٢٧).

وتأثير الماء في حياة الإنسان واسع جداً فبه يتطهّرون ومنه يشربون وبه يهيئون طعامهم ويحمل أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلاّ بشقّ الأنفس ويستخرجون منه لحماً طريّاً وحليّة يلبسونها، ويضفي جمالاً وسعادة على الحياة:

ثلاثة للناس ينفين الحزن الماء والخضراء والوجه الحسن

(١) كلمة ألقيت في شهر محرم ١٤٣٥ الموافق شهر١١/ ٢٠١٣.

فلابد أن نستذكر عظيم نعمة الله تعالى عند تناول الماء أو استعماله ونتلذّذ بذكر الله وعظيم نعمته، في ثواب الأعمال عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (من تلذّذ بالماء في الدنيا لذّذه الله (تعالى) من أشربة الجنّة)[1].

ولا ينبغي أن نغفل عن التأويل المعنوي للماء في الآيات الكريمة والروايات الشريفة حيث يراد به العلم والمعرفة التي تُحيي قلب الإنسان وتُسعده في حياته المعنوية، ووجه المقاربة أنّ الماء قوام الحياة الطبيعية، والمعرفة قوام الحياة المعنوية فيتشابهان من جهة كونهما قوام الحياة في عالمهما المناسب لهما.

وكثيراً ما يعتمد القرآن الكريم أسلوب ضرب الأمثلة لتقريب الفكرة، والاحتجاج بالمثال للنقض على المنكرين والمشكّكين، كمن ينكر البعث يوم القيامة فيمثّل له بالأرض الميّتة التي نزل عليها الماء وإذا هي اهتزّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج وهكذا، ومن ثمرات ضرب الأمثلة فتح الذهن أمام طلاب الكمالات للتأمّل في المعارف الإلهية كقوله تعالى (وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) (البقرة/١٦٤) فتأويلها أن لا ييأس المذنبون الذين جفّت أرض نفوسهم من حياة الإيمان والحبّ الإلهي من أن تشملهم الرحمة واللطف الإلهي فينزل عليهم ماء المعرفة فينبت فيها الإيمان والحب ويزدهر القلب.

وفي تفسير قوله تعالى (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً) (الرعد/١٧) قال علي بن إبراهيم (أنزل الحق من السماء فاحتملته القلوب بأهوائها، ذو اليقين على قدر يقينه، وذو الشك على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً وجفاءا، فالماء هو الحق، والأودية هي القلوب، والسيل هو الهواء، والزبد هو الباطل).[2]

---

(١) سفينة البحار: ١٤٣/٨.

(٢) المصدر: ٢٠٠/٥.

وفي قوله تعالى (وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً) (الجن/١٦) ورد تفسير[١] الطريقة بولاية أمير المؤمنين والمعصومين من بنيه (صلوات الله عليهم أجمعين) والماء بالإيمان والعلم الذي يتلقونه من الأئمة (عليهم السلام).

وكالآية محل البحث فإن ظاهرها الامتنان على العباد والاحتجاج عليهم وتذكيرهم بهذه النعمة العظيمة التي تعرف قيمتها فيما لو تصوّروا فقدانها بأن يصبح الماء غائراً في الأرض فلا يستطيعون تحصيله قال تعالى (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً) (الكهف/٤١) فلو لم تكن في الأرض خاصية عدم النفاذ لما بقي الماء على سطحها لتتناولوه لأنه سيغور في أعماق الأرض، ولو لم تكن فيه خاصية النفاذ لبقي جميع الماء على سطحها وغرقت اليابسة كلها، أما تأويلها فقد وردت فيه الرواية عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: (قُلت: ما تأويل قول الله عز وجل (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ)؟ فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون) وفي رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) في قوله تعالى (فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ) قال (عليه السلام) (يعني بعلم الإمام).[٢]

ولارتباط الماء بتفاصيل الشؤون الحياتية للإنسان فقد ورد الكثير من الروايات الشريفة لبيان أحكامه وآدابه، وأول ما تبدأ كتب الفقه بأحكام المياه لاشتراط العبادات بالطهارة، وتناولت آداب شرب الماء الصحية والاجتماعية والمعنوية، كما تعرضت لأحكام استعمال الماء والتصرّف فيه باعتباره من المباحات العامة واشتراك الناس فيه على حد سواء.

---

(١) المصدر: ٤٨/١٠.

(٢) راجع الروايات ومصادرها في تفسير البرهان: ٩/ ٣٤٨- ٣٥٠.

وقد نظم المرحوم الفقيه الشيخ محمد علي الأعسم آداب شرب الماء في أرجوزته في الأطعمة والأشربة، ومما قال (قدس سره):

سيدُ كلِّ المائعات الماءُ ... ما عنه في جميعها غناءُ
أما ترى الوحيَ إلى النبي ... منهُ جعلنا كلّ شيء حيِّ
ويكره الإكثار منه للنصِّ[1] ... وعبُّه أي شربه بلا مصِّ
يروى به التوريث للكُبادِ ... بالضمِّ أعني وجعُ الأكبادِ
ومن ينحّيه ويشتهيه ... ويحمدُ الله تعالى فيه
ثلاث مرات فيروى أنّه ... يوجب للمرء دخول الجنّة[2]
وفي ابتداء هذه المرّات ... جميعها بسمل لنص آتِ
وليجتنب موضع كسر الآنية ... وموضع العروة للكراهية
تشربه في الليل قاعداً لما ... رووه واشرب في النهار قائما
ويندُب الشرب لسؤر المؤمن ... وان أدير يُبتدأ بالأيمنِ

ومن أفضل الآداب والسنن عند شرب الماء ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) والسلام عليه وعلى الشهداء بين يديه، لأنّ ذكر الماء يلازم ذكر الإمام الحسين (عليه السلام)، فلا يكاد يُذكر الماء أو يُشرب أو يُلتذّ ببارده إلا ويستحضر الموالي ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) لأنه حُرم منه حتى قُتل ظمآناً إلى جنب الفرات، لقد حرموا الإمام الحسين

---

(١) في المحاسن عن الصادق (عليه السلام) قال: (إياكم والإكثار من الماء فإنّه مادة لكل داء) وعن النبي (صلى الله عليه وآله) إذا أكل الدسم أقلّ من شرب الماء ويقول: هو أمرأ لطعامي وفي طب الرضا (عليه السلام) (من أراد أن لا تؤذيه معدته فلا يشرب بين طعامه ماءاً حتى يفرغ).

(٢) روي (من شرب الماء فنحاه وهو يشتهيه فحمد الله يفعل ذلك ثلاثاً وجبت له الجنة) (سفينة البحار: ٨:١٤٣).

(عليه السلام) من الماء وهو الإمام المعصوم حجة الله في أرضه الذي خلق الكون لأجلهم،مضافاً إلى أنّ له (عليه السلام) أكثر من حق خاص وعام فيه[1]، فله حق خاص في نهر الفرات باعتباره مهر أمّه الزهراء (عليها السلام)، وله حق خاص على أهل الكوفة لأنّه سقاهم في صفّين وسقى طليعة الجيش بقيادة الحر في القادسية أثناء الطريق وله حق عام لشموله مع كل الناس باعتبار ما ورد في النبوي الشريف (ثلاثة أشياء الناس فيها شرع سواء الماء والكلأ والنار) وله حق عام يشترك به مع كل ذي روح حتى الحيوان لوجوب حفظ حياته لذا لو دار استعمال الماء بين الوضوء وحفظ حياة حيوان محترم وجب صرفه في الثاني.

يقول الشيخ الشوشتري، مقابل هذه الحقوق الأربعة التي ضيّعوها جعل الله تعالى له مياهاً أربعة، ماء الكوثر فقد كان شهداء كربلاء يسقون منها قبل خروجهم من الدنيا كما أخبر علي الأكبر، وماء الدموع فهو (عليه السلام) قتيل العبرة ما ذكره مؤمن إلاّ استعبر وماء الحيوان في الجنان يمزج بدموع الباكين ليزيد من عذوبته وفيه رواية معتبرة، وكل ماء بارد يشربه محبّوه والموالون له فإن للحسين حق ذكره عند شربه.

وقد أسّس الإمام السجاد (عليه السلام) هذه السنة الشريفة وحادثته في سوق القصّابين معروفة، و روى داود الرقي قال (كنت عند الصادق (عليه السلام) فشرب ماء واغرورقت عيناه بالدموع فقال: ما أنغص ذكر الحسين (عليه السلام) للعيش إني ما شربتُ ماءاً بارداً إلاّ وذكرت الحسين (عليه السلام))[2]، أي أنّ ذكر مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) نغّص عليّ حياتي وأنا دائم الذكر لها.

---

(١) أشار إلى هذا المعنى المرحوم الشيخ جعفر الشوشتري في كتاب الخصائص الحسينية ١١٧ الموضوع الرابع.

(٢) أمالي الصدوق: ١٢٢، كامل الزيارات:١٠٦ وأورده عنهما في البحار: ٣٠٣/٤٤.

وقد أحبّ الأئمة (عليهم السلام) من شيعتهم هذا التذكر ووعدوهم بالأجر العظيم فروي أن (من شرب الماء فذكر الحسين (عليه السلام) ولعن قاتله كتب له مائة ألف حسنة وحُطّ عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة وكأنما أعتق مائة ألف نسمة)[١] وروي عن الصادق (عليه السلام) مثل ذلك بزيادة (وحشره الله يوم القيامة ثلج الفؤاد).

وإلى هذا المعنى أشار المرحوم الأعسم:

والماء إن تفرغ من الشراب له ... صلِّ على الحسين والعن قاتله
تؤجر بآلافٍ عدادها مائة ... من عتق مملوك وحط سيئة
ودُرُج وحسنات ترفعُ ... فهي إذا مئاتُ ألف أربعُ

وقد نقل عن الإمام الحسين (عليه السلام) قوله بلسان الحال: شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني.[٢]

أداءاً لحقّه (عليه السلام) على جميع البشرية بل المخلوقات وليس على شيعته فقط واستذكاراً لموقفه العظيم وطلباً لما تقدم ذكره من الأجر الكبير، والمهم أن نلتفت إلى التأويل[٣] المعنوي لهذا التذكر بأن نتذكر الحسين ونصلّي ونسلّم عليه كلما استفدنا من علوم أهل البيت (عليهم السلام) ومعارفهم وكلما نفحتنا الألطاف الإلهية وكلما عمر زمان كشهر رمضان أو شهري محرم وصفر، أو مكانٌ كمسجد أو حسينية بذكر الله تعالى، لأن هذا الماء المعين العذب سقينا به ببركة أبي عبد الله

---

(١) سفينة للبحار: ١٤٤/٨.

(٢) الخصائص الحسينية: ١٨٣ عن مصباح الكفعمي: ٧٤١.

(٣) التفت إلى هذا المعنى المرحوم السيد عبد الحسين دستغيب في كتاب (سيد الشهداء عقائد ومفاهيم:٣١).

(عليه السلام)، ولولا تضحياته لا ندرس الدين من ذلك الزمان وعاد الناس إلى أشنع من جاهليتهم الأولى، وشعر يزيد يشهد بذلك:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل
لستُ من خندق إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

وهذا هو تأويل الآية التي جعلناها عنوان البحث فإن الدين لو اندرس بفعل آل أمية وأمثالهم من الطواغيت ولم ينهض الإمام الحسين (عليه السلام) فمن الذي كان سيأتينا بهذه العلوم والمعارف والأحكام الإلهية.

وجاء تأويلها أيضاً في بعض الروايات بغَيبة الإمام المهدي (عليه السلام) عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال (نزلت في الإمام القائم (عليه السلام) يقول: إن أصبح إمامكم غائباً عنكم لا تدرون أين هو؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماوات والأرض، وحلال الله وحرامه؟ ثم قال: والله ما جاء تأويل هذه الآية ولابد أن يجيء تأويلها).

وهكذا كل مصادر الهداية والصلاح إن فقدتموها فمن يأتيكم بها إلاّ الله تبارك وتعالى. فاشكروا الله تعالى ليديم بركتها عليكم.

خطاب المرحلة
(٣٩٣)

الوصية الأخيرة للإمام الحسين والإمام السجاد (عليهما السلام)[١]

إيّاكَ وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله تعالى

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

في ذكرى الإمام السجاد (عليه السلام) التي تقترن مع ذكرى أبيه الحسين (عليه السلام) نستفيد درساً من حياتهما المباركة، روى الإمام الباقر (عليه السلام) قال لما حضر علي بن الحسين (عليه السلام) الوفاة ضمّني إلى صدره ثم قال (يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة وبما ذكر أن أباه أوصاه به قال: يا بنيّ إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله)[٢] وقد روي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (يقول الله عز وجل: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري)[٣]، أي ظلم من لا يمتلك القوّة والنفوذ لاسترداد حقّه إمّا لضعفه كالمرأة واليتيم والمستضعف أو لغيبته وعدم علمه أو لترفعه عن ردّ الإساءة بمثلها.

وتكتسب هذه الوصية أهمية كبيرة من جهة كونها الوصية الأخيرة في الحياة وعادة ما تتضمن مثل هذه الوصية أهم ما يريد أن يقوله الموصي، ومن جهة تواتر الوصية بها من معصوم الى معصوم (عليهم السلام) ، وهم أبعد ما يكونون عن الظلم

---

(١) كلمة ألقاها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في ذكرى استشهاد الإمام السجاد (عليه السلام) يوم ٢٥ محرم ١٤٣٥ المصادف ٢٠١٣/١١/٢٩.

(٢) الكافي: ٣٣١/٢ ح٥.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٠٤/٥ عن عدة مصادر.

مطلقاً ،وهو ما دلت عليه الآية الشريفة (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة/١٢٤) فبلوغهم مقام الإمامة يعني انهم منزهون عن الظلم، وإنما أريد من التأكيد على هذه الوصية ترسيخها في ذهن الأمة حتى تصبح لهم شعاراً في حياتهم.

وكانوا (صلوات الله عليهم أجمعين) ينزهون أنفسهم عن الظلم بكل أشكاله ومستوياته حتى إذا لم يصل الى مستوى المخالفة الشرعية لكنه لا يليق بأخلاقهم العظيمة ، روى الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه السجاد (عليه السلام) قوله (إني حججتُ على ناقتي هذه عشرين حجة لم أقرعها بسوط).[1]

هذا هو ديدن الأئمة في الترفع عن الظلم مهما كان ضئيلاً وفي أي مستوى من مستوياته، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (والله لأَن أبيتَ على حسكَ السعدان مسهّداً، أو أُجرَّ في الأغلال مصفّدا أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلمُ أحداً لنفس يُسرعُ إلى البلى قُفولُها، ويطول في الثرى حُلولُها)[2] وذكر (عليه السلام) حادثته مع أخيه عقيل عندما أحمى له حديدة، ثم قال (عليه السلام) (والله لو أعطيتُ الأقاليمَ السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جُلبَ شعيرة ما فعلته)[3].

بيان: الحسك: الشوك، والسعدان نبت ترعاه الإبل له شوك، والمسهَّد: السهران، والمصفّد: المقيَّد، والقفول: الرجوع، وجِلب الشعيرة: غطاؤها.

---

(١) المحاسن للبرقي: ٦٣٥/٢.

(٢) (٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢١.

وكان الإمام السجاد (عليه السلام) يترفع عن الانتقام ومقابلة من ظلمه بالمثل لأنه يرى المقابلة بالمثل ومعاقبة المسيء سيئة وان الأليق بخصاله الكريمة العفو والصفح والإحسان إلى المسيء، تأدباً بقوله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) (المؤمنون/٩٦) وقوله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت/٣٤) وقوله تعالى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النور/٢٢) فالذي يرجو عفو الله تعالى وإحسانه وفضله وكرمه لابد أن يتعامل مع الناس على هذا الأساس.

روي: إن مولى لعلي بن الحسين عليهما السلام يتولى عمارة ضيعة له، فجاء ليطلعها فأصاب فيها فسادا وتضييعا كثيرا غاضه من ذلك ما رآه وغمه، فقرع المولى بسوط كان في يده، وندم على ذلك، فلما انصرف إلى منزله أرسل في طلب المولى، فأتاه فوجده كاشفاً عن ظهره والسوط بين يديه، فظن أنه يريد عقوبته ، فاشتد خوفه.

فأخذ علي بن الحسين السوط ومد يده إليه وقال: يا هذا قد كان مني إليك ما لم يتقدم مني مثله، وكانت هفوة وزلة فدونك السوط واقتص مني.

فقال: يا مولاي، و الله لقد ظننت أنك تريد عقوبتي، و أنا مستحق للعقوبة، فكيف أقتص منك؟!

قال: (ويحك اقتص).

فقال: معاذ الله، أنت في حل و سعة، فكرر ذلك عليه مرارا، والمولى كل ذلك يتعاظم قوله ويجلله، فلما لم يره يقتص، فقال (عليه السلام) له: أما إذا أبيت فالضيعة صدقة عليك، وأعطاه إياها)[1]

وفي رواية الطبقات الكبرى لابن سعد، ان عبد الله بن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: لما عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن ولاية المدينة وأوقفه الوليد

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٦ ص٩٩.

إلى الناس ليقتصوا منه، وكان يسيء إلى أبي، جمعنا أبي علي بن الحسين وقال: إن هذا الرجل قد عزل وقد أوقفه الوليد للناس فلا يتعرض له أحد بسوء، فقلت يا أبت، والله إن أثره عندنا لسيء وما كنا نطلب إلا مثل هذا اليوم. قال: يا بني نكله إلى الله، فوالله ما تعرض أحد بسوء من آل الحسين حتى تصرم أمره.)[١]

وروي في ذلك عن رسول الله (ﷺ) قوله (أوحى الله إلى نبي من أنبيائه .. إذا ظُلمتَ بمظلمةٍ فارض بانتصاري لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك).[٢]

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (لا يكبرّن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرّته ونفعك وليس جزاء من سرَّك أن تسوءَه) .

ولابد أن نلتفت إلى أن هذا التغاضي وعدم الرد فيما يتعلق بالمظالم الشخصية، أما إذا كان الظلم يتعلق بالحقوق العامة خصوصاً إذا انتهكت محارم الله تعالى فالنهي عنه واجب والسكوت قبيح ، روى في كنز العمال عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله (ﷺ) منتصراً من ظلامة ظلمها قطّ إلا أن يُنتهك من محارم الله شيء، فإذا انتُهك من محارم الله شيء كان أشدَّهم في ذلك).[٣]

والأحاديث الواردة في ذم الظلم والتحذير منه كثيرة فعن النبي (ﷺ) قال (إياكم والظلم، فإن الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة) وعنه (ﷺ) قال(لا تظلم أحداً، تُحشر يوم القيامة في النور)[٤]، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (الظلم في الدنيا بوار وفي الآخرة دمار)، وعنه (عليه السلام) قال (من ظلم عباد الله كان الله خصمه

---

(١) موسوعة المصطفى العترة ٦٤/٧ عن عدة مصادر ذكرها.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢١/٧٥ ح٥٠.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٠٨/٥ عن كنز العمال: ١٨٧١٦.

(٤) هذه المجموعة من الروايات وغيرها في ميزان الحكمة: ٢٩٩/٧ وما بعدها.

دون عباده) وعنه (عليه السلام) (بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد) وعنه (عليه السلام) (إياك والظلم فإنه أكبر المعاصي)، وعنه (عليه السلام) قال (ألا وإنّ الظلمَ ثلاثةٌ: فَظلمٌ لا يُغفرُ، وظُلمٌ لا يُتركُ، وظُلمٌ مغفورٌ لا يُطلَبُ، فأمّا الظُّلمُ الذي لا يُغفرُ فالشِّركُ بالله... وأمّا الظُلمُ الذي يُغفرُ فَظلمُ العبدِ نفسهُ عندَ بعضِ الهّناتِ، وأمّا الظُلمُ الذي لا يُتركُ فظلمُ العِبادِ بَعضِهِم بعضاً).[1]

وروي عن النبي في بيان عاقبة الظالم قال: (إنّه ليأتي العبدُ يومَ القيامةِ وقد سرّته حسناتُهُ ، فيجيء الرجلُ فيقول : يا ربّ ظلمني هذا ، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسناتِ الذي سأله ، فما يزال كذلك حتّى ما يبقى له حسنةٌ ، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل ، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار).[2] وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (من ظلم قُصِم عمره) ،وقال (عليه السلام) (بالظلم تزول النعم).

ويتضح من الروايات التي ذكرنا جملة منها إن مديات الظلم واسعة لا ينجو منها أحد الاّ من عصم الله تبارك وتعالى ،لان الظلم هو عدم الوفاء بتمام الحق ،وأول حق لا نستطيع الوفاء به ونقصّر فيه حق الله تعالى في طاعته وعبادته مخلصين له الدين (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان/١٣).

ومن الظلم ظلم النفس باتّباع هواها وعدم مسك زمامها فتوقعه في المعاصي وتتمرد على الطاعات وهو مفتاح الظلم للآخرين ،عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (من ظلم نفسه كان لغيره أظلم) فيقع في ظلم الأهل وعموم الناس سواء في تعامله معهم أو خلال تقصيره في المسؤوليات المناطة به كالطبيب الذي لا يلتزم بشرف مهنته في المستشفى ليراجعوه في العيادة الخاصة، أو المدرِّس الذي يقصّر في المدرسة

---

(١) ميزان الحكمة ج٧ ص٣٠٣.

(٢) ميزان الحكمة ج٧ ص٢٩٩.

حتى يلتحقوا بدروسه الخصوصية والموظف الذي لا يعمل بمهنية ونزاهة، والأم التي تقصّر في تربية أولادها وحفظ بيتها وشرف زوجها، أو السياسي في الحكومة والبرلمان الذي لا يبذل كل جهده في خدمة الشعب الذي ائتمنه على هذه المواقع والأمثلة تطول ، فهذا كله ظلم.

حتى إن الظلم يمكن أن يقع في أمور بسيطة لا نتصورها كالتحكيم بين كتابتين أو رسمين أيهما أجمل إذا لم يكن منصفاً في حكمه كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) (إن أمير المؤمنين (عليه السلم) ألقى صبيان الكتّاب ألواحهم بين يديه ليُخيِّر بينهم، فقال: أما إنها حكومة والجور فيها كالجور في الحكم)[1].

ولا سبيل إلى التخلّص منها جميعاً إلاّ بالطلب من الله تعالى أن يرضي الخصماء عنه ويتولى ذلك بنفسه لأنه ولي الخلق جميعاً، ورد عنه (عليه السلام) في دعاء يوم الاثنين (وَأَسْأَلُكَ فى مَظالِمِ عِبادِكَ عِنْدي، فَأَيَّما عَبْد مِنْ عَبيدِكَ اَوْ اَمَة مِنْ امائِكَ كانَتْ لَهُ قِبَلي مَظْلَمَةٌ ظَلَمْتُها اِيّاهُ، فِي نَفْسِه اَوْ فِي عِرْضِه اَوْ فِي مالِه، اَوْ فِي اَهْلِه وَوَلَدِه، اَوْ غيبَةٌ اغْتَبْتُهُ بِها، اَوْ تَحامُلٌ عَلَيْهِ بِمَيْلٍ اَوْ هَوىً، اَوْ اَنَفَة اَوْ حَمِيَّة اَوْ رِياء اَوْ عَصَبِيَّة. غائِباً كانَ اَوْ شاهِداً، وَحَيّاً كانَ اَوْ مَيِّتاً، فَقَصُرَتْ يَدى وَضاقَ وُسْعى عَنْ رَدِّها اِلَيْهِ وَالْتَحَلُّلِ مِنْهُ، فَأَسْأَلُكَ يا مَنْ يَمْلِكُ الْحاجات، وَهِيَ مُسْتَجيبَةٌ لِمَشِيَّتِه وَمُسْرِعَةٌ اِلى اِرادَتِه اَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَاَنْ تُرْضِيَهُ عَنّي بِما شِئْتَ، وَتَهَبَ لي مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً، اِنَّهُ لا تَنْقُصُكَ الْمَغْفِرَةُ وَلا تَضُرُّكَ الْمَوْهِبَةُ، يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ).[2]

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الحدود والتعزيرات، أبواب بقية الحدود، باب٨ ح٢.

(٢) الصحيفة السجادية/ دعاء يوم الاثنين.

ومن دعا ء له (عليه السلام)(اللهم اني اعتذر اليك من مظلومٍ ظلم بحضرتي فلم أنصره)[١] .

ومن دعائه (عليه السلام)(اللهم فكما كرهت إلي أن أظلم، فقني من أن أظلم)[٢]

(١) الصحيفة السجادية/ الدعاء٣٨ .

(٢) الصحيفة السجادية/ دعاؤه (عليه السلام) (إذا اعتدي عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحب) ص ٩٥.

المرجعية الدينية وقانونا الأحوال الشخصية والمحكمة العليا الجعفرية[١]

استقبل[٢] سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (مد ظله) معالي وزير العدل السيد حسن الشمري، وقدم له عرضا موجزا عن نتائج جولته على أصحاب السماحة والفضيلة مراجع الدين والعلماء الإعلام في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة، من اجل الوقوف على ملاحظات وتوجيهات ومواقف المرجعية الدينية والحوزة العلمية من قانوني الأحوال الشخصية ومجلس القضاء الجعفريين، وكان الموقف الغالب هو التأييد والثناء إلى حد الحماس والاندفاع لسنّ القانونين وتنفيذهما ، وحضر اللقاء عدد من مستشاري مجلس شورى الدولة .

وقد استمع سماحته من معالي الوزير للخطوات اللاحقة بعد موافقة مجلس شورى الدولة على صياغة القانونين وتقديمهما إلى الحكومة لتحصيل موافقتها ومن ثم عرضها على البرلمان للتصويت عليهما.

كما بيّن معاليه المعوقات والمشاكل ووجهات نظر المعترضين على طرح القانونين.

كما استقبل[٣] سماحته وزيرة الدولة لشؤون المرأة الدكتورة ابتهال الزيدي لمناقشة بعض المشاكل التي تواجهها المرأة العراقية وكيفية معالجتها والاطلاع مباشرة على رأي المرجعية في القانونين الجعفريين قبل عرضهما في اجتماع الحكومة الأسبوع المقبل، ونقلت السيدة الوزيرة إلى سماحة المرجع جملة من هواجس

---

(١) نشر في العدد (١٣٤) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الاثنين ٢٨ محرم ١٤٣٥ المصادف ٢ ك١ ٢٠١٣.

(٢) تاريخ اللقاء الاربعاء ١٦ محرم ١٤٣٥ الموافق ٢٠١٣/١١/٢٠

(٣) تاريخ اللقاء الاربعاء ٢٣ محرم ١٤٣٥ الموافق ٢٠١٣/١١/٢٧

ومخاوف المعترضين، التي أطلع سماحته على جملة منها من خلال وسائل الإعلام وما نشر على المواقع الالكترونية ولخص سماحته أجوبته عليها في النقاط التالية:

١- ان قانون الأحوال الشخصية ينظم الحياة الشخصية للإنسان كالزواج والطلاق والميراث والنفقة والمعاشرة والحضانة والقيمومة ، وما دامت اموراً شخصية فمن حق الإنسان ان يتعاطى معها بالطريقة التي يؤمن بها ويعتقد بصحتها ولا يمكن اكراهه على شيئا منها ، وليست هي من الأمور العامة التي يشترك بها جميع المواطنين حتى يسنّ لها قانون عام ملزم للجميع، وقد كفل الدستور هذا الحق الشخصي.

٢- عُرِف عن شيعة اهل البيت(عليهم السلام) انهم ملتزمون بفتاوى مرجعياتهم الدينية التي تتواصل مع مستجدات الحياة من خلال الاجتهاد واستنباط الاحكام الشرعية للحوادث الواقعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولا يمكن الزامهم لحكم مخالف للشريعة لان المسألة لا تقبل المساومة والصفقات، اما الاخرون فلا توجد عندهم هذه المشكلة .

٣- لقد سجلّت المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف متمثلة بالمرحوم السيد محسن الحكيم (رحمه الله) اعتراضها على قانون الأحوال الشخصية منذ صدوره عام ١٩٥٩ وعقدت المهرجانات لرفضه وبعثت الوفود لإبلاغ الحكومة ذلك، وألّف فضلاء الحوزة كتبا ذكروا فيها موارد مخالفة القانون للشريعة ومنهم فضيلة السيد محمد بحر العلوم وهو شاهد حي، وكان الغاء القانون شرط السيد الحكيم لاستقبال الزعيم عبد الكريم قاسم ، فالمرجعية الشيعية واتباعها غير ملزمين بمواد القانون المخالفة للشريعة ، وكانوا ولا زالوا يعتبرون قرارات محكمة الاحوال الشخصية المستندة الى مواد مخالفة للشريعة في الميراث والتفريق بين الزوجين وغيرها باطلة وحبراً على ورق ولا يرتبون عليها اي اثر وانما يستصدرونها لأجل تمشية بعض

المعـاملات الرسميـة، - وهـذا معـروف لـدى الجميـع- ويطبقـون واقعـا مـا يفـتي مراجعهم الا من بعض الجاهلين بأحكام الشريعة، ولّما التفتوا بعد انتشار الصحوة الدينية بفضل الله تبارك وتعالى وجدوا انفسهم متورطين بامور عديدة ، فهذا قد حرمت عليه زوجته مؤبداً وذاك قد أكل اموال الغير بغير حق وهذا الحق نسباً بطريقة غير شرعية وهكذا ، واصبح من العسير حلّ هذه المشاكل.

٤- إن الطوائف الاسلامية الاخرى والاديان غير الاسلامية لم تعترض على القانون وعملت بموجبه بل اعتبرته ملزماً كما صرح به احد مرجعيات اهل السنة من بعض الاعلام المعاصرين في بيانه الاخير عندما سجّل اعتراضه على خطوة وزير العدل الاخيرة، فليس من حق احد غير الشيعة الجعفرية ان يطالب بقانون خاص به لأنه الزم نفسه بالقانون الموجود وهذا الاشكال الذي يسوقه البعض لا اصل له.

٥- لا مانع لدينا من تسمية القانون بالإسلامي او الشرعي لأننا نعتقد فعلا ان منهج اهل البيت (عليهم السلام) هو الاسلام الاصيل، ولكن يجب ان لا يتسبب هذا العنوان في سن مواد تخالف فقه اهل البيت (عليهم السلام) .

٦- ان الطائفية التي يُخشى منها على تمزيق النسيج الاجتماعي ووحدة البلد سببها سياسات وأجندات تنفذها جهات معروفة ولا زالت تعمل عليها منذ عشرات السنين وكان ضحيتها الشيعة بأبشع الجرائم ، فتشريع هذين القانونين ليس سببا لإيجادها، بل بالعكس فان اعطاء هذه الطائفة حقها يشعرها بكرامتها ومواطنتها وحفظ استحقاقاتها ، وحولنا تجارب بلدان عديدة في المنطقة فيها اقلية شيعية وحفظت لهم هذه الحقوق بقوانين خاصة مما ساهم في دمجهم في النسيج الاجتماعي ولم تكن سببا للفرقة والتمزيق، فلماذا يُحرم الشيعة في العراق من هذا الحق وهم أغلبية ؟

٧- إن إعداد هذا القانون استغرق اكثر من عام ونصف العام بحسب ما ذكر معالي وزير العدل وقد أوصل مسودته الى جميع مراجع الدين والعلماء الاعلام في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة منذ عام تقريبا لإبداء ملاحظاتهم عليها ، فليس المشروع وليد هذه الساعة حتى يقال بانه دعاية انتخابية ونحو ذلك.

٨- اما مقترح تعديل القانون الحالي واصلاح الفقرات المخالفة فيه فهو كلام وجيه لأول وهلة ، ولكنه في الحقيقة لا يجدي لأنه تسويف في تحصيل هذا الحق لاستغراقه مدة طويلة في الاتفاق على تحديد موارد اختلاف القانون مع الشريعة (وان كانت هي مثبّته في كتبٍ مطبوعة كما اشرنا في النقطة الثالثة) ونحتاج مدة اخرى للاتفاق على تعديل كل فقرة من هذه وسوف لا نصل الى نتيجة لان الاعتراضات ستبقى كما هي، باعتبار ان الرافضين يصرّون على عدم تغيير المواد الحالية ، واذا كانوا جادّين في مقترحهم هذا فأن سن قانون شرعي في موازاة القانون المدني الحالي من دون الغائه هو أحفظ لمراد الجميع بدلاً من فرض مادة معينة بالتعديل وهم لا يرضون بها . ولهذا كله فان مقترح التعديل لا جدوى منه.

٩- يثير البعض إشكالية اختلاف مراجع الدين في بعض الفتاوى فكيف يتم التعاطي مع المتخاصمين اذا كانوا مختلفين في مرجعيتهم الدينية ونحو ذلك من الاشكاليات؟ ،والجواب ان هذه ليست من وظيفة المعترضين على القانون بل هي من شأن العلماء الذين يشرفون على وضع الصيغ النهائية للقوانين، وعندهم اكثر من آلية للمعالجة كالتصالح بين المتخاصمين او تفويض القاضي بالحكم وفق مادة محددة من موارد الاختلاف تكون ملزمة للطرفين لان حكم الحاكم الشرعي نافذ على الخصمين وان لم يرجعا اليه بالتقليد، وغير ذلك من المعالجات التي يعرفها أهلها ، فلا يحمل المعترضون على هذين القانونين هذا الهم.

خطاب المرحلة

(٣٩٤)

نعيب زماننا والعيب فينا (١)

رزية يوم الثلاثاء نموذجاً

ابدأ حديثي بحكاية لا تخلو من درس وموعظة ملخصها أنّ رجلاً انزعج من وضع زوجته؛ حيث ضاق ذرعاً من عدم إنصاتها له وتجاهلها حديثه.

قرر استشارة أحد الأطباء في وضع زوجته، فنصحه بأن يعمل تجربة للتأكُّد من مستوى صمم زوجته مقترحاً عليه بأن يبتعد عن زوجته ٣٠ متر ثم يكلمها بصوت عادي، وفي حال عدم تجاوبها يقلل المسافة إلى ٢٠ متر، وفي حال عدم تجاوبها يقترب أكثر ولتكن المسافة ١٠متر فقط.

وبالفعل.. عاد الزوج إلى المنزل وكانت زوجته منشغلة بإعداد طعام العشاء في المطبخ.. وقدر المسافة بينهما بـ٣٠متر وتحدث إليها بصوت عادي بحسب نصيحة الطبيب: ماذا أعددت يا حبيبتي لنا على العشاء؟ ولكنها لم ترد! اقترب منها إلى مسافة ٢٠متر وكرّر نفس الجملة، ولكنها أيضاً لم ترد! اقترب أكثر إلى ١٠متر، ولكنها ظلت على تجاهلها، ولم يملك إلا أن اقترب أكثر حتى كاد أن يلتصق بها، عندها ردّت الزوجة بغضب: أقول لك للمرة الرابعة إن عشاءنا اليوم شوربة خضار!!!

أقول: إلى هنا انتهت الحكاية ونتيجتها اكتشاف الزوج أن التقصير عنده وأنّ الزوجة كانت تؤدي واجبها لكنّه كان يحمّلها المسؤولية بغير حق.

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من المبلّغات وطالبات معهد الزهراء (عليها السلام) للعلوم الدينية في قضاء المدينة/ البصرة يوم السبت ٣ صفر ١٤٣٥ المصادف ٢٠١٣/١٢/٧.

فالدرس الذي نستفيده إننا حينما نتعرض لمشكلة أو خلاف بين زوجين أو اخوة أو جيران وغير ذلك علينا أن نراجع أنفسنا طويلاً قبل أن نلقي اللوم على الآخرين فلعل السبب فينا ونحنُ لا نعلم، ولو تعاملنا مع مشاكلنا بهذه الطريقة لاستطعنا تجاوز الكثير منها، لأنّنا سنكتشف أننا مسؤولون عنها فنحن لسنا معصومين وحينئذ نعالج السبب، كما أن الطرف الآخر حينما يراك تتهّم نفسك بكل تواضع ونكران ذات ولا تتعرض له فإنّه سيقابلك بنفس الشعور ويتنازل عمّا يشعر به من التشنّج والانفعال والعصبية.

وهذا مما يفسّر وصايا المعصومين (عليهم السلام) بأن ننسى إساءة الآخرين إلينا ونذكر إساءتنا للآخرين بمعنى أنّه حتى لو أساءَ الآخر إليك فتغافل عنها وتناساها وفتّش عن عيوبك أنت وتقصيراتك، وهذا السلوك وإن كان صعباً ويحتاج إلى شجاعة إلاّ أنّه مقدور ويتّبعه ثواب عظيم ومنزلة رفيعة عند الله تعالى وعند عباده الصالحين.

والذي يؤسف له أنّ السلوك الجاري في المجتمع عكس هذا الأدب النبوي الشريف، إذ ما إن تحصل مشكلة حتّى يبدأ كل طرف بالبحث والتنقيب عن كل عيب أو نقيصة يلصقها بالآخر ليبرّئ نفسه ويبرّر موقفه، فتتعاظم المشكلة وتتحوّل إلى صراع وتنقطع سبل الوئام، وهذا ما نشاهده كثيراً في المشاكل الزوجية إذ تبدأ بخلاف بسيط فيركبهما العناد ثمّ تتطوّر إلى ما هو أسوأ حتى تصل إلى الطلاق والنزاع بين أهلَي الزوجين وهكذا، والأرقام التي تعلنها المحاكم عن حالات الطلاق الواقعة مرعبة فعلاً ولو تحرّيت عن الأسباب لوجدت أن بداياتها ليست ذات أهميّة لكنّهما لم يحسنا معالجة الخلاف وهو في بدايته أي عبور النهر مادام ضيّقاً كما يُقال في المثل.

وهنا أبيات في الحكمة مرويّة عن أبي الأسود الدؤلي أحفظها منذ صغري:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصحَّ به و أنت سقيم
و أراك تصلح بالرشاد عقولنا نصحا و أنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق و تأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ومن هذا الدرس ننتقل إلى آخر أوسع منه يتعلّق بوظيفتنا في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) من خروجه العظيم، إذ أننا نشخّص في المجتمع الكثير من الانحرافات والمنكرات التي تقشعّر منها الأبدان أحياناً، ونلقي باللوم على الناس بأنّهم لا تنفع معهم النصح والموعظة والإرشاد وتارة نلوم الزمان ونتأفّف من الدهر والظروف التي لا تُساعد على عملية الإصلاح.

ولو راجعنا أنفسنا -كحوزة علمية ومبلغين وخطباء- لوجدنا أنّ التقصير عندنا واللوم علينا، الناس يستجيبون بدرجة كبيرة للموعظة الحسنة والتوجيه المخلص لذا تأثّروا بالعلماء الربّانيين العاملين كالسيد الخميني والشهيدين الصدرين (قدس الله أرواحهم جميعاً) الذين أيقظوا الأمّة وحرّكوها فاستجابت، وقد نقل لي بعض الأخوة المبلّغين في السجون أن عدداً كبيراً منهم عاد إلى رشده والتزم بالصلاة والفرائض الأخرى وانخرطوا في دورات لتعلّم الفقه والقرآن وساهموا في فعاليات مثمرة، هذا في السجون التي تؤوي بين نزلائها القتلة والمجرمين والمنحرفين، فالعمل مع غيرهم أيسر.

أما الظروف والزمان والأيام فلا ذنب لها ولا تقصير حتى نلومها ونعاتبها، فإنّ الأفلاك وجميع المخلوقات مطيعة لله تبارك وتعالى سائرة بدقة على القوانين التي وضعها الله تعالى لها ولم تتخلف لحظة عن السير عليها (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ

بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (الإسراء/٤٤) (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ) (النور/٤١) والإنسان وحده الذي يتمرّد ويعصي ويجادل ويستكبر عن طاعة ربّه.

توجد أبيات مشهورة لا يعرف الكثير أنّها لشيبة الحمد عبد المطلب الذي تفرّعت منه النبوة والإمامة، فقد روى الريّان بن الصلت قال: أنشد لي الرضا (عليه السلام) لعبد المطّلب:

يعيب الناس كلهم زماناً ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان بنا هجانا
وإن الذئب يترك لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضا عيانا
لبسنا للخداع مسوك طيب ... فويل للغريب إذا أتانا[1]

وتوجد هنا كلمات للمعصومين (عليهم السلام) تنهى عن عتاب الزمان ولومه، فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (من تشاغل بالزمان شغله) وعنه (عليه السلام) قال (من عتب على الزمان طالت معتبته)[2] وهذه النتيجة أكيدة لأن التشاغل بالعتب على الزمان ولومه عمل عبثي لا طائل وراءه ولا يصل إلى نتيجة.

وعن الإمام الصادق عن أبيه (عليهما السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (لا تسبّوا الأيام ولا الليالي فتأثموا وترجع عليكم)[3] ، وروى الصقر بن أبي دلف حواراً له مع الإمام علي الهادي (عليه السلام) جاء فيه: (قلتُ يا سيّدي حديث يروى عن النبي

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢ / ١٧٧/ ٥.
(٢) ميزان الحكمة: ٢٧/٤.
(٣) سفينة البحار: ٧٧٢/٨ عن علل الشرائع.

(ﷺ) لا أعرف معناه، قال ما هو؟ فقلتُ: قوله: لا تعادوا الأيام فتعاديكم؟ قال (عليه السلام): نعم).[1] إلى آخر الحديث.

فإلقاء اللوم هنا وهناك على هذه الجهة أو تلك إنّما هو هروب من واقع التقصير والتقاعس الذي تتّصف به الحوزات العلمية -الرجالية والنسائية- إلاّ من وفّقهم الله تعالى ولطف بهم فاصطفاهم لإعلاء كلمته ونشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) النقيّة.

وأحدث مثال على ذلك ما حصل في اجتماع الحكومة يوم الثلاثاء الماضي (٢٩ محرم ١٤٣٥ المصادف ٢٠١٣/١٢/٣) حين ناقشوا القانونين اللّذين قدّمهما وزير العدل لتنظيم الأحوال الشخصية وفق الأحكام الشرعية وإنشاء المحكمة الشرعية العليا التي تُدير العمل بهذا القانون لتخليص الناس المتشرّعين من المخالفات للشريعة التي يتورّطون بها بسبب إكراه المحاكم الرسمية على العمل بالقانون الوضعي الحالي، علماً بأنّ هذه المحاكم الشرعية التي نطالب بها كانت موجودة في العراق إلى أن ألغاها عبد الكريم قاسم وأصدر القانون الوضعي الحالي عام ١٩٥٩، والشيعة يتمتّعون بهذا الحق في عدد من دول المنطقة كالسعودية والبحرين ولبنان وأفغانستان مع أنّهم أقليّة في تلك البلدان ومضطهدون في بعضها فمن الطبيعي مطالبتهم بهذا الحق في العراق وهم أغلبية والسلطة بأيديهم ومع وجود النفوذ الكبير للمرجعية الدينية.

وكانت الأجواء مساعدة داخل الحكومة على تمريرهما بعد أن حصل الوزير على وعود بالموافقة أو عدم الممانعة من الوزراء غير الشيعة لتفهّمهم عقيدة الشيعة وتعاملها مع القوانين الوضعية وما تسبّبه لهم من حرج، حتّى أن وزيراً مسيحياً صوّت لصالحهما.

---

(١) المصدر: ٧٧٦/٨ عن الخصال.

لكن الذي حصل أن وزيرة الدولة لشؤون المرأة نقلت إلى الوزراء رسالة من معتمد المرجعية التي يصفونها بالعليا في كربلاء المقدّسة والذي يوصل عادة آراء المرجعية ومواقفها، ومفاد الرسالة عدم رغبة المرجعية في تمرير القانونين، مما دفع البعض إلى تغيير موقفه كما قاطع عدد آخر الجلسة لأن الانتخابات مقبلة على الأبواب وهم بحاجة إلى مغازلة مكتب المرجعية فصوّتوا على تأجيل النظر في القانونَين إلى ما بعد الانتخابات وموافقة المرجعية العليا بحسب وصفهم، وهو إلغاء عملي للقانونين لأنّه لا يعلم إلاّ الله تعالى متى ستشكل الحكومة المقبلة بعد الانتخابات؟ وكيف سيكون وضعها؟ وهل تكون مؤهّلة للنظر في مثل هذه القوانين.

وتعليقها على موافقة المرجعية العليا هو تمييع للطلب بل إلغاء له لأنّ مكتبها وجّه بعدم تمرير القانونَين علماً أنّ الوزير أوصل مسودة القانونين إلى مكتبها منذ أكثر من عام ولم يصل الرد والتعليق فماذا نتوقّع منها غير ذلك؟ وهي ليست قضية سياسية حتى يتذرّع مكتبه بعدم استقبال السياسيين.

وهكذا أجهض هذا المطلب الشرعي الذي فيه رضا الله تبارك وتعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وفيه نصرة للحسين (عليه السلام) وتحقيق لأهدافه في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنّهم أبوا إلاّ خذلان الحسين (عليه السلام) والتمادي في توريط الناس بالمخالفات الشرعية في زواجهم وطلاقهم وأنسابهم ومواريثهم.

لقد أضاعوا بذلك على الأمة فرصة كبيرة لإصلاح جانب مهم من حياة الناس وهي الأحوال الشخصية، وأهدروا جهدا قام بها قانونيون وفضلاء حوزويون لأكثر من عام لمدة في إعداد القانونين وصياغتهما حتى أجازهما مجلس شورى الدولة .

أليس من الخداع و التدليس تظاهر البعض بشكليات الشعائر الحسينية وهم يخذلون أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) ويعرقلون عملية الإصلاح و التمهيد لدولة الإمام المهدي (عليه السلام)؟ لا لشيء إلا أنهم يعيشون عقداً نفسية وهزيمة باطنية وخوفا على المصالح و الامتيازات، ويجاملون الفسّاق والأراذل على حساب شريعة الله تعالى ونهج أهل البيت (عليهم السلام) قال تعالى: (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ) (الأحزاب/٣٧).

(وما أشبه الليلة بالبارحة) حينما آلى أمير المؤمنين (عليه السلام) على نفسه أن لا يلبس رداءه ولا يخرج من بيته حتى يجمع القرآن ويبيّن محكمه من متشابهه وناسخه من منسوخه ومجمله من مبينّه ومكيّه من مدنيّه وعامّه من خاصّه، حتى أنجز العمل بعد ستة أشهر وقدّمه إلى الصحابة في المسجد، فماذا كان جوابهم؟ قالوا : لا حاجة لنا فيك ولا في قرآنك لأنهم لا يريدون لشريعة الله أن تقوم وتنهض كما ينبغي لأن ذلك يكشف عوراتهم ونقصهم وعدم أهليتهم وبروز من هو أهل للقيام بهذه الوظيفة الشريفة .

هذا ما حصل يوم الثلاثاء بغطاء نُسب إلى المرجعية، وكانت وزيرة المرأة كبش الفداء، وقد وصفتُ في بعض أحاديثي ما جرى بأنها (رزية يوم الثلاثاء) فتضاف إلى رزية يوم الخميس ونظائرهما مما مرَّ به أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، لأنّهم شرعنوا بهذا الموقف القوانين الوضعية الّتي صنعها البشر خلافاً لشريعة الله تعالى (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (المائدة/٤٤) (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (المائدة/٤٥) (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (المائدة/٤٧).

لقد حاولوا ان يستروا عوراتهم بكلمات ومبررات تافهة مبنيّة على المكر والخداع وعدم الشعور بالمسؤولية، فكانت (عذرا أقبح من فعل) وهكذا يستمرون في عنادهم ولجاجهم بدل العمل على تدارك الأمر وإصلاح ما فسد[1].

إن وظيفة القادة خصوصا من يكون في موقع القيادة الدينية أن يصنع فرص الصلاح و الإصلاح ويزيد من أبواب الطاعة للأمة، وان عجزوا فلا اقل من استثمار الفرص التي تتهيأ.

أتكون المرجعية التي هي امتداد للإمامة ونيابة عنها وتملك في تاريخها وأسلافها هذا الرصيد الضخم من القادة الكاملين كرسول الله (صل الله عليه واله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وعندها مواقف لعظماء تنهل منها الإنسانية جميعا كنهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، عاجزة عن توفير ابسط الحقوق لأتباعها.

رأيتم كيف حزن العالم ونكسّ الإعلام لوفاة نيلسون مانديلا الثائر الفذ[2] قبل يومين ومحرّر شعبه الأسود في جنوب إفريقيا من سلطة الأقليّة البيضاء وهو مزارع بسيط لا يمتلك الرصيد الذي ذكرناه للمرجعية فهلاً تعلمت الدروس منه ومن أمثاله؟

والحديث ذو شجون (وفي العين قذى وفي الحلق شجى) ولعل الله تعالى يحدث بعد ذلك أمرا.

---

(١) بعد كشف هذه الحقيقة صدرت بيانات وبيانات مضادة من الجهتين لم يتورع فيها القوم عن الكذب والافتراء والتسقيط، وشهدت أحداثاً وتحركات يحسُن جمعها في كتاب لتوثيقها وأنتجت حراكاً فكرياً توعوياً ومناقشة لبعض القضايا التي كانت مختومة بالشمع الأحمر.

(٢) اقتطعنا كلام سماحة المرجع (دام ظله) هنا وجُعِل في بيان مستقل بمناسبة رحيل مانديلا.

يجب علينا أن لا نشعر بالإحباط و اليأس وان نستمر ببذل الجهود لإحقاق الحق وفضح الباطل وقد وعد الله تعالى عباده العاملين المخلصين بالفتح و التمكين

(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) (الحج/ ٤٠)

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) (يوسف/ ٢١)

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد/ ٧)

والله ولي التوفيق.

نيلسون مانديلا.. الثائر الفذّ[1]

أثنى سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) على شجاعة وصبر وثبات الزعيم التاريخي لجنوب أفريقيا "نيلسون مانديلا" وأشاد بروحه الوطنية الكبيرة وحبّه لشعبه وبلده وتضحيته من أجل القضاء على التمييز العُنصري ونيل الحريّة من استعباد الأجنبي.

جاء ذلك في كلمة ألقاها على جمعٍ من طلبة الجامعة المستنصرية وعدد من الأساتذة فيها وفي جامعة النهرين بمكتبه في النجف الأشرف.

ووصف سماحته "مانديلا" بأنّه من الأفذاذ الّذين قلّما يجود بهم الزمن ليحرّروا شعوبهم ويستنقذونهم من العبودية والأغلال كالسيد الخُميني (قده) في جمهورية إيران الإسلامية وغاندي في الهند.

لقد عانى شعب جنوب أفريقيا من احتلال البيض الغربيين واستعبادهم له ومصادرة حقوقه في الحياة الكريمة والتمييز العنصري البغيض، وكان المحتل يأمل أن يجتث السكان الأصليين ويُنشئ هناك دولة له كما فعل في الولايات المتّحدة الأمريكية، فكان هذا دافعاً لمانديلا أن ينخرط في وقت مبكر وهو في العشرينات من عمره في العمل السياسي لإنقاذ شعبه، وبدأ بتشكيل التنظيمات والجمعيات السريّة وتنظيم العصيان المدني ضدّ سياسات المحتل، ولم يدّخر وسعاً حتّى على صعيد العمل المسلّح، حيث قاد الجناح العسكري لحزبه في بداية ستينيات القرن الماضي.

---

(١) ولد في ١٩١٨، وانضم عام ١٩٤٤ إلى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، بدأ محادثات في منتصف الثمانينيات وهو في السجن مع المحتل الأبيض لإنهاء هيمنتهم واستمرت حتى بعد الافراج عنه عام ١٩٩٠ وأثمرت عن انتخابات عامة سنة ١٩٩٤ فاز حزبه فيها وأصبح رئيساً للبلاد، مُنح جائزة نوبل للسلام عام ١٩٩٣ وتوفي يوم ٢٠١٣/١٢/٥. ونشرت كلمة سماحة المرجع (دام ظله) في العدد (١٣٥) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ١٥ صفر ١٤٣٥ المصادف ١٩ ك١ ٢٠١٣.

قضى أكثر من (٢٦) عاماً في السجن (١٩٦٤-١٩٩٠) ولم يُثنه ذلك عن مواصلة النضال لتحقيق هدفه وكان يعلن وهو في قفص الاتهام إنّه يعتبر إنهاء هيمنة الأقلية البيضاء هدفاً سامياً وأنّه على استعداد للموت من أجله، وكان لا يقبل المساومة وأنصاف الحلول، ومن كلماته (الحرية لا يمكن أن تُعطى على جرعات، فالمرء إمّا أن يكون حرّاً أو لا يكون حرّاً).

ويسخر من الجبناء الذين يقبلون حياة الذلّ والعار ويقول: (الجبناء يموتون مرّات عديدة قبل موتهم والشجاع لا يذوق الموت إلاّ مرّة واحدة) حتى تحوّل سجنه إلى قضية عالميّة وانطلقت حملة (أطلِقوا سراح نيلسون مانديلا).

وأضاف سماحة المرجع إنّ مواقف مانديلا تدلّ على إنّ نفسه الكبيرة بقيت مستمرّة، فقد تنحّى عام ١٩٩٩ عن رئاسة الجمهورية اختياراً في حالة نادرة وسلّمها إلى زعماء أكثر شباباً وتأهيلاً لإدارة اقتصادٍ حديث ومع ذلك فإنّه لم يستسلم للشيخوخة بل أعلن (التقاعد من التقاعد) وقاد حملة عالمية لمكافحة مرض الإيدز حتى توفي يوم الخميس الماضي وقد تجاوز التسعين.

ودعا سماحة المرجع في حديثه إلى استلهام هذه التجارب الإنسانية النبيلة بغض النظر عن القومية والدين، وأضافَ سماحته: (... بل نحن مسؤولون عمّا هو أوسع من ذلك وأنبل، لأننا نمتلك قمم الإنسانية فمن له كنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) فما أحرانا أن نكون نحن النبراس الذي تهتدي به الأمم).

السبت ٣ صفر ١٤٣٥

الموافق ٢٠١٣/١٢/٧

خطاب المرحلة
(٣٩٥)

تجليات الحُسنُ عند الإمام الحسن (عليه السلام)[١]

وردت كلمة على ألسنة المربّين مضمونها (تخلّقوا بأخلاق الله)[٢] أي جاهدوا لتهذيب أنفسكم حتى تتصف بأخلاق الله تعالى التي تناسب المخلوقين مما عبّرت عنها الأسماء الحسنى، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) المظهر الأكمل والتجلي الأعظم لهذه الصفات الإلهية، ورد في دعاء شهر رجب المروي عن الإمام الحجة (عليه السلام) (فجعلتهم معادن لكلماتك واركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك) إلى أن يقول (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك)[٣].

ولأننا نعيش ذكرى الإمام الحسن (عليه السلام) السبط المنتجب ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيد شباب أهل الجنة نأخذ دروساً من اسمه الشريف ونستذكر معه اسماً من أسماء الله الحسنى التي تجلت فيه وهو (المحسن)، فقد سمّاه الله تبارك وتعالى باسمه مشتقاً من هذه الصفة الإلهية المباركة، رُويَ في كتب الفريقين ان فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما ولدت الحسن طلبت من أمير المؤمنين (عليه السلام) تسميته فقال (عليه السلام) (ما كنت لأسبق رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتسميته) وقال النبي (صلى الله عليه وآله) (ما كنت

(١) كلمة بمناسبة استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) أُلقيَت يوم ٨ صفر ١٤٣٥ المصادف ٢٠١٣/١٢/١٢.
(٢) بحار الأنوار ج ٥٨ ص ١٢٩ باب ٤٢.
(٣) مفاتيح الجنان /١٦٨

لأسبق ربي بتسميته) فنزل الأمين جبرئيل (عليه السلام) وقال (إن الله يقول : سمه حسناً اشتققته من اسمي فانا المحسن وهذا حسن فسماه النبي (صلى الله عليه وآله) بالحسن)[1] .

وفي دعاء التوسل بالخمسة أهل الكساء نسأل الله تعالى ونقول بالحسن وأنت المحسن.

والحَسَن لغةً صفة مشبهة بالفعل وهي تدل على ثبات ودوام الحال في الموصوف، وهكذا تجلى حسن الإمام الحسن (عليه السلام) أولاً في اسمه فقد اشتق من لفظ الجلالة وسمّاه الله تبارك وتعالى واختار له وصفاً ثابتاً له ،وهذه شهادة من الله تعالى بان الحسن والإحسان تجسّدا في هذا السبط المبارك، لأنّ الله تعالى لا يطلق هذا الوصف إلاّ إذا كان تامّ الانطباق على صاحبه.

وتجلّى حسنه ثانياً في كرمه وإحسانه للآخرين فقد كثرت الروايات في إغداقه العطاء بشكل أذهل الجميع، روي (أن رجلاً جاء إليه وسأله حاجة فقال له : يا هذا حق سؤالك إياي يعظم لديَّ ،ومعرفتي بما يجب تكبر عليَّ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله ،والكثير في ذات الله عز وجل قليل ،وما في ملكي وفاء بشكرك ،فان قبلت مني الميسور ،ورفعت عني مؤونة الاحتيال والاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت)[2]

هذا وقد أعطاه ما كان تحت يده (عليه السلام) وهو خمسون ألف درهم وخمسمائة دينار.

حتى سُئل (عليه السلام) : لأي شيء لا نراك تردُّ سائلاً؟

---

(١) راجع مصادر الرواية في موسوعة المصطفى والعترة للشاكري : ٢٨/٥.

(٢) المصدر السابق : ٩٦/٥.

قال (عليه السلام) (إني لله سائل ،وفيه راغب ،وانا استحيي أن أكون سائلاً واردً سائلاً ،وإن الله عز وجل عوّدني عادة : أن يفيض نعمته عليَّ ،وعوّدته أن أفيض نعمه على الناس ،فأخشى أن اقطع العادة أن يمنعني العادة وأنشد يقول :

إذا ما أتاني سـائل قلت مرحـباً بمن فضـله فـرضٌ عليَّ معـجّلُ
ومن فضلُه فضلٌ على كل فاضلٍ وأفضل أيام الفتى حين يُسـئلُ

وتجلّى حسنه ثالثاً في تكريمه للمواقف الحسنة بأحسن منها، روي ان جارية حيّت الإمام الحسن (عليه السلام) بطاقة ريحان فقال (عليه السلام) لها : أنت حرة لوجه الله ،فقيل له في ذلك ، فقال : أدّبنا الله تعالى فقال (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا) (النساء/ ٨٦) وكان أحسنُ منها اعتقاها)[1].

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه عن الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) انه كان ماراً في حيطان – أي بساتين – المدينة فرأى عبداً أسوداً بيده رغيف خبز يأكل ويطعم كلبه لقمة إلى أن شاطره طعامه في الرغيف ، فقال له الإمام الحسن (عليه السلام) ما حملك على ما عملت وشاطرته ؟ فقال الغلام : استحيت عيناي من عينه.

فقال الإمام (عليه السلام) : غلام من أنت؟ فقال: غلام أبان بن عثمان ،فقال : والحائط ؟ قال : لأبان بن عثمان.

فقال له الإمام الحسن (عليه السلام) أقسمتُ عليك لا برحت حتى أعود عليك.

فمَّر على صاحب الحائط فاشترى الحائط والغلام معاً ،وجاء إلى الغلام ،فقال (عليه السلام) يا غلام قد اشتريتك فقام الغلام قائماً ،وقال : السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي.

---

(١) المصدر السابق : ٩٣/٥

قال (عليه السلام) : وقد اشتريت الحائط، وأنت حرٌ لوجه الله ،والحائط هبة مني إليك.

فقال الغلام: (يا مولاي قد وهبتُ الحائط للذي وهبتني له)[1]

وتجلى حسنه رابعاً في مقابلة الإساءة مهما كبرت بالإحسان، عن المبرَّد وابن عائشة قالا: إن شامياً رآى الحسن بن علي (عليهما السلام) راكباً بغلة، قال: لم أرَ أحسن منه، فمال قلبي إليه وسألت عنه فقيل لي: الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فامتلأ قلبي غيظاً وحنقاً وحسداً أن يكون لعلي وله مثله فقمت إليه فقلت: أنت ابن علي بن أبي طالب، فقال (عليه السلام): أنا ابنه.

فقلت: ابن مَنْ ومَنْ مَنْ؟ وجعلت أشتمه وأنال منه ومن أبيه وهو ساكت حتى استحييت منه، فلما انقضى كلامي تبسّم، وقال: أحسبك غريباً شامياً، فقلت: أجل.

قال (عليه السلام) لعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك ولو سألتنا أعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنتَ طريداً آويناك، وإن كانت لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك، كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً ومالاً كبيراً.

فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنتَ أنتَ وأبوك أبغض خلق الله إليَّ، والآن أنتَ أحبّ خلق الله إليَّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم.[2]

---

(١) المصدر السابق: ٩١/٥ عن تاريخ بغداد: ٣٤/٦.

(٢) المصدر السابق: ٨٩/٥.

وروي أنّه (عليه السلام) وجد شاة له قد كسرت رجلها فقال لغلام له: من فعل هذا؟ قال الغلام: أنا، قال: لمَ فعلت ذلك؟ قال: لأجلب لك الهم والغم فتبسّم الإمام (عليه السلام) وقال له: لأسرّك، فاعتقه وأجزل له العطاء.[١]

وتجلّى حسنه خامساً في طريقة دعوته إلى الله تبارك وتعالى ووعظ الناس وأرشادهم تأدباً بقوله تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل/١٢٥)، روي أن الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) مرّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء فأظهرا تنازعاً يقول كل منهما للآخر: أنا أحسن وضوءاً منك، وقالا: أيها الشيخ كن حكماً بيننا فتوضئا، وقالا: أيّنا يحسن الوضوء؟

فقال الشيخ: يا سيديَّ كلاكما تحسنان الوضوء ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن الوضوء وقد تعلّم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما.[٢]

وتجلّى حسنه سادساً في شكله ومظهره الخارجي، فقد ذكر المؤرخون أنه من أحسن الناس وجهاً[٣] وفي أسد الغابة عن أنس بن مالك إنه لم يكن أحد أشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله) من الحسن بن علي (عليهما السلام)، وأضيف إليه انعكاس حسنه الباطني على ظاهره، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (لو رأيتم الإحسان شخصاً لرأيتموه شكلاً جميلاً يفوق العالمين).[٤]

---

(١) المصدر السابق: ٥/٩٠.

(٢) المصدر السابق: ٥/٦٤.

(٣) المصدر السابق: ٥/٣٢.

(٤) غرر الحكم/ ٧٦٠١.

هذا الحسن والإحسان جعل للإمام الحسن (عليه السلام) هيبة في قلوب الناس الذين عاصروه بل إلى اليوم وإلى يوم القيامة كلما ذكر اسمه الشريف اقترن بالهيبة والجلال، كهيبة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي أسد الغابة: أتت فاطمة الزهراء (عليها السلام) بابنيها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شكواه الذي توفي فيه فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما، فقال (صلى الله عليه وآله): أما حسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما حسين فإن له جرأتي وجودي.[1]

وروى المؤرخون: ما بلغ أحدٌ من الشرف بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما بلغ الحسن بن علي (عليهما السلام)، قال الراوي: ولقد رأيته في طريق مكة، نزل عن راحلته فمشى، فما من خلق الله أحدٌ إلا نزل ومشى، حتى رأيت سعد بن أبي وقاص، قد نزل ومشى إلى جنبه).[2]

حتى إن معاوية بن أبي سفيان لم يستطع مسّ شيعة أبيه أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) بسوء يُذكر طيلة عشر سنوات حتى استشهد الإمام الحسن (عليه السلام).

---

(١) المصدر السابق: ٦١/٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٣/٥.

خطاب المرحلة
(٣٩٦)

التجديد في الخطاب الديني[1]

أجرت قناة العراقية الفضائية حواراً مع سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) كان محوره (التجديد في الخطاب الديني) وعُرض في برنامج (دولة الإنسان)، ونقرر هنا جوانب من هذا اللقاء.

س١: هل التجديد في الخطاب الديني ضرورة؟

ج: نعم التجديد ضرورة لأنه من سنن الحياة فلابد أن تجري، ومن لا يتجدد تخلفه الحياة ويصبح ميتاً أو جزءاً من الماضي، كالماء الراكد فإنّه يفسد ولكنه يحيى ويتجدد بالجريان.

وقد أخذ الشارع المقدس هذه الضرورة بنظر الاعتبار، ومن الشواهد على ذلك بعث مئة وأربعة وعشرين ألف نبي على مدى التاريخ من لدن أول البشر لإبلاغ رسالة التوحيد وكان يكفيه إرسال واحد يبلّغ عن الله تعالى، وما ذلك إلاّ لمراعاة التغيرات التي تطرأ على أذهان البشر والنمو الحاصل في المجتمع البشري في تفاصيل الشرائع الإلهية حتى ختمت بشريعة الإسلام التي صمّمت على شكل يتيح لها أن تكون الرسالة المستوعبة.

س٢: من أين تتأتى هذه الضرورة؟

ج: من كون الإنسان ابن واقعه بزمانه ومكانه وظروفه، ويوجد هنا حديث مناسب عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال فيه (العالم ((العارف)) بزمانه لا تهجم

(١) أجري اللقاء مساء ٢٠١٣/١٢/٤ وعُرض يوم ٢٠١٣/١٢/١٧ وكان المحاور مدير معهد التدريب الإعلامي ومقدم برنامج (دولة الإنسان) في قناة العراقية السيد ناجي الفتلاوي.

عليه اللوابس)[1] فالإنسان يجب أن يكون متجدداً مع ما يقتضيه الزمان فطناً لتقلبات الاحداث ومستجداتها ليأمن من الشبهات والفتن واختلاط الأمور وحينئذٍ تكون عنده الرؤية واضحة وتتوفر القدرة على اتخاذ السلوك والموقف الصحيح، خصوصاً العلماء الذين يحملون رسالة الهداية والصلاح إلى الناس جميعا بكل تنوّعاتهم، فهم أحوج من غيرهم إلى هذا التجدّد.

س٣: هل الحديث ينظر إلى المعرفة الدينية خاصة وما يرتبط بها؟

ج: نص الحديث عام يشمل كل علم ومعرفة فتقييد المعرفة بالدينية لا وجه له، والتقييد بالمعرفة الدينية يستلزم تقدير مضاف محذوف والأصل عدم التقدير، فالحاجة إلى المعرفة ومواكبة الزمان مطلقة.

ولو تنزلنا وقيّدنا المعرفة بالدينية فلا ضير ولا نخرج عن النتيجة أعلاه لأن الدين يهتم بكل شؤون الحياة وله كلمة وموقف في كل الأمور وهذا يتطلب معرفة بكل شؤون الحياة.

س٤: الملاحظ وجود عملقة وغزارة في الإنتاج النظري والمكتبات مليئة بعلوم جمّة، لكننا على صعيد الساحة العملية لا نجد ذلك، بل نرى الإنتاج مختصاً بالمعرفة الدينية.

ج: هذه المفارقة طبيعية في كل المجالات ولا تختص بالمؤسسة الدينية فطلاب الطب والهندسة وغيرها يحصلون على كمية وافرة من العلوم لكنهم على الصعيد العملي لا يستعملون إلا القليل منها، والسر في ذلك أنك على صعيد الإنتاج النظري تستطيع أن تفكر بما تشاء وتستنتج ما تشاء ولا أحد يستطيع أن يمنعك من ذلك، لكن على صعيد العمل توجد معوّقات تمنع وشروط يجب توفّرها وتحتاج وجود شركاء يتفهمون الأهداف وهكذا وهذه لا يتيسر إلا بشكل محدود.

---

(١) الكافي: ٢٧/١.

فهذا النقص على صعيد الساحة العملية قد يكون قصوراً بسبب العوامل أعلاه وقد يكون تقصيراً ناشئاً من العجز عن استثمار الأدوات المتوفرة وكلاهما موجود، والمهم أن الدين نفسه ليس مسؤولاً عن هذا النقص لامتلاكه مخزوناً غير محدود ولقدرته على المواكبة والحركة والملائمة لكنه ليس مسؤولاً عن عدم تحويل هذا المخزون إلى برامج عمل ومؤسسات فاعلة بمستوى المطلوب بل بمستوى الطموح لأن التطبيق من مسؤولية القائمين عليه أعني ما يسمى بالمؤسسة الدينية.

س٥: من المعلوم أن المؤسسة الدينية تدعو الناس إلى أتباعها والتمسك بها وعدم مخالفتها وهذا يتطلب تحقيق عناصر جذب من أجل تسويق الخطاب الديني بشكل صحيح حتى لا يجد المؤمن العادي ضالّته في جانب آخر ربما يكون بعيداً عن الدين والمؤسسة الدينية، فهل عملت ذلك على أرض الواقع أم أنها ما زالت تجتر أساليب واستراتيجيات قديمة أصبح الكثير لا يستسيغها؟

ج: بصورة عامة أقول أن مذهب الشيعة الجعفرية له القدرة على التجديد وتحديث الأفكار والآليات لانفتاح باب الاجتهاد عندهم ومن العناصر المهمة في عملية الاجتهاد لتحصيل الحكم الشرعي هو ملاحظة الزمان والمكان وما يعرف بالعناوين الثانوية ومناسبات الحكم والموضوع .

لكن تقييم تجارب المؤسسة الدينية في مراحلها المتعددة يختلف باختلاف أنماط المرجعية التي تقف على رأس المؤسسة الدينية فيوجد فقهاء مثقفون متحركون متجددون مواكبون للحياة لذلك استطاعوا إقناع النخب العلمية والمثقفة والتفوا حولها إلى حد الفناء في أفكارها كالسيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره)، وتوجد مرجعيات منكمشة منكفئة على ذاتها وتقتصر على أقل ما يكفي لبقاء الحياة.

ولدينا تجارب رائدة في الإبداع والتفاعل مع ما هو جديد سواء على مستوى التقنين الفقهي لمستجدات الحياة، أو تطوير عمل المؤسسة الدينية ومناهجها وطرق

تفكيرها وأدوات خطابها بما يناسب الزمان، أذكر مثلاً محاولة المرحوم الشيخ حسين الحلي – أستاذ المراجع الكبار المعاصرين- عندما بحث المسائل الاقتصادية التي كانت جديدة يومئذ كالبنوك والعملات والتأمين على الحياة ونحو ذلك، وهذا البحث يتطلب أولاً سعة اطلاع على حيثيات الموضوع من الناحية المهنية والفنية قبل أن يتعرض لبحث أحكامه الفقهية، وقد قرّر الأبحاث أحد تلامذته وهو المرحوم الشهيد السيد عز الدين آل بحر العلوم وطبعها في كتاب عنوانه (بحوث فقهية) عام ١٩٦٣ ومنه تعرف ريادة هذه البحوث وهذه المحاولات لإعطاء الرؤية الإسلامية في مختلف القضايا المستحدثة.

وهكذا بحث السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في فقه الفضاء الذي يستعرض مسائل افتراضية لرواد أو سكان الفضاء ويعالج ما يمكن أن يتعرضوا له من مسائل فقهية، وبحوثه الأخرى في كتاب (ما وراء الفقه).

وأما على صعيد المناهج والمؤسسات وتحديث الآليات فعندنا تجارب الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محسن الأمين العاملين والسيد موسى الصدر وغيرهم (رحمهم الله جميعاً).

س٦: هل استطاعت المؤسسة الدينية من خلال خطابها أن تمسك بعضادة التطور وتنظر إليه نظرة حادة قائمة على أساس ميلاد ما يلائم من تغييرات ليكون المنتج الفكري قادراً على جذب المريدين؟

ج: اعترفت قبل قليل بوجود التقصير في المؤسسة الدينية بدرجات متفاوتة بين المرجعية العاملة والمرجعية الساكنة، ومن تقصيرها أنها لا تستعد لمواجهة هذه التغيرات رغم علمها بحصولها ولو حدساً بلحاظ الأحداث الجارية، والتفاعل مع التغيرات لم يكن بمستوى حجمها وتسارعها.

ولابد أن أشير هنا إلى الجانب القصوري لأن الحوزة العلمية في النجف بدأت تنهض من جديد بعد سقوط صدام عام ٢٠٠٣ بعد ركود دام أكثر من عقدين، وهذا التخلف الطويل عن قضايا العالم وتحدياته يحتاج إلى مدة لكي تكون المؤسسة الدينية بمستواه، كسيارة واقفة أريد لها أن تلحق بسيارة تسير بسرعة مئة كيلومتر بالساعة فإنها تحتاج إلى سرعة أكبر لتلتحق بها هذا هو حال الحوزة العلمية حينما صدمتها التغييرات السياسية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والديموغرافية.

وأذكر هنا مثالاً من التاريخ حينما حصلت الفتنة الطائفية في بغداد عام ٤٤٨ هجرية وهوجم بيت المرجع يومئذ الشيخ الطوسي وأحرقت مكتبته فهاجر إلى النجف، وكانت بغداد تقف على قمة عصر ذهبي امتد قرنين من الزمان تقريباً فقبل الطوسي كان السيد المرتضى وقبله الشيخ المفيد ثم صاحب كامل الزيارات ثم الكليني وقبله السفراء الأربعة فلما انتقل إلى النجف التي لم تكن حاضرة علمية بدأ بالتأسيس من جديد ولم يكن كافياً وجوده بنفسه ومعه بعض تلامذته لأن المسؤولية تحتاج إلى مؤسسة متكاملة بجميع عناصرها، وقد احتاجت المؤسسة إلى حوالي ١٣٠ عاماً لتصبح بمستوى ما كانت عليه، وهذا ما يفسّر تأخر حركة الاجتهاد بعد الشيخ الطوسي طيلة هذه المدة حتى ظهر العلامة ابن إدريس الحلي (المتوفى سنة ٥٩٨هـ)، وهذا السبب يضاف الى ما قيل من أن هيبة الشيخ الطوسي وهيمنة أفكاره جعلت من الصعب اختراقها ومناقشتها فتجمد الاجتهاد حتى ظهور ابن إدريس.

س٧: اتفقنا على أن شريعة الإسلام لديها القدرة على التجدد في ذاتها، فهل انعكس هذا على الواقع والمحيط؟ أي هل استثمرت المؤسسة الدينية هذه المزيّة في الشريعة بشكل صحيح في تجديد الخطاب؟

ج: قلنا في بعض الأجوبة السابقة أن التقييم متفاوت بلحاظ المرجعيات المختلفة الماضية والحاضرة، لأن استثمار هذه المزية في الشريعة بيد القائمين عليها، وقد اعترفت قبل قليل بالقصور والتقصير، وأضيف هنا تأثير الظروف في إبراز منتج الحوزة العلمية، فقد يوجد إنتاج يمتاز بالإبداع والحداثة لكنه يبقى مجهولاً ويموت بموت صاحبه، وقد تتاح ظروف لانتشاره والتعريف به.

خذ مثلاً كتابَي (اقتصادنا) و(فلسفتنا) فإنهما مع ما فيهما من رصانة وتألق علمي إلاّ أنهما لم ينالا الشهرة العالمية إلا بمساعدة الظروف حيث كان الصراع بين المعسكرين الشرقي و الغربي والايديولوجيات المختلفة وكانت كل جهة تتبنى اي شيء ينفعها في تلك المواجهة، لذا لا نستغرب من مساهمة حكومات كانت لديها مشاكل مع الاتحاد السوفيتي والماركسية والشيوعية بترويج الكتابين ونشرهما كجزء من مواجهة المعسكر الشرقي، وإلا بم تفسر قيام الرئيس جمال عبد الناصر بنشرهما أو قيام حكومة البعث في العراق بذلك في سبعينيات القرن الماضي بحسب ما ورد في المذكرات عن السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره)، ولم تنتشر بنفس الدرجة كتبه الاخرى كـ (البنك اللاربوي) و (الأسس المنطقية للاستقراء) التي لا تقل اهمية عن الاولّين وكان الاخير احبَّ كتبه اليه (قدس سره).

علماً أن السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وصف كتابه (اليوم الموعود) بأنه خطوة متقدمة على كتاب الشهيد الصدر الأول (قدس سره) لأنه عرض آراء استاذه الصدر الأول ومناقشات الماركسيين له من مصادرهم ثم الرد على تلك المناقشات، ومع ذلك لم يحظ اليوم الموعود بما حضي به سلفه.

س٨: الشيخ اليعقوبي متابع جيد جيداً للواقع بدليل ما نجده ونلحظه من نتاج قريب من الميدان ومن المجتمع فما رأيه الخاص حيال التجديد في الخطاب الديني الذي يتخوّف من دخوله البعض؟

ج: لقد أخذت هذا التجديد بنظر الاعتبار منذ أول تحملي للمسؤولية بعد استشهاد السيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٩٩٩ ولذا أسميت سلسلة خطاباتي وبياناتي وتوجهاتي ومواقفي وتعليقاتي على الأحداث بعنوان (خطاب المرحلة) وقد شرحت في مقدمة الكتاب -الذي بلغ إلى الآن ثمان مجلدات- أن المرحلية لا تعني اقتصار فائدته على زمان صدوره فقط، بل تعني ملاحظة المرحلية في شكله ومضمونه مع احتفاظه بموقعه من السلسلة الموصلة إلى الهدف الاستراتيجي، أي وظفت فيه المرحلية لتحقيق الهدف الاستراتيجي بالنسبة لنا كمؤسسة دينية، وهي تجربة استفدتها من القرآن الكريم الذي كان نزوله تدريجياً، ومن يقلّب صفحات الكتاب يعيش مع أحداث العراق ومشاكله وهموم شعبه وآلامهم وتطلعاتهم ويجد فيه الدين متلائماً مع الاقتصاد والسياسة والأخلاق والاجتماع والتنمية والعلوم الحديثة وغيرها.

س٩: صدر لكم شكوى للقرآن وللمسجد وللإمام لماذا لم تصدر شكوى للخطاب الديني إذا كان بحاجة إلى التجديد فهو أيضاً يشكو؟

ج: كانت هذه الشكوى من أوائل ما أصدرت من كتب حيث نشرت أوائل عام ٢٠٠٠ كراساً بعنوان (وصايا ونصائح إلى الخطباء والحوزة العلمية) أشرت فيه إلى مسؤولياتهم العديدة وما يجب أن يتوافروا عليه من مؤهلات وأدوات معرفية تتجاوز العلوم الدينية التي يتلقونها في الحوزة الشريفة.

س١٠: هل شخّصت مواضع للخلل في الخطاب الديني في الواقع المعاشي؟

ج: نعم توجد فيه علل كثيرة (منها) عدم كفاءة كثير من المتصدين وجهلهم بمسؤوليتهم وعدم الفطنة إلى حقيقة ما يجري وما يتلقونه وما يلوكونه بألسنتهم (ومنها) الانفعال والعاطفية (ومنها) التخندقات والفئوية (ومنها) الأدلجة وعدم الحيادية والموضوعية (ومنها) تجهيل الناس واعتماد الخرافات واضغاث الأحلام

وحكايات العجائز (مضافاً) إلى ابتلاء البعض بالعقد والأمراض النفسية تجاه أشخاص أو جهات فيتخذ من الخطاب وسيلة لإظهارها.

س١١: لابد لمن يدخل ميدان التجديد الديني من توافر مجموعة من الضوابط وإلا فقد يقع في الفخ كما حصل لكثيرين، فهل عملتم على رصد هذه الحالة من خلال اطلاعكم على المنتجات الفكرية التي دعت إلى تجديد الخطاب الديني؟

ج: لقد بالغ البعض في ادعاء التجديد واعتناق الحداثة حتى شكّك في الثوابت والمقدسات وخرج من الدين وفي هذه خسارة عظيمة لأنفسهم وللمجتمع، وحصل بعض هذا كردة فعل على قساوة التعامل أحياناً عند بعض دهاقنة المؤسسة الدينية، أو بسبب سذاجتهم وغفلتهم عما يراد في الحقيقة من دعاوى الحداثة والتجديد وبعض الشعارات المحببة الأخرى، وتصبح المشكلة أخطر حينما يصاب بهذا الاختلال رجال من الحوزة العلمية .

لذا أوصيت في بعض خطاباتي إلى ضرورة أن يكون للمؤسسة الدينية هيئة خاصة تنطق باسمها تخولها المرجعية لقطع الطريق أمام غير المؤهلين ولا يُترك الباب مفتوحاً لكل من هب ودبّ ليظهر أمام الفضائيات ويتحدث بما يشاء وينسب كلامه إلى المذهب والمرجعية، فليست المؤسسة الدينية أقل أهمية من الأحزاب والحكومات والمؤسسات الأخرى التي لها ناطق رسمي مخول بينما تعمّ الفوضى المؤسسة الدينية.

وعلى أي حال فلابد للمعالج البصير من التصرف بحكمة وتأمل ليعالج الموضع المريض فقط وليس كل شيء يمتد في جذور الزمان بعنوان الحداثة والتجديد، فهذا هدم وتدمير، وأذكر أنني عرضت[1] بعض الأفكار التجديدية في مناهج الحوزة العلمية وإدارتها على السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) قبل ثلاثين عاماً فأوصاني

(١) راجع كتاب (الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) كما أعرفه).

بالحذر والتروّي وقال لئلا نكون كالغراب الذي حاول ن يقلّد الطاووس في مشيته فلم يفلح فأراد أن يعود إلى مشيته فلم يستطع فضيَّع (المشيتين) وهو المثل المعروف.

ونسجّل هنا ملاحظة على الإعلاميين وأصحاب وسائل الإعلام كالفضائيات وغيرها فإنهم يركّزون على الخطاب التحريضي الطائفي التأجيجي الشاذ فيظهر وكأنه المعبِّر عن توجهات هذه الطائفة وهذه الجهة أو تلك، ويتغافلون عن الخطاب المعتدل البنّاء الحضاري وكأن هذا لا يهمّهم بشيء، لأن مصالحهم تقتضي الفتنة والتفرقة والطائفية والصراع والخلاف، أو لأن الأول مثير وجاذب دون الثاني، فيبدو المشهد الثقافي وكأنه من الاول خلافاً للواقع لكن الاعلام هو الذي ابرز الاول وغيَّب الثاني.

وهذا يعني أن بعض الإعلاميين مؤدلجون ويعملون بلا مهنية وموضوعية وإنما هم مجنّدون للجهات التي تدفع لهم، وهو أحد أسباب استهدافهم وقتلهم حتى عادت الساحة العراقية أخطر الساحات في العالم للإعلاميين، أقول هذا مع إدانتي لما يتعرضون له من ضغوط ومضايقات ومن إرهاب، لأن عمل الإعلامي محترم ولا يحق لأحد أن يمسّه بسوء، وكانوا ينقلون الوقائع والأحداث حتى الحروب ولا يجعلهم أحدٌ جزءاً من القتال.

س١٢: أشكركم على هذه الملاحظة، ولا نريد أن نركز في حديثنا على الخطباء خاصة بل على نسق كامل من واجهات المؤسسة الدينية كالمرجع والوكيل وإمام المسجد وقارئ القرآن، فكيف نشدّ المريدين والمحبين إلينا شداً جاذباً بلطف ونحبب إليهم ما لدينا من خطاب والتجديد في الخطاب؟

ج: من أدوات ذلك الكاريزما الشخصية للقيادة الدينية بحيث يستطيع شدّ القاعدة إليه، أذكر أن السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) قال مرة أن المثل يقول أن الناس يميلون مع كل ريح، وتساءل لماذا لا تكون الحوزة الدينية هي صاحبة

الريح الأقوى التي تستطيع إمالة الناس إليها، والريح مصطلح قرآني كما هو معلوم، وهذا طبعاً يحتاج إلى عمل وإلى مواصفات في القيادة الدينية، وقد توفرت في السيد الشهيد الصدر (قدس سره) واستطاع تحريك الشارع من خلال صلاة الجمعة والاستفتاءات وجذب أعداداً كبيرة ذابوا فيه .

س١٣: هكذا كان السيد الصدر في تلك المرحلة، أليس علينا أن نبتكر أساليب جديدة في تحريك الجمع كما حرّكها السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وأن تكون لدينا كاريزما شخصية تتلاءم مع راهن الوضع.

ج: نعم الظروف التي عاشها السيد الشهيد الصدر (قدس سره) تختلف عن التي نعيشها الان، والتحديات غير التحديات فلا بد ان نسير وفق الآليات المناسبة لطبيعة الظروف الحالية، وقد شبهت الحالة بالاختلاف في طبيعة معركة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) فالأولى كانت معركة تنزيل بين الإيمان و الكفر اي على أصل الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، اما الثانية فكانت معركة على التاويل داخل المجتمع المسلم وبين رموزه لتمييز الحق وأهله وفضح النفاق والخداع وأصحاب الفتن والشبهات، وهي لا شك أصعب واعقد ويصعب إيجاد القناعات بها وهذا ما لاقاه أمير المؤمنين (عليه السلام) عكس الأولى التي تتميز بالوضوح والتمايز.

وهكذا كانت معركة السيد الصدر واضحة في مواجهة نظام صدام وتلقى حركته استجابة واسعة لسعة القاعدة الرافضة للنظام .

س١٤: قصدي ان صاحب الكاريزما يعيش الحدث ويستنبط كما استخدم النبي (صلى الله عليه وآله) ضرب الهوية الوثنية حيث كان الوضع يحتاج الى ذلك وهكذا استنبط الإمام علي(عليه السلام) عملية تحريك تتلاءم مع الحدث، والحسن والحسين (عليهما السلام) هكذا والعلماء الذين ساروا على نهجهم، واليوم ونحن في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين فان الوضع مكشوف أمام رجالات المؤسسات الدينية والعالم

مفتوح والفكر مفتوح، فاذا عملية استنباط آليات جديدة تشدّ الشاب الفيسبوكي ممكنة ومتيسرة.

ج: صحيح أن وظيفة القائد الكاريزما إيجاد الآليات المناسبة لتحريك الأمة، وهذا يمثل فعلاً هاجساً مهماً في تفكيري، إلا ان الأمور ليست كلها بيده فهذا الانفتاح نفسه بلا ضوابط حتى عاد اقرب للفوضى هو مشكلة بحد ذاته لأنه أضاع البصيرة والقدرة على تلمّس الطريق الصحيح لتنوّع الخيارات وكثرتها وتشابكها فعقد طريق الوصول للقناعة الصحيحة كمن خرج من قعر الظلمات إلى الشمس والضوء فإنّه لا يهتدي إلى الطريق و يتخبّط في مشيته ويعشو بصره، وهكذا مجتمعنا العراقي بعد خروجه من ظلمات الحكم الصدامي المجرم، ولولا وجود الدين وبعض الأخلاق العامّة لكانت الحالة أسوأ بكثير ممّا نحنُ فيه، ومحل الشاهد أنّه في ظل الاهتمامات والطموحات الجديدة يكون الالتفات إلى الثقافة والفكر والوعي ضعيفاً جداً ويعتبرونه من الترف الزائد .

ومن المعّوقات كون الآليات التي تتناسب مع ذوق الأمة وتوجهاتها مخالفة للشريعة فيأبى المتورع سلوكها كالفضائح ونشر الغسيل كما يعبّرون أو الخداع وقلب الحقائق أو شراء الضمائر ونحوها، وهذا ما ابتلي به أمير المؤمنين (عليه السلام) وعبّر عنه بقوله: (قد يرى الحُوّل القُلّب – وهو البصير بتحولات الأمور وتقلبها – وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين)[1].

ولما قيل بان معاوية أدهى منه بأمور السياسة والحكم، قال (عليه السلام): (والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى

(١) نهج البلاغة: ١١٥ الخطبة ٤١.

الناس)[1] وهكذا انتهى الأمر بانفضاض الكثيرين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وحصول الانشقاقات والتمرد المسلح عليه.

وقد يكون المانع مراعاة المصالح العليا للدين والأمة والبلد التي هي أهم من بعض النتائج المرجوّة وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (لقد علمتم أني أحق بها من غيري ، ووالله لأسلّمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة)[2] .

ونحن اليوم نعيش مثل تلك المحنة حيث سوق الخداع والرياء والنفاق والكذب والتسقيط والافتراء والتجهيل رائجة، وحمّى التنافس على الدنيا والصراع على المغانم في أشدها، ولا احد يهتم بالوعي والثقافة والإصلاح والقضايا المعاصرة وحركة التجديد والنهضة، وتخلى عن هذه المفاهيم حتى أهلها الذين طالما تحدثوا بها.

لكن الوضع ليس يائسا بل الأمل موجود وتوجد جذوة من فكر وهي آخذة بالنمو والازدهار كما أن لطف الله تعالى بعباده متواصل فجعل معالم تعيد للأمة إيمانها وكرامتها وثقتها بنفسها وعلى رأسها الشعائر الحسينية المباركة.

وعدا هذه العقيدة المشتركة فان من الصعب إقناع المجتمع بقضية توحّده وتحشّده وتعبّئ طاقاته للانطلاق به نحو الأفضل في أجواء التعقيد الذي ذكرناه، وهذه مشكلة معقدة يجب على صناع الرأي العام جميعا – وليس فقط المؤسسة الدينية – أن يبذلوا وسعهم لاكتشاف حلها بإذن الله تعالى.

س١٥: ألا يستدعي هذا من المؤسسة الدينية أن تجتهد اجتهادا مضاعفا جدا، وتعمل على إعادة النظر من جديد بقراءة النصوص لتتلاءم مع النظريات العلمية

---

(١) نهج البلاغة: ٤٣٢ الخطبة ١٩٨.

(٢) نهج البلاغة صبحي الصالح : ١٠٢ .

الحديثة، فإنّه من المخجل أن يأتي مفكر ويأخذ نصاً لعلي (عليه السلام) ليستخرج منه نظرية ديموغرافية عندما يقول (قلة العيال أحد اليسارين) ونحن نسرح في جنائن نهج البلاغة دون أن نصل إليها، فعلينا ان نراجع أنفسنا ونجدّ ونجتهد حتى نعطي الزبدة للإنسان البسيط معرفيا ويأخذ من المرجع الديني ما صعب عليه؟

ج: خجلك هذا يجب ان يشعر به بعض الواجهات المرجعية التي يتم التركيز عليها وإبرازها رغم انها تعيش في عالم غير الذي نحن فيه ولا يعبأوا بنتاج معرفي يواكب أحدث الإبداعات العلمية، وليس من واكب هذا النتاج وامتزجت في عطائه الأصالة والإبداع.

واذكر مثالاً على ذلك محاضرة ألقيتها بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الايدز (١-١٢) حلّلت فيها انثروبولوجياً الحديث النبوي الشريف (يا علي في الزنا ست خصال: ثلاث منها في الدنيا، وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء، ويعجل الفناء، ويقطع الرزق، وأما التي في الآخرة فسوء الحساب، وسخط الرحمن، والخلود في النار)[1]

وهكذا النتاجات الاخرى في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والقانون واللغة والفكر وغيرها فراجع كتاب (خطاب المرحلة)ولكن كم الذين اطلعوا عليها واستفادوا منها؟

س١٦: بعض من يتحدث عن تجديد الخطاب الديني يتهم المجدّدين بأنهم وقعوا في فخ المزج بين المنهج الإنساني والمنهج الرباني فهل وقع هذا فعلا ؟ على سبيل المثال نجد في كتابات نصر حامد أبو زيد أو حسن حنفي طروحات فيها من الجرأة وقد تكون غريبة نوعا ما عن المنتج الكلاسيكي للمؤسسة الدينية سواء في النجف الاشرف أو في المغرب او في الأزهر ؟

---

(١) بحار الأنوار: ٢٢/٧٩ ح١٥.

ج: توجد عدة احتمالات للمراد من المنهج الإنساني، ولعل مرادك المنهج الذي يضعه الإنسان من نتاج عقله من دون الرجوع الى النص الديني المستند الى الغيب.

ونقول أولا: ان للعقل قيمة كبرى في النصوص الدينية ومن يراجعها يجد انه الأصل وهو المخاطب من قبل الله تعالى وان وجوده وحكمه هو المائز بين الثواب و العقاب(بك أثيب وبك أعاقب)، وأول كتاب في الكافي الذي هو أول المصادر الأساسية للحديث عند الشيعة هو كتاب العقل قبل كتاب التوحيد و النبوة و الإمامة و الصلاة والصوم وغيرها .

ولو كان العقل حرا في تفكيره غير مكبل بالأغلال الفكرية و الاجتماعية والنفسية فان أحكامه ستتطابق مع أحكام الشريعة، لذلك عندنا قاعدة في علم الأصول مفادها (كل ما حكم به العقل حكم به الشرع) .

لكن عندما يقع التفكير الإنساني تحت ضغط التعصب وقدسية الموروثات والانبهار بالمستورد، و الحسد و الغرور و التمرد ونحو ذلك فانه سيختل، وما دامت المدخلات و الآليات غير صحيحة فالمخرجات تكون كذلك فيحصل التصادم مع النص الديني و الخروج عليه، فالتهمة التي وردت في السؤال موجودة فعلا وقد تطرف بعض مدعي الحداثة كثيراً وغالوا في التمرد على الدين مما اوجب نفورا من هذه المصطلحات عند بعض المتدينين ، وصار ينظر الى الحداثويين بعين الريبة.

س١٧: يقول البعض إن الخطاب الديني جعل من العقل تابعاً الى النص فابتعد عن الواقع الميداني الذي لا يمكن ان يهيمن عليه النص، بل العقل هو الذي يحرك النص .

ج:اتهام النص الديني بالابتعاد عن الواقع ليس صحيحاً لأنه إنما ورد ليعالج الواقع ويرتقي به وليس يتناول أمورا خيالية، وان كثيرا من الآيات القرآنية نزلت في

حوادث معينة شرحها المؤلفون في علم (أسباب النزول) وكذلك الأحاديث الشريفة جاءت جوابا عن تساؤلات ومشاكل، مضافا الى ان الشريعة تضمنت قواعد عامة تغطي الاحتياجات المستجدة للإنسان الى يوم القيامة، ولم يقف الشيعة حيارى إزاء اي قصية مستحدثة، وتوجد كلمة مشهورة (ما من واقعة الا ولله فيها حكم)، فاتهام من يتمسك بالشريعة بالابتعاد عن الواقع غير صحيح.

اما دور العقل فيتلخص في قراءة و فهم النص واستنباط الموقف منه اولا وفي الحكم ببعض القضايا التي تقع في دائرة عمله ثانيا لذا كان العقل احد مصادر التشريع عند الشيعة الأمامية لكن يجب ان نعترف ان المنتوج البشري يبقى مليئا بالثغرات و النقائص إذا لم يستلهم من النص الشرعي ولذا تجد القوانين الوضعية عرضه للنقض و التغيير و الحذف باستمرار وهذا دليل قصورهم.

مضافا الى ان العقل محدود ولا يستطيع تفّهم كل شيء ويعجز عن إقناع نفسه قبل ان يقنع الآخرين اي لا يستطيع تحريك وجدانه وقلبه للإيمان بالقضية التي أذعن بها، وهذه الحقيقة نقلها القران الكريم عن النبي إبراهيم (عليه السلام): (قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) البقرة – ٢٦٠ فالعقل مؤمن بالقضية لكن قلبه لم يذعن مثله .

واذكر لك مثالا أخر لو أخذت ورقة عادية فقطعتها نصفين ووضعتهما على بعض ثم قطعت المجموع الى نصفين ووضعتهما كذلك وهكذا خمسين مرة فكم سيكون سمك المجموع؟ يعجز العقل عن تصّور ان مقداره سيصبح اكبر من المسافة بين الأرض و القمر، واذا أراد ان يتأكد فليحسبها رياضياً، واذا اذعن العقل بالنتيجة فان قلبه ونفسه لا تطمئن.

أمام هذا العجز للعقل في أزيد من مساحة عمله كيف نعطيه قيمة أكثر من النص الديني؟ .

س١٨: ماهي طبيعة الخطاب الديني الموجه للمثقفين هل هو خطاب خوف وحذر او هو خطاب جذب ؟

ج: أُجيب بلحاظ النص الديني وليس بلحاظ ما يتداوله الخطباء لان هؤلاء يمثلون مستوياتهم النفسية و الفكرية و الاجتماعية و الدينية، اما نفس النص الديني ففيه خطاب التخويف و التحذير وفيه خطاب التحبيب و الجذب و التودد، لان كلا السياستين ضروريتان لتحريك الإنسان وهما متوازنتان في الشريعة، وان كان الشارع المقدس يريد من الناس ان يتحركوا بخطاب الحب ولا يلجئونه الى خطاب التخويف، لكن فئة من الناس لا ينفع معها الا خطاب التخويف، و الأنظمة و الوضعية تعتمد نفس الأسلوبين فهناك قانون للمكافئات وقانون للعقوبات.

انظر كيف يقسم أمير المؤمنين (عليه السلام)عبادة الناس الى ثلاث اقسام : خوفاً من النار وسماها عبادة العبيد، وعبادة طمعاً في نعيم الجنة وسماها عبادة التجار، وحبا لله تعالى لانهم وجدوه أهلا للعبادة وسماها عبادة الأحرار وهي الأفضل طبعاً.

س١٩: سمعنا منكم ان الأسباب الرئيسية لمشاكلنا هي أزمة الثقافة وعدم وضوح معاني المفردات وان الحل يكمن في تصحيح هذه المعاني كمفردة الجهاد الذي يتذرع به الإرهابيون ونحو ذلك؟ فاذا كانت الثقافة متأزمة أين يكمن الخلل؟ هل في ذات المثقف أم في الظروف المحيطة ام في السلطة ام في المؤسسة الدينية التي تغرد خارج سرب المثقفين .

ج: كل هولاء مسئولون عن الخلل لكن السبب الرئيسي هو عدم أهلية القيادتين الدينية و السياسية وعدم اهتمامهم بالثقافة و الفكر، وهذا هو أصل كل الأزمات

كما في الحديث الشريف (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل يا رسول الله ومن هما؟ قال (ﷺ): الفقهاء والأمراء)[1]

و المثقف مسؤول ايضا حينما ذوّب نفسه في ما لا يؤمن به من برامج وسلوكيات الكيانات والجهات الحاكمة والمتنفذة طمعاً في منصب او امتياز ففقد شرف مهنته، او انه انزوى وترك المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه وبقي في الظّل حتى مضى بعضهم الى لقاء ربهم من دون ان يعبأ بهم احد، وقد يكون معذورا لكي يحافظ على مبدأيته الا انه على اي حال يوجب خسارة عظيمة للامة .

س٢٠: الا ترى سماحة الشيخ ان المؤسسة الدينية بحاجة الى ان تقوم بحزمة من الإجراءات كالدعوة الى تجديد المناهج الإسلامية بحيث انها تغادر لغة الخطاب قبل أربعين سنة؟

ج: هذا الوجوب شخّصه جملة من العلماء ونفذّوه كالشيخ محمد رضا المظفر و السيد الشهيد الصدر الاول و السيد محسن الاميني العاملي(رحمهم الله جميعا) وآثارهم في ذلك مطبوعة وقد أخذت موقعها المؤثر في مناهج الحوزة العلمية، إلا أن العائق الرئيسي كان دائماً وجود المتحجرين ذوي النزعة الاستصحابية كما عبّر الصدر الأول الذين يريدون إبقاء ما كان على ما كان ويتخوفون من التطوير والتحديث.

وقد أسس الشهيد الصدر الثاني (جامعة الصدر الدينية) لأحداث التجديد في المناهج والنظام الدراسي ونوعية الطلبة المقبولين وبرامج العمل وكلفني بإدارتها في السنة الأخيرة من حياته (قده) ويمكن مراجعة كتابي (المعالم المستقبلية للحوزة العلمية) للتعرف على معالم التجديد المنجزة والتي نطمح إلى إيجادها بتوفيق الله تعالى.

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق (قدس سره)، باب الاثنين، حديث ١٢.

س٢١: لدى المؤسسة الدينية اليوم قدرة مفتوحة على صعيد الوسائل الإعلامية (فضائيات، صحف، كتب) بإمكانها أن تمرر من خلالها الخطاب الديني الذي تريد ولكن وقعها في الميدان ربما لا يتلاءم مع هذا الحجم فما هو السبب؟

ج: تضمنت الأجوبة السابقة جملة من هذه الأسباب وعلى رأسها عدم أهليّة القيادة الدينية التي تقف على قمة الهرم بحسب ما هو معروض في وسائل الإعلام، فكيف نتوقع منها ممارسة هذا الدور حتى إنني طلبت الاستفادة وأخذ الدرس من الموقف النبيل لبابا الفاتيكان السابق عندما وجد نفسه غير قادر على مسايرة التحديات واستيعاب تساؤلات الشباب فإنه تنازل عن كرسي البابوية طوعاً عام ٢٠١٣ ودعا الكنيسة إلى اختيار بديل أنشط منه وهذا ما حصل فعلاً، فلو حملت القيادة الدينية مثل هذا الشعور لتوفرت بيئة للنهوض والتقدم بإذن الله تعالى.

مضافاً إلى العوامل الأخرى كالهوس والتخبط الذي أصاب الناس بعد عام ٢٠٠٣ وغيرها مما ذكرنا، وقد شخّصت في كتابي (خطاب المرحلة) الكثير منها.

خطاب المرحلة

(٣٩٧)

ماذا بعد رزية الثلاثاء[١]

بعد الذي حصل من عدم تمرير قانونَي الأحوال الشخصية و المحكمة العليا الجعفريّين بسبب تدخل جهات دينية وسياسية، كثر التساؤل عن الخطوات التالية لان السكوت والتوقّف غير مقبول عند الله تعالى وعند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الأطهار (عليهم السلام) ولا يحق لنا ان نقعد عن حقنا بل نسعى بحسب ما ييسّره الله تعالى لتهيئة البيئة المناسبة للعمل بهذين القانونين، وإيجاد البديل الذي يضمن إجراء الأحكام الشرعية في هذه المعاملات.

ونحن نذكر بعض الإجراءات العملية التي ترتبط بوظيفتكم الشريفة في إعلاء كلمة الله تعالى وإقامة شريعة الله تعالى والإصلاح في أُمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وهي أهداف الإمام الحسين(عليه السلام) في خروجه كما أعلنها (عليه السلام) صرخة مدوية إلى يوم القيامة.

فنصرته (عليه السلام) تتحقق بالسعي لتحقيق أهدافه المباركة، وخذلانه (عليه السلام) بالتنصل من هذه المسؤولية.

ومن تلك الإجراءات:

١- تعريف المجتمع بما حصل من ملابسات رفض القانونين والجهات التي أجهضت هذه الحركة المباركة وبطلان الدعاوى التي تذرّعوا بها .

---

(١) وجّه سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) هذا البيان إلى أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية في النجف الأشرف يوم ١١ صفر ١٤٣٥ الموافق ٢٠١٣/١٢/١٥.

٢- توعية المجتمع بالمخالفات الشرعية التي يرتكبها القضاة بسبب عملهم بالقانون الوضعي الحالي وعدم أهليتّهم وفق الشروط الشرعية للقاضي، مما أدّى إلى بطلان الكثير من حالات الزواج و الطلاق و الميراث بغير حق واشتباه الأنساب ونحو ذلك، وهذه التوعية تساهم في خلق رأي عام ضاغط لإقرار القانونين.

٣- الاهتمام بتدريس الكتب الفقهية التي ترتبط بعمل القاضي ككتاب القضاء و الشهادات و الديّات والطلاق والنكاح والوصية والوقف والميراث ونحو ذلك في مرحلتَي السطوح الأولية والمتوسطة (الشرائع واللمعة) لوجود إعراض كبير عن تدريس هذه الكتب.

٤- تدريس الكتب المذكورة أعلاه على بعض المتون الاستدلالية في مرحلة السطوح العليا (المكاسب) ككتاب الرياض أو مستند الشيعة أو مباني تكملة المنهاج للسيد الخوئي (قدس سره) ونحوها لتعميق النظر في أدلة هذه الكتب و تفريعاتها .

٥- بعث الوفود إلى جمهورية إيران الإسلامية ولبنان للاطلاع على تجربتهم العريقة في ميدان القضاء و الاستفادة منها.

٦- جمع بيانات عن فضلاء الحوزة العلمية الذين يحملون شهادة البكالوريوس في القانون لانضمامهم إلى معهد القضاء العالي حتى يمارسوا مهنة القضاء بشكل رسمي ومحاولة شمول خريجي كليات الفقه و الشريعة.

وربما توجد إجراءات عملية أخرى نبيّنها لاحقا بأذن الله تعالى.

خطاب المرحلة

(٣٩٨)

معالم النجاح في الزيارات المليونية[1]

ونحن نودّع الموسم الحسيني لهذا العام ١٤٣٥ على مدى شهرَي محرم وصفر وما تضمنه من شعائر مباركة وأهمّها زيارة الأربعين المليونية ومليونية عاشوراء، لا ينبغي أن نطوي هذه المناسبات دون أن نسجّل الدلالات والمعطيات التي ترشّحت عن هذا الموسم المبارك، ومنها:

١- عمق الولاء وصدق المودّة التي يحملها شيعة أهل البيت (عليهم السلام) لأئمتهم (عليهم السلام) التزاماً بقوله تعالى (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى/٢٣) وبالوصايا الكثيرة من النبي (صلى الله عليه وآله) بأهل بيته (عليهم السلام) الذين جعلهم عدلاً للكتاب، وقد كانت هذه المودّة دافعاً للتفاني والإقدام على الموت وبذل الغالي والنفيس وتحريك هذه الملايين ليأتوا مشياً على الأقدام من مسافات تجاوزت خمسمائة كيلومتر أحياناً في ظل البرد القارس والمطر الشديد مما أذهل العقول عن إدراك تفسيرها وانعدم نظيرها.

٢- ازدهار التشيّع وانتشاره في أصقاع العالم بحيث تجد ملايين الزوّار قدموا من عشرات الدول من قارات العالم وقد سجّلنا في خطبة سابقة العوامل التي ساعدت على هذا الانتشار والازدهار وكان على رأسها هذه الشعائر الحسينية المباركة، وهذه المسيرة المليونية التي أوصلت صوتها إلى العالم أجمع، وهذا يفسِّر كون شعار الإمام المهدي الموعود (عجل الله فرجه) في إقناع العالم بدولته المباركة هو (يا لثارات الحسين).

---

(١) كلمة ألقاها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه الشريف يوم الجمعة ١/ع١/١٤٣٥ المصادف ٢٠١٤/١/٣ بمناسبة انتهاء الموسم الحسيني في محرم وصفر.

٣- الزيادة المطّردة سنوياً في عدد المشاركين في الزخم المليوني الهادر حيث قُدّرَ الزوار الذين وصلوا كربلاء على مدى أسبوعين تقريباً بـ(عشرين مليون) زائر بزيادة عدة ملايين عن العام الماضي، ففي كل سنة تُحفّز المشاهد المنقولة عبر الفضائيات المزيد للقدوم وكان الملفت هذا العام مشاركة أكثر من نصف مليون زائر من محافظة ديالى في المسيرة رغم ما يهدّد هذه المحافظة من أخطار إلاّ أنّهم أبوا إلاّ أن يجاهروا بولائهم للعترة الطاهرة.

وكذا المشاركة الفاعلة من إيران ولبنان ودول الخليج ودول أخرى لم يعهد قدوم الزوار منها، وأيضاً مشاركة موكب رجال الدين المسيحيين من هولندا.

٤- التحسّن النوعي في الأداء، فأصحاب مواكب الخدمة بدءوا يراعون تخميس أموالهم والتأكد من تذكية اللحوم ليطعموا الناس حلالاً، ومراعاة الحاجات المتنوّعة للزائرين، وانتشارها على طول المسافات التي يقطعها الزوار من أقصى البصرة جنوباً إلى كربلاء بحيث يشعر الزائر انه بين أهله وأحبّائه طول أيام السفرة.

ونلاحظ الهيبة والوقار على الزائرين والزائرات والحجاب العفيف لدى النساء والالتزام بالصلاة في أوقاتها، وأداءها جماعة عند توفّرها.

كما لوحظ انتشار طلبة الحوزة العلمية في مراكز الإرشاد والتوجيه وإجابة الاستفتاءات وشرح الأحكام الشرعية وإقامة صلوات الجماعة.

وكان الإبداع والتفنّن في أداء الأدوار وملئ مساحات العمل الفارغة حاضراً فوُجدت مواكب للتنظيف ورفع النفايات، ومواكب للتوعية تُقيم معارض الكتُب وتوزّع المنشورات، وأخرى تنصب لوحات فيها آيات كريمة وأحاديث شريفة وكلمات حكيمة تهذّب سلوك الإنسان وتوثّق علاقته بربّه، وتحوّل بعضها إلى مراكز توعية سيّارة إذ طبعوا خمسين ألف لوحة تُعلّق على ظهر الزائر فيها كلمات مباركة فيستفيد من قراءة كل واحدة الآلاف خلال المسير وهكذا.

وإذا كانت هناك مخالفات فهي نادرة جداً ولا تكاد تُذكر كقيام بعض الأنفار بابتداع حركات وأزياء وطرق غنائية رياءً من أجل لفت الأنظار وقد أثاروا الازدراء والسُخرية.

إضافة إلى ما قيل من أن شاحنات النقل الكبيرة التي أقلّت الزوّار بعد انتهاء المناسبة لم يراعى فيها الفصل بين الجنسين فعادت المشكلة التي نبّهنا لها في العام الماضي وعولجت آنذاك.

٥- نجاح ارتفاع مستوى الوعي لدى الأمة ومطالبتها للمرجعية في أن تخرج من سكوتها وأن تكون بمستوى المسؤولية في تشكيل ضغط أحرج المرجعية وهدّد موقعها لدى أتباعها فتحركت المرجعية الساكتة ولو كان بشكل محدود تحت هذا الضغط والحرج الذي وقعت فيه فبادرت إلى إصدار التوجيهات والدعوة إلى تهذيب الشعائر وتناول فقه المواكب والزائرين ونحوه من الفقه الاجتماعي الذي أسّسنا له منذ خمسة عشر عاماً والاهتمام بالصلاة في أوقاتها جماعة كما نبّهنا دائماً، فالحمد لله تعالى على هذه اليقظة وهذه الثمرة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- الصفات الكريمة التي جسّدها العراقيون كالكرم والإنفاق بلا حدود والتواضع والإيثار والحبّ والرحمة والشجاعة والهمّة العالية والتآلف والصبر وسعة الصدر وحبّ النظام وغيرها ممّا حبّبهم إلى جميع الوافدين، وأبرز استحقاق العراقيين لاحتضان دولة العدل الإلهي بحسب الحكمة الإلهية، فكانوا يتسابقون للخدمة وإدخال السرور على الآخرين، وممّا يثير الإعجاب عدم حصول خلاف أو مشكلة رغم تواجد الملايين في مكان واحد وصعوبة الأوضاع العامّة واختلاف التوجهات والانتماءات إلاّ أنّ حبَّ الإمام الحسين وحّدهم.

٧- وكان أهالي كربلاء على درجة عالية من المسؤولية والتحلّي بالصفات السامية التي أشرنا إليها آنفاً وفتحوا قلوبهم قبل بيوتهم لملايين الزوّار وأغدقوا عليهم من كرم الضيافة وحسن الإيواء فجزاهم الله تعالى عن الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه أفضل الجزاء فقد أحسنوا جوار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

وعوّضوا حرمانهم من المشاركة في المشي لانشغالهم بالضيافة وخدمة الزوار بالخروج في مسيرة مليونية أخرى من كربلاء إلى أمير المؤمنين لمواساته بوفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وليقولوا له (عليه السلام) هل وفّينا يا أمير المؤمنين لولدك الحسين (عليه السلام) بالخدمة المباركة طيلة مدة توافد الزوار.

٨- وعلينا أن نشيد بالجهود الاستثنائية التي قدّمتها الجهات الأمنية والصحيّة والخدمية فكانت جهودهم عنصراً مهمّاً في منظومة النجاح التي تكلّلت به زيارة عاشوراء والزيارة الأربعينية وزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكرى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسائر المناسبات الأخرى.

وإذا كدّر هذه السعادة وهذا النجاح شيء فهو الخذلان الذي صدر من إحدى المرجعيات لمبادئ وأهداف الإمام الحسين (عليه السلام) وعدم احترام إرادة هؤلاء العشرين مليوناً عندما وجّه مكتبها بعدم تمرير قانون الأحوال الشخصية الجعفرية الذي يمثّل إنجازاً شيعياً يُدخل السرور على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار، إلاّ أنّ هذه المرجعية فجعتنا بهذا الموقف واستخفّت بهذه الحشود المليونية وكان عليها أن تتعلّم من شجاعة وصدق وسمو هؤلاء الزوّار، وليتها إذ تقاعست عن نصرة القانون أن تسكت وتدع الآخرين يتحملون المسؤولية، كما سكتت عن تمرير قوانين (تنصف) فدائيي صدام وأزلامه المجرمين، وتعيد إليهم (حقوقهم) بأثر رجعي، ولا أدري بماذا يجيبون ربّهم سبحانه ونبيهم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) إذا سألهم عن فعلهم هذا.

أسأل الله تعالى أن يتقبّل الطاعات من الجميع ويوفّقهم للمزيد ممّا يحبّ ويرضى ويصلح حال الأمة ويختار لها قيادة تتأسّى بما وصف الله تعالى نبيه الكريم (ﷺ) (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة/١٢٨).

خطاب المرحلة

(٣٩٩)

وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ[١]

قال تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة : ٢٥١)

وقال تعالى (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج : ٤٠)

تكشف هاتان الآيتان عن سنة إلهية عظيمة وفريضة واجبة على المسلمين وهي سنة التدافع أي دفع الكفر بالإيمان، والشر بالخير، والفساد بالصلاح، والباطل بالحق، والمنكر بالمعروف، وتظهر عظمة هذه السنّة من اندراج فريضتين عظيمتين تحت عنوانها وهما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مضافاً الى الطاعات الاخرى كالدعوة الى الخير والنصيحة والارشاد والموعظة.

وهنا نلتفت إلى عدة أمور نستوحيها من الآيتين الكريمتين:

١- جعل هذه السنة الإلهية من منن الله تعالى وأفضاله على العالمين في الآية الاولى، رغم أن هذا التدافع يقتضي حصول تضحيات بالأرواح و الأموال ومفارقة الأهل والأوطان وبذل الجهود الكبيرة لأنها حرب مستمرة ضارية، وتفسير ذلك بوجوه يأتي احدها ونذكر هنا وجهاً ذكرت الآية حاصله انه لولا هذا الدفع لامتلأت الأرض بالشر و الفساد و الظلم و الكفر ولم تستقم فيها حياة إنسانية

---

(١) كلمة القاها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في مجلس بحثه الشريف يوم المولد النبوي الشريف ١٧-ع١-١٤٣٥هـ المصادف ١٩-١-٢٠١٤

كريمة، ولأزيلت كل مظاهر الخير و الصلاح التي أشير إليها في الآية الثانية بأسماء دور العبادة و الذكر في الديانات التوحيدية.

٢- مادام هذا التدافع سنة إلهية فهي ثابتة وحتمية (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب/٦٢) (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر/٤٣) ولا يمكن التخلص من هذه المواجهة بالهروب من الواقع أو الانزواء أو غض الطرف ودفن الرأس في التراب، لأن النتيجة حينئذ ما ذكرته الآية الشريفة.

وإن هذه المواجهة مستمرة ولا تقتصر على زمان ومكان محدودين، لأنّها مرتبطة بوجود الناس على هذه الأرض وانقسامهم إلى فريق في الجنة وفريق في السعير.

٣- يظهر من الآيتين أن الغرض من التدافع ومنه الجهاد بل العمل الإسلامي عموماً هو تثبيت كلمة التوحيد وحفظ شعائره ومشاعره، وإخراج الناس من عبادة العبيد وتحريرهم ليكونوا عباداً لله تبارك وتعالى ولم يُشرّع القتال والتدافع بأي نحو كان -ومنه التدافع والتنافس السياسي- طلبا لدنيا أو مال أو توسيع سلطة و نفوذ أو أي مغانم أخرى غير رضا الله تبارك وتعالى وإعلاء كلمته خلافاً لأهداف غير الربانيين فإنها لتلك الأهداف الدنيوية وهذا يجيب عن الإشكالات عن تشريع الجهاد في شريعة الإسلام .

٤- ما قلناه آنفاً يدعونا إلى تصحيح مقاييس النصر و الربح و النجاح في ثقافتنا،

ظنّوا بأن قتلَ الحسينَ يزيدُهم كذبوا فقد قتلَ الحسينُ يزيدا

وان نرتب أولوياتنا بشكل صحيح ونعرف بماذا نضحي ومن اجل ماذا نضحي بعد معرفة الأهم و المهم، إذ يظهر من الآية أنّ الهدف الأسمى هو إعلاء ذكر الله

تعالى وإقامة شريعته ويهون دون ذلك القتل والقتال والتدافع بكل أشكاله وبذل كل شيء، وليس العكس بأنّ يُجعل الدين وسيلة لكسب الدنيا.

٥- وان الدفع يعني عدم إمكانية اجتماع الطرفين المتدافعين معاً كالمعروف والمنكر أو الحق والباطل بل إن كلاً منهما يسعى لإزالة الآخر واجتثاثه، فلا مجال للمداهنة ولا لأنصاف الحلول لتصادم الأحكام والتشريعات الإلهية مع القوانين الوضعية التي تخضع للأهواء والنزوات، لأنّهم لا يرضون إلاّ بمحو الدين وإلغاء هوية أهله التي عبّرت عنها الآيتان بالهدم، وقال تعالى عنهم (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) (البقرة/١٢٠)

٦- إن الله تعالى قادر على إعزاز دينه ونصره بقدرته اللامحدودة فيقول للشيء كن فيكون ويقطع دابر الفساد والكفر و الشر، إلا انه تعالى أبى الا ان تسير الأمور وفق أسبابها الطبيعية {وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} ﴿محمد : ٤﴾، {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } ﴿المائدة : ٤٨﴾، { لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ } ﴿الأنفال : ٤٢﴾، فجعل تعالى دفع الأشرار بعمل الأخيار وحركتهم المباركة مع تأييد الله تعالى وإمداده {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} ﴿الأنفال : ٦٢﴾، {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا } ﴿الحج : ٣٨﴾ {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} ﴿الحج : ٤٠﴾، فلابد إذن وفق هذه السنة الإلهية من عمل دؤوب متواصل .

وحذّرت الآيتان من التقاعس عن العمل و المرابطة في مواجهة قوى الشر والانحراف و الفساد لان النتيجة تسلّط الطواغيت و الفسقة وخلوّ الساحة لهم وهو ينطبق على الحديث النبوي الشريف (لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو

ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[1] ويقوم هؤلاء الأشرار باستعباد الناس ومحو كل شعائر الدين ومشاعره وشعاراته، ورمزها ومجمعها الذي اشارت اليه الآية الشريفة المساجد فيعملون على هدمها وتخريبها .

٧- إن هدم المساجد لا يقتصر على المعنى المادي أي إزالتها من وجه الأرض إذ قد يكون التخريب معنوياً - وهذا هو الأخطر- وذلك بحرمان الناس من بركاتها وتعطيل دورها الذي ذكرته الآية الشريفة بأنّه يُذكر فيها الله كثيراً وتُتلى فيها آياته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، والمساجد هي مراكز تجمع المسلمين وتعارفهم وتحشيد قواهم ونشر الوعي بينهم وتهذيب أخلاقهم وتعليمهم الدين.

وهذا التخريب المعنوي هو ما يلجأ إليه الطواغيت والمنافقون المتستّرون بالدين فهم يعمّرون المساجد مادياً إلاّ أنّهم يفرغونها من محتواها وتأثيرها في حياة الأمة كالذي شهدناه ايام صدام المقبور وامثاله.

وقد يكون تأثير مساجد المنافقين معادياً للدين القويم {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} ﴿التوبة : ١٠٧﴾ وهذا شاهد على ما قلناه من كون التخريب المعنوي اخطر .

٨- وبناءاً على ما قلناه من ان التخريب المعنوي هو الاخطر وانه قد يكون من المتسترين بالدين من نفس المسلمين فان سنة التدافع تجري داخل المجتمع المسلم ايضاً وليس فقط مع الاعداء الخارجيين وتكون حينئذٍ مع من يحرّف الدين ويداهن فيه ويعرقل مسيرته ويحارب المصلحين ويقف حجر عثرة في طريق الإصلاح مكتفياً بشكليات الدين ومظاهره الخارجية، كالذين واجههم أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانوا من العناوين الكبيرة في المجتمع المسلم، خصوصاً بعد

---

(١) وسائل الشيعة: ١١٨/١٦ ح١١.

الالتفات إلى الوصف الذي أعطته الآية للمساجد، والذي لاينطبق على اولئك المتسترين بالدين .

٩- لابد ان يلاحظ في آليات التدافع مناسبتها لما يستعمله العدو، لأنّه إذا لم يكن مناسباً ومكافئاً للعدو فلا يعتبر دفعاً ولا تدافعاً، فإذا كان عمل العدو وهدمه فكرياً فلابد من دحضه بفكر مثله وان كان إفساده أخلاقياً فلابد من مواجهته بحملة مثلها، وهكذا إن كان سياسياً أو إعلامياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو عسكرياً ونحو ذلك فانه يقابل بمثله.

١٠- إن الله تبارك و تعالى لطيف بعباده ولا يتركهم سدى فريسةً بأيدي شياطين الانس و الجن بل يقيّض من عباده من ينهض بهذا الحمل الثقيل لذا نسب تعالى الدفع إليه فهو الذي يدفع الناس بالناس، وهذا المعنى من قبيل ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (يحمل هذا الدين في كل قرن عُدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين)[1] واذا تقاعس قوم عن اداء واجباتهم فان الله تعالى يوفّق غيرهم لهذه الطاعة قال تعالى {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} ﴿محمد : ٣٨﴾

١١- الوعد الإلهي لعباده العاملين المخلصين بالنصر وتأكيد ذلك بعدة مؤكدات في الآية، كاللام ونون التوكيد في قوله تعالى {وَلَيَنْصُرَنَّ}، نعم قد يتأخر النصر لحكمة إلهية كحماية المؤمنين من العجب او لتعريضهم لمزيد من البلاء لإنضاجهم وتأهيلهم، أو لكي يستشعروا أهمية وقيمة النصر، وقد يحقق الله تعالى النصر للمؤمنين لكن على نحو لا يفهمه الناس لاختلال القيم والمقاييس عندهم،

---

(١) رجال الكشي: ٢، وروى البرقي في المحاسن مثله وفيه (فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) (بحار الأنوار: ٩٢/٢ عن بصائر الدرجات١/٣٠ :، باب ٦، ح ٧

وعلى اي حال فان هذا النصر مشروط بإخلاصهم لله تعالى وصدقهم في ما عاهدوا الله عليه، فقد وضحت الآية التالية للآية الثانية التي فيها الوعد بالنصر من ينصرهم الله تعالى بقوله سبحانه {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} ﴿الحج : ٤١﴾

١٢- ورد في الروايات معنى آخر للدفع يناسب قوله تعالى {وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} ﴿البقرة : ٢٥١﴾ لأنّ فيه منّة من الله تعالى، ففي رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) قَالَ: (إن الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يصوم منهم عمن لا يصوم من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصيام لهلكوا، وإن الله يدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي، ولو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله يدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج منهم، ولو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا وهو قول الله تعالى(وَلَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ).[1]

١٣- إنّ الدفع وإن كان في المصطلح يعني مقاومة الشيء بعد وقوعه، إلا أن معناه هنا أوسع فيشمل ما يعرف بالرفع أي منع وقوع الفساد والظلم والانحراف أصلاً، بل أن العمل عل النحو الثاني هو الذي يجب أن نفكر فيه ونضع خططنا له على طريقة الحكمة القائلة (الوقاية خير من العلاج) فتهيئة أسباب الصلاح والبيئة المساعدة لانتشاره وإقناع الناس به مقدَّم على انتظار وقوع المنكر ثم التفكير في كيفية إزالته ومعالجته.

---

(١) البرهان : ٢/ ١٤٥ نقلا عن تفسير العيّاشي ١.٤٤٦ /١٣٥

وهذا مبدأ مهم سار عليه قادة الإسلام العظيم فمن قصار كلمات امير المؤمنين (عليه السلام) (ازجر المسيء بثواب المحسن)[1] وروي عن الامام الحسن المجتبى (عليه السلام) قوله (السداد دفع المنكر بالمعروف)[2] فالأولى أن تكافئ المحسن وتشجّع العامل الصالح لتحفّز غيره على الإحسان وإتقان العمل ولا يبقى مجال ليفكّر بالعمل السيء وتعريض نفسه للعقوبة.

١٤- ولابد ان نلتفت الى ساحة اخرى للتدافع وهو الذي سماه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجهاد الاكبر وهي ساحة النفس التي يتصارع فيها جنود الرحمن مع جنود الشيطان لتحسم المعركة بانتصار ارادة الخير او ارادة الشر، و الاولى مؤيدة بالألطاف الالهية والبصيرة والعقل و المعرفة و العزم و الحكمة، والثانية مزودة بالشهوات و الاهواء والميول النفسية.

روي في الكافي انه كان عند الامام الصادق (عليه السلام) جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل و الجهل، فقال الامام: (عليه السلام) (اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا) قال الراوي جعلت فداك لا نعرف الا ما عرفتنا، فذكر الامام (عليه السلام) ان الله تعالى اعطى لكل منهما خمسة وسبعين جنداً وقال (عليه السلام) الخير وهو وزير العقل وجعل ضدّه الشر وهو وزير الجهل، والايمان وضده الكفر)[3] الى اخر الحديث.

لقد جسد النبي (صلى الله عليه وآله) في رسالته الإسلامية هذه السنّة -أي سنّة التدافع- بأوضح مصاديقها وبأشكال متنوّعة فكانت دعوته (صلى الله عليه وآله) من أول أمره تستند إلى عقيدتين متلازمتين هما إثبات الإلوهية لله تعالى ونفيها عمّا سواه، وكان شعار

---

(١) نهج البلاغة، ح٤، قصار الكلمات رقم ١٧٧ عن روض الاخيار/ ٤١

(٢) مستدرك الوسائل: ١٢:٤٣٨: ح:١٤٥٦٢حلية الاولياء لابي نعيم: حديث ١٤٦٢

(٣) اصول الكافي : كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ ج١/ح١٤

دعوته المباركة (قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا) فلم يقتصر على القضية الأولى -أي إثبات الإلوهية لله تعالى- ما لم تنضم إليها الثانية وهي رفض الوهية غيره لتكتمل عقيدة التوحيد، وإلاّ فإنّ المشركين كانوا يقولون بوجود الله تعالى وخالقيته ورازقيته (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (العنكبوت/٦١) (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (العنكبوت/٦٣) وغيرها. فالمشركون لم يعترضوا على هذا المقدار وكان بين ظهرانيهم أحناف موحّدون وأتباع الديانات السماوية لكنّهم أعلنوا العداء بضراوة والحرب على النبي (صلى الله عليه وآله) لأنّه دفع عقيدتهم وألغاها.

وقد بدأ النبي (صلى الله عليه وآله) التدافع بالجهر برفض تلك العقيدة الباطلة وقداستها المزيّفة التي صنعها المنتفعون بها وتلاه الإجراء الآخر وهو مباينة أهلها (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) (الكافرون/١-٣)، ثمّ بالاستدلال على بطلانها وردّ دعاؤهم والإجابة على إشكالاتهم.

وهكذا تدرّجت وتنوّعت آليات التدافع والمواجهة حتّى أُذن له (صلى الله عليه وآله) بالقتال بعد أن مكّنه الله تعالى من زمام الأمور في المدينة المنّورة {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} ﴿الحج : ٣٩﴾ حتى فتح الله تعالى عليه الفتوح المبينة وعمّت رسالته المباركة شرق وغربها.

هذا على صعيد التدافع الخارجي أما على مستوى التدافع الداخلي فإجراءاته مع المنافقين معلومة وهدمه وإحراقه لمسجدهم الذي اتّخذوه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين في الرواية الموجودة في سبب نزول الآية المذكورة.

وسار على نهجه سبطه الشهيد الإمام الحسين (عليه السلام) فأقام بخروجه المبارك هذه السنة الإلهية إذ انه لم يتقاعس ولم يذعن ولم يستسلم لبطش بني أمية وطغيانهم،

ونهض بمسؤوليته وقام (عليه السلام) ليدفع المنكر والباطل، ولولا قيامه المبارك لنقض بنو أمية الإسلام عروة عروة ولتحقق المحذور الذي اشارت اليه آيتا التدافع حتى لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القران إلا رسمه، وقد قطعوا شوطاً واسعاً في هذا المجال لولا ان الإمام الحسين (عليه السلام) قلب الأمور عليهم وأعاد للإسلام وجوده ومضمونه ونقاءه وحيويته:

إن كان دين محمدٍ لم يستقم إلا بقتليَ يا سيوفُ خذيني

وقد حقق الله له (عليه السلام) وعده بالنصر فها هو ذكره المبارك يملأ الخافقين ويهدي الناس إلى الحق ويحفظ دين الإسلام عزيزاً كريماً و المسلمين مرفوعي الرأس، وأصبحت قضية الحسين (عليه السلام) من أعظم الحوادث التاريخية على الإطلاق وأعظمها انتشاراً، وها هي المسيرة المليونية في زيارة الأربعين شاهد على الكرامة و العزة و الحرية والرفعة .

ايها الاحبة:

إنّ من أفضل أشكال التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالإمام الحسين (عليه السلام) إحياء هذا القانون الإلهي العظيم في كل ساحاته سواء داخل كيان المجتمع المسلم أو خارجه وبالآليات المناسبة لكل مواجهة، ولا يسعنا القعود عن هذه الوظيفة المباركة وإلاّ ضاع الدين واضمحل كيان الإسلام كما نبّأت به الآية الشريفة، ومن تخلف عن هذه المواجهة لم يبلغ الفتح، كما قال الإمام الحسين (عليه السلام) في رسالته، قال تعالى {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} ﴿محمد : ٣٨﴾.

خطاب المرحلة

(٤٠٠)

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[١]

من ابرز الصفات الكريمة التي سجّلها القران الكريم للنبي (ﷺ): الرحمة بالمؤمنين والشفقة عليهم والرأفة بهم كقوله تعالى (حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة ١٢٨ ،وكان الغرض من بعثته الشريفة الرحمة بالعباد ،قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)الأنبياء ١٠٧، وقال تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ)الأعراف ١٥٦/١٥٧ .

ومنها الآية التي نحن بصددها وهي قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) آل عمران ١٥٩،وتستخلص منها عدة دروس :

١- أهمية صفة الرحمة في القائد والمسؤول الذي يريد التأسي بالقيادة النبوية المباركة لأنها سر نجاح القادة والمسؤولين في حركتهم نحو نفع الأمة ورعايتها ،وهي أساس كل احسان ومعروف تقدّمه للآخرين وإن أساس التفاف الناس حوله هي الاخلاق اما الفظ الغليظ فقد يضيّع حقه لافتقاده هذه الصفة ،لذا كانت من الوصايا المهمة التي وجهّها أمير المؤمنين (عليه السلام) الى مالك الاشتر لما ولاه مصر ،قال

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله مع حشد كبير من طلبة الجامعات ووفود من عدة مدن عراقية يوم السبت ١٤٣٥/٢ع/٨ المصادف ٢٠١٤/٢/٨.

(عليه السلام) (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم)[١] أي ان قلبك حتى لو كان غير ممتلئ بالرحمة التي هي ضرورية لنجاح عملك فعليك أن تتكلفها وتدرّب قلبك عليها وتستثيرها في باطنك حتى تصبح ملكة راسخة ،فان الصفات والملكات الحسنة يمكن تحصيلها بالتهذيب والتدريب.

وهذه الصفة يحتاج الى استشعارها كل أحد لأننا كلنا مسؤولون وإن كان بدرجات متفاوتة ،ففي الحديث الشريف (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٢]،فرّب الاسرة مسؤول عن اسرته ومدير الدائرة كذلك عن دائرته ومثله المعلم عن طلبته والوزير عن وزارته والضابط عن جنوده والمرأة عن بيتها واطفالها وهكذا.

ولما سُئِل أحدهم من هو أحبُّ أبنائك اليك ؟ لم يجب بأنه فلان أو فلان ،وانما قال: الصغير حتى يكبر والمريض حتى يشفى والغائب حتى يعود ،والجامع المشترك لهؤلاء هو حاجتهم الى الرحمة والشفقة أكثر من غيرهم.

٢- ان هذه الصفة وسائر خصال الخير والكمال لا يمكن تحصيلها بالسعي والعمل وحده، بل لابد من توفيق الهي ولطف بالعبد فوصفت الآية الرحمة أنها (من الله) ،عن الامام الجواد (عليه السلام) قال (المؤمن يحتاج الى توفيق من الله وواعظ من نفسّه وقبول ممن ينصحه)[٣].

٣- ان القائد هو محور وحدة الأمة إذا كان رحيماً ليناً شفيقاً وهو سبب تفرقها وتشتتها وانقضاضها إذا كان فظاً غليظ القلب قاسياً لا يهتم بشؤون الرعية ولا يتواضع لهم ولا يتفقدهم ،ولأن أهل البيت(عليهم السلام) ورثوا أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله)

---

(١) نهج البلاغة :٥٤٧ كتاب/٥٣.

(٢) بحار الانوار: ٣٨/٧٢

(٣) تحف العقول: ٢٩٠

وصفاته الكريمة فقد كانوا محور اجتماع الأمة ووحدتها ،وهذا ما عبرّت عنه الصديقة الزهراء (عليها السلام) بقولها (وجعل امامتنا نظاماً للملة) ،فاذا وجدت امة متوحدة فاعلة فاعلم ان رحمة الله شملتها، والعكس بالعكس وقد ورد في الحديث الشريف (إذا غضب الله على قوم ابتلاهم بكثرة الجدل وقلة العمل).

٤- الاجراء التربوي والاصلاحي الذي مارسه النبي (صلى الله عليه وآله) مع أصحابه ،فأن الآية جاءت في السياق القرآني الذي تحدّث عن ملابسات معركة أُحد والهزيمة التي حلّت بالمسلمين بعد الانتصار الذي تحقق اول المعركة نتيجة عصيان بعضهم لأوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأنهزم الجيش إلا أفراد قلائل ثبتوا حول رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي مقدمتهم أمير المؤمنين (عليه السلام) وتسببت الهزيمة في استشهاد سبعين من اجلاء الصحابة بينهم عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حمزة بن عبد المطلب والمتوقع من القادة في مثل هذه المواقف انزال العقوبات الصارمة بحق المنهزمين مضافاً الى العقاب الإلهي لارتكابهم جريمة (الفرار من الزحف) ،لكن الله تعالى وجّه نبيه الى اجراء عكس المتوقع وهو قوله تعالى (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) آل عمران١٥٩ وليس هذا فحسب بل اعادة الثقة بأنفسهم وإشعارهم بدورهم الفاعل في حياة الأمة والمشاركة في قراراتها المصيرية (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) آل عمران١٥٩ وفي هذا درس مهم لأولياء الأمور على جميع الأصعدة بان يعتمدوا أسلوب العفو والصفح وزرع الثقة في نفس المخطئ وقلع شعوره بالنقص والدونّية لينقلب تماماً على خطأه ويعود الى الوضع الصالح السوي.

ولو تعاملنا بيننا بهذه الخصال النبوية الكريمة لشملتنا الرحمة والالطاف الالهية وحُلَّ الكثير من مشاكلنا بلطف الله تعالى.

خطاب المرحلة

(٤٠١)

اعتراف الغرب بعظمة التشريع الإسلامي[1]

نشرت بعض مواقع التواصل الاجتماعي يوم ٢٠١٤/٢/٧ صورة لجدارية ضخمة تزيّن المدخل الرئيسي لكلية القانون في جامعة هارفارد الأمريكية، على حائط مخصّص لأهم العبارات التي قيلت عن العدالة عبر الأزمان، وقد كُتب على هذه الجدارية باللغة الإنجليزية وبخط كبير ترجمة قوله تعالى في الآية ١٣٥ من سورة النساء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) ووضعوا شرحاً للآية ومعناها ولمحة صغيرة عن السورة التي وردت فيها فكُتب عن الآية أنها ((تؤكد على أهمية الصدق في الشهادة)) وكُتب عن سورة النساء ((أنّها تتعامل بشكل رئيسي مع التزامات ومسؤوليات المرأة في المجتمع الإسلامي، وتشرح أيضاً أصول الميراث وقانون الأسرة)).

وقد أحسن هؤلاء الاختيار لأنّ الآية تؤسس قاعدة مهمة في قانون تطبيق العدالة في جميع المجالات وبناء الدولة العادلة والمجتمع الصالح، إذ تبدأ بتوجيه الأمر إلى جميع الناس وتخصّ الذين آمنوا بالذكر تشريفاً لهم أو لأنّهم هم المتوقع منهم الالتزام بالأوامر الإلهية أكثر من غيرهم، تأمرهم أن يكونوا قوامين بالعدل،

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من طلبة كلية القانون في جامعة البصرة وعدد من منظمات المجتمع المدني من بغداد وكربلاء وذي قار يوم السبت ١٤٣٥/٢ع/١٥ المصادف ٢٠١٤/٢/١٥.

فاستعمل صيغة المبالغة (قوّام) لتدل على حالة دائمة وصفة راسخة لدى الإنسان، وليست وضعاً طارئاً، وبذلك يكون إقامة العدل منهجاً ثابتاً في حياة الإنسان.

ومعنى القيام هنا تحمّل المسؤولية والنهوض بها والالتزام بمتطلباتها فلا يقبل بترك تحمّل الشهادة وعدم الإدلاء بها، وبنفس الوقت يعني القيام الاستقامة ولذا سُمّيت الزاوية القائمة والمستقيمة لعدم وجود أي انحراف فيها عن المحور، فالمطلوب أنّ الشهادة خالصة لله تعالى لا تتأثّر بأي ضغط للمصالح أو الميول أو الأهواء فعليكم أن تراقبوا الله تعالى فقط في شهاداتكم من دون انحراف فيها إلى اليمين ولا إلى الشمال حتى بمقدار شعرة، مهما كانت الجهة اليمنى أو اليسرى حتى على نفسه أي كانت على خلاف مصلحة نفسه أو والديه أو الأقربين، أو كان المشهود له غنياً أو فقيراً فلا قيمة لهذه الاعتبارات ولا يجوز أن تكون محل اهتمام بنحو يوجب الانحراف والميل نحو الغني ضد الفقير.

وإنّما ذكر الغنى والقرابة باعتبارهما أوضح سببين للمجاملة والمداهنة والانحراف عن الحق، وإلاّ فإنّ القيام بالحق مطلوب في مقابل كل المؤثرات التي تضغط على الإنسان، فعليه أن يؤدي تكليفه، أما ما هو الواقع وكيف تكون النتائج فبيد الله تعالى (فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا) وبكل المخلوقات وهو مدبّر الأمور.

ثمّ تشير الآية إلى العنوان الكلّي الجامع لأسباب عدم القيام بالشهادة لله تعالى وهو إتباع الهوى فينهى عنه (فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى) ويحذّرهم أن إتباع الهوى يؤدي بهم إلى العدول عن الحق (أَن تَعْدِلُواْ) ويمكن أن يكون معناها أنكم إذا أردتم أن تعدلوا وتقيموا الشهادة بالحق فطريق ذلك أن لا تتبعوا الهوى، ونصل بذلك إلى نتيجة أن إتباع الهوى هو الأصل في حصول الظلم والجور في المجتمعات البشرية.

ويحذرهم مرة أخرى ويلفت نظرهم إلى أنهم إذا أغمضوا في الشهادة وانحرفوا عن الحق أو لم يشهدوا أصلاً بالحق لصاحبه، فإنّ الله خبير بما يعملون وعليم بما

يفعلون لا يخفى عليه شيء و (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (غافر/١٩) للتشديد في أمر هذه القاعدة الأساسية في إقامة الحق والعدل.

هذه بعض جوانب العظمة في الآية الشريفة التي دعت أرصن كليات القانون في العالم تجعلها شعاراً على بابها ليستفيد منها كل داخل وخارج، أما المسلمون فإنهم غافلون لا يدركون قيمة هذه الجواهر التي منّ الله تعالى بها بواسطة نبيه الكريم (ﷺ)، وقد استغل أعداء الإسلام غفلة المسلمين وجهلهم فأقنعوهم بضرورة تطبيق القوانين الوضعية ونبذ قوانين الإسلام لينفرد أولئك بهذه الغنائم ويصدروا إلينا بضاعتهم الكاسدة، وإلى الآن لا زالت المناهج التي تُدرَّس في كليات القانون هي القوانين الوضعية فيتخرج الطالب وهو لا يفقه من دينه العظيم شيئاً ولا يأخذ من دينه إلاّ القشور ويترك اللّب لأولئك الأجانب حتى يؤسسوا بها حضارتهم.

بل أن الأمر أسوأ من ذلك حيث يواجه بالتشنيع من يستثمر فرصة حكم الأغلبية الشيعية في العراق لتقديم قانون شرعي ينظم حياة الناس في أحوالهم الشخصية وفق شريعة الله وهو حقّ كفله الدستور، وتتعالى أصوات المعترضين من داخل الأوساط الدينية والاجتماعية الشيعية لتتهم وتعرقل وتجعل العقبات وتحرّض على عدم إقامة شرع الله تعالى.

كما تعرّض السيد الشهيد الصدر الأول (قده) إلى الحرب الشرسة من قبل بعض أقطاب المدرسة الدينية وأتباعها عندما قدّم للعالم بعض جوانب عظمة الإسلام في الفلسفة والاقتصاد والاجتماع وحاصروه وضيّقوا عليه وسقّطوه حتى استضعفه أعداء الله تعالى فقتلوه.

هذا شكل من أشكال عدم الإنصاف الذي يتعامل بها المسلمون مع شريعتهم حيث لا يسعون إلى تطبيقها والاستفادة منها بل يعرقلونها، بينما يفتخر الغرب بهذه

الآية الكريمة والمسلمون عندهم القرآن الذي فيه أكثر من ستة آلاف آية كريمة وعشرات الآلاف من الأحاديث الشريفة للمعصومين (عليهم السلام).

فتمسكوا أيها الأحبة بدينكم وصلتكم الوثيقة بالله تعالى ولا تعطوا الفرصة لأي أحد حتى يسلبكم دينكم فإنّه أعظم النعم الإلهية، وهم لهم طرقهم في سلب الدين من أهله ولكل شريحة بحسبها، فالشباب الجامعي بالإغواء والفتنة وإثارة الشهوات، وعلماء الدين بالحسد والغيرة وحب الجاه وصراع الزعامات وشراء الولاءات بالأموال ونحو ذلك والغرض واحد هو سلخكم من هذا العز والكرامة وشرف الدنيا والآخرة.

خطاب المرحلة

(٤٠٢)

واجعل الحياة زيادة لي في كل خير[١]

الأدعية الشريفة مدرسة ننهل منها المعارف الحقيقية والدروس التي تنظم حياتنا وتصلح نفوسنا، وليست هي فقط نصوصاً مباركة نقرأها لطلب الثواب الجزيل المرصود لها وإن كان هذا بحد ذاته غرضاً نبيلاً يستحق التعب.

وقد استمعنا الآن بعد صلاة الظهرين دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) الخاص بهذا اليوم الثلاثاء، وكل فقرة منه هي مدرسة كقوله (عليه السلام) (واجعل الحياة زيادة لي في كل خير) ولكي يستجاب هذا الدعاء لابد من عمل الفرد وقبول واستجابة من الله تعالى، ولا يكفي مجرد تحريك اللسان بالكلمات، كمن يدعو بالرزق مثلاً من دون سعي لطلبه، أو يطلب الولد الصالح وهو لا يسعى لاختيار الزوجة الصالحة وهكذا، وإن كان الله تعالى يُنعم على العباد تفضّلاً وابتداءاً من غير استحقاق.

فيعلمنا الإمام (عليه السلام) في الدعاء أن نجعل بتوفيق الله تعالى وكرمه ورحمته حياتنا كلها خيراً وعطاءاً ونفعاً للنفس وللأهل وللآخرين، وفي زيادة مستمرة من التزود والخير من دون توقف الذي يعني هدر رأس المال الذي منحنا إياه وهو العمر وسائر النعم الإلهية من دون استثمار، فضلاً عن الرجوع إلى الوراء والخسارة باجتراح السيئات والعياذ بالله، ويبيّن الحديث الشريف هذه الحالات الثلاث (عن الصادق (عليه السلام) " من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع وفود من مناطق متعددة من بغداد يوم الثلاثاء ١٨/ع٢/١٤٣٥ المصادف ٢٠١٤/٢/١٨.

خيرهما فهو مغبوط ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان. ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة)[1].

وهذا الطلب أدب قرآني أدّب الله تعالى به نبيه الكريم (ﷺ) قال تعالى (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه/١١٤) والعلم المراد هو العلم النافع الذي يقترن مع العمل الصالح وفعل الخير وإلاّ فإنه لا قيمة له.

والخير الذي يدعو بالزيادة منه هو كل عمل صالح فلا يقتصر على العبادات المعروفة كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وزيارة المعصومين (عليهم السلام) وإن كانت هذه من أصول الخير، بل له معنى واسع فالبرّ بالوالدين والإحسان إليهم من أعظم الخير، ومساعدة الآخرين كذلك، والجلوس مع العائلة والتلطّف معهم والتودّد إليهم ومتابعة شؤونهم من الخير، وكسب الرزق الحلال من الخير ففيه التوسعة على الأهل والتصدق في سبيل الله وإغناء النفس عما في أيدي الناس وإخراج الخمس من الفائض عن المؤونة في نهاية السنة وهذا كله من الخير، والزواج خير والإنجاب خير بل من أعظم الخير، ذهابك إلى المسجد والمشاركة في صلاة الجماعة والجمعة وحضورك في الشعائر والفعاليات خير، تفقّهك في الدين وتعلّمك مسائل الحلال والحرام لتصحيح سلوكك خير، اجتماعك هذا مع أخوانك وتبادلكم الأحاديث النافعة في دنياكم وآخرتكم خير يحبّه الإمام (عليه السلام) ويترحم على فاعله، روي أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال للفضيل بن يسار (يا فضيل؛ أتجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جُعلت فداك، فقال عليه السلام: إني أحبّ تلك المجالس، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا).[2]

---

(١) معاني الاخبار: ص ٣٤٢ باب معنى المغبون.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧٨/٤٤، ٢٨٢.

وهكذا تستطيع أن تحوّل حياتك كلها إلى مصنع لإنتاج عمل الخير قال تعالى (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) (المؤمنون٦١) وقال تعالى (فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ) (المائدة/٤٨) حتى الأفعال الاعتيادية كتناول الطعام يكون خيراً لأن فيه حفظ الصحة والتقوّي على طاعة الله والقيام بأعمال الخير، والنوم المقتصد يكون خيراً لأن فيه راحة واستجماماً وتجديد النشاط للاستمرار في الاستزادة من الخير بل يكون النوم شكلاً من أشكال العبادة بحسب ما أفاد الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (من تطهّر ثم أوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده)[1]، قد يقول البعض إننا لا نستطيع أن نكون بهذه الفاعلية دائماً لأن غير المعصوم تعتريه الغفلة والنسيان والضعف فيحصل تراجع ولا يمكن أن يكون دائماً في حالة زيادة من الخير، وهذا التساؤل موجود، لكن الله تعالى عالج هذا القصور الذاتي بأكثر من علاج:

١- أن ينوي الإنسان فعل الخير ويعزم عليه كلما تيسّر له، فهذه النية بحد ذاتها خير، وان الله تعالى بكرمه يعطي لصاحب النية الصادقة والعزم الأكيد ما يعطي للعامل كما في الحديث النبوي الشريف (نية المؤمن خير من عمله)[2]وإيجاد هذه النية وهذه الإرادة ليس صعباً على الإنسان فيحصّل بها ما يفوته من الأعمال.

٢- إن الله تعالى تكفّل للإنسان الذي يستيقظ من غفلته ويعود إلى العمل الصالح وفعل الخير عند تذكره والالتفات إليه، أن يمحو كل ذلك التقصير والقصور ويثبّت بدلاً عنه حصيلة هذا الالتفات، قال تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) (هود/١١٤) وقال تعالى (فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) (الفرقان/٧٠) أي ليس فقط يمحو السيئات بل يبدلها إلى حسنات في صحيفة الأعمال، ومن معاني

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٦٥/١ باب٩ ح١.

(٢) الكافي: ٨٤/٢.

هذا التبديل أن يجعل حياته ما قبل التغيير بمثل حياته بعد التغيير، فلو كان تاركاً لصلاة الليل أو لا يلتزم بأداء الصلاة في أوقاتها ثم قام بذلك فإنه يجعل حياته السابقة على هذه الصورة الجديدة، كالمدرّس الشفيق الرحيم الذي يقول لطلابه سأعيد لكم الامتحان فإذا جئتم بدرجات أفضل فإنني سأعتبر درجاتكم السيئة في الامتحان السابق على طبق هذه الدرجات الجيدة الجديدة، ولا شك أن الله أشفق على عباده وارحم به وهو أرحم الراحمين، وهو تعالى الذي جعل هذه الرحمة في قلوب عباده فكيف لا يكتبها على نفسه؟ فما على الإنسان إلا أن ينتبه من غفلته ويعود إلى منهج الزيادة من الخير.

خطاب المرحلة
(٤٠٣)

التعدُّديّةُ الدينيةُ في أفُقِ حِوارِ الحضارات[1]

السلام عليكم أيّها الحفل الكريم ورحمة الله وبركاته

لابد من تحديد معنى التعدّدية الدينية قبل الحديث عن دورها في حوار الحضارات، ويمكن أن يُراد بالتعدّدية الدينية معنيان:

المعنى الأول: تعدّد الأديان والطوائف في المجتمع الواحد، كالموجود عندنا في العراق، وهي حالة طبيعية وقد تعامل المشرِّع الإسلامي معها كواقع موجود نتيجة حرية الاختيار وهو مبدأ أساسي في الشريعة الإسلامية (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة/٢٥٦) (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة/٦٢).

وقد منحتهم الدولة الإسلامية تمام الحقوق التي تُمنح لرعايا الدولة، لأنّ أساس الاستحقاق هي المواطنة التي يشترك فيها الجميع، أمّا الدين والمذهب والقومية

(١) كلمة سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) تلبية لدعوة وجّهتها رئاسة جامعة الكوفة لسماحته للمشاركة في مؤتمر عُقد في جامعة الكوفة بالتعاون مع معهد الدراسات العقلية في النجف تحت نفس العنوان يومي ٢٠-٢١/ ٢/ ٢٠١٤ بحضور علماء ومفكرين ومهتمين بقضية التقارب بين الأديان من عدد من الدول الإسلامية.

ونحوها فلا تؤثر في استحقاق المواطنين، بل تحمّل أمير المؤمنين (عليه السلام) انشقاقات رموز كبيرة في المجتمع أدّت إلى حروب طاحنة بسبب سياسته العادلة هذه بينما أراد الآخرون أن تتمايز الطبقات في الاستحقاقات والامتيازات، وهي ثقافة كان قد تطبّع عليها المجتمع وسار عليها، لكنّها مرفوضة في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله).

والشواهد في حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيرة كحادثته مع النصراني المكفوف حيث كان الإمام (عليه السلام) في شوارع الكوفة.. فمر بشخص يتكفف وهو شيخ كبير السن، فوقف (عليه السلام) متعجباً وقال (عليه الصلاة والسلام): (ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين إنه نصراني قد كبر وعجز ويتكفّف، فقال الإمام (عليه السلام): ما أنصفتموه.. استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه) .[1]

ولما ولّى أمير المؤمنين مالك الأشتر مصراً، كتب له عهداً مطوّلاً في كيفية إدارة الدولة وكانت وصيّته للرعيّة ـ أي المواطنين ـ جميعاً على حدٍّ سواء، كقوله (عليه السلام) (وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ)[2] وغيرها من دون ملاحظة أي اختلافٍ بينهم، فهم متساوون في حقوق المواطنة.

بل تصل حالة التعاطف والنظرة المتساوية للجميع على حدٍّ سواء إلى درجة بحيث يتقطّع قلب أمير المؤمنين (عليه السلام) أسفاً ويجد الموت أهون عليه لّما بلغه أن جنداً لمعاوية أغاروا على الأنبار وسلبوا النساء وفيهنّ غير مسلمات (معاهدات)، قال

(١) وسائل الشيعة: ج١١ ص٤٩ باب١٩ ح١.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٥٣.

(عليه السلام): (ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَى المُعَاهَدَةِ ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلاَئِدَهَا، وَرِعَاثَهَا ، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالإِسْتِرْجَاعِ وَالإِسْتِرْحَامِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ ، مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ ، وَلاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِن بَعْدِ هَذا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً).[1]

ويشهد التأريخ الإسلامي بأنّ المسيحيين واليهود والصابئة تبوّأوا مواقع رفيعة في حكومات الدولة الإسلامية وبرعوا في أنواع العلوم وأسماؤهم معروفة وبعضهم مشهور ممّا يعني أنّهم نالوا فرصاً متساوية مع المسلمين.

المعنى الثاني: تعدّد الآراء الفقهية والرؤى الاجتهادية تبعاً للاختلاف في فهم نصوص التشريع حتّى تصل أقوال الفقهاء في مسألة واحدة إلى أكثر من عشرة، وهذه حالة إيجابية أصّل لها المشرِّع الإسلامي وتدل بعض الروايات على أنّ الأئمة (عليهم السلام) كانوا يتعمّدون إلقاء أجوبة مختلفة في الموارد الممكنة لمصالح مهمّة ذكروها[2]، وتُعدُّ من المفاخر التي ورّثها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لأتباعهم هو فتح باب الاجتهاد وإعطاء حريّة النظر والاستنباط من المصادر الأصلية للتشريع (أعني القرآن الكريم والسنة الشريفة) ليعطي الفرصة لكل جيل أن يفهم النصوص الشرعية وفق ما تراكم لديه من إرث علمي وثقافي ونفسي واجتماعي مع

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٧ وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية.

(٢) راجع كتابنا (الفقه الباهر في صوم المسافر: ١٤٠).

مستجدات الواقع الذي يعيشه، والاستفادة من كل الأدوات المتوفّرة لديه بعيداً عن التقليد والجمود.

وقد أمر الأئمة (عليهم السلام) علماء الدين بأن لا يُقسِروا النصوص على فهم معيّن ويحصروها به، وإذا تعسّر عليهم شيء فليتركوا فهمه للزمان فسيأتي الجيل الذي يفهمه وفق متطلبات عصره ويأخذ حاجته منه. (سأل رجلٌ الإمام الصادق : ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فأجابه الإمام : «لأن اللّه تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قومٍ غض، إلى يوم القيامة[1]) وروي عن ابن عباس أنه قال: (لا تُفسّروا القرآن فإن الدهر يُفسّره).

وتظهر إيجابية هذه التعدّدية في آراء الفقهاء من أكثر من جهة:

١- إنها تعطي فرصة لكل جيل أن يفهم النصوص وفق متطلبات عصره وملابسات الزمان والمكان ونحوها من العناصر التي تشكّل قرائن لفهم النصوص الشرعية.

٢- إنها تحمي الدين من أخطاء علمائه وحملته، فلو كان للشريعة فهم واحد فإنّ رفض هذا الفهم ينعكس على الدين نفسه فيؤدي إلى رفضه، كالذي حصل للكنيسة في العصور الوسطى حيث أدّى إكراهها لأتباعها على نمط معين للحياة إلى رفض الدين من الأساس، فتصوّروا لو أن الإسلام له صورة واحدة هي التي

(١) بحار الأنوار. ج٢ ص٢٨٠.

يسوّقها التكفيريون والإرهابيون فكيف ستكون النظرة إلى الإسلام نفسه؟ أما حينما توجد وجهات نظرٍ معتدلةٌ وحضاريةٌ فإنها تحمي الإسلام من تلك الرؤى الخاطئة.

٣- إيجاد منافذ وخيارات بديلةٍ عند العسرِ والحرج ورفع التضييق عن الأمّة، فمثلاً شخصٌ يرجع إلى فقيهٍ يحرّمُ حلقَ اللحية وهو يجد حرجاً في تطبيقِ هذا الحكم فيرجع في هذه المسألةِ إلى فقيه آخر لا يرى حرمة حلقها وهكذا، لذا يلتزم الفقهاء بإرجاع أتباعهم إلى فقهاء آخرين في موارد الاحتياط الوجوبي وفق عمليّة منضبطة بقواعد، أي أنّ الفرد يلتزم بالرجوع إلى مرجع معيّن وهو الذي يراه جامعاً للمؤهّلات، ويرجع إلى غيره في حدود الرخصة التي يمنحها له مرجعُ تقليدِه.

فالعملية ليست عشوائية أو انتقائية بحيث يستطيع الشخص أن يرجع إلى من يشاء في كلّ مسألة بحسب أهوائه ومشتهياته فيختار آراءً شاذة في كل مسألة لأنّه سيصل في النهاية إلى دين مشوّه لا تُحفظ فيه المعالم العامّةُ والأساسيةُ للدين.[1]

والخلاصة إن وجهة نظر الإسلام في التعدّدية الدينية بنّاءة وحضارية على كلا المعنيين.

أما على الأول فإنها تساهم بشكل بنّاء في حفظ وحدة المجتمع وحفظ حقوقه على أساس المواطنة التي يتساوى فيها الجميع، وعلى المعنى الثاني تساعده على

---

(١) قال ابن الحجّاج متهكّماً بفتاوى شاذة لدى أئمة المذاهب الأربعة:
فاشرب ولط وازن وقامر واحتجج فـي كـلّ مسألة يـقـول إمـامُ

تطبيق الدين بمرونة في حياة الفرد والمجتمع وتحلّ الإشكالية بين الدين والثقافة أو العصرنة أو الحداثة ونحو ذلك.

لكنّ هذا المنهج النقي السامي لتعاطي الشريعة الإسلامية مع التعدّدية الدينية تَعرّضَ بكِلا معنييه إلى الاستغلال السيّئ، فتحوّل المعنى الأول إلى حالة من الاحتراب والطائفية والتعصّب على يد تجّارٍ مستفيدين من هذه الصراعات لتنفيذ مآربهم وتحقيق مصالحهم الخاصة ولا دخل للدين فيها.

كما انّ المعنى الثاني جعله بعض أهل الحداثة ودعاة التجديد غير المقنَّن منفذاً لمسخ الدين والتنصّل من التزاماته بدعوى أن كلَّ الأحكام الموجودة هي عبارة عن رؤى اجتهاديةٍ لأصحابها ولا تمثّلُ الدين نفسَهُ فلا وجهَ للالتزام بها، وهذا تفكيرٌ غير سليم لأنّ فتاوى المجتهدين هي تعبير عن الأحكام التي قامت الحجّة الشرعية على وجوب العمل بها بعد الفحص عن المجتهد الجامع لمؤهلات المرجعية.

أأمل أن يُوفَّقَ مؤتمرُكُم المباركُ لإشباعِ هذه القضيةِ بحثاً وتحليلاً لإنضاجِ المواقفِ وجعلِها مُثمرةً بإذنِ اللهِ تعالى.

محمد اليعقوبي-النجف الأشرف
٢٠/ع٢/ ١٤٣٥
٢٠١٤/٢/٢٠

خطاب المرحلة

(٤٠٤)

جواب المعترضين على القانون الجعفري [١]

نقلت وسائل الإعلام خلال اليومين الماضيين أخبار اجتماع العشرات من النسوة في بغداد بمناسبة يوم المرأة العالمي للاعتراض على تمرير مجلس الوزراء[٢] قانون الأحوال الشخصية الجعفري إلى البرلمان، ومن قبل تصدى للاعتراض أيضا بعض السياسيين ورجال الدين .

ونحن نرحب بالنقد البناء والحوار والنصح لان ذلك يساعد على إنضاج القانون وسدّ ما يمكن ان يقع من الثغرات وإصلاح ما يمكن أن يوجد من أخطاء، فلا أحد منّا يدّعي العصمة من الخطأ والغفلة والنسيان، وهو أدب تعلّمناه من أئمتنا (عليهم السلام) قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (امخضوا الرأي مخض السقاء، ينتج سديد الآراء)[٣]، وقال (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام) من وصية له بعد أن ذكر أنه نظر في تجارب الأولين

---

(١) تقرير الكلمة التي تحدث بها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) في بحثه الشريف أمام حشد كبير من أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية يوم الأحد ٧-ج١ – ١٤٣٥ الموافق ٩-٣-٢٠١٤ .

(٢) بعد الضغط المتكرر بالبيان والحجة والحراك الفكري الذي مارسه سماحة المرجع (دام ظله) وما ترشح منه من ضغط شعبي وحوزوي وعجز ما يسمى بالمرجعية العليا عن تبرير معارضتها لتمرير القانون الجعفري للأحوال الشخصية رغم محاولاتها العديدة لفك الخناق فقد أوعزت للحكومة برفع (الفيتو) قبل اجتماعها يوم الثلاثاء ١٤٣٥/٢ع/٢٥ الموافق ٢٠١٤/٢/٢٥ وقررّت بالأغلبية الساحقة تمرير القانون الى البرلمان وتشكيل لجنة من علماء الدين بإشراف تلك المرجعية لمواكبة اقراره في البرلمان وبعد هذا التمرير نهضت قوى الاستكبار العالمي وذيولهم ودعاة الانحلال الأخلاقي والمناهضين للدين لإجهاض هذا القانون، ولم نسمع منهم اعتراضاً طيلة الفترة السابقة ولعلهم اكتفوا في المرحلة السابقة باعتراض (المرجعية العليا).

(٣) غرر الحكم/ رقم٢٥٦٩.

والآخرين وقلّب أمورهم (فاستخلصت لك من كل أمر نخيله، وتوخيت لك جميله).[1]

وهذا ما قام به وزير العدل قبل تقديمه القانون بأكثر من عام حيث عرضه على مراجع الدين والعلماء والقانونيين واستفاد من توجيهاتهم وملاحظاتهم.

فلو كان هؤلاء المعترضون مخلصين في عملهم وصادقين في نواياهم لقاموا بتقويم القانون خلال مناقشاته في أروقة البرلمان لأنه سيعرض على اللجان المختصة ويقرأ مواده واحدة واحدة قراءة أولى ثم يقرأ قراءة ثانية قبل التصويت عليه، وأن البرلمان يضم كل مكونات الشعب العراقي وطوائفه وأديانه وأعراقه وسوف يقول كل واحد رأيه بكل حرية، أما مجلس الوزراء فهو نافذة لتمرير القوانين إلى البرلمان.

فالفرصة إذن مفتوحة على مصراعيها أمام الجميع للقبول والرفض، فإذن لماذا هذا الصخب والضجيج الذي تثيره عدد من الفضائيات والمؤسسات التي تغرّر بالنسوة وترفع شعارات استفزازية مثل (لا لبيع الجواري) و (المرأة ليست سلعة للاستمتاع) (وأبعدوا شذوذكم عن بناتنا) ونحو ذلك و أوهموهنّ أن القانون يصادر حقوق المرأة ويعيدها إلى أزمنة التخلف ويجعلها سلعة بيد الرجل ونحو ذلك من الشعارات التي تجافي الحقيقة لأن الإسلام قدّم أرقى قانون لتكريم المرأة وصون شرفها وكرامتها وكثرت الوصايا في النصوص الشرعية بإكرام المرأة وحسن معاشرتها (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء/١٩) (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) (الروم/٢١) (ما أكرمهن إلاّ كريم وما أهانهنّ إلا لئيم) (اتقوا الله في الضعيفين المرأة واليتيم) (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي).

---

(١)) نهج البلاغة، قسم الرسائل، رقم ٣١.

وعلى العكس مما يدعي هؤلاء فإنهم هم الذين يمتهنون المرأة ويحوّلون جسدها إلى سلعة رخيصة في دعاياتهم وإعلاناتهم، لذا لم نستغرب هذه المواقف منهم لأنّ بعض رموز هذه الحملة طالبنَ منذ الأيام الأولى للتغيير عام ٢٠٠٣ بإباحة زواج المثليين والشذوذ الجنسي وتعدّد الأزواج للمرأة الواحدة واتخاذ العشيق والخدين خارج رباط الزوجية ونحو ذلك، ويتباكون على تزويج البنات بعمر مبكّر بعد البلوغ ويريدون أن يتأخّر الزواج إلى ما بعد الثلاثين لتقضي سنين صباها وشبابها في أحضان الرجال الأجانب والإحصائيات في الغرب تؤكد عدم وجود فتاة باكر عند التزويج بها، لأنّ اعرافهم تقضي أنّه من المعيب أن تبلغ الفتاة وهي غير مرتبطة بعشيق.

فهم إذن يتخفّون ببعض الشعارات ليمرّروا أجنداتهم الشيطانية في إيصال المجتمع إلى حالة من الانفلات والانحلال والانغماس في الرذائل والشهوات لذلك جرّدوا المرأة من لباس الحياء والشرف وأقحموها في كلّ ميدان لإشباع شهواتهم الحيوانية فتارة باسم الفن وأخرى باسم الرياضة وثالثة باسم مسابقات الأزياء وملكات الجمال وفي إعلانات كل المنتجات حتى الرخيصة منها، وعندما يقضون وطرهم منها يرمونها على قارعة الطريق لتتسوّل أو تمتهن البغاء ثمّ تنتحر لأنّها لا تجد فرصة للحياة الكريمة. فمن الطبيعي أن يقفوا في وجه كلّ من يريد وضع ضوابط أخلاقية واجتماعية وشرعية وعندهم عقد نفسية متأصّلة تجاه كل ما يمت إلى الدين بصلة، وقد كانوا يريدون للمجتمع العراقي أن يقع في هذا الانحطاط والعودة إلى الجاهلية الأولى لولا يقظة هذا الشعب -رجالاً ونساءاً- وتمسكه بدينه وجهود علمائه العاملين وأبنائه المخلصين وتردي الوضع الأمني الذي دعا كثيراً منهم إلى الرجوع من حيث أتوا (يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال/٣٠).

إن طبيعة المعترضات والمؤسسات التي تقف خلفهم وتكوينهم الثقافي والأخلاقي يكشف أنّ ما زعموه من خوف الطائفية والتخندق المذهبي خُدعة، إذ لم نجد القائم بالإعتراض من الطائفة الأخرى بل من رافضي الدين والالتزام الديني ودعاة الإنحلال والإباحية، مما يكشف عن الوجه الحقيقي لطبيعة المعركة بانها بين المعروف والمنكر وبين الاستقامة والانحراف وبين الهدى والضلال، بل ليعلم هؤلاء أنّ إجبار الأغلبية على العمل بالقانون المخالف لعقيدتهم هو الذي يخلق الطائفية ويهدّد وحدة النسيج الاجتماعي لشعورهم بالظلم والاضطهاد والحرمان من الحقوق، وتجربة دول الخليج (بما فيها السعودية وقطر) ماثلة أمامنا حيث أعطت هذا الحق لمواطنيها من الشيعة فاحتوتهم.

لقد ركّزوا في ضجيجهم على مسألة تزويج البنت بعمر صغير واعتراضهم يكشف عن جهلهم أيضاً بالقوانين الوضعية المعمول بها في العراق، فإنّ قانون الأحوال الشخصية النافذ المرقّم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدّل وان اشترط إكمال الثامنة عشرة لإجراء عقد الزواج (الفقرة/١ من المادة السابعة) إلاّ أنّه أجازه لمن أكمل الخامسة عشرة بموافقة وليّه وإذن القاضي في التعديل رقم ٢١ لسنة ١٩٧٨ مراعياً ((الأوضاع الاجتماعية حيث يكثر الزواج في سنّ مبكرة ومتوخّياً تقليل حالات الزواج التي تقع خارج المحكمة)) ثم أجاز قرار ما كان يُعرف بمجلس قيادة الثورة المرقّم ٦٩٧ لسنة ١٩٧٨ قبل الخامسة عشر إذا ظهرت علامات البلوغ لمصالح ذكرها ككونها يتيمة لا عائل لها، أو أنها تعرّضت للإغتصاب ليطلب عقد زواجها على مغتصبها وفق أحكام المادة ٣٩٨ من قانون العقوبات متذرّعين بمنع وقوع الاعتداء على البنت أو الفاعل، مع أنّ الفقه الجعفري لا يبيح الزواج (بمعنى ممارسة الجنس) إلاّ بعد البلوغ الذي له علاماته السيكولوجية والفسيولوجية ويختلف في الإناث بحسب ظروف عديدة ذاتية وبيئية ولكن الشرع المقدّس حكم بأنّه لا بلوغ قبل

إكمال التاسعة فشرط التزويج هو البلوغ أمّا العمر الذي تبلغ به الأنثى فهو بعد إكمال التاسعة حتماً لكنّه غير محدّد وقد يستمر إلى الثالثة عشرة مضافاً إلى اشتراط إذن ولي أمرها بالتزويج وهو أولى من يراعي مصلحتها، فما هو وجه اعتراضهم إلاّ سوء الفهم إذا أردنا أن نحملهم على الصحة، ثمّ أليس التزويج في سنٍّ مبكر فيه فوائد عديدة[1] كتحصين البنت من الانحراف وإشعارها بكرامتها وأنها أصبحت فرداً كاملاً في المجتمع؟ فالمعترضون يريدون سحق كرامتها وإبقاءها سلعة مبتذلة بيد الرجال وتضييع زهرة شبابها بالفسق والفجور والعلاقات غير المشروعة.

ولنفترض أنّ مادة أو مادتين في القانون الجعفري تحتاج إلى معالجة فهل يوجب هذا إلغاء كل القانون المكوّن من (٢٥٦) مادة؟ أليس الدستور مثار جدل عند كل مكوّنات المجتمع والجميع لديهم اعتراضات عليه ويعتبرون الكثير من مواده سبباً لاستمرار الصراعات وأنّها كالقنابل الموقوتة التي تنفجر باستمرار وتثير معها الفتن والتناحرات، فهل هذا مسوِّغ لإلغاء الدستور كلياً؟ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (الصافات/١٥٤).

ثم أنّ القانون لم يُكتب لهذه الحفنة من المعترضات والمعترضين حتى يُبدوا رأيهم فيه، وإنما للمتديّنين الذين يريدون أن ينظّموا أحوالهم الشخصية على طبق العقيدة التي يؤمنون بها، وكلّ مواطن مخيّر بالرجوع إلى القانون الذي يريد، فمادامت هي أحوال شخصية فمن حق كلّ أحد أن يعمل وفق القانون الذي يعتقد

---

(١) أجازت قوانين الولايات المتحدة الأمريكية التي يعتبرونها قمة التمدّن والحضارة الزواج من الفتيات اللاتي بعمر ١٣ سنة بعد موافقة الوالدين أو القاضي أو كلاهما (راجع المواقع المختصة على شبكات الانترنت) هذا في وقت لا يشكون فيه من مشكلة جنسية لوجود متنفس لهم في العلاقات غير المشروعة وإجازات بعض الولايات تزويج القاصرين دون السن القانوني فيما لو كانت الفتاة حاملاً من دون موافقة الوالدين أو المحكمة.

بشرعيته وليس هو قانون عقوبات أو قانون مدني ونحو ذلك من القوانين التي تنظّم الشؤون العامة للناس[1]، ولذلك فإنّ الدول المتحضرة سواء في المنطقة او العالم تعطي المجال للأقليات الدينية والطائفية أن تنظم أحوالها الشخصية وفق معتقداتها فلماذا يحرم شيعة العراق وهم أغلبية من هذا الحق؟

فإذا كان هؤلاء يعتقدون بصلاح القانون الوضعي المعمول به فليرجعوا إليه ونطالب نحن بتوفير الفرصة المماثلة لنا لننظّم أحوالنا الشخصية على طبق ما نعتقد، وهذا يُقدّم نموذجاً حضارياً للمجتمع الذي تُحترم فيه إرادة المواطنين جميعاً ويمارسون شؤونهم الخاصة بكلّ حرية كما هو شأن الأمم المتمدّنة اليوم في الغرب حيث يتيحون الفرصة للأقليات الدينية أن تعمل وفق عقائدها.

ومن هنا نجيب على من يزعم أن تشريع القانون ينافي ما ورد في الدستور من أنّ العراقيين متساوون أمام القانون، فإنّ تساويهم يعني أنهم كلهم خاضعون للقوانين السارية في البلاد وتحت طائلة المسؤولية ولا يوجد أحد فوق القانون، ولا يعني وحدة القوانين التي يعملون على طبقها، لذا فإن التفاوت في رواتب الموظفين لا ينافي تساويهم أمام القانون، ولذا لم يعترض البرلمانيون والوزراء على تميزهم عن طبقات الشعب برواتب فاحشة ولا يعتبرون ذلك منافياً لتساوي العراقيين أمام القانون!!

أما إشكالهم بأنّ القانون سيسبّب مشاكل لأنّ أحد الطرفين قد يكون جعفرياً والآخر ليس كذلك أو أنّ أحدهما يريد التحاكم إلى القانون الشرعي والآخر إلى القانون الوضعي فكيف نتصرّف؟ ونجيب بأنّ هذه تفاصيل يمكن أن تُضاف إلى القانون خلال المناقشات ولا يخلو قانون من تعديلات وتذييل وملحق وبيان ونحو

---

(١) علمتُ بوجود محكمة في الكرادة الشرقية تُطبّق للمسيحيين عقيدتهم في الأحوال الشخصية، والأغلبية الشيعية لا يحقّ لهم ذلك.

ذلك، مضافاً إلى أنّ هذه المشكلة قائمة الآن فعلاً، إذ أنّ القانون الوضعي يصدر أحكاماً تخالف الشريعة كطلاق الغائب أو توريث من لا يستحق أو منح حقّ الحضانة إلى من لا يستحق وهكذا، والطرف الآخر لا يعترف بشرعية هذه الأحكام فتحصل ازدواجية ونزاعات.

إنّ وجود المخالفات الشرعية في هذا القانون تدفع الكثيرين إلى تمشية أمورهم خارج المحكمة القانونية ثم يصطدمون بالمخالفات الرسمية ويضطرّ القضاة -كما اعترفوا بذلك- إلى تطبيع هذه الأمور ومنحهم الوثائق الرسمية وإغماض النظر عن بعض الشروط والتفاصيل، رضوخاً للأمر الواقع، فيأتي القانون الجعفري ليقنّن هذه التصرّفات ويجعلها ضمن الشرعية الرسمية والقانونية، وفي هذا حماية للمواطنين وحفظ لحقوقهم.

لقد مرّت ثلاثة أشهر على تقديم القانون إلى الحكومة وتعرّضه للجدل، فلماذا تعالت أصوات هذه النسوة اليوم؟ لقد تجرأنّ على مهاجمة الدين والمتدينين لأن بعض أهل العمائم[1] التي تدعي لنفسها عناوين شريفة كبيرة هم أهون وأقلّ من أن يرتقوا إليها هم الذين وصفوا قانون جعفر الصادق (عليه السلام) المأخوذ من الرسائل العملية للفقهاء بأن فيه شطحات وأنه لا يقول به فقيه، فإذا كان من تحتّم عليهم العناوين التي يدّعونها أن يكونوا حماة الدين والأمناء على الحلال والحرام يتجرؤون بهذا الكلام على القانون، فماذا تتوقع من اللادينيين ودعاة الإباحة الجنسية وفوضى الشهوات؟ فتلك العمائم هي التي فتحت باب الشر على قانون أهل البيت (عليهم السلام)، وهي التي دفعت أولئك إلى التجري والتمرد حتى وصل

(١) نحتفظ بالأسماء ونصوص البيانات لتوثيقها أمام الله تعالى والمعصومين (عليهم السلام) والناس والتاريخ.

الأمر برئيس بعثة الأمم المتحدة في العراق أن يقول عن القانون بأنه مثير للقلق ويفتت النسيج الاجتماعي العراقي.

ثم أليس القانون قد عرض على هذا المعمّم لأكثر من عام ثم زاره وزير العدل واستمع إليه وطلب منه النصح والتوجيه والترشيد فسمع منه كلمات الثناء والتأييد والدعم، فلماذا لم يقدّم قائمة بالشطحات للوزير حتى يتداركها، أليست وظيفة علماء الدين ترشيد القوانين وإصلاح أمور الناس؟ فلماذا لم يبيّن له شيئاً من ذلك، ثم يرفع عقيرته بعد أن وافق مجلس الوزراء على تمريره إلى البرلمان؟ هل كان ذلك مجاملة أم مداهنة أم نفاقاً أم ماذا؟ وهل يمكن أن نحمله بعد هذا على محمل حسن أو نحتمل أنه أراد بذلك صلاح الأمة ورفعة الدين وإعلاء كلمة الله تعالى كما يرجى من أهل المواقع الشريفة؟ أم أن وراء الأكمه ما وراءها.

قد كان ما كان ممّا لستُ أذكره فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ

وتأتي عمامة أخرى[1] لتجعل من القانون منافياً للتمدن وأنه لا يرضى بإكراه الناس على رؤية فقهية معيّنة!! سبحان الله كيف يقلبون الحقائق، فمن الذين يُكره من؟ أليسوا هم الذين يُكرهوننا على العمل بقانون وضعي مخالف للشريعة ويجمع الفقهاء على عدم جواز التحاكم إليه؟! بينما لا نريد نحن إلاّ إعطاءنا الفرصة لنحتكم إلى القانون الشرعي وفي خصوص أحوالنا الشخصية وليعمل بالقانون المدني من يشاء، فنحن نطالب بإعطاء حرية الاختيار للناس وهم الذين يريدون إكراهنا على قانون يخالف الدين الحنيف.

---

(١) نحتفظ بالأسماء ونصوص البيانات لتوثيقها أمام الله تعالى والمعصومين (عليهم السلام) والناس والتاريخ.

أما المدنية والتحضر فإن الإسلام هو الذي وهبها للبشرية ورفع مستواها بما قدّم لها من قوانين ونظم وسلوكيات وعقائد وأخلاق، وقدّم أرقى نموذج حضاري لا زالت أوربا إلى اليوم تعترف بأنها مدينة لحضارة الإسلام بازدهارها اليوم، فكيف يأتي هؤلاء المحسوبون على رجال الدين ويرون أن قوانين الإسلام تنافي المدنية.

فهنيئاً لهذه العمائم اصطفافها مع أهل الفسق والفجور وتشجعيهم أعداء الدين على مهاجمته والانتقاص منه وتشويه صورته و (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (الفجر/١٤)، وحينما يجمع الله تعالى البشر للحساب يوم القيامة (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) (الإسراء/٧١) سيرى بعض الناس إمامه على هيئة ثعلب ماكر أو ذئب أو خنزير أو قرد أو وزغ أو حمار يحمل أسفاراً ولا يستفيد منها ونحو ذلك بحسب حقائق أفعالهم التي كانوا يقومون بها.

ثم التحقت بهم بعض الكتل السياسية التي تدّعي التشيع[1] وقربها من المرجعية ودفاعها عنها، وإذا بها تهاجم قانون الإمام الصادق (عليه السلام) لحسابات سياسية دنيوية ولمناغمة أمريكا ودول الغرب حتى تمكّنهم من المواقع القيادية في البلد (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ) (الأحزاب/٣٧) (فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ) (المائدة/٣) (فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (التوبة/١٣).

أمام هذه الهجمة التي تستهدف الدين وتريد إلغائه من حياة الناس لابد من موقف لنصرة الدين وقادته العظام (صلوات الله عليهم أجمعين) وفضح خدع الماكرين والمنافقين، ولكلٍّ دوره في هذه الوقفة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ) (الصف/١٤) وأخصّ بالذكر الأخوات المؤمنات الرساليات (كأفراد

---

(١) نحتفظ بالأسماء ونصوص البيانات لتوثيقها أمام الله تعالى والمعصومين (عليهم السلام) والناس والتاريخ.

وكمؤسسات ومدارس دينية ومنظمات مجتمع مدني) فليستثمرن المناسبة الفاطمية القريبة ليقلن للعالم أن هذه الحفنة من النساء المتحللات لا يمثلن حرائر العراق ولن يتمكنّ من خداعهن عن دينهن، واستنكار فعل كل من يريد سلب هذا الحق من المؤمنين الموالين لأهل البيت (عليهم السلام)، وإن شرف المرأة وعزّتها وكرامتها لم يصنها أحد كما حفظها الإسلام، ولم تتحقق كرامة المرأة إلا في ظل شريعة الله ونبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام)[1].

إن نساء العراق شريفات عفيفات كريمات عزيزات ليست ممتهنات ومستأجرات لمؤسسات الفسق والفجور والشهوات المنفلتة التي تتاجر بحقوق المرأة من دون أن تقدّم للمرأة شيئاً ولا قدّمت حلولاً لمشكلاتها رغم مرور (١١) سنة على التغيير ورغم وجود أكثر من (٨٠) امرأة في البرلمان وتوجد وزارة باسم المرأة، ولم نر حضوراً ولا حماساً لتلك المؤسسات إلا ضد الدين في هذه المرة، وقبل مدة حينما صدرت قرارات لوضع ضوابط لفوضى انتشار الملاهي وحانات الخمور في بغداد على نحو يهدّد البنية الأخلاقية والاجتماعية والعقائدية للعائلة العراقية فسارعوا[2] إلى شارع المتنبي ليستنكروا ويطالبوا بإطلاق الحرية المنفلتة، ولا يهمهم بعد ذلك المشاكل الكبيرة التي تُعاني منها النساء بسبب الكوارث التي مرّ بها العراق، ككثرة العوانس والأرامل والمطلقات والأيتام وفقدان الكفيل والاضطرار إلى ممارسة المهن التي لا تناسبهنّ.

---

(١) استجابت الآلاف من النسوة في مختلف المحافظات العراقية وخرجن في مظاهرات وتجمعات على مدى عدة أيام ورفعن شعارات التأييد للقانون الجعفري والتنديد بكلام رئيس بعثة الأمم المتحدة في العراق فاسكتن المعترضات وأحبطن مشروعهن في الاستمرار بالتجمع ولبس السواد حتى إجهاض القانون الجعفري.

(٢) في شهر كانون الأول/ ٢٠١٠.

فإنّا لله وإنا إليه راجعون والله المستعان على ما تصفون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

المرجع اليعقوبي يستنكر تعدّي ميلادينوف على حق الاغلبية الشيعية [1]

٢٠١٤/٣/٩، استنكر سماحة المرجع اليعقوبي تعدّي رئيس بعثة الأمم المتحدة في العراق ميلادينوف على حق الأغلبية الشيعية في العراق في العمل بما يعتقدون بخصوص الأحوال الشخصية .

وقال سماحته في كلمة ألقاها أمام حشد كبير من فضلاء وأساتذة الحوزة العلمية الذين يحضرون بحثه الشريف أن تصريح ميلادينوف هذا مريب وغريب حيث يصطف مع أفراد قلائل من الذين عندهم مشكلة مع الدين والتدين ويدير ظهره لمطلب الملايين من أتباع المذهب الجعفري .

وذّكر سماحته ميلادينوف بما أوصاه حينما زاره العام الماضي عقيب تسلّمه لعمله في العراق وطلبه النصح من سماحة المرجع فقال له: أن العراق يعاني من مشاكل وخلافات كثيرة وان دور بعثة الأمم المتحدة هو المساعدة على إيجاد الحلول وليس الاصطفاف مع طرف ضد آخر، أي أن يكون جزءاً من الحل لا جزءاً من المشكلة، لكنه نسي اليوم هذا التوجيه وأصبح طرفا في النزاع .

وحذّر سماحته ميلادينوف من مثل هذه المواقف التي تجعل وجوده غير مرّحب به وتعجّل بقضية إبعاده من العراق .

وكان ميلادينوف قد وصف أمس قانون الأحوال الشخصية الجعفري بانه مثير للقلق ويوجب تفتت النسيج الاجتماعي العراقي .

---

(١) نشر في العدد (١٣٨) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الاثنين ١٥ ج١ ١٤٣٥ المصادف ١٧ آذار ٢٠١٤.

تجمعات نسوية حاشدة نصرة للقانون الجعفري[1]

تزامناً مع ذكرى استشهاد فخر النساء الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ونصرة للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ودفاعاً عن قانونه الشريف، ورداً على التصرفات الشائنة لبعض النساء المتحللاّت، نفّذَ الآلاف من الأخوات المؤمنات الرساليات تجمعات واعتصامات في عدة مدن عراقية بدأت من النجف الأشرف يوم الأربعاء ١٠/ج١/١٤٣٥ المصادف ٢٠١٤/٣/١٢ وامتد إلى المدن الأخرى خلال الأيام التالية.

وقد رفعن شعارات التمسك بالإسلام ونهج السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ورفض التحلل والفساد والانحراف، واستنكار تعدي بعثة الأمم المتحدة ومنظمة حقوق الإنسان الدولية على حقوق الأغلبية في العراق، وان نساء العراق العفيفات الشريفات لا تمثلهن حفنة من المأجورات للماسونية العالمية والمؤسسات المعادية للإسلام التي تكاتفت لوأد القانون.

---

(١) نشر في العدد (١٣٨) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الاثنين ١٥ ج١ ١٤٣٥ المصادف ١٧ آذار ٢٠١٤.

خطاب المرحلة

(٤٠٥)

السيدة الزهراء (عليها السلام) وإقامة حكم الله تعالى[١]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ورد في أحاديث شريفة عديدة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (إن لكل شيء حقيقة)[٢] وهذه الحقيقة تمثل روح ذلك الشيء ومضمونه الفعلي ومحتواه الذي يتقوّم به، ولا تتحقق للشيء مصداقية إلا به، ولا يكون الشيء بدون هذه الحقيقة إلا عبارة عن شكل وظاهر بلا محتوى.

فالصلاة لها حقيقة وهي المناجاة مع الله تبارك وتعالى والارتقاء إليه والانتهاء عن الفحشاء والمنكر، وتنقص قيمة الصلاة وحقيقتها بمقدار خلوّها من هذه الحقيقة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعداً)[٣].

وقولنا في سورة الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ﴾ له حقيقة هي الطاعة التامة لله تعالى والتسليم والانقياد المطلق له تبارك وتعالى في سائر أمورنا وحركاتنا وسكناتنا.

وكل حقيقة تحتاج إلى دليل يبرزها ويؤكدها ويثبت وجودها، ومن دونه تكون الأشياء مجرد دعاوى، ويؤكد هذا الأمر الإمامُ الكاظم (عليه السلام) في وصيته لهشام بن

---

(١) الخطاب الفاطمي السنوي لسماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في الآلاف من الجموع التي جاءت لزيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكرى استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام) يوم الثالث من جمادى الآخرة، عام ١٤٣٥ الموافق ٣/نيسان/٢٠١٤ قبل انطلاقهم في التشييع الرمزي .

(٢) راجعها في ميزان الحكمة: ٢٨٥/١.

(٣) ميزان الحكمة: ١٠٩/٥.

الحكم، قال (سلام الله عليه): (يا هشام لكل شيء دليل ودليل العاقل التفكر ودليل التفكر الصمت)[١] فلا بد أن لا نسلّم بالأمور والدعاوى حتى نتحقق من الدليل، ولا نسترخي للأوصاف التي ندّعيها لأنفسنا ونثبتها في هويتنا كالإسلام والتشيع وولاية أهل البيت (عليهم السلام) من دون أن نراقب أنفسنا ونتفقدها باستمرار ونمتحنها لنتلمس الدليل على صدق هذه الدعاوى.

هذه المقدمة تلقي الضوء على واقع مؤسف نعيشه نحن المسلمين وهو أننا ندعي عناوين كثيرة من دون تقديم الدليل على وجود حقائقها بل قد نقوم بالعكس من ذلك، فتخالف أقوالنا أفعالنا، لذا يعلمنا الإمام الحسين (عليه السلام) في الدعاء المروي عنه في يوم عرفه الاعتراف بهذا التقصير أمام الله تبارك وتعالى: (ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاواه دعاوى)[٢] ويعلمنا الائمة (عليهم السلام) ان نسال الله تعالى (استحقاق حقائق الايمان) [٣].

وأهم تلك العناوين التي يجب أن نتأكد من وجود حقيقتها هو الإيمان بالله تبارك وتعالى لأنه أصل الدين وأساس الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، وتأكيداً لهذه الأهمية فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومون (عليهم السلام) يلفتون نظر الناس إلى تفقد هذه الحقيقة فيسألون من يقولون: (نحن مؤمنون) ويقولون لهم: (فما حقيقة إيمانكم) أو يبدؤونهم بالبيان كقول الإمام الباقر (عليه السلام): (لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال.. إلى آخر الحديث)[٤].

---

(١) تحف العقول: ٢٤٦.

(٢) مفاتيح الجنان، ٣١٥.

(٣) في الدعاء الذي اوله (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِخْبَاتَ الْمُخْبِتِينَ)

(٤) ميزان الحكمة: ٢٨٦/١.

وقد بينت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما تكتمل به حقيقة الإيمان، قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ (النساء : ٦٥).

فيقسم الله تبارك وتعالى على هذه الحقيقة ﴿فَلا وَرَبِّكَ﴾ ويحصر الإيمان بها ﴿لا يُؤمِنُونَ حَتى يُحَكّمُوكَ﴾ ويعطينا قاعدة مهمة من قواعد العقيدة في الإسلام، وهي أن أهم مظهر للتوحيد والإيمان بالله هو إقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض، وتطبيق شريعته في شؤون الحياة والرجوع إليه في الحكم والالتزام بمنهجه في الحياة، وإن هاتين القضيتين متلازمتان، وإن جوهر الصراع بين الإيمان وخصومه هو في من له حق الحاكمية والتشريع ورسم المنهج الذي تسير عليه البشرية، هل هو الله تعالى خالق الكون والانسان والعالم بما يصلحه ويسعده، أم الإنسان بقصوره وفقره وعجزه ومصالحة المتصارعة وأهوائه المتقلبة ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون:٧١)؟.

لذا فإن الآية الكريمة تؤكد على أن الإيمان الحقيقي يكتمل بثلاثة عناصر:-

١- الرجوع إلى شريعة الله تعالى التي بلّغها رسول الله (ﷺ) والأئمة المعصومون (عليهم السلام) ومن بعدهم العلماء العاملون المخلصون ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ أي يرجعون إليك في كل أمورهم ويأخذون الحكم منك ولا يحكمون غيرك وغير من نصبتهم من الحجج، وإن كل قانون يضعه البشر لم يؤخذ من الشريعة فإنه باطل وينافي أصل الإيمان بالله تعالى ولا يجوز لأحد أن يشرّع ويقنن خارج النصوص الشرعية.

٢- أن يسلّموا بتلك الأحكام ويذعنوا إليها ويؤمنوا بها سواء أدركوا المصلحة فيها وعرفوا أسرار تشريعها أو لم يدركوا ذاك، وأن لا يشعروا بالحرج والضيق إذا عاب أحد عليهم هذه الأحكام أو انتقصها أو زعم أنها تخالف حقوق

الإنسان وتنافي الحرية والعدالة والمساواة، أو أنها رجعية وتخلف ولا تواكب الزمان الحاضر، ونحو ذلك من التهم والاستفزازات.

٣- أن يلتزموا بتلك الأحكام ويطبقوها في حياتهم من دون تبعيض وانتقائية للأحكام التي توافق رغباتهم وأهوائهم ومصالحهم، ويعرضون عنها إذا كانت لا تحقق مصالحهم الضيقة وتصطدم مع أهوائهم وشهواتهم، وإنَّ صدق الإيمان يظهر عندما يكون الحكم على خلاف الهوى والمصلحة ومع ذلك يسلِّم له ويطبقه ولا يجد في نفسه حرجاً منه.

روى الشيخ الكليني في الكافي بسند صحيح عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): (لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: ﴿فلا وربك لا يؤمنون..﴾ ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): عليكم بالتسليم)[1].

ولقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب : ٣٦) وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾(آل عمران:١٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥) وغيرها.

والروايات الشريفة حافلة أيضاً بهذه المعاني، وقد حظيت أحكام ما يعرف اليوم بالأحوال الشخصية باهتمام كبير من الأئمة (عليهم السلام) ولم يعذروا من يطبق القوانين

---

(١) الكافي: ٣٢١/١، ح٢.

الوضعية ولا يرجع إلى الأحكام الشرعية لأنها تنظم أموراً أساسية في حياة الأفراد كالزواج والطلاق والمواريث وأي خلل فيها يعني وقوع الناس في المحرمات في ذرياتهم وأموالهم، ولا مجال فيها للاعتذار بالتقية ونحوها لأنها قضايا شخصية لا تتعارض مع السلطات، وتحركوا بالوسائل المتاحة لهم (عليهم السلام) ليقنعوا الأمة بها[1].

أيها الأحبة المجتمعون لنصرة الصديقة الطاهرة (عليها السلام):

إن السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) حينما قامت بأمر الله تعالى في وجه الانحراف والظلم وطالبت بحقها في فدك وحاججتهم بآيات المواريث إنما أرادت أن تنطلق من هذا الحكم المتعلق بالأحوال الشخصية إلى مطلب أوسع وأعظم وهو إقامة شريعة الله تعالى في الأرض وعلى رأسها اتباع الإمام الحق والقيادة الصالحة المصلحة المتعيّنة بأمير المؤمنين (عليه السلام)، والقوم قد فهموها هكذا؛ لذا أرادوا قطع الطريق من أوله على مشروع السيدة الزهراء ((يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في أمر فدك: وسألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد -وهو من علماء العامة- فقلت له: أكانت فاطمة عليها السلام صادقة؟ قال نعم. قلت: فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم ثم قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء؛ لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة في ما

---

(١) ويصل الاهتمام إلى درجة أن الإمام يسعى لإقامتها ولو بالقوة، في رواية صحيحة في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام): (لا يستقيم الناس على الفرائض -أي المواريث- والطلاق إلا بالسيف) ومثلها عن الإمام الباقر (عليه السلام).

وفي رواية أخرى عن أحدهم قال: (سألت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) عن النساء هل يرثن من الرباع -أي الأراضي-؟ فقال: لا، ولكن يرثن قيمة البناء، قال: قلت: فإن الناس لا يرضون بذا؟ فقال: إذا وُلّينا فلم يرضَ الناس بذلك ضربناهم بالسوط فإن لم يستقيموا ضربناهم بالسيف)(الروايات في الكافي: ج٧، كتاب المواريث، باب ٤٤).

تدعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود. قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح))[١].

وهذا ما يقوم به الأعداء على طول التأريخ منذ أن صدع النبي (ﷺ) بالدعوة الإسلامية المباركة فيعملون على إجهاض كل حركة لإيقاظ الناس وتفعيل دور الدين في حياة الأمة ويسعون لإبقاء الأغلال التي تكبّل الأمة ويحيطون الحركة بالتشويه والتسقيط والشبهات كما حصل اليوم في مواجهة القانون الجعفري لتبقى الغشاوة على عيون الناس وإلحاق الهزيمة بالإسلام، وهذا يفسّر اجتماع كل القوى في الداخل والخارج على معارضة القانون وهو ما يزال مسودّة لم يعرض للنقاش أصلاً؛ لأنهم يخشون من آثاره المباركة اللاحقة على الأمة.

لقد كانت الصديقة الطاهرة (عليها السلام) حازمة وصريحة في وعظهم وتحذيرهم بأنهم يعودون إلى جاهليتهم الأولى إذا خالفوا حكم الله تعالى، قالت (عليها السلام) في خطبتها: (وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته)[٢].

فتذكرهم (عليها السلام) بقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:٥٠) ويفسّرها الإمام الباقر (عليه السلام) بقوله: (الحكم حكمان حكم الله وحكم الجاهلية وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ واشهدوا على زيد بن ثابت لقد حكم في الفرائض -أي المواريث- بحكم الجاهلية)[٣]، والكلام شامل لغير زيد ممن خالفوا حكم الله تعالى.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٨٤/١٦.

(٢) الاحتجاج: ١٣١/١.

(٣) الكافي: ٤٠٧/٧.

أيها الأحبة:

إن تطبيق الأحكام الشرعية وتنظيم شؤون الحياة على أساسها قضية حدية فاصلة لا تقبل المساومة والمداهنة والتبعيض أو التأجيل بحجة أن الوقت غير مناسب أو أي عذر آخر، فلا تسويف لأمر الله تعالى فإما أن يُطبَّق حكم الله تعالى وإما أن يكون الحكم حكم أهل الجاهلية، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية)[1].

إن فهم هذا الصراع والنهوض بمسؤولية الدفاع عن الإسلام وإقناع البشرية به وبقدرته على قيادة الحياة -كما عبّر السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) حينما عنون أحد كتبه بذلك- هو سر انقسام المرجعية الدينية والحوزة العلمية إلى خطين وقيادتين متباينتين في المنهج والسلوك، أولهما عالم فاعل عامل لا يكتفي بتنميق الكلمات على الأوراق فقط بل يتحرك ويواصل الليل بالنهار ليعيد للإسلام هيبته وعزته وللمسلمين كرامتهم وحريتهم وثقتهم بأنفسهم ويدلّهم على معالم هويتهم المسلوبة من خلال ما يقدّم من نظريات وتشريعات ومنظومات فكرية ومعرفية تثبت أن دين الإسلام هو أصلح نظام للبشرية اليوم وغداً كما كان بالأمس، فألّف الشهيد الصدر الأول (قدس سره) اقتصادنا وفلسفتنا ومجتمعنا والأسس المنطقية للاستقراء والبنك اللاربوي وغيرها، مما أبهر عقول خصومه وأصدقائه على حد سواء؛ لذا لا نستغرب قيام الحكومة الروسية رمز النظام السياسي والاقتصادي

(١) التهذيب: ٢١٨/٦، ح٥، باب من إليه الحكم وأقسام القضاة والمفتين.

الذي استهدفه في كتبه بنصب تمثال[١] للسيد الشهيد الصدر الأول العالم العربي المسلم الوحيد الذي يكرّم بهذا الشكل في قلب عاصمة الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي أهم صروحها العلمية في موسكو باعتباره صاحب إنجازات إنسانية عظيمة، بينما تُعرض الحوزة النجفية عنه وعن آثاره والاحتفال به -ونحن نعيش ذكرى استشهاده الرابعة والثلاثين- وكأنه ليس مفخرتها وجوهرتها ووجهها الناصع [٢].

إن من أهم أشكال النصرة للسيدة الزهراء (عليها السلام) وللمعصومين جميعاً لنكون صادقين في قولنا لهم عند زيارتهم (عليهم السلام): (ونصرتي لكم معدة) هو السعي الدؤوب لهداية الناس وإرشادهم، والضغط المستمر لإقرار القوانين التي تنظم حياتهم وفق الشريعة الإلهية خصوصاً في الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث والوصية والوقف لأنها لا تتنافى مع حق أحد ولا تسلب حرية أحد ولا تكره أحداً على خلاف ما يعتقد.

إن الله تبارك وتعالى حذّرنا بشدة من العمل بالقوانين الوضعية التي تتنافى وأحكام الدين، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة:٤٤، ٤٥، ٤٧).

---

(١) وُضع التمثال النصفي في جامعة موسكو الحكومية للعلاقات الدولية التابعة لوزارة الخارجية الروسية ورفع الستار عنه يوم الجمعة ٢٠١٤/٢/٢٨ في احتفال حضره مثقفون وأكاديميون وسياسيون روس، ورؤساء عدد من البعثات الدبلوماسية.

(٢) بعد ايام من هذا النقد اللاذع اقام السيد جعفر نجل السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) مجلسا تأبينيا حوزويا وليس سياسيا كما اعتاد عليه السياسيون في السنوات السابقة، واُقيم المجلس في جامع الطوسي في النجف الاشرف يوم الاربعاء ٩-٤-٢٠١٤ وحضره سماحة المرجع اليعقوبي ومراجع الدين وممثلوهم وعلماء وفضلاء الحوزة واعداد غفيرة من المؤمنين .

ويؤكد الله تعالى على نبيه أن لا يتأثر بالمغريات والتهديدات والتسقيط الإعلامي ونحو ذلك من الضغوط لترك العمل بالقوانين الإلهية، قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (المائدة:٤٩) ثم يبين الله تعالى أن أحسن الأحكام وأصلحها للبشر وأكثرها ملاءمة لطبيعة تكوينه الفردي والاجتماعي هي أحكام الله، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:٥٠).

فلنراجع واقعنا ولننظر هل مناهج التعليم المتبعة موافقة للشريعة؟ وهل العلاقات الاجتماعية القائمة بيننا منضبطة بتعاليم الإسلام؟ وهل السنائن العشائرية التي يحكمون بها مأخوذة من الشريعة؟ وهل وهل .. مما يطول ذكره.

لقد سجّلت المؤمنات الرساليات من حرائر العراق المتأسّيات بالسيدة الزهراء (عليها السلام) والعقيلة زينب (عليها السلام) موقفاً مشهوداً في نصرة دين الله تعالى حين عقدن تجمعات حاشدة بالآلاف في مختلف المدن العراقية للمطالبة بتصحيح مواد قانون الأحوال الشخصية وفق الأحكام الشرعية، ووجّهن صفعة شديدة لمن يريد إبقاء المجتمع العراقي المسلم المؤمن يعمل على وفق قوانين الجاهلية.

وأعادت هؤلاء النسوة للمرأة عموماً الثقة بنفسها وبقدرتها على إحداث التغيير والإصلاح وانتزاع الحقوق، تلك القدرة التي سُلبت منها عبر الأجيال نتيجة لعوامل عديدة، وساعدت نفس المرأة على استلابها باستكانتها واستسلامها وخضوعها للأعراف والتقاليد والثقافات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، وتناست المرأة أن من أهم ثمرات ونتائج القيام الفاطمي والزينبي هو إعادة الثقة للمرأة بنفسها وأنها قادرة على انتزاع الحقوق وإيقاظ الأمة وإعادة الأمور إلى نصابها،

فقامت هذه النسوة بتذكير الأمة بهذه الثمرة المباركة للقيام الفاطمي الزينبي العظيم.

وها هي الانتخابات البرلمانية مقبلة بإذن الله تعالى، وتشكل النساء نصف عدد الناخبين تقريباً فهن إذن الرقم الصعب القادر على قلب الطاولة على رؤوس كل دهاقنة السياسة وتجار الحروب وأصحاب الأجندات الظالمة الفاسدة من الداخل والخارج.

لقد كان من بركات هذه اليقظة وهذا الحراك الفكري والاجتماعي وإثارة مكامن القوة الإنسانية في الشريعة الإسلامية التفات المسلمين إلى المطالبة بحقهم في تشريع القوانين الخاصة بهم وجاءت ثمرتها في بريطانيا قبل أيام حيث اعتمدت لأول مرة في محاكمها الشريعة الإسلامية في الإرث والوصية لتنظيم شؤون المسلمين فيها؛ وقد وجدت الحكومة البريطانية[1] في إعطاء هذا الحق للمسلمين خطوة تساعد على شعور المسلمين بالمواطنة وعدم الإقصاء والتهميش، فأتاح الله تبارك وتعالى هذا القرار في عنفوان الجدل حول القانون الجعفري ليكون حجة دامغة على المهزومين والمنبهرين بالغرب وسائر المعترضين على إقرار القانون الجعفري.

أليس من الغريب أن يكون الإسلام بهذه الدرجة من التأثير في بلاد غير المسلمين بينما يستضعفه أبناؤه في بلادهم ويشعرون بالهزيمة الداخلية ويخجلون من إعلان هويتهم والتحرك بمشروعهم!.

فأحيوا أيها الأحبة خصوصاً الشباب والمثقفين وطلبة الجامعات- في نفوسكم الشعور بالفخر والاعتزاز ورفعة الرأس وأنتم تنتمون إلى هذا الدين العظيم، وأحسّوا بقيمة كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام): (إلهي كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً،

---

(١) اعلنت وزارة الخارجية البريطانية ذلك على موقعها باللغة العربية يوم ٢٢-٣-٢٠١٤ ووصف بعض ذوي الشأن القرار بأنه (مدهش) ويساعد على دمج المسلمين في المجتمع البريطاني

وكفي بي فخراً أن تكون لي ربّاً، إلهي أنت كما أحب فاجعلني كما تحب) في حين يتخذ غيرهم ارباباً من اهوائهم وشهواتهم وفراعنتهم او موروثاتهم فيطيعونها من دون الله .

أيها الإخوة والأخوات المجتمعون على ولاية أهل البيت (عليهم السلام):

اعلموا أنكم بنصرتكم للسيدة الزهراء (عليها السلام) والقانون الجعفري ساهمتم في رفع جزء من البلاء والتيه الذي كان ستقع فيه الأمة لو أجمعت على خذلان دين الله تعالى ولم يجد الدين انصار مثلكم، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود:١١٧) وقال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:٢٥١) وقال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (يونس:٩٨).

نسأل الله تعالى أن يمدّ المؤمنين والمؤمنات بنصره ويزيد في توفيقهم ويكلل جهودهم بالنجاح ببركة إحيائكم لهذه الشعيرة المقدسة والله ولي التوفيق

خطاب المرحلة

(٤٠٦)

المشاركة في الانتخابات: استحقاق إنساني ووطني وواجب شرعي[١]

كلما اقتربنا من العملية الانتخابية يكثر السؤال حول لزوم المشاركة في الانتخابات، وهل يجب علينا ذلك ام لا، وإذا أردنا قراءة ما بين السطور لهذا السؤال فإنّه يعبّر عن الشعور بالإحباط لدى المواطن والامتعاض من أداء الكتل السياسية الحاكمة وفشلها في تحقيق تطلّعات المواطنين وتقديم الخدمات لهم وتوفير الأمن والرفاه والكرامة والازدهار ولو بالحد الأدنى منها، وإلاّ لو كان الأداء مقنعاً ومقبولاً لاندفع المواطن إلى الإدلاء بصوته ليديم هذه الحالة الإيجابية، ولا مبرّر حينئذٍ لهذا السؤال .

وجواب السؤال باختصار إنّ المشاركة في الانتخابات استحقاق انساني ووطني وواجب شرعي.

أما كونها استحقاقاً، فمن جهتين:

١- الإنسانية: فإنّ أثمن ما وهب الله تعالى للإنسان هو حقّ الحرية بكل مواردها، حرية الاعتقاد، حرية السلوك، حرية التعبير عن الرأي، حرية الاختيار، ومنها حرية اختيار من نفوضه في إدارة شؤوننا وولاية أمورنا وحفظ النظام الاجتماعي العام ونحو ذلك، وهذا الحق ثبّته الله تعالى في القرآن الكريم (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد/١٠) (لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ) (الأنفال/٤٢) (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة/٢٥٦) وفي الأحاديث الشريفة التي مضمونها (ما لكم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع أساتذة وطلبة جامعة الصدر الدينية فرع حي البنوك/ بغداد، يوم الثلاثاء ١٥/ج٢/١٤٣٥ المصادف ٢٠١٤/٤/١٥.

٢- المواطنة: فإنّ كلّ مواطنٍ يحمل جنسية البلد يبلغ السن القانوني يكون من حقّه المشاركة في الانتخابات، ففي هذه المشاركة إثبات للمواطنة وإعلان للانتماء والهوية الوطنية، لذلك تجد الفرحة والزهو في وجوه العراقيين المغتربين أكثر عند الإدلاء بأصواتهم لأنّ هذه الفعّالية تمثّل لهم فرصة للإحساس بمواطنتهم وهويتهم وعراقيتهم، وكذلك يوجد نفس الإحساس لدى الذين يدلون بأصواتهم لأوّل مرة لبلوغهم السن القانوني لأنهم يشعرون باكتمال شخصيتهم وهويتهم.

فالمشاركة في الانتخابات استحقاق إنساني ووطني، ونحن نعلم أنّ استيفاء الحقّ والأخذ به شيء يستحسنه العقلاء ويستقبحون إهماله وتضييعه والتفريط به كما لو كان من حقّ المواطن تملّك دار سكنيّة أو منحة مالية أو امتيازات أخرى فلم يسعَ لتحصيلها فإنّه يستقبح فعله ويستهجن لدى العقلاء، كيف والحق عظيم وهو حرية اختيار من يدير شؤون البلاد ويلي أمور العباد وتجري على يديه مصالح الناس وأمنهم وأرزاقهم وحقوقهم العامة، وتحصيل هذا الحقّ من أهم ما تسعى إليه الشعوب وتقوم بالثورات العارمة وتقدّم آلاف وملايين الضحايا على مدى التأريخ من أجل انتزاع هذا الحق الذي يسلبه الطواغيت والفراعنة والمستبدون ويعطون لأنفسهم تفويضا إلهياً للتفرد بالسلطة والحكم، فالعقلاء لا يرضون بتفويت هذا الحق وإهماله وقد أُتيحت الفرصة لممارسته بلا مؤونة .

وأما كون المشاركة واجباً فلعدة وجوه:

١- الحديث النبوي الشريف المشهور لدى الفريقين (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك شيء من الإيمان)[1]، وقد شخّص كلّ مواطن عراقي المفاسد والمظالم والتقصيرات التي تُرتكب في العملية السياسية والتي يدفع ثمنها المواطن العراقي من أمنه وصحّته

(١) راجع كتاب (أسمى الفرائض وأشرفها لسماحة الشيخ اليعقوبي، صفحة ٣٩٠)

ورزقه ومستقبله، فلابد من قيام الكل بواجبهم في التغيير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ التغيير باليد مستطاع اليوم من خلال الإدلاء بالصوت ولا نحتاج إلى التغيير بالقوة والعنف كما كان تكليف الأمة من قبل.

٢- قوله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ) (البقرة/١٤٣) فمن خصائص هذه الأمة وتكاليفها أن تكون أمة شاهدة فتشير إلى هذا الفعل بأنّه حسن يجب القيام به، وإلى ذاك الفعل بأنّه قبيح يجب اجتنابه، وتشهد على هذا الشخص بأنّه صالح مؤهل لوضعه في الموقع المناسب، وذاك الشخص سيء لا يجوز له التصدي لشيء من أمور الأمة.

وأداء هذه الشهادة واجب على الأمة و {وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} ﴿البقرة : ٢٨٣﴾ وهي ليست كأي شهادة واجبة أخرى في قضايا الناس ودعاواهم، لأنّها تتعلق بحقوق الأمة، قال أمير المؤمنين (أفظع الخيانة خيانة الأمة)[1]، فإذا تقاعست الأمة ولم تدلي بشهادتها للمؤهلين لقيادة البلاد فإنها تفسح المجال للمفسدين أن يعودوا إلى مواقعهم، والخيانة الأفظع والأسوأ أن يجدد إعطاء صوته ويمنح الثقة لنفس الذي ظلموه وغصبوه حقوقه وسرقوا ثرواته، ولم يرَ منهم خيراً إلاّ الصراعات وكان المواطن يقول سأقطع إصبعي الملوّن بالبنفسجي لما يرى من مفاسدهم ومظالمهم ولا مبالاتهم ثم يعود فينتخبهم فهذه شهادة زور على خلاف الواقع ويحاسب صاحبها ولعله يكون مشمولاً بعقوبة شاهد الزور والعياذ بالله تعالى.

٣- ما ذهب إليه مشهور علماء الإمامية من وجوب نصرة الأمة للفقيه الجامع للشرائط القائل بالولاية حتى يمكّن له في الأرض ويفعّل ولايته ويقيم شرع الله تعالى بمقدار ما يتيسّر له أي لتحقيق الآية الشريفة (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ

(١) نهج البلاغة: ج٣ ص٢٧.

أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ) (الحج/٤١) ونصرته تكون بنصرة أتباعه الذين يعملون بتوجيهاته وينفذون مشاريعه على ارض الواقع، ولهذا المطلب تفصيل نتعرض له في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن شاء الله تعالى.

٤- السيرة العقلائية البالغة حد الضرورة الاجتماعية بحسب تعبير أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (لابد للناس من أمير برٍ أو فاجر يعمل في أمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الآجال، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتؤمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر).[1]

فاختيار السلطة التي تتولى إدارة الحكم في البلاد ضرورة عقلائية ولابد من المشاركة فيها لضمان وصول الصالحين النزيهين الكفوئين الذين يستحقون منح الثقة بهم في هذا المجال وتبرأ الذمة بانتخابهم.

ولكن لا يكفي التحري والبحث عن المرشح الذي تتوفر فيه الشروط المذكورة، بل لابد من توفرها في القائمة أيضاً المتمثلة برئيس الكيان أو الكتلة وبرنامجها وسلوكها في العملية السياسية، لأنّ المرشّح قد يكون مؤهلاً إلا أنه في قائمة ليست كذلك، وحينئذ إن فاز بمقعد في البرلمان فإنّ وجوده سيذوب في وجود الكتلة ومواقفها، لأنّنا نعلم أن القرارات يديرها رؤساء الكتل في ما يسمونه بالمطبخ السياسي أمّا الأعضاء فليس لهم إلاّ التصويت ولا تأثير للأصوات المستقلة.

وإن لم يفز فإنّ أصواته ستذهب لمرشحين آخرين في نفس القائمة وسيكون المصوّتون لهذا المرشّح مشاركين في تمكين المرشّح الآخر ويتحملون مسؤولية فساده وظلمه.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.

ويوجد شرط آخر وهو وجود راعي وضامن للكتلة يكون مسؤولاً عنها ويحاسب على تصرفاتها وقد سُئل أحدهم لماذا انتخبت قائمة الفضيلة قال لأنّ لهم (كبير) يحاسبهم وهذا التعبير العامي يعني وجود رأس لهم يستطيع الناس الوصول إليه ولا يحتاجون إلى طرق بابه لأنّ بابه وقلبه مفتوح لهم ليؤدي التزاماته أمامهم ويجدون عنده القلب الكبير والتواضع وحسن الإنصات لهم والتفاعل مع همومهم وآلامهم وتطلّعاتهم، إذ ليس من الإنصاف أن تلتزم الأمة بالتصويت للمرشحين ولا يوجد من يضمن لهم التزام المرشّح أمامهم بالبرامج والوعود، روي عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله (ما قُدِّست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويّها غير مُتَعتَع) [1] فلا بد من مراعاة وجود من ينتصر للمظلوم وينتصف له .

وفي النظام السياسي المعتمد حالياً في البلاد فإن الضامن الكبير هو المرجع الديني الجامع لشروط ولاية الفقيه من الاجتهاد والعدالة والخبرة بشؤون الناس والتفاني في العمل لإعلاء كلمة الله تعالى والنهوض بواقع الأمة والعالم بالظروف والملابسات ويمتلك الكياسة والفطنة حتى لا تهجم عليه اللوابس وأن يتصرف بحكمة ونحو ذلك.

فالولي الفقيه والمرجع الجامع لشروط القيادة ليس جزءاً من السلطة التنفيذية في الدولة، ولا هو رئيس كيان سياسي وإنما هو الراعي لها كما يرعى كل المشاريع الإصلاحية في الأمة سواء كانت دينية أو اجتماعية أو أخلاقية أو ثقافية وما هو أوسع من ذلك؛ لأنّ موقع المرجعية ووظائف المرجع أوسع من هذا بكثير بسعة متطلبات المشروع الإسلامي الذي يجب أن يقود الأمة.

ويمكن تلخيص بعض مسؤولياته تجاه العملية السياسية بنقاط:

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب ١، ح ٤.

١- ترشيد عمل السياسيين وتسديدهم على طبق القوانين الإسلامية وتقديم الأفكار والمشاريع التي تحقق الأغراض المرجوة.

٢- تصحيح الأخطاء والانحرافات ومعالجتها بحزم.

٣- غربلة المرشحين لمواقع الإدارة والسلطة وتأييد الصالح منهم.

٤- إعطاء الشرعية للقوانين والمصادقة على نتائج الفعاليات لتكون شرعية.

٥- الاحتكام اليه اذا اُشكلت الامور وأعيتهم الحيل والتدابير .

وعلى هذا فقد سجّلت اعتراضي على المقولة المتداولة على ألسنة بعض المتصدين (إن المرجعية تقف على مسافة واحدة من الجميع) فهذا موقف المداهن والمجامل على حساب الحق ويخالف المبادئ القرآنية (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ) (السجدة/١٨) (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الزمر/٩) (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى) (يونس/٣٥) .

فلابد أن تمتلك المرجعية الدينية من الشعور بالمسؤولية والشجاعة وقوة القلب ما يكفيها لتحمل المسؤولية وإرشاد الناس لما فيه صلاحهم، أمّا دفع الناس إلى الانتخابات من دون الإشارة إلى البديل الصالح فهذا مكر بهم وظلم لهم إذ أنهم يؤدّون ما عليهم ويدلون بأصواتهم استجابة لنداء المرجعية من دون أن تعطيهم الالتزام المقابل والضمان بل تتنصّل من المسؤولية وتلقيها عليهم وتقول لهم أنّهم لم يحسنوا التصويت، وان شرائح كثيرة من الشعب لا تمتلك الرؤية الناضجة والتحليل الدقيق ازاء هذه القضايا المعقدة، لانشغالهم بمعيشتهم وهمومهم اليومية والأزمات المحيطة بهم من كل جانب فالشعب عليه الغرم بلا غُنم وزعماؤه لهم الغُنم بلا غرم و (تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى) (النجم/٢٢) ومخالفة للقاعدة العقلائية (من كان له الغنم فعليه الغُرم).

ونحن لا ندعي ان المرجعية قادرة على حل كل المشاكل ومعالجة كل المفاسد وتحقيق كل المطالب فهذا فوق الطاعة، ولكن المطلوب منها ان تبذل وسعها في اداء وظائفها والباقي على الله تعالى، وهذا يشبه المسؤولية عن الاهل، ففي الرواية عن الامام الصادق (عليه السلام) (لما نزلت هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} ﴿التحريم : ٦﴾ جلس رجل من المؤمنين يبكي وقال أنا عجزت عن نفسي وكُلِّفتُ أهلي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك[1].

(١) الكافي، البرهان في تفسير القران

مختارات من صحيفة الصادقين

استفتاءات- أخبار - تعليقات - قصائد

من الأعداد ١١٧-١٣٩

بيع السلاح إلى جهات مجهولة[١]

أكّدت لنا مصادر متطابقة أن مدن وسط وجنوب العراق وأريافها وعشائرها تشهد طلباً مفاجئاً وواسعاً على شراء السلاح الخفيف والمتوسط وبأسعار مغرية تتجاوز المعدل المتعارف بكثير، مما ولّد مخاوف من هذه الحركة المحمومة وأهدافها وأغراضها.

ومما زاد في هذه المخاوف مجهولية الجهات التي تقف وراءها والمستفيدة من هذه الأسلحة، ولكن المؤكّد أنها فئات ضالة ترتبط بأجندات خارجية هدّامة، و جهات معادية لهذا الشعب المظلوم الذي لا زالت جراحه تنزف، ولهذا البلد الكريم الذي تعبث به أيدي الفساد والقتل والتخريب، وهذه الجهات اللئيمة هي من تريد أن تجهز على هذا الشعب بما تجمعه من هذا السلاح.

إن الحكم الشرعي من هذه الحالة واضح ومجمع عليه وهو تحريم بيع السلاح وان المال المأخوذ ثمناً هو سحت يأكله الآخذون في بطونهم ناراً.

إننا إذ نستغرب اغترار بعض أبناء العشائر بالمال المدفوع إليهم فيمكّنون العدو الداخلي والخارجي من أنفسهم ويعطونه ما يقتلهم به ويذهب عزّتهم وشرفهم، ندعو جميع الغيارى والمخلصين من أبناء الشعب إلى وأد هذه الفتنة والوقوف في وجه كل من تسوّل له نفسه هذه المتاجرة المشؤومة[٢].

---

(١) نشر في العدد (١١٧) من صحيفة الصادقين الصادر بتأريخ ٢٦ شوال ١٤٣٣ المصادف ١٤ أيلول ٢٠١٢.

(٢) أخذ البيان مداه في التأثير وتوقفت هذه العملية وبان للجميع صحة ما توقعه سماحة المرجع (دام ظله) إذ تكدس السلاح في المناطق الغربية واستعمل للتمرد على الدولة والاعتداء على الشعب والمؤسسات بغطاء مخيمات الاعتصام والاحتجاج.

وعلى الجهات الحكومية المختصة أن تقف بحزم وقوة من هذه المؤامرة الخفيّة وتعمل على حيازة السلاح في اليد الشرعية والقانونية فقط.

كما نلزم كل الخطباء والمبلغين وأئمة الجمعة والجماعة والكتّاب والإعلاميين وصنّاع الرأي العام كافة أن لا يدخروا جهداً في بيان خطورة هذه العملية والحرمة المؤكدة لهذا الفعل المؤدي إلى القتل والخراب. قال تعالى (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال/٢٥).

محمد اليعقوبي - النجف الأشرف

٨/شوال/١٤٣٣ه ٢٠١٢/٨/٢٧

توجيهات الى مرشدي قوافل الحجيج[1]

دأب سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) على اللقاء بمرشدي قوافل الحجاج قبل انطلاقهم الى الديار المقدسة، وقد عقد الملتقى هذا العام يوم الخميس ٣/ذ.ق/١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/٩/٢٠ والقى سماحته كلمة تضمنت عدة توجيهات، منها:

١- ان الحاج هو اوضح مصاديق اليتيم المعنوي المنقطع عن ابيه المعنوي، لانه يؤدي اعمالاً ومناسك لا يعرفها ولم يتعرض لها سابقا وفي ديار غربة بعيدا عن الاهل والوطن، ويخشى الاخلال والتقصير حيث يتعسر المجيء مرة اخرى الى تلك البقاع المباركة، فتراه منقطعاً الى ربّه ومتشبثاً بمن يدلّه على تفاصيل عمله.

---

(١) نشر في العدد (١١٨) من صحيفة الصادقين الصادر في الثالث من ذي الحجة ١٤٣٣ المصادف ١٩ تشرين الأول ٢٠١٢.

فرعاية الحجيج وارشادهم وبذل الوسع في تعليمهم وقضاء حوائجهم من الطاعات العظيمة، وتعرّضٌ للنفحات الالهية الخاصة التي وردت في الحديث الشريف عن الامام العسكري (عليه السلام) قال ((حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: أشدُّ من يتم اليتيم الذي انقطع عن ابيه: يتم يتيم انقطع عن امامه ولا يقدر على الوصول اليه ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه ألا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره الا فمن هداه وارشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الاعلى))[1]

٢- يوجد شعور لدى المسلمين عامة بالضعف والانهزام امام الدول المستكبرة، وكان هذا واضحا في ردود الافعال بعد صدور الفلم والصور الكاريكاتورية المسيئة ونحوها من الافعال المشينة، فبيّنوا لهم ان الحقيقة هي عكس ذلك، وان قيام الاعداء بهذه الامور دليل انهزامهم وعجزهم عن تطويق الاسلام والحد من تقدمه وانتشاره في بلادهم، وذكّروهم بالردود العملية التي يجب أن يقوموا بها والتي اشرنا الى بعضها في خطاب آخر، وان لا تستفزهم مثل هذه الافعال فتدفعهم الى ارتكاب ما يشين الاسلام والمسلمين، فان عرض الصورة النقية السامية للاسلام أمانة في اعناق جميع ابنائه، وأن يكونوا زينا للاسلام والنبي (صلى الله عليه وآله) وآل بيته (صلوات الله عليهم اجمعين) وليس شيناً، وحينئذ سيساهمون في بسط عزة الاسلام ورفعته وإعلاء كلمة الله تعالى.

وربما سمعتم انه سُمِحَ لاول مرة في المانيا برفع الاذان علنيا من مكبرات الصوت في المسجد، فارتفع صوت المؤذن بالشهادات الثلاث علنا من على مآذن المركز الاسلامي في هامبورغ ليكون مناراً لهداية المزيد من الناس ونرى اليوم زحف الاسلام والتشيع الى كل بقاع الارض، حتى ان أحد المهتمين بالشأن

---

(١) راجع التفاصيل في: خطاب المرحلة: ٢٢٩/٦

الافريقي سُئِل عن عدد الشيعة في الدول الافريقية، قال كل مسلمي افريقيا من الشيعة والموالين لاهل البيت (عليهم السلام) لو حصل التفات لهم من قبل الحوزات العلمية خصوصا النجف الأشرف، وهذا ما يحمّلنا مسؤوليات اضافية واسعة.

٣- ان الائمة المعصومين (عليهم السلام) لم يكونوا يكتفون بالجلوس في مقراتهم وانتظار من يأتيهم للسؤال والحوار، وانما كانوا يقصدون تجمعات الحجاج حيث يتواجدون ليوصلوا اليهم صوت الهداية والسعادة، وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تبليغ دعوته حتى وصفه امير المؤمنين (عليه السلام) بأنه (طبيب دوار بطبّه).

فعلى السادة المحترمين من المرشدين والمرشدات الانتشار بين الحجيج والوصول اليهم في مقر اقامتهم حيثما كانوا خصوصا حجاج الدول النائية التي لم تسنح لها فرصة التعرف على الاسلام الحقيقي الذي جسّده أهل بيت النبوة (عليهم السلام).

السيد الكشميري يدعو إلى نصرة المرجعية[1]

فضيلة العلامة السيد محمد حسن الكشميري (دامت بركاته) من الخطباء الواعين الرساليين المشهورين، وقد استمر عطاؤه المثمر حوالي نصف قرن حتى الآن (أدام الله وجوده المبارك) وفي دول عديدة في العالم، وقد أخذ الخطابة في شبابه على يد المرحوم شيخ الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي (جد سماحة المرجع اليعقوبي) وهو يشيد بهذا التلمّذ دائماً.

وقد دأب سماحته على زيارة الشيخ المرجع إذا ورد النجف الأشرف لزيارة مرقد جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) من قم المقدّسة، وكانت إحدى زيارته يوم

(١) نشر في العدد (١١٨) من صحيفة الصادقين الصادر في الثالث من ذي الحجة ١٤٣٣ المصادف ١٩ تشرين الأول ٢٠١٢ .

٥/ذ.ق/١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/٩/٢٢ ورأى بعينه التفاف الشباب ومختلف طبقات المجتمع على المرجعية الرشيدة وازدحامها في مكتبه العامر فتحدث إليهم بكلمات رقيقة وشجاعة، ومما جاء فيها (لما انظر إلى قناة النعيم الفضائية واستمع إلى الأحاديث الروحية التي تهذب وتربي وتنمي روح المعرفة عند المؤمنين: اغبط سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على هذا التوفيق، وليت هذا المنحى كان مستعملاً قبل أربعين أو خمسين سنة، إذن لتغيّر وجه المسلمين في العالم، ولتغيّر وجه الشيعة في العالم، لم يكن هذا مألوفاً عدا ما قام به الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) في الجمهورية الإسلامية عندما كان يخاطب الشعب مباشرة، والناس تصغي إليه وتأخذ من فمه مباشرة بلا واسطة من فلان أو فلان، فقد كنا قبل خمسين سنة وكانت تصلنا توصيات وأقوال المرجع الفلاني ولكن لم نكن نعرف مصدرها وجذورها وما فيها من زيادة ونقيصة.

ولكن الحمد لله الآن شباب العراق وشباب الدول المجاورة حتى الدول ما وراء البحار يستمتعون بنكهة خاصة لأنهم يستمعون مباشرة إلى النصائح والاصلاحات.

حينما نشاهد على الشباب مظاهر الميوعة نشعر بالاحباط، ولكن حينما يوفقنا الله تعالى للحضور في هذا المجالس ونرى هؤلاء الشباب بين يدي مرجع من مراجع الشيعة نُعطى شحنة معنوية ودفئاً نفسياً وأعتقد بدون شك بأن هذا المشهد من أشق المشاهد عذاباً على ابليس وعلى الاستكبار العالمي لأنه لا يريدكم أن تكونوا هنا، بل يريد أن تكونوا -والعياذ بالله- في أجواء المعصية والانفلات والترهّات.

انكم بدعمكم للمرجعية العاملة كأنكم في خنادق القتال تدافعون عن رسالة الإمام الصادق (عليه السلام)، وان حضوركم هنا وما يترتب عليه بعد ذلك جزء من العمل برسالة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورسالة الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)).

تعليق على دعوات البيعة لسماحة الشيخ اليعقوبي على مواقع التواصل الاجتماعي[1]

تناهى إلى سمع سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) انتشار دعوات على مواقع التواصل الاجتماعي للاجتماع في النجف الأشرف في ذكرى بيعة الغدير والتوجه إلى سماحته لتجديد البيعة.

وقد تحمّس لهذه الحركة جمع كبير وبدأوا الاستعداد للمشاركة خصوصاً بعد حديثي سماحته قبل أيام عن لزوم الإعلان عن الهوية وتعيين السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) الخليفة من بعده.

وقد علّق سماحته عن هذه الحركة بأن الفعاليات التعبوية الميدانية مفيدة لإدامة روح العمل في جسد الأمة، إلا أن مثل هذه الحركة الآن قليلة الجدوى، بل قد تضرُّ من بعض الجهات، واننا نكتفي من الأنصار بمشاركتهم وتعبئتهم في الزيارة الفاطمية عند أمير المؤمنين (عليه السلام).

ولفت سماحته إلى أن البيعة الحقيقية هي في الالتزام بما أمر الله تعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومون (عليهم السلام)، والعمل بتوجيهات المرجعية الرشيدة التي تصدر تباعاً، ولا زال الكثير منها طيَّ النسيان والغفلة والتكاسل والتقصير.

وقال سماحته أن البديل عن هذه الحركة التي غالباً ما تكون عاطفية ينتهي أثرها بانتهاء الفعالية، هو التحرك بالمشروع على الآخرين وإقناعهم بالحق الذي دلّكم الله تعالى عليه بالحكمة والموعظة الحسنة من دون استفزاز ولا تشهير ولا تسقيط ولا إتهام ولا تخوين.

---

(١) نشر في العدد (١١٩) من صحيفة الصادقين الصادر في ١٦ ذ.ح ١٤٣٣ المصادف ١ ت٢ ٢٠١٢.

فإن من أبرز سمات البيعة -كالتي حصلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله)- هي الطاعة أولاً والمؤاخاة بين المؤمنين ثانياً فحصول العكس -لا سامح الله- يعني أن البيعة لا قيمة لها. وفّق الله تعالى الجميع لما يحبّ ويرضى.

تعليق على قرار المحكمة الاتحادية حول توزيع المقاعد الشاغرة[1]

رحّبَ سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) باستجابة المحكمة الاتحادية العليا[2] لبيان سماحة المرجع في عدم عدالة توزيع المقاعد في الانتخابات والجهد الذي قام به اتباع المرجعية في اقناع الكتل السياسية والجهات الدولية الفاعلة في العراق فأصدرت قرارها القاضي بعدم دستورية الفقرة (خامساً) من المادة (١٣) من قانون انتخابات مجالس المحافظات والأقضية والنواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ والذي كان يمنح المقاعد الشاغرة للكتل التي تجاوزت القاسم الانتخابي خلافاً لإرادة الناخبين.

وأيّد سماحته لنفس السبب ردّ المحكمة الشقّ الثاني من دعوى المعترضين الذي تضمّن المطالبة لمنح تلك المقاعد للكتل التي حصلت على أعلى الأصوات دون القاسم الانتخابي والتي تُسمّى بالخاسرة.

وقد كلّفت المحكمة السادة والسيدات أعضاء البرلمان بتشريع نص يؤمّن تطبيق الدستور يكون بديلاً عن الفقرة المذكورة.

---

(١) نشر في العدد (١٢٠) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الأربعاء ١٩ ذ.ح ١٤٣٣ المصادف ١٤ ت٢ ٢٠١٢.

(٢) صدر القرار بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٢٢.

وقال سماحته في تعليق على قرار المحكمة المذكور بأن التوزيع العادل للمقاعد المتبقية هو لصاحب الكسر الأعلى سواء كان من القوائم التي تجاوزت القاسم الانتخابي أو لم تتجاوزه، وهذا هو مقتضى قاعدة العدل والإنصاف وسيرة العقلاء في توزيع الأشياء غير القابلة للانكسار فلو حصلت القائمة (أ) على (٣.٩) مقعداً والقائمة (ب) على (٣.٧) مقعداً والقائمة (ج) على (١.٢) مقعداً والقائمة (د) على (٠.٨) مقعداً، وبعد توزيع الأعداد الصحيحة من المقاعد، كانت المتبقية مقعدين أُعطي أحدهما للقائمة (أ) لأنّ كسرها المتبقي بعد اعطاء المقاعد الصحيحة (٠.٩)، واعطي الثاني للقائمة (د) لأنّ كسرها (٠.٨).

وإذا كانت المقاعد المتبقية ثلاثة اعطي الثالث للقائمة (ب) لأن كسرها (٠.٧)، ويُضاف هذا المقعد الممنوح للعدد الصحيح من المقاعد الذي حازته القائمة أصلاً.

وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل والأمثلة في البيان الذي أصدرناه بتاريخ٢٠١٢/٦/٥ والذي أوجد هذه الحركة للاعتراض على هذه الفقرة من قانون انتخابات مجالس المحافظات.

فيرجى من السادة أعضاء مجلس شورى الدولة تقديم المشورة بهذه الصيغة إلى أعضاء مجلس البرلمان ليتخذوا قرارهم الموافق للدستور والحامي لأصوات الناخبين وإرادتهم، والذي يصب في بناء ديمقراطية سليمة، ويكون خطوة على طريق الإصلاح السياسي، والله الموفق.

(جامعيون) يستعيد نشاطه وحيويته[١]

استقبل[٢] سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) نخبة من أساتذة جامعة ذي قار ممن استجابوا لدعوة سماحته في أن يستعيد كيان (جامعيون) دوره ونشاطه، وعبّر سماحته عن ضرورة هذه الحركة لأن الكيان لم يستنفد أغراضه، ولا زالت الأهداف من تأسيسه قائمة، وذكّر سماحته بجملة منها وهي:

١- المحافظة على الهوية الإسلامية والوطنية للجامعات.

٢- دعم الكفاءات العلمية والمهنية والسعي لوضعها في الموقع المناسب لكي يبنى البلد بمهنية وموضوعية.

٣- مساعدة الطلبة المحتاجين والمتعففين لكي يتمكنوا من مواصلة دراستهم، والارتقاء بمستوى الخدمات المقدّمة لطلبة الجامعات.

٤- تكريم المتفوقين مادياً ومعنوياً، والعمل على رفع المستوى العلمي لأساتذة وطلبة الجامعات.

٥- تحقيق التواصل بين الجامعات وتبادل الخبرات وآليات العمل المثمر.

٦- توثيق العلاقات بين الجامعات والحوزات العلمية الدينية، واستضافة العلماء والخطباء في أروقة الجامعات، وإقامة المؤتمرات المشتركة.

٧- إبراز العلاقة الوثيقة بين العلم والدين من خلال عقد ملتقى العلم والدين والندوات التي تعزز هذه العلاقة.

٨- إشراك طلبة الإعداديات في الفعاليات المذكورة لتأهيلهم قبل الدخول في الجامعات.

---

(١) نشر في العدد (١٢٠) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الأربعاء ١٩ ذ.ح ١٤٣٣ المصادف ١٤ ت٢ ٢٠١٢.

(٢) تاريخ اللقاء ١/ذ.ح/١٤٣٣، المصادف ١٧/ت١/٢٠١٢.

٩- تنظيم السفرات المبرمجة إلى العتبات المقدسة والالتقاء بمراجع الدين والعلماء والاستفادة من توجيهاتهم.

١٠- إقامة الفعاليات التعبوية المختلفة كمعارض الكتب وإحياء الشعائر الدينية والمناسبات الوطنية.

ونصح سماحته بعدم تحويل الكيان إلى حزب سياسي لأنه سيحجّم دوره ويعيقه عن تحقيق الأهداف النبيلة أعلاه، خصوصاً وان ثمرة المشاركة في العملية السياسية وهي تمكين الكفاءات العلمية من الوصول إلى مصادر القرار مكفولة لهم من خلال وجود إخوانهم المؤمنين بمشروعهم في العملية السياسية.

ودعاهم سماحته إلى الانفتاح على النخب المؤهلة في الجامعات الأخرى لإعادة تفعيل الكيان على صعيد المحافظات جميعاً بإذن الله تعالى.

سماحة الشيخ الصفار ينصر المرجع اليعقوبي في مواقفه[1]

تلقى سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) اتصالاً[2] هاتفياً من سماحة المفكر الإسلامي العلامة الشيخ حسن الصفار من أبرز العلماء في شرق المملكة السعودية، وتبادل معه هموم وقضايا العالم الإسلامي عامة والشيعي خاصة.

وقال سماحة الشيخ الصفار أنه حرص في هذا الاتصال على مؤازرة سماحة الشيخ اليعقوبي في تصدّيه لإصلاح الشعائر الحسينية وتهذيبها من الطقوس الدخيلة عليها، وأثنى على شجاعة الشيخ المرجع وهو يطلق هذا النداء من نفس مدينة

---

(١) نشر في العدد (١٢١) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ٢٨ محرم ١٤٣٤ المصادف ١٣ ك١ ٢٠١٢.

(٢) تاريخ الاتصال ١٧ محرم ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٢/١٢/٢.

النجف الأشرف، وان واجب المرجعية الرسالية دائماً هو تحمل مسؤولية المحافظة على الدين نقياً من الشوائب والتحرك به لإقناع الناس بهذا المشروع الإلهي. وقال انه اتصل بجملة من العلماء في إيران والعراق والخليج ولبنان لنصرة مواقف سماحة الشيخ المرجع واستنكار المهرّجين والمحرّضين ضد سماحته.

ومن جهته فقد شكر سماحة الشيخ المرجع هذا الاتصال وهذه النصرة وأكّد على مضيّه في أداء واجباته بلطف الله تبارك وتعالى، لأن السكوت عن الانحراف يؤدي إلى توسّعه وانحداره أكثر فأكثر، وان المؤدّين للشعائر بعواطف مخلصة وصادقة وبفتاوى مرجعية يحظون بحبنا واحترامنا، وانما ننكر فعل من يتاجر بقضية الحسين (عليه السلام) حتى حوّلها إلى دكاكين يستدرّ بها الدنيا، واني أشفق على البعض حينما أراه مهووساً على المنبر ويدعو بحركات مبالغ فيها إلى الإصرار على فعل بعض الطقوس المبتدعة لأغراض يعلمها الله تبارك وتعالى.

وقال سماحة الشيخ المرجع اننا نخشى أن يتحول ديننا إلى دين عوام يحتوي على تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان يفتي بأحكامه منشدو المراثي الحسينية، وذكر سماحته (فتاوى) مضحكة لهؤلاء تدل على جهلهم وتخلّفهم وعدم ورعهم.

من يتصدى للمجالس الحسينية مجاناً

علّق[1] سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على قول بعض الخطباء الحسينيين أنه يقرأ مجالسه (مجاناً)، بأنه فعل مشكور عند الله تعالى ورسوله والمؤمنين ويدل على اخلاص صاحبه بإذن الله تعالى، لكن يجب تصحيح الفكرة التي تُفهم معكوسة، لأن من يقرأ (مجاناً) من الخطباء ومنشدي المراثي الحسينية هو من يطلب الأجور على عمله لأن كل جزائه سيكون هذا المال، الذي لا قيمة له في نفسه في ميزان الأعمال الإلهية، وليس له في الآخرة من نصيب لأنه رضي بهذا الثمن جزاءً على عمله، كما ورد في زيارة العيدين في وصف الذين خرجوا لقتال الإمام الحسين (عليه السلام) (وقد توازر عليه من غرّته الدنيا وباع حظّه من الآخرة بالأدنى).

أما من لا يطلب الأجر على عمله ويحتسبه عند الله تعالى فإنه العاقل الذي عرف الثمن والجزاء الحقيقي للعمل الذي سيقبضه من الله تعالى ورسوله يوم الجزاء. وفي ضوء هذا يعرف من الذي أدّى هذه الوظيفة المقدّسة مجاناً.

من الجدير بالذكر ان سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي يوصي الخطباء والمرشدين والمبلغين دائماً بعدم أخذ الأجرة على عملهم ليكون مخلصاً لله تبارك وتعالى وتتعهد المرجعية بدفع المصاريف والمكافآت على العاملين بإذن الله تعالى.

---

(١) تاريخ الحديث ١٧ محرم ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٢/١٢/٢. ونشر في العدد (١٢١) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ٢٨ محرم ١٤٣٤ المصادف ١٣ ك١ ٢٠١٢.

النظام السياسي الجديد يكرّم القتلة المجرمين ويهمل ضحايا صدام

استقبل[1] سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) الشهيد الحي السيد جبار الغالبي أحد الناجين من المقابر الجماعية التي أنشأها صدام المقبور عقب الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ والذي يظهر في كثير من الصور يقوده أزلام صدام ويضربونه ويركلونه بأمر المقبورين علي الكيمياوي ومحمد حمزة الزبيدي، فكان السيد الغالبي من الشهود النوادر على تلك الجريمة البشعة بحق الإنسانية.

وقد تحدّث جناب السيد عن ظروف اعتقاله في ضواحي مدينته الغراف عندما اجتاحت قوات الحرس الجمهوري المدن المنتفضة في وسط وجنوب العراق ثم اقتيدوا إلى معتقل الرضوانية الرهيب في بغداد مع الآلاف من أبناء الشعب العراقي الأبيّ، وكانت المجاميع تلو المجاميع تساق إلى التعذيب والإعدام أمام عينه.

وبعد (٥٤) يوماً قضاها في الاعتقال قيّض الله تعالى له ضابطاً من أبناء الموصل عرف انه من نسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمّن له طريقاً للهروب من المعتقل هو وثلاثة من زملائه إلى البساتين المحيطة بالمنطقة، أراد بذلك أن يكرّم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذريته، ثم قضى تلك السنين العجاف متخفياً ومتنقلاً بين المدن والقرى.

وبعد سقوط صدام اللعين ظنّ أن النظام الجديد الذي قام على دعاوى مظلومية الشعب العراقي سينصفه ويضمن له حياة كريمة تعوضه عن السير مما لاقاه من بطش النظام، إلا أن شيئاً من ذلك لم يحصل، وباءت محاولاته بالفشل ولم يحصل على

---

(١) تاريخ اللقاء ١٨ محرم ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٢/١٢/٣. ونشر في العدد (١٢١) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ٢٨ محرم ١٤٣٤ المصادف ١٣ ك١ ٢٠١٢.

شيء لأنه لا يحتفظ بـ (مقتبس حكم) ونحوها من التبريرات، مع أن الأفلام التي توثق اعتداء أزلام النظام على الأبرياء في الناصرية بقيادة المقبورين علي حسن المجيد الكيمياوي ومحمد حمزة الزبيدي، يظهر فيها السيد الغالبي وهو يتعرض للاعتداء والضرب.

وبعد أن رحب سماحة الشيخ بضيفه واستقبله بحفاوة بالغة: عبّر عن ألمه وخيبة أمله بهذا النظام السياسي الجديد الذي تسلّق السلطة رافعاً لواء المظالم التي تعرّض لها الشعب العراقي خصوصاً ضحايا المقابر الجماعية، وما إن ترسخت قدمه حتى أدار ظهره للمحرومين والمظلومين الذين عاشوا تلك المحنة التي أهلكت الحرث والنسل.

وقال سماحته: ان العقلاء والأمم المتحضرة تحتفظ بأي أثر لتاريخها وأحداثها فتجعل متحفاً لثياب هذا وأدوات ذاك حتى الحذاء الذي كان يلبسه، وتحتفل برموزها وتحيطهم بالرعاية الكاملة، وتوظف أقلامها وكتبها لتسجيل إفادة الشهود على العصر وتدوينها لأنها لا تمثل تاريخ شخص معين بل تاريخ أمة بكاملها خصوصاً مثل هذه الأحداث التي عاشها السيد الغالبي والتي تمثل نكسة وانحطاطاً كبيرين، سوّدا تاريخ الإنسانية.

واستغرب سماحته من المفارقات التي نعيشها في ظل النظام السياسي الجديد، فبينما يقدم ضابط (سني) من أبناء الموصل الحدباء كان في خدمة صدام على إطلاق سراح (شيعة) وهو يعلم أن أقل عقوبة ستصيبه هي الإعدام بالأساليب الوحشية، لا لشيء إلا للتقرب إلى الله تعالى ورسوله، لكن النظام الجديد الذي يتزعمه الشيعة يمتنع عن توفير أبسط استحقاقات هؤلاء المحرومين.

وبينما تصدر القرارات تلو القرارات لـ (إنصاف) أزلام النظام البائد من رواتب تقاعدية ضخمة ورتب رفيعة وتعويض عن المدة من السقوط إلى الآن باسم

المصالحة الوطنية وهم يقيمون في الدول المجاورة للتآمر على العراق وشعبه، ويمنحون الوظائف العسكرية والمدنية المهمة في الدولة وهم يستغلون وجودهم فيها لتخريب البلد وسرقة المال العام وإهانة الشعب وسحق كرامته.

وفي مقابل ذلك يحرم الشرفاء المضحون الذين أبوا الخضوع لصدام وانتفضوا لمواجهة بطشه وظلمه من أبسط حقوقهم، وعندما يراجعون الدوائر يسألون بسخرية: لماذا لم يعدمكم صدّام.

هذا هو الوضع البائس الذي نعيشهِ، والذي يضاعف علينا مسؤولية السعي لإصلاحه وإعادته إلى الوضع الطبيعي الذي يرضي الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، وان ابراز مثل هذه المظالم تخلق الحوافز لدى الشعب ليعي دوره وواجبه في اختيار المخلصين المتفانين في خدمته.

وفي ختام اللقاء وعد سماحة المرجع ببذل الوسع في تحصيل ما يمكن من حقوقه، وتشكّر الضيف من تعاطف سماحة المرجع معه واهتمامه بأمره والحفاوة التي استقبله بها.

سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) يستقبل سماحة السيد مقتدى الصدر (دامت تأييداته)[١]

استقبل[٢] المرجع الديني سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه في النجف الأشرف سماحة السيد مقتدى الصدر (دامت تأييداته) في زيارة ودية بين أبناء السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) .

وابتدأ الحديث حول التراث العلمي والفكري للسيد الشهيد الصدر (قده) وضرورة توسيع مديات نشرهِ الى ابعد ما يمكن، واثنى سماحة الشيخ على مشروع سماحة السيد في اصدار موسوعة كاملة لآثار السيد الشهيد الصدر (قده) وابدى استعدادهُ لتقديم ما لديه من بحوث وكتابات بخط السيد الشهيد (قده) للمشاركة في هذه الموسوعة.

كما تطرق الحديث إلى الجهد العلمي المتميز الذي بذله السيد الشهيد الصدر في الحوزة العلمية في النجف الأشرف وكان لسماحة الشيخ اليعقوبي الأثر الواضح فيه من خلال تنقيحه لمختلف المواضيع في كتب الفقه والأصول.

و تحدث سماحة المرجع حول ضرورة تصدي المؤهلين لمواقع المسؤولية لكونه يمثل فرصة كبيرة ترفع الظلم عن المؤمنين ورفع الجور والحيف عنهم وتحقيق لمصالح الشعب العراقي.. وابسط ما يمكن تقديمه وهو ايجاد فرصة عمل لأحد المؤمنين وهي كبيرة في ميزان الاعمال لانها تُعد صدقة جارية وباب كبير من أبواب إجابة الدعاء.

---

(١) نشر في العدد (١٢٣) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٤٣٤ المصادف ١٥ ك٢ ٢٠١٣.

(٢) تاريخ اللقاء ٢٧ /صفر/ ١٤٣٤.

كذلك تطرق الحديث الى ذكريات سماحته مع أستاذه الشهيد الصدر (قده) وكيف مرّت تلك الأيام التي عاشها الذين وُفّقوا لنصرة السيد الشهيد (قده) حيث كانت أجواء مفعمةً بالإيمان والإخلاص والرسالية والتضحية في تلك الفترة العصيبة، لكن من المؤسف غياب تلك المبادئ السامية التي كانت تحرك المجتمع وتدعوه الى العمل والمثابرة مع الاحتمالات الاكيدة لكل المخاطر.

أما اليوم فقد تبدلت الحوافز والدوافع إلى الأطماع الدنيوية وصار تقديم أي فعل مشروطاً بقبض الثمن، وكان من أسباب ذلك الانفتاح المفاجئ على مُختلف التحديات والمغريات من دون تحصيل الاستعداد الكافي للتعاطي معها، ولو قُدر للمشروع الأمريكي الذي جاء به الاحتلال أن يمضي بلا معوقات لكانت الحال أسوء بكثير، لكن التعقيدات الأمنية التي حصلت وأن كلّفت الشعب العراقي كثيراً إلا إنَ من ثمراتها إحباط المشروع الأمريكي وتحجيم مخاطره على هوية الشعب وثقافته وسيادته وحريته.

وتطّرق الطرفان الى الاحداث الراهنة و التوترات التي تعصف بالشعب العراقي ومحاولة البعض لشحنه طائفياً من اجل تحصيل مكاسب انتخابية، وأكدا على ضرورة استجابة المسؤولين للمطالب المشروعة لكل الشعب العراقي، والتزام الحكمة والرويّة في التعاطي مع مختلف القضايا، وتغليب المصلحة الوطنية العليا.

وان هذه مسؤوليات يشترك فيها الجميع بحسب مواقعهم في ادارة شؤون البلاد.

وعبّرا بصراحة عن الامتعاض من فشل السياسيين في تقديم الخدمات للشعب وتقصيرهم في أداء واجباتهم واتخاذ النفاق في التصريحات والمواقف وسيلة للخداع و التمسك بالمواقع والامتيازات.

سماحة المرجع اليعقوبي يزور سماحة السيد مقتدى الصدر[١]

قام سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (مد ظله) بزيارة سماحة السيد مقتدى الصدر (دامت تأييداته) في منزل والده السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس) ضمن تحركه لتحذير شعوب المنطقة وقادتها من الخطة الشيطانية التي أعدّت للمنطقة العربية والإسلامية لتمزيقها وتقسيمها إلى دويلات ضعيفة متناحرة وإشغال شعوبها بحرب طائفية طاحنة لا تبقي ولا تذر، وشرح سماحته مضمون بيانه الأخير[٢] حول هذه القضية الخطيرة .

كما تعرض سماحة المرجع مع مضيفه إلى الأخطاء القاتلة التي ترتكبها الكتل السياسية والتي كان ضحيتها المواطن ومؤسسات الدولة كلها ، واستعرضا الخيارات المتاحة للتغيير والإصلاح وآليات تحقيقهما خلال المرحلة القادمة ، وان هذا الإصلاح أصبح مطلباً عاماً ، وأكد سماحته على ضرورة تصدي المرجعيات والقيادات الدينية لشؤون الحياة العامة والإحاطة بالملابسات والظروف، لأنها ستزيد من الخبرة والقدرة على اتخاذ القرارات الحكيمة والصائبة، وأنها ستُثري عملية الاستنباط الفقهي برؤية لم يعهدها من مارس العملية نظرياً فقط بعيداً عن الميدان.

وذكر سماحته شاهداً على ذلك من خلال تجربته في تدريس كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي شرع في بحثه منذ عدة أشهر.

---

(١) نشر في العدد (١٢٧) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الجمعة ٦ رجب ١٤٣٤ المصادف ١٧ آيار ٢٠١٣.

(٢) وهو الخطاب المعنون بـ (المشاريع الشيطانية التي أعدّت للمنطقة الإسلامية والعربية) وقد تقدَّم ص٢٠٢.

ومن الجدير بالذكر ان سماحة السيد مقتدى الصدر قام بزيارة سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي في وقت سابق من هذا العام.

الثلاثاء ٢٦/ج٢/١٤٣٤هـ

الموافق ٢٠١٣/٥/٧م

إحياء الشعائر الفاطمية في سامراء[1]

نصرة للإمامين العسكريين (عليهما السلام) وإدخالاً للسرور على قلب الإمام المنتظر (أرواحنا له الفداء) وإحياءاً للشعائر الفاطمية المباركة، فقد توجه آلاف الموالين من بغداد والنجف الأشرف إلى سامراء يوم الأربعاء ١٥/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٣/٢٧.

وعند ترجّل الزوار من حافلاتهم ألقى فيهم أحد الفضلاء كلمة ترحيب وتوجيه ثم انطلق تشييع لنعش رمزي للزهراء (عليها السلام) مصحوباً بشعارات الولاء والثبات حتى الروضة العسكرية المطهّرة، حيث ارتقى المنبر عدد من الخطباء وأنشدت المراثي وتليت سيرة مختصرة للصديقة الطاهرة (عليها السلام) حتى استشهادها.

وقد كانت حركة المواكب منتظمة وأداؤها رائعاً، كما قامت الأمانة العامة للعتبة العسكرية والقوات الأمنية بتأمين الخدمات والطرق المؤدية، ومما يلفت النظر ويزيد بهاء هذه الشعيرة المقدسة الحضور الكثيف لفضلاء الحوزة العلمية وأئمة المساجد، وكذا المواكب النسوية.

---

(١) نشر في العدد (١٢٥) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الثلاثاء ٢١ ج١ ١٤٣٤ المصادف ٢ نيسان٢٠١٣.

وانتهت الشعائر بصلاة الظهرين جماعة وشكر المشاركين على حضروهم رغم التوترات السياسية والأمنية ليقدّموا دليلاً على صدق ولائهم للائمة الأطهار (عليهم السلام).

إزالة المزارات الوهمية

حذّر سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) من ظاهرة وجود وانتشار المزارات المنسوبة إلى أولاد الأئمة (عليهم السلام) والصالحين من دون التحقيق في صحة نسبتها إلى أصحابها ودراسة حال الشخص الذي يُنسب إليه المزار.

وقال سماحته لدى استقباله[1] وفد المديرية العامة للمزارات في ديوان الوقف الشيعي أن كثيراً من هذه المراقد وهمية صنعها بعض ذوي النفوس المريضة الذين لا ورع لهم ولا دين ليجمعوا بها الأموال من السذّج والجهلة ويروون لهم كرامات مفتعلة.

وهذه ظاهرة ابتلي بها الشيعة ليس في العراق فقط بل في الدول الأخرى التي لهم وجود فيها وقد ثبت بالدليل القاطع أنها لا أصل لها وإنما نسبت إلى الصالحين لأغراض عديدة.

وقال سماحته: إن أعداء أهل البيت (عليهم السلام) يشجعون هذه الظاهرة ويفرحون بها لأنها تحقق مآربهم في تشتيت الشيعة وتحويل أنظارها إلى هذه المزارات الوهمية بدل التوجه إلى المراقد المطهّرة للأئمة المعصومين (عليهم السلام).

---

(١) تاريخ اللقاء السبت ١٨ ج١ ١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٣/٣٠. ونشر في العدد (١٢٥) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الثلاثاء ٢١ ج١ ١٤٣٤ المصادف ٢ نيسان٢٠١٣.

لذا لابد من وقفة شجاعة وواعية لاجتثاث هذه الظاهرة وإزالة هذه الأوكار للجهلة والحمقى والماكرين وعلى ديوان الوقف الشيعي أن يتحمّل مسؤوليته بمعاونة القوات الأمنية والله الموفّق.

في تأبين الفقيد سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي[1]

فُجع العالم الإسلامي برحيل سماحة آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، وفقد بوفاته عالماً رسالياً مصلحاً مثقّفاً أديباً حصيفاً، ونحن بأمسِّ الحاجة لجهود أمثاله ممن اجتمعت فيه هذه الصفات الكريمة لحل مشاكل الأمة والارتقاء بأبنائها.

---

(١) من العلماء الأعلام في المملكة العربية السعودية، ولد في البصرة سنة ١٣٥٤/١٩٣٥ ودرس مقدمات العلوم الدينية عن والده ثم التحق بالحوزة العلمية في النجف الأشرف سنة ١٣٦٨ وأكمل دراسة المقدمات والسطوح والتحق بأبحاث الخارج عند السيد الخوئي والسيد الحكيم والسيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي وغيرهم (قدس الله أرواحهم جميعاً).

التحق بالدفعة الأولى من طلبة كلية الفقه وتخرج فيها عام ١٣٨٢/١٩٦٢ وحصل على الماجستير من كلية الآداب في جامعة بغداد عام ١٣٩١/١٩٧١ وعلى الدكتوراه من جامعة القاهرة بدرجة امتياز عام ١٣٩٦/١٩٧٦.

غادر العراق إلى جدة عام ١٣٩١/١٩٧١ حيث عُيِّن استاذاً في جامعة الملك عبد العزيز وبقي مدرساً حتى عام ١٤٠٩ حيث أحيل على التقاعد، واستقر في الدمام شرق المملكة.

أجيز بالرواية من المرحوم الشيخ آغا بزرك الطهراني عام ١٣٧٤/١٩٥٣، توفي يوم ٢٧/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٤/٨. ونشرت كلمة التأبين في العدد (١٢٦) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الأربعاء ٦ ج٢ ١٤٣٤ المصادف ١٧ نيسان٢٠١٣.

عرفتُ سماحة الشيخ الفقيد منذ عقود حينما قرأت ما كان ينشر في مجلة الإيمان التي كان يصدرها والدي المرحوم الشيخ موسى اليعقوبي في النجف الأشرف منذ العام ١٣٨٣/١٩٦٣، حيث شخّص بفطرته ووعيه وإخلاصه منذ سنوات دراسته المبكرة حاجة المناهج الدراسية في الحوزة العلمية إلى التحديث وإعادة النظر لتواكب متطلبات الحياة المعاصرة وتحدّياتها، ولا عجب في ميله إلى المدرسة الإصلاحية فقد كان من طلبة العلاّمة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر (قدس سره) في الحوزة العلمية وفي كلية الفقه فتأثّر بآرائه وأفكاره، واختار صفحات مجلة الإيمان ومجلة أضواء التي كانت يصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف ليطلق دعواته تلك، ولم تقف عند حدود التمنّيات والتنظير بل وضع فعلاً بعض الخلاصات للمنطق وأصول الفقه تأسّياً بأستاذه المظفر (قدس سره) واستمر بالدراسة والتدريس حتى حضر بحوث الخارج عند أبرز مراجع وعلماء العصر (قدس الله أرواحهم).

كما أدرك (رحمه الله) في ذلك الوقت الفجوة الكبيرة بين الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية بل الشباب والمثقفين عموماً الذين انخرطوا في الحركات السياسية والأيدلوجيات البعيدة عن الدين، فرأى لزاماً عليه أن يعمل ما بوسعه لردم هذه الفجوة المصطنعة بمكر أعداء الإسلام وجهل أبنائه والمدّعين لسدانة مؤسسته الإلهية المباركة، وعرف أن العمل المثمر يكون بولوج هذه الجامعات من أبوابها بأن يكون عنصراً فاعلاً وصاحب قرار فيها فالتحق بكلية الفقه التي أسسها المرحوم الشيخ المظفر وكان من طلبة الدفعة الأولى التي تخرجت عام ١٩٦٢ ثم واصل دراسة الماجستير والدكتوراه وحصل عليها من القاهرة بامتياز.

ومضافاً إلى ذلك فقد كان أديباً وعضواً في جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف التي أسّسها المرحوم جدّي الشيخ محمد علي اليعقوبي ونخبة من زملائه سنة ١٩٣١ وبقي عميداً لها أكثر من ٣٠ سنة حتى وفاته عام ١٩٦٥.

كل هذا يدل على أنه كان ذا همّة عالية وشعور كبير بالمسؤولية وأمل عريض برفعة الإسلام وعزّة أبنائه، ولم يكتف في عطائه بعمره في الدنيا الذي ناهز الثمانين، بل أضاف له عمراً ثانياً ممتداً بإذن الله تعالى حين طبّق الحديث النبوي الشريف (إذا مات المرء انقطع عمله إلاّ من ثلاث) فترك لنا مؤلفات نافعة ومؤسسات مثمرة وأنجالاً صالحين لتكون له صدقات جارية.

لقد رحل فقيدنا الجليل والجميع بحاجة إلى مساعيه الحكيمة للقضاء على الفتن والتوترات التي يعاني منها أحبتنا في أرض الحرمين الشريفين المباركة حرسها الله وأهلها من كل سوء ووقاها شر الأعداء المتربّصين، ونراهن على حكمة العقلاء من جميع الأطراف لتطويق الأزمة وفك عقدها بالحوار البنّاء والابتعاد عن الانفعال والتعصّب، وان يكون هاجس الجميع ازدهار البلد ورفاه أبنائه وعزّتهم وكرامتهم.

تغمّد الله تعالى فقدينا الراحل برحمته الواسعة وألحقه بالصالحين من عباده، وجعل روحه الطاهرة مصدر إلهام لإخواننا في المملكة ولجميع المسلمين في فعل الخيرات، والله ولي المؤمنين.

محمد اليعقوبي ـ النجف الأشرف

٢٨/ج١/١٤٣٤هـ ٢٠١٣/٤/٩

بيان حول اقتحام منزل آية الله الشيخ عيسى قاسم (دامت إفاضاته) (١)

قال تعالى {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ❖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (النور : ٣٦-٣٧) .

ان المساجد ومنازل العلماء الربانيين من هذه البيوت التي أذن الله تعالى برفعها وحرمتها لازمة للجميع، لذا فإننا وسائر المؤمنين والعقلاء نرفض بشدة ما تناهى إلى أسماعنا من قيام قوات الأمن البحرينية باقتحام منزل سماحة آية الله الشيخ عيسى قاسم (دامت إفاضاته) فجر الجمعة ١٧-٥-٢٠١٣ وتفتيشه وإدخال الرعب على أهله، وهي ليست الوحيدة فقد اقتُحمت المساجد و الحسينيات ودور العلم والعبادة .

إن أي سبب يقال لهذه العملية فهو غير مبرر، وسيصيب فاعلها الندم في الدنيا و الآخرة، كما قال الخليفة أبو بكر نادماً متألماً لاقتحامه بيت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام): (إنى لا آاسى على شئ إلا على ثلاث وددت أنى لم أفعلهن، وددت أنى لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق على الحرب)(٢).

نحن نحذر الجميع من ارتكاب مثل هذه الأفعال المشينة لانها توجبُ غضباً واحتقاناً وثورةً وان كان ذلك بعد زمن، لذا ندعو إلى التعامل مع الأمور بحكمة ورويّة، وان يكون هذا الألم و المرارة التي اعتصرت قلوب الكثيرين حافزا للسلطة لكي تبدأ حواراً جديا للنظر في المطالب المشروعة للشعب البحريني الشقيق، فان في

---

(١) نشر في العدد (١٢٨) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الثلاثاء ٨ شعبان ١٤٣٤ المصادف ١٨ حزيران ٢٠١٣.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي ١٠٩/٣ وأوردها جملة من المؤرخين كاليعقوبي في تاريخه : ١٣٧/٢ و الطبري في تاريخه: ٦١٩/٢ و٤٣٠/٣ وابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة : ٢٤/٢٠.

ذلك بلسماً لجراح المصابين، وردّ اعتبار ومعالجة لما حصل من انتهاكات . والله ولي التوفيق

تصنيف خطابات سماحة المرجع اليعقوبي[1]

شرعت لجنة في مكتب سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) بتصنيف خطابات سماحته في مختلف الحقول المعرفية ومجالات الحياة وهموم الأمة ومشاكلها وقضاياها وشرائحها المتنوّعة، ويهدف المشروع إلى جمع إسهامات المرجعية الرشيدة في كلّ حقل وإبرازها ليستفيد منها الباحثون في كلّ مجال وتيسير أمر الوصول إليها، وقد كشف المشروع عن سعة عطاء المرجعية وكثرة القضايا التي تناولتها وتنوّع التعاطي مع كلّ قضية وقد جهزّت اللجنة إلى الآن حوالي (١٥) كتاباً بفضل الله تبارك وتعالى ونلفت نظر القرّاء إليها تباعاً، ومنها:

١- قواعد في بناء الشباب (نحو تربية رسالية وأخلاقية للشباب: والكتاب يضمّ جملة ممّا قدّمه سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) من خطابات تتّصل بمشاكل يتعرّض لها الشباب المعاصر وما تستهدفهم من شبهات فكرية أو أمراض أخلاقية أو ما يرفد حماستهم اليافعة باتجاه توجيهها لخدمة الإسلام والإنسان معاً.

والكتاب يشتمل على قواعد مهمّة في الحياة وخصوصاً ما يتعلّق ببناء المستقبل المعنوي الذي ننتظره لشبابنا المؤمن.

كما يتميّز الكتاب بمواعظه المؤثّرة وكلماتها المركّزة النابعة من حكمة المرجعية الرشيدة في توجيه الناس للصلاح والإصلاح، وقد توزّع الكتاب على ما يقرب من

---

(١) نشر في العدد (١٣١) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ١٩ ذ.ق ١٤٣٤ المصادف ٢٦ أيلول ٢٠١٣.

(٢٣٣) من العناوين الفرعية في مختلف الحقوق الاجتماعية والدينية والتنمية البشرية والأخلاقية وغيرها.

٢- الدروس الرسالية من حياة الشهيدين الصدرين (قدس سريهما): يشتمل الكتاب على كلمات سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في ما نستوحيه من حياة المرجعين الشهيدين (قدس سريهما).

وضمّ الكتاب شواهد تأريخية (عاصرها سماحته) كمذكّرات عن تلك الفترة العصيبة من تأريخ الحركة الإسلامية.

ويحقّق الكتاب نقلة نوعية تعلّمناها من سماحة المرجع في الإحياء الواعي للتأريخ وتجارب العلماء ليسخّرها كشواهد حيّة وحلول ناجعة لما نعيشه اليوم من هموم ومشاكل.

وننبّه على أنّ الكتاب ضمّ في آخره ملحقاً في كلمات تأبين عدد من العلماء المعاصرين واستلهام الدروس من جملة ممّا قدّموه من العطاء العلمي والروحي.

مجمع المبلّغات الرساليات[1]

انطلاقاً من قوله تعالى (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً) (الأحزاب/٣٩) انبثق (مجمع المبلغات الرساليات) للارتقاء بواقع المنبر الحسيني للنساء ليحقّق أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) من قيامه المبارك وهو استنقاذ عباد الله من الجهالة وحيرة الضلالة ولطلب الإصلاح في أمة

(١) نشر في العدد (١٣٤) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الاثنين ٢٨ محرم ١٤٣٥ المصادف ٢ ك١ ٢٠١٣.

جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ورد في النصوص الشريفة.

وقد احتضنت جامعة الزهراء (عليها السلام) في النجف الأشرف المؤتمر التشاوري بحضور العشرات من المبلّغات الرساليات من النجف الأشرف وسائر المحافظات يوم ٢٠/ذو الحجة/١٤٣٤ استعداداً لإحياء شهر العزة والكرامة والحريّة والشجاعة والانتصار ولمناقشة سبل تحقيق هذه الأهداف المباركة وصناعة المبلغات الرساليات بالمواصفات التي يريدها الله تبارك وتعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) حتى يثمر عملهنّ صلاح الأمة وسعادتها بإذن الله تعالى.

وقد أعدّت اللجنة المشرفة على المؤتمر كراساً مطبوعاً في عناصر شخصية المبلّغة الرسالية ومقوّمات نجاحها وآليات عملها لتوزيعه على المشاركات، وأُعلن عن عقد الملتقى الأول للمجمع في النجف الأشرف بعد شهرَي محرم وصفر بإذن الله تعالى.

وقد باركت المرجعية الرشيدة هذه الانطلاقة وقدّم سماحة المرجع (دام ظله) بعض الرؤى والتوجيهات لعمل المجمع وطلب أن يكون لهنّ موقع وصفحة على الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي تعرض فيها أدبيات عمل المجمع ليتسنى لمن تحمل هذا الهمّ الرسالي وتشعر بهذه المسؤولية الشريفة الاطلاع عليه والانضمام إليه، والله ولي التوفيق.

آفاق العمل المشترك بين المرجعية الدينية والأمم المتحدة في العراق[١]

بمناسبة تسلّمه لعمله الجديد كرئيس لبعثة الامم المتحدة في العراق، قام السيد نيكولا ميلادينوف[٢] بزيارة مراجع الدين في النجف الاشرف ومنهم سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (مد ظله) للاستماع الى توجيهاتهم ونصائحهم.

وبعد الترحيب بالضيف تحدّث سماحة المرجع اليعقوبي عن الدور المهم والبنّاء لممثل الامم المتحدة في العراق كوسيط بين الفرقاء السياسيين الذين يعانون من ازمة ثقة كبيرة فيما بينهم ويساعد على تقريب وجهات النظر وحلحلة المواقف الخلافية، وكعامل ضاغط لجلب الكتل النافذة الى الحلول الوطنية والانسانية التي تراعي مصلحة البلد والشعب لانشغال تلك الكتل بحسابات مصالحها الخاصة وتغليبها على المصالح الوطنية العامة، كما ان للأمم المتحدة وعموم المجتمع الدولي دوراً بناءاً في عملية التنمية التي يشهدها العراق الجديد من اجل تحقيق التقدم والازدهار باستقدام الخبراء وعقد المؤتمرات والندوات والمساهمة في وضع الخطط الادارية والاستراتيجية .

وذكر سماحة المرجع ضمن توجيهاته عدة نقاط (منها) مراعاة خصوصيات الشعب العراقي والظروف التي يعيشها عند تبني بعض المواقف (ومنها) التأكيد

---

(١) تاريخ اللقاء ٣ /محرم/ ١٤٣٥ المصادف ٢٠١٣/١١/٧، و نشر في العدد (١٣٤) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الاثنين ٢٨ محرم ١٤٣٥ المصادف ٢ ك١ ٢٠١٣.

(٢) وزير الشؤون الخارجية البلغارية (٢٠١٠-٢٠١٣) ولد عام ١٩٧٢ وحصل على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة الاقتصاد الوطني والعالمي في لندن ، عمل مستشار للبنك الدولي (٢٠٠٥-٢٠٠٧) وعضوا في البرلمان الاوربي عن بلغاريا (٢٠٠٧-٢٠٠٩) ووزيرا للدفاع (٢٠٠٩-٢٠١٠) وكلّف بعدة مهام في عدة دول منها العراق حيث كان عام ٢٠٠٦ مستشارا للجان الدفاع والسياسة الخارجية في البرلمان العراقي ، عُيّن في ٢٠١٣/٨/٢ رئيسا لبعثة الأمم المتحدة في العراق.

على الوحدة الوطنية وحفظ النسيج الاجتماعي ورفض كل مشاريع التقسيم والتناحر (ومنها) المساعدة على اتخاذ القرارات التي تحفظ حقوق الشعب جميعاً على اساس المواطنة وتحقق العدالة الاجتماعية (ومنها) التروي في النظر للقضايا الخلافية وعدم التعجل في اتخاذ مواقف بإزائها لتكون البعثة جزءاً من الحل لا جزءاً من المشكلة (ومنها) المساهمة الفاعلة في عملية التنمية والقضاء على الظواهر التي يعاني منها الشعب العراقي والدولة العراقية كالفساد والفقر والأمية والصراعات المتنوعة والتخلف في جميع المجالات.

وأثنى سماحة المرجع على جملة من الانجازات التي حققتها البعثة في عدة مجالات ومنها المساعدة في اقرار قانون الانتخابات البرلمانية مؤخراً.

ثم بدأ السيد الضيف بطرح اسئلته التي كان يعبّر من خلالها عن القلق من عدة مخاطر حالية او مستقبلية تحيط بالعراق، كالانزلاق بالحرب الطائفية وإمكان قيام الشيعة بردود افعال واسعة رداً على ما يتعرضون له من تفجيرات وقتل او التصعيد وتفجّر الاوضاع قُبيل الانتخابات ومساهمة اقرار بعض القوانين في استقرار الوضع في العراق وحل مشاكله كالمجلس الاتحادي وقانون الاحزاب، وماذا علينا ان نعمل لإصلاح الاوضاع في العراق.

واجاب سماحته عن احتمال الحرب الطائفية بأن الشيعة متدينون وملتزمون بأحكام ربهم، والله تعالى يقول : (ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى) فلا يؤاخذون البريء بجريرة المجرم ولا يمكن معاقبة اي واحد من ابناء السنة لمجرد ان حثالة من القتلة والمجرمين يقومون بأفعال وحشية ويدّعون انتسابهم الى هذه الطائفة، والشواهد على ذلك كثيرة كالذي حصل بعد سقوط نظام صدام الذي قتل وعذّب مئات الاف الشيعة الا ان احداً منهم لم يجعل ذلك مبرراً للانتقام أو تصفية

الحسابات وكانت المرجعية حازمة وواضحة في بيان هذا الموقف ومرّت تلك الفترة بهدوء وسلام ووئام .

لكن هذا الموقف العام والثابت للمرجعية واتباعها لا يغلق الباب نهائياً لاحتمال قيام البعض بردود افعال انتقامية نتيجة الالام التي يعانونها او بدفع وتحريض من بعض الجهات .

وان الصراعات والنزاعات التي يشهدها العراق هي سياسية بامتياز - نتيجة تقاطع المصالح واصطدام الارادات وتدخل الدول الخارجية – وانما تغلف بأطر طائفية وقومية لتسويقها على الناس وتحشيد اكبر عدد منهم كوقود لهذه الصراعات، وشهد تأريخ العراق بعدم وجود مشكلة طائفية تمزّق النسيج الاجتماعي ولكن صراعات السياسيين والمتطرفين من الطوائف والاعراق كافة وتأجيجهم وتحريضهم عبر وسائل الاعلام هو الذي يهدد هذا النسيج ويقطع حبال المودة .

كما ان تدخل القوى الخارجية ومحاولتها تسيير الاحداث وتوجيه مؤيديها بما يخدم مصالحها ويعزز نفوذها وهيمنتها في العراق ، يصب الزيت على النار ويزيد هذه الصراعات اشتعالاً ، وان كثيرا من العنف والصراع الذي يجري بالعراق هو قتال بالنيابة عن مصالح تلك الدول وتصفية للحسابات بينها، وقد ارتضى عدد من قيادات البلاد ان يقبل بهذا العمل الدنيء ويلحق بنفسه الذل والهوان .

وامام هذه المشكلة التي نواجهها فأن سن القوانين مهما كانت صالحة بذاتها ونافعة في اصلاح الاوضاع الا انها اما لا تمرّر اصلا ككثير من القوانين المفيدة للشعب والتي اهملت في ادراج الحكومة والبرلمان ، او تُقرّ الا انها تبقى حبرا على ورق لأنها لا تحقق المصالح الضيقة للأحزاب والشخصيات المهيمنة على القرار ، او

ان العمل بها بكون انتقائياً وبمكيالين كالدستور الذي يفصّله كل كيان على مقاس مصالحه وتصفية خصومه وإضعافهم .

وحينئذ يتضح الدور المشترك للمرجعية الدينية والأمم المتحدة في إيجاد الحلول لإنقاذ العراق وشعبه من الازمات الخانقة التي تعصف به وتزيد من آلامه وجروحه وخسائره ، ومن تلك الخطوات العملية:

١- إلزام قادة البلاد بمسؤولياتهم امام الشعب التي اقسموا عليها، والضغط عليهم لإقرار كل القوانين التي تنصف كل شرائح الشعب العراقي وتعطي كل ذي حق حقه فان هذا وحده الذي يجعل كل مواطن يحس بالانتماء الى وطنه ودولته ويدافع عنها ويزيل الاحتقانات ويحاصر الإرهابيين والمتطرفين ويقضي عليهم ، وهو بنفس الوقت يؤدي إلى تحسين العلاقات مع الدول المجاورة وإزالة سوء الظن والاتهامات التي تعكر صفوها .

٢- اجراء الانتخابات في موعدها المحدد وبكل شفافية وصدق ومهنية ، ويضمن قانونها فرصة مناسبة لصعود قوى جديدة مؤثرة يمكن ان يكون لها دور مهم في تحريك التوازنات وتغيير المعادلات وضمان مشاركة اوسع بالعملية السياسية كالذي حصل في انتخابات مجالس المحافظات الاخيرة ، وقد قدّمنا مقترحات وقمنا بحركة دؤوبة لتعديل القانون بما يحقق ذلك وهو ما حصل فعلا بفضل الله تعالى .

٣- تشجيع الحوار والتواصل بين كل مكونات الشعب وفعالياته السياسية والاجتماعية والدينية والاستماع الى كل الاطراف لجمعهم على قواسم وطنية مشتركة .

٤- احداث نهضة تنموية تستقطب كفاءات البلد وطاقاته وايديه العاملة وإجراء اصلاح اداري شامل وفق التقنيات الحديثة لمكافحة الفساد و المحسوبية وهيمنة الاحزاب المتنفذة .

٥- التحرك على الدول التي تمارس دوراً سلبياً في العراق لتحذيرهم من مغبّة اللعب بالنار ، لأنها اذا اشتعلت فإنها سوف لا تبقى داخل الحدود العراقية وانما تحرق اولئك ايضا، فليقوموا بدور ايجابي وليساعدوا العراق على مداواة جراحه واستعادة عافيته .

التزام المؤمنات بتوجيهات المرجعية الرشيدة[1]

أثنى سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على التزام المؤمنات العفيفات المتأسّيات بالسيّدة الزهراء (عليها السلام) والعقيلة زينب (سلام الله عليها) بتوجيهات المرجعية الرشيدة بعدم الخروج مشياً على الأقدام من المحافظات البعيدة كالبصرة والناصرية والعمارة مما يتطلب قطع الصحاري والقفار شفقة عليهنّ وغيرة على حرمتهنّ التي هي أعظم عند الله تعالى من الكعبة الشريفة.

وهذه الاستجابة تثبت أنّ الأمة بخير وأنّ المشكلة في وجود قيادات مزيّفة وأنّ كلمة الحق والنصح والإرشاد تجد آذاناً صاغية برغم الصخب والضجيج والتشويه والكذب الذي يمارسه مرضى النفوس وقساة القلوب ممّن تلبسوا بالدين مكراً وخداعاً لاستجلاب الدنيا.

---

(١) نشر في العدد (١٣٥) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ١٥ صفر ١٤٣٥ المصادف ١٩ ك١ ٢٠١٣.

فالحمدُ لله وحده على ما أنعم ونسأله تعالى الزيادة في البصيرة والاستقامة والعمل بما يحبّ ويرضى.

أحكام بيع الدولار بالآجل[1]

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

توجد معاملة متداولة في السوق وهي بيع الدولار بالآجل، وذلك بأن يبيع ورقة فئة مئة دولار التي سعرها النقدي المتداول (١٢٥) ألف دينار مثلاً بمئة وثلاثين ألف دينار أو أقل أو أكثر بحسب الاتفاق ولمدة معيّنة كشهر مثلاً.

وهنا عدة أسئلة:

١- ما حكم هذه المعاملة؟

٢- هل توجد نسبة محدّدة للفرق المأخوذ على سعر الورقة؟ وما هو وجه هذا التحديد؟

٣- لو لم يستطع مشتري الورقة التسديد عند حلول الشهر فهل له تمديد العقد شهراً آخر أو أكثر مع زيادة المبلغ في ذمّته كأن يمدّدها شهرين ويصبح على مشتري الورقة (١٣٥) الفاً أو (١٤٠) ألفاً وهكذا؟

٤- هل لهما إجراء العقد على مدّة أطول من شهر في ابتداء العقد؟

٥- هل هذا الحكم خاص بمن يرجع إليكم بالتقليد أم يعم الجميع؟

---

(١) نشر في العدد (١٢٤) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الجمعة ١٨ ربيع الثاني ١٤٣٤ المصادف ١ آذار ٢٠١٣.

٦- لو حصلت مخالفة لشروط الصحة أعلاه فما حكم الأموال المقبوضة في المعاملات السابقة؟

بسمه تعالى

الجواب:

١- المعاملة صحيحة مبدئياً لاختلاف الجنس بين الدولار والدينار مع ملاحظة شروط الصحة. ومنها الشرط التالي.

٢- نحن نشترط أن لا يزيد الفرق عن ٣٪ من السعر النقدي لمدة شهر، فالورقة التي سعرها النقدي (١٢٥) ألف دينار لا تُباع بفرق يزيد عن (٣,٧٥٠) آلاف دينار شهرياً، والوجه في الاشتراط هو حفظ التوازن في السوق، وحماية المشتري من الفرق المجحف الذي يؤدي به إلى العجز عن التسديد وبيع ممتلكاته أو تعرضه للعقوبات القانونية أو الهرب خارج البلاد كما تشهد به الوقائع الكثيرة.

فالتحديد ضروري لتطبيق قوله تعالى (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ) (الحشر/٧) أي أنّ هذه الإجراءات لمنع احتكار المال بيد فئة معيّنة قليلة تسيطر على التعاملات المالية، أما الأكثر فيكونون ضحيّة.

وكان السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) قد حدّد سقفها الأعلى ٥٪ وأبقينا مقلّديه عليها، لأنّه كان يرى ذلك مناسباً، أما نحن فنراها كثيرة في ظل الواقع الاقتصادي الذي نعيشه.

٣- لا يجوز لهما تمديد المدة تلقائياً وأخذ فرق جديد عن تمديد المدة لعدم المسوّغ شرعاً لأخذ هذه الزيادة، بل على المدين تدبير المبلغ عند حلول الأجل وتسليمه إلى الدائن ثمّ يجدّد المعاملة بالفرق المذكور.

٤- لا مانع من إجراء العقد لمدّة أكثر من شهر بشرط أن لا يزيد السقف الأعلى للفرق بين السعر النقدي والآجل عمّا ذكرناه.

٥- يتّضح ممّا تقدّم أن هذه الفتوى اكتسبت صفة الحكم لأحد العناوين الملزمة كولاية الفقيه أو دفع الضرر العام أو حفظ النظام الاجتماعي العام ونحوها، فتكون ملزمة للجميع بغضّ النظر عن مرجع التقليد.

وأذكّر الجميع بالكارثة العامّة التي كادت تحلّ بالمجتمع العراقي قبل عدّة سنوات حينما انتشرت بشكل مريب شركات التسويق الشبكي وخدعت الكثيرين فدفعوا إليها أموالاً طائلة تسرّبت إلى خارج العراق، وأفتى بعض المراجع بجواز التعامل معها وسكت الآخرون باعتبار عدم الإشكال على وفق قواعد الاستنباط الفقهي المعمول بها، وتصدّينا بقوّة لمواجهتها ووضّحنا المفاسد الكبيرة في عملها، وحشّدنا لذلك إعلامياً وسياسياً فتحقّق رأي ضاغط ضدّها، وحاولت تلك الشركات الاستمرار بعملها بنشر فتوى البعض بالجواز وأرسلوا معتمديهم لإقناعنا بعدم وجود تلك المخاوف، لكنّنا انتصرنا عليهم وكفى الله الناس شرّهم، ثمّ استبانت بعد ذلك للناس مصائبهم وحاول أصحاب الأموال بشتّى استنقاذ أموالهم فلم يستطيعوا.

فليتعظ الجميع وليأخذ الدرس سواء كانوا يرجعون إلينا بالتقليد أو إلى غيرنا.

٦- من باع بالنسبة التي كان مأذوناً بها سابقاً وهي ٥٪ فلا شيء عليه ومن باع بأزيد من ذلك وكان أخذ الزيادة برضا المشتري بالآجل فلا شيء عليه أيضاً، وعليهم من الآن فصاعداً الالتزام بالنسب الجديدة.

وفي الختام أحبّ التعرض لإشكال أثاره البعض بأنّ هذا التحديد سوف يتضرّر منه الذين يلتزمون به في حين يكون غير الملتزم حرّاً في تحقيق ما يشاء من الأرباح، وليس في ذلك مصلحة للمؤمنين الملتزمين.

وجوابه أن هذا الإشكال لو صحّ فإنه يرد على كل المكاسب المحرّمة، وليطمئن الملتزم بالحكم الشرعي أنّه هو الرابح، أمّا في الآخرة فهذا واضح، وأمّا في الدنيا لأنّ كسبه سيكون حلالاً طيّباً، كما أنّ زبائنه سيكثرون لقلّة النسبة التي يطلبها، وحينئذٍ سيعوّض بكثرة الزبائن عن النقص في النسبة الّتي حدّدناها، قال تعالى (وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (القصص/٥٧)، وقال تعالى (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (الطلاق/٢-٣).

محمد اليعقوبي
١٢/ع٢/١٤٣٤
٢٣ / ٢/ ٢٠١٣

مسائل مستحدثة في الحج لهذا العام[1]

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كما تعلمون أنّ موسم الحجّ الحالي لعام ١٤٣٤ هـ محفوف ببعض الصعوبات نتيجة لأعمال التوسعة الجديدة في مكة بل وفي داخل المسجد الحرام من بناء جسر حديث للطواف حول الكعبة داخل المطاف وأعمال أخرى قد تعيق حركة الحجّاج

(١) نشر في العدد (١٣١) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ١٩ ذ.ق ١٤٣٤ المصادف ٢٦ أيلول ٢٠١٣.

لذا فقد شخّصنا بعض المسائل التي نتوقّع أن تكون ابتلائية لعموم الحجّاج في هذا الموسم.

راجين من سماحتكم بيان أحكامها كي نوصلها إلى مقلّديكم وإلى عموم الحجّاج في الديار المقدّسة.

س ١: هل يجوز الطواف اختياراً حول البيت الحرام على الجسر الذي أنشأ حديثاً داخل المطاف؟

بسمه تعالى

الأحوط للمختار القادر أن يطوف في الطابق الأرضي ليصدق عليه تمام عنوان الطواف.

س٢: هناك بعض كبار السن من الحجّاج يُطاف بهم بعربات متحرّكة ولكن قد يُمنعون من الطواف في الطابق الأرضي لذا ينحصر أمرهم بين الطواف في الطابق الجديد (الجسر) وبين الاستنابة عنهم في الطواف فما هو التكليف الفعلي المتعيّن حينئذٍ؟

بسمه تعالى

في الحالة المفروضة يجزئهم الطواف بالعربة على المطاف المجسّر لأنه المتيسّر ولإحتمال صدق الطواف هناك بحسب الظاهر ويحسن ضم الاستنابة في الطابق الأرضي وتبقى قضية صلاة ركعتي الطواف التي تكون عند مقام إبراهيم (عليه السلام) فلابد من الإتيان بها من دون فاصل معتد به عن الطواف.

س٣: لمكان وجود أعمال وتوسعة داخل المسجد الحرام يتوقّع أن يكون المطاف مزدحماً جداً وقد يتضرر الحاج من التدافع والتزاحم أثناء أداء طواف الحج بل وطواف النساء كذلك، فهل يرخص لهم تقديم أعمال مكة (طواف الحج وصلاته والسعي وطواف النساء وصلاته) عن الوقوف في عرفات أم هناك حل آخر.

بسمه تعالى

يجوز تقديم طواف الحج قبل الخروج إلى عرفات لمن يخشى الضرر من شدّة الازدحام بعد أعمال يوم العاشر، أمّا طواف النساء فإنّ في وقته بعد يوم العاشر سعة لذا فإنّ الرخصة في تقديمه خاصة لمن يوجد عنده مانع من أدائه في الوقت المقرّر كالحائض التي يمتد عذرها إلى حين رحيل القافلة أو الشخص الذي يوجد عنده مانع من العودة إلى مكّة بعد منى لخوف ونحوه.

س٤: لنفس الأسباب أعلاه لو ضاق الفضاء الذي يؤدى به صلاة الطواف (خلف مقام ابراهيم (عليه السلام)) بحيث لا يستطيع الحاج أن يحافظ على الموالاة العرفية فهل يجوز له الصلاة خارج هذا الفضاء أم عليه الانتظار لتحصيل المكان المناسب وإن فاتت الموالاة العرفية؟

بسمه تعالى

يراعى الحدّين معاً – أي الموالاة وكون الصلاة عند مقام إبراهيم (عليه السلام)- ويصلي، فيتوسع في مكان الصلاة يميناً وشمالاً عن الخط النازل من مقام إبراهيم (عليه السلام) لكن لا يصل إلى حدّ القطع بالخروج عن صدق العنوان ويتوسّع في مقدار الموالاة بعد الطواف للضرورة بحيث لا يصل إلى درجة القطع بعدم الموالاة، وهذه المعاني وجدانية وعرفية وليس لها حد دقيق.

س٥: يبدو أن الجسر الحديث الذي أنشأ داخل المطاف للطواف عليه يتركز على أعمدة حديدية عريضة نوعاً ما فهل يجوز الطواف خلف هذه الأعمدة بحيث تكون هي داخل المطاف أم يضرّ ذلك بصحة الطواف؟

بسمه تعالى

لا يضرّ وجودها بحركة الطائفين لأنّها ليست بدرجة تجعل حركة الطائف خارج المطاف، ولا شكّ أن الطواف بينها وبين الكعبة أفضل.

استفتاء حول سب الرموز الدينية للإخوة من أهل السنة[١]

بسمه تعالى

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (أدام الله ظلكم)

شيخنا الجليل خرج ليلة استشهاد الإمام محمد الجواد (عليه السلام) مجموعة من الشباب في مدينة الأعظمية ببغداد وهم يسبون الرموز الدينية لإخواننا من أهل السنة، وقد نشروا مقطعاً مصوّراً للحادثة على مواقع التواصل الاجتماعي.

فما هو رأي سماحتكم في ذلك وبماذا تنصحون الأمة الإسلامية؟

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذه حماقة وفعل جاهلي لا يمتُّ بصلة إلى تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) وستكشف الحقائق والوثائق أن هذه الأفعال وبعض المنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي التي تصدر من طائفتَي المسلمين من تدبير بعض الذين يستهدفون مكاسب[٢] سياسية أو تصفية حسابات مع بعض الخصوم وهم يُؤجّجونها ويحرضون عليها ويدفعون إليها ومن ورائهم أجندات خارجية لا تريد الخير للعراق والعراقيين ولا للإسلام والتشيّع والتسنّن خيرا وإن غلّفت أفعالها ببعض العناوين المقدّسة.

---

(١) نشر في العدد (١٣٢) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم السبت ١٣ ذ.ح ١٤٣٤ المصادف ١٩ ت١ ٢٠١٣.

(٢) نحتفظ باسم الجهة وما كانت تخطط له.

فلتنتبه جميع طوائف المسلمين إلى هذه الفتن المظلمة وقد نبّهنا إليها منذ مدة في خطاب (المخططات الشيطانية التي أُعدَّت للمنطقة) وحذَّرنا الشعوب منها.

محمد اليعقوبي
٧/ذي الحجة/١٤٣٤

الفقيه القرآني[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي دامت بركاته، نرجو من سماحتكم بيان منهجكم القرآني في استنباط الحكم الشرعي والعقائدي هل له الحظ الأوفر في طرحكم الفكري أم أن القرآن يدور في باب التعارض فقط وما رأيكم في سبب تراجع اغلب فقهائنا في تقديم القرآن على روايات أهل البيت عليهم السلام وإذا أمكن إرجاعنا إلى أي مصدر من مصادركم لفهم القضية بالتفصيل ولكم جزيل الشكر والامتنان

بسمه تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يعتمد سماحة المرجع (دام ظله) القرآن الكريم كمصدر أول في كل المعارف والعلوم الدينية وقد دعا إلى ذلك في وقت مبكر قبل حوالي ٣٠ عاماً وعرض أفكاره ومشاريعه في هذا المجال على السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وعلّق عليها وهي منشورة في كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه) تحت عنوان (دليل سلوك المؤمن) و (الجاهلية الحديثة وأسلوب مواجهتها) ودعا سماحته إلى أن يكون الفقيه قرآنياً في كتاب (شكوى القرآن).

ولاحظ كمثال على اعتماد القرآن في الاستدلال الفقهي بسلسلة محاضرات البحث الخارج في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد عرضت على شاشة قناة النعيم .

٣/ ذ.ح/١٤٣٤

---

(١) نشر في العدد (١٣٢) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم السبت ١٣ ذ.ح ١٤٣٤ المصادف ١٩ ت١ ٢٠١٣.

لا يجوز للآباء التجسس على أجهزة أبنائهم[1]

قال سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) انه لا يجوز للآباء والأمهات وسائر أولياء الأمور التجسس على الاجهزة الخاصة لأولادهم وبناتهم كالهواتف المحمولة او الحاسوب أو الآيباد ونحوها بحجة متابعتهم وحمايتهم من الوقوع في المعاصي، خصوصاً إذا علم الأبناء بأن آبائهم يتجسسون على أجهزتهم سراً.

وعلّل سماحته ذلك بأن التجسس من المحرمات قال تعالى (وَلَا تَجَسَّسُوا) الحجرات١٢، وان الهدف قد يكون صحيحاً ولكن الوسيلة يجب أن تكون مشروعة أيضاً و(الغاية لا تبرر الوسيلة) إذا كان غير مشروعة ،وان الأب والأم قد يكتشفان خطأ في تصرف ابنائهم بهذا التجسس ويعالجانه ،إلا انهم بذلك يخسرون ثقة ابنائهم ويفقدون الصراحة والشفافية بينهم ،وهذه مرحلة خطيرة من العلاقة بين الوالدين واولادهم.

فالصحيح متابعة الابناء بحذر وفطنة ومن دون التجاوز على حرياتهم الشخصية.

ولم يغفل سماحته عن توجيه الابناء الى عدم ارتكاب ما يقلق الوالدين ويدعوهم الى الريبة والشك كإقفال باب الغرفة عليهم او التكتم على بعض الأمور ونحو ذلك مما يسبّب التوجس والشك فيدفع الوالدين الى اتخاذ الاجراءات الاحترازية.

---

(١) نشر في العدد (١٣٧) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ١٣ ربيع الثاني ١٤٣٤ المصادف ١٣ شباط ٢٠١٤.

ونفس الحكم يجري على الزوجين فلا يحق لأي منهما التفتيش في حاجيات الآخر لاحتمالات وشكوك يتوهمها كل طرف باتجاه الآخر ،لأنه يؤدي كما قلنا الى فقدان الثقة والصراحة والشفافية.

الشخصية المعنوية للدولة وحرمة الأموال العامة[1]

سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أما بعد فهذه مجموعة من الأسئلة تخص بحثنا في مسألة المعاملات المصرفية نرجو من سماحتكم إجابتها ليتم بها البحث .

س١: ما المقصود من الشخصية المعنوية او الحقوقية للمؤسسات التابعة للدولة ؟

وهنا يأتي السؤال هل الدولة مالكة لما يقع بيدها أو لا؟

وقمنا بتحليل هذا السؤال إلى ثلاث أسئلة كما فعل السيد الصدر الأول (قده) في مجلس بحثه الشريف وهي ؟

س٢: هل الشخصية المعنوية تملك ؟

س٣: هل الشخصية المعنوية لها ذمة ؟

س٤: هل الشخصية المعنوية لها الحق بالتصرف أو لا يحق لها إلا بأذن الولي العام أو من نصبه؟

بسمه تعالى

نوضح الأجوبة في نقاط فنقول والله المستعان :

---

(١) نشر في العدد (١٣٩) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الأحد ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٥ المصادف ٢٠ نيسان ٢٠١٤.

١- المراد من الشخصية المعنوية ما يقابل الشخصية العينية المتجسدة خارجا بالشخص المعلوم، أما المعنوية فهي جهة أو كيان أو تنظيم أو مؤسسة فوجودها معنوي أو اعتباري أي ليس لها واقع في الخارج وإنما وجودها في اعتبار العقلاء ويتقوّم بعنوانها لا بأشخاصها الذين يمكن أن يتبدلوا ويبقى العنوان بخلاف الشخص فإنه إذا مات انعدم وجوده وتملكه ونحو ذلك .

٢- يجب التفريق بين الحكومة والدولة، فالحكومة هم الأشخاص الذين يديرون شؤون الدولة من رئيس الوزراء والوزراء ورؤساء الهيئات ونحو ذلك ويعيّنون بحسب النظام السياسي المتّبع في الدولة، وهؤلاء يُغيَّرون ويتبدلون بانتخابات أو انقلاب أو عزل ونحو ذلك، أما الدولة فهي مجموعة المؤسسات التي تحفظ مصالح البلد والشعب كالوزارات والهيئات والدواوين والأجهزة، وهذه المؤسسات باقية لا تندثر بتغيّر الحكومات، وتتعرض للتعديلات والتوسعة والتحسين بحسب تطوّر الحاجة.

٣- الشخصية المعنوية والجهة تملك كالكعبة فإنها تملك ما يهدى إليها، وكذا المؤسسة فإنها تملك ما يعود إليها من ممتلكات خاصة، أما الأموال العامة والثروات الطبيعية فهي ملك الشعب عامة على حد سواء على أساس المواطنة فقط من دون دخل للجنس أو القومية أو الدين أو الطائفة أو العرق ونحو ذلك.

فالدولة لا تملك هذه الأموال العامة وإنما الشعب الموجود منه الآن ومن سيوجد لاحقاً، لكن للدولة الممثلة بالحكومة حق التصرف فيما تحت يدها وفق الصلاحيات التي خولها الشعب لها ووفق قوانين يسنّها ممثلو الشعب على أن تكون هذه القوانين في مصلحة الشعب والدولة لذا اشترطنا أن تكون هذه القوانين والتصرفات ممضاة من قبل المرجعية الدينية الجامعة لشروط ولاية أمر الأمة والنظر

في شؤونها باعتبارها نائبة بالنيابة العامة عن الإمام المعصوم (عليه السلام) الذي هو ولي كل الأمور العامة .

والإطار العام للتصرفات المأذون بها شرعاً في الأموال العامة ومؤسسات الدولة هو ما يندرج في حفظ النظام الاجتماعي العام ورعاية مصالح البلاد والعباد وازدهارها وكرامتها وبذلك تحصل الحكومة على المسوّغ القانوني والشرعي للتصرف في شؤون الدولة.

ولذا فأن الفساد المالي وهدر المال العام والعبث به والتصرف فيه خارج هذا الإذن من المحرمات الشرعية مضافا إلى كونه من المخالفات القانونية، وإن اي قانون خارج هذا الإطار العام يكون باطلاً حتى لو سنّه البرلمان – انطلاقاً من مصالحه الشخصية والفئوية من دون مراعاة لمصالح الشعب والبلاد- لأنه غير ممضى شرعاً وغير حائز على موافقة المرجعية الدينية الراعية لحقوق الناس وحفظ مصالحهم .

٤- وللشخصية المعنوية ذمة يجب على القائمين عليها الالتزام بها فالحكومات قد تتغير لكن كل حكومة ملزَمة بالتزامات الدولة التي اشتغلت ذمتها بها عبر الحكومات المتعاقبة وكذلك المرجعية لو تحولّت إلى مؤسسة وكذا البنوك وغيرها .

٥- مادامت الشخصية المعنوية لا وجود لها في الخارج فإنها لا تملك مقومات التصرف لأنها عنوان اعتباري مجعول وإنما حق التصرفات لممثل تلك الجهة أو رئيسها أو مؤسسها أو صاحبها أو القائمين على إدارة شؤونها وهكذا، وهؤلاء يُحددّون وفق النظام الداخلي الذي أُسّس بموجبه الكيان.

هذا في غير المؤسسات العامة التي سُخّرت لخدمة البلاد والعباد التي أمرها موكول الى الشعب مشروطاً بإمضاء المرجع الديني الجامع لشروط النيابة عن المعصوم (عليه السلام) كما سبق وهو يعطي الإذن لكل ما يحقق الأهداف المذكورة أعلاه، وهذا الحق اكتسبه الفقيه الجامع للشرائط، لأنه أولى الناس بالناس لعلمه الغزير

بـالقوانين الإلهيـة حتـى بلـغ درجـة الاجتهـاد، ولنزاهتـه وسمُـوّ مؤهلاتـه الذاتيـة و خبرته في شؤون الناس ورعايتهم وبذل الوسع في مداراتهم وحفظ مصالحهم .

مع دعائنا لكم بالتوفيق والرفعة.

محمد اليعقوبي

٢٣-ع٢-١٤٣٥

٢٠١٤-٢-٢٣

حديث الروح [١]

سموتَ بالمجدِ لا يحصي ثناكَ فمُ ... وفي رحابكَ يجثو الطيب والكرمُ

ومن ملامح وجهٍ باسمٍ بشرٍ ... تشجو القلوب فيبدي شجوها القلمُ

تخاطب الروح تغذوها تواصلها ... عبر النعيم فسادت بالورى القيمُ

فأنتجت خير ما يرجو الكرام لها ... من الدروس فعاد الخير ينتظمُ

هذي الجموع أتتكَ اليوم زائرةً ... يحدو بها الشوق والآمال والهممُ

فرعٌ لجماعةٍ في الخور يقدمهم ... سليلُ طه فذاك الصادقُ الفهمُ

ترجو الدعاء لتوفيقٍ وتوصيةٍ ... بها تنور قلب الطالب الكلمُ

عذراً عن الشحّ يا شيخي ويا أملي ... فقد تعثّر في أوصافك القلمُ

---

(١) أبيات في البرنامج التلفزيوني اليومي (حديث الروح) الذي تعرض فيه قناة النعيم الفضائية خطابات وأحاديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) وهي لفضيلة الشيخ ضياء الحساني أحد أساتذة جامعة الصدر الدينية فرع خور الزبير في البصرة، أنشدها أمام سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) عند استقباله لوفد الجامعة يوم ٢٥/ع١/١٤٣٤المصادف ٢٠١٣/٢/٦. ونشرت في العدد (١٢٤) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الجمعة ١٨ ربيع الثاني ١٤٣٤ المصادف ١ آذار ٢٠١٣.

واستجمدت كلماتي كلها فعيا بها اللسان فمنك العذر يُستلمُ

من فكرك الأجيالُ تزدهرُ[1]

وضّاءُ من فكركَ الأجيالُ تزدهرُ يا صادقَ القولِ في تعليمهِ العبرُ
يا باذلَ العلمِ للطلّابِ تنشرهُ والقومُ حولكَ مذهولون إذ نظروا
نوراً تنالُ به اللّذات شاكرةً هذي النفوسُ إذا ما شابها الكدرُ
نورٌ من الله لا تخفى عجائبُهُ إلاّ على مستبدٍّ فاتهُ البصرُ
يا بلسمَ الجُرح إنّ عيَّ الطبيبُ به وقولك الصدقُ إذ يحلو به السمرُ
يا دافعَ السوء بالحُسنى تقابلهُ يا طودَ صبرٍ إذا حُسّاده كثروا
يا قلعةَ الفخرِ يا عنوانَ مكرُمةٍ يا مركبَ المجدِ مَن ساروا به عبروا
نحوَ المكارم ليس البرقُ يسبقهُم فوقَ السّحائبِ مشّاؤونَ إن صبروا
ربّاك فحلٌ له الأخلاقُ عامرةٌ محمدُ الصدرُ ما أبقي؟ وما أذرُ؟
قد كان من معشرٍ طابت سريرتهمْ بغيرِ لذّةِ حُبِّ اللهِ ما سكروا

---

(١) أبيات للأديب المهندس (جبّار عبد العالي الخفاجي) قالها مخاطباً سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) وقد أنشدها بمحضر جمع من الوفود التي زارت سماحته يوم الخميس ٩/ج١/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٣/٢١. ونشرت في العدد (١٢٥) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الثلاثاء ٢١ ج١ ١٤٣٤ المصادف ٢ نيسان٢٠١٣.

لم يـبقني اللهُ إن فارقـتُ نهجكـمُ ... هـو الأمـانُ إذا مـا أحـدقَ الخطـرُ
نهـجٌ بـه بلـغ الأحـرارُ منيـتهم ... منه العُطاشى بعذب الرّيِ قد صَدروا
يُحيي القلـوبَ مـن الأدرانِ يغسـلها ... كـالأرضِ تـورقُ أحيـا مَيتَهـا المطـرُ
برهانهُ ساطعٌ كالشمسِ حينَ علت ... كبـدَ السـماء بحـرِّ الصّـيفِ تسـتعرُ
أبشـر بسـعيكَ سـعياً قـد سمـوتَ بـه ... فـدونك السّـاطعات الأنجـمُ الزهـرُ
واستشرفِ النصرَ إنّ النصرَ مُرتقبٌ ... حتمـاً سـيُظهرُ أمـرَ الله مُنتظـرُ
بنـورِ وجـه إمـام العصـر مُشـرقةً ... تغـدو الـبلادُ ومنـهُ يخجـلُ القمـرُ
وما أقول؟ وما قدري؟ وما خطري؟ ... وذلـكَ النـورُ عنـهُ تنبـئُ السُّـوَرُ

سل كراماً [1]

سل كراماً وُسّدوا أرضَ الطفوف ما دعاهم جابهوا تلك الحتوف

❖ ❖ ❖

هم أباة الضَيم أحباب السماء أولياء اللهِ نعمَ الأولياء

رفضوا ظلم الطغاةِ الطلقاء شرٌّ خلقِ الله بئس الأدعياء

من على الإسلام قد سلّوا السيوف

يا بني الزهراء يا أهل الوفاء هذه حوزتكم فيض الرجاء

شادها أرباب علمٍ أتقياء صدرها الماضي بركب الشهداء

ثم يعقوبيُّها الفذُّ الشريف

حوزة الصدر مهاد الارتقاء للعلا أسسها صدر الاباء

انها مفتاح عزٍ وولاء لأولي الأمرِ واصحاب الكساء

تبتغي العلمَ وتوحيد الصفوف

---

(١) انشودة مواكب الوعي الفاطمي لطلبة الجامعات والمعاهد العراقية المشاركين في الزيارة الفاطمية لعام ٢٠١٣/١٤٣٤ نظمها فضيلة المقرء الأديب الشيخ علي البرهان. ونشرت في العدد (١٢٦) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الأربعاء ٦ ج٢ ١٤٣٤ المصادف ١٧ نيسان ٢٠١٣.

زعماءَ الناسِ يا أهل الكساء خصّ مولاكم بركبِ السعداء

هذه أمُّ أبيها بالبلاء كابدت دنيا تجلّت بالفناء

وهي مرضيةُ رحمنٍ رؤوف

لرضاها الله يرضى لا مراء هي سرّ اللهِ أمّ النجباء

إنّها الزهراءُ نورٌ وضياء فهي للمؤمنِ من نارٍ وقاء

فطمت أحبابها كلّ مخوف

إنّ في القرآنِ إرث الأنبياء ثابتٌ ليس به أدنى خفاء

فلتةٌ أخرى فزادت بالجفاء وسبيلٌ من نصيب الأثرياء

فدكٌ للآلِ رفد ورغيف

خطبة الزهراءِ لا شكّ نداء حجةٌ تلزمُ كلّ السفهاء

إنّ من لا يرعوي للحقّ باء بضلالٍ وامتهانٍ ووباء

خطبةُ الزهراءِ إمضاءٌ حصيف

إنّ طه شادَ مجداً للعلاء عند محو الجورِ في دنيا الشقاء

بعليٍ قام دينُ الأصفياء غصنُ زيتونٍ وسيفٌ وعطاء

مبدءٌ قد زانه الفعلُ العفـيف

حســنٌ ثــمّ حســينٌ في النقــاء عرفــا وهــو ســبيل الأوفيــاء

فهمــا الســبطانِ أهــلٌ للفــداء وفيــا حقــاً فكانــا الأمنــاء

لهما عن زهرة الدنيا عزوف

تســعةٌ بعــد حســينٍ علمــاء قـد حبـاهم ربّهـم حسـن الثنـاء

هـم أولـو العصـمة أرضـاً وسمـاء علمهــم مبعــث نــورٍ وســناء

فهم الطودُ ومرقاهم منــيف

سـورةُ الكـوثر مـن غـير امـتراء خصّـت الزهـراءَ في أجلـى بهـاء

ولهــا في آيــة البهــل ثنــاء عنـدما جـاء بهـا ذكـر النسـاء

وهي في التطهيرِ إذكارٌ طريف

بضــعةُ الهــادي زهــورٌ ورُواء عمرهـا كـالزهرِ في القصـر سـواء

صــبحها الزاهــرُ غطّــاهُ المســاء وهـي لم تبلـغ حـدودَ الإسـتواء

دخلت شرخ صباها في الخريف

حـبّ أهـل البيـت للقلـب شـفاء لأولـي الإيمـانِ مـن سـبعين داء

وهـو يـومَ الفصـلِ أمـنٌ ونجـاء تلــك بشــرى لمحــت الشــفعاء

من له قـلـبٌ بلقـياهم شـغوف

ســل كراماً قُتّلــوا في كــربلاء يـوم عاشـوراءَ ظمـأى دون مـاء

وبقيعــاً ضــمّ مثــوى العظمــاء وغريّــاً لحكــيم الحكمــاء

ذاك من للمصطفى الهادي رديف

سـل كراماً كيـف ضـحّوا نـبلاء سُــفكت مــنهم دمــاءٌ ودمــاء

ســل أعــاديهم جفــاةَ الــدهماء كيــف للشــيطانِ كــانوا أوليــاء

حيث في النارِ لهم مثوى سخيف

تواريخ [1]:

القصائد المؤرّخة التي أنشدها فضيلة الشيخ حميد مجيد الزركاني في مجلس سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه الشريف بمناسبة تولي سماحته عمادة جامعة الصدر الدينية سنة ١٤١٩ وإعلان سماحته لاجتهاده بعد سقوط الصنم في حضرة الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) سنة ١٤٢٤هـ وذلك في يوم الثلاثاء ١٧ ذ.ق ١٤٣٤هـ المصادف ٢٠١٣/٩/٢٤.

بك رقى عمادة الجامعة

في صَفَرِ الخير أُديلت إلى ... مُحمدٍ عمادةُ الجامعة
وأُعطيتْ له زمامُ الأمور ... مِن سيدٍ ذي غرّةٍ طالعة
فَصانها تالله من يَومه ... حقيقةُ ذا القول لا شائعة
قد ارتقتْ حتى علا صَرحُها ... مُطاولاً أنجمها اللاّمعة
جامعةُ قد رقتْ أرخ (لها ... بكَ رُقى عمادةُ الجامعة)

١٤١٩ هـ

عميدها أنت يا نعم العميدُ

ويومٌ للعمادة كنتَ أهلاً ... أتَيتهُ قائداً قد جاء عيدُ
حرصتَ على عُلوم الآلِ فيه ... بقودُك للعلا رأيٌ سديدُ

(١) نشرت في العدد (١٣١) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ١٩ ذ.ق ١٤٣٤ ٢٦ أيلول ٢٠١٣.

فأعطـــاكَ الأمانـــة خـــيرُ صـــدرٍ فخُـــذها أيّهـــا الشـــيخُ المفيـــدُ
أأرخ (للحمـــى أم شـــاد مجـــدي عميـدُها أنـت يـا نعـمَ العميـدُ)

١٤١٩هـ

قد أعلن اليعقوبي الاجتهاد

حبـــاهُ ربُّ العـــرش في آيـــةٍ مـن علمـه الفيضـي نحـو السـدادْ
وأيَّـــدَ اللهُ لـــهُ ســـعَيهُ ببُلغـــةٍ كانـــتْ كمـــالَ المُـــرادْ
زيّنهـــا وزانهـــا شخصـــهُ كأنّهـــا زينـــةُ سَـــبعِ شـــدادْ
في حضـرة الإمـام موسـى دعـا وهـوَ بـن موسـى آيـةُ في الرشـادْ
ومـــن عطـــاء اللهُ أرخـــ(ت منـــه قـد أعلـن اليعقـوبي الإجتهـاد)

١٤٢٤هـ

جامعة الصدر الدينية [١]

أقام سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) احتفالاً في مكتبه الشريف يوم الأحد ٢٨/ذ.ح/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/١١/٣ لتكريم طلبة فروع جامعة الصدر في المحافظات المتفوّقين في الامتحان النهائي المركزي الذي أجري لهم في النجف الأشرف، وتضمن الاحتفال إلقاء فضيلة السيد علاء الموسوي -من خريجي جامعة الصدر- قصيدة رقيقة في حق هذه المؤسسة المنجبة، مطلعها:

هل بالطلول لِسائلٍ إصغاءُ؟ أم في جوانبها لهُ إغراءُ؟

وجاء فيها:

يممتُ كوفان الهوى لأزورها وأزور جامعةً بها نجباءُ

قد شادها للعلم عنوانُ التقى هي فرعُ جامعةِ لها أصداءُ

تلك التي قد نوّر (الصدرُ) اسمها إذ شادها فتبددت ظلماءُ

فبنى معالم للأصولِ وللتقى وأُعيدَ للدينِ الحنيفِ نَقاءُ

بدماهُ قد أحيا الذي رام العدا أن يطمسوه ومنه فيه جلاءُ

ربّى ليوثاً يستهاب قراعها يوم الطعان وهم له أبناءُ

صانوا مبادئهُ بموح لحاظهم للدين هم حراسهُ الأمناءُ

فأبوك إبراهيمُ أنعم منهُمُ مَنْ آل يعقوب له آباءُ

---

(١) نشرت في العدد (١٣٤) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الاثنين ٢٨ محرم ١٤٣٥ المصادف ٢ كانون الأول ٢٠١٣.

قـد جُـدِّدَت آمـال شـيعةِ أحمـدٍ ... لمـــا بـــدا في فكـــرهِ أحيـــاءُ
فبنـى الـذي قـد قوضـته معـاولُ الـ ... ـــأعداءِ والبعثيـــةُ الهُجنـــاءُ
كـم صـرحُ علـمٍ شـادهُ وبـه غـدت ... تلقـــى علـــومُ الـــدين والآراءُ
فأعذتـــهُ مـــن شـــرِ كـــل منابـــذٍ ... ومنـــافقٍ لـــه في العـــداء مـــراءُ
لـه قـد بعثـتُ فرائـداً مـن أحـرفٍ ... ســطرتها شــعراً بهــا الإهــداءُ
فـأنر بعلمـك شـيخنا هـذي الـدجى ... أربيـــبَ صـــدرٍ أهلـــه نجبـــاءُ
وأمـن بوصـل منـك فيـه مطـامعي ... وأجـز فـديتك مـا يقـول (عـلاءُ)
وأجـب فـؤاداً ذوب شـوقٍ جُلّـهُ ... إن كـــان في اللقيـــا لـــه أحيـــاءُ

رزء الخميس ونكبة الثُلثاء[1]

ضحكت جراحك فاستبدّ بكائي ... وجرت بفيض مدامعي ودمائي
وتقطّعت أوصال جسمك عافراً ... فتيممت بترابها أشلائي
وتصدعت أضلاع صدرك خُشَّعاً ... فجبرت كسر الشرعة السمحاء
ففتحت صدرك للسهام بطعنة ... فتمزقت بسهامهم أحشائي
وشهقت تلتذّ الممات بعزة ... وزفرت ترفض ذلة الأحياء
أخضاب حناء يلوح بشيةٍ ... في عارضيك أم اختضاب دماء

---

(١) قصيدة رائعة ألقاها فضيلة الأديب الواعي علي خصاف بحضور سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) وحشد من الزوار مخاطباً الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين ٢٠/صفر/١٤٣٥ المصادف ٢٠١٣/١٢/٢٤. ونشرت في العدد (١٣٦) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الاثنين ٤ ربيع الأول ١٤٣٥ المصادف ٦ كانون الثاني ٢٠١٤.

ويقصد من نكبة الثلاثاء ما حصل من اجتماع الحكومة يوم الثلاثاء (٢٩ محرم ١٤٣٥ المصادف ٢٠١٣/١٢/٣) من تمييع ومماطلة وتسويف لإقرار قانوني الأحوال الشخصية والقضاء الجعفريين، وكان ذلك (بمباركة) المرجعية العليا التي نقل رسالتها الى الحكومة ممثلها في كربلاء المقدسة حيث عبّر برسالته عن عدم رغبة المرجعية العليا بإقرار القانونين و(بمباركة) بعض الكتل السياسية التي تدّعي الانتساب للتشيع وتحمل لواء المرجعية! كل ذلك لرفض القانونين الذين يصححان الموقف الشرعي للشيعة في العراق من خلال التحاكم الى القانون الذي ينسجم ومعتقداتهم وحق الإسلام في قيادة الحياة.

وأطلق سماحة المرجع (دام ظله) نقده اللاذع عن تلك السقيفة! وأسماها برزية يوم الثلاثاء، تشبيهاً لها برزية يوم الخميس التي أقصت أهل البيت (عليهم السلام) عن قيادة الأمة وخلافة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله).

ورفعت طرفك للسماء بنظرة ... فاحمر وجه الكون باستحياءِ

ووقفت مكلوماً يكلم ربه ... رباه إن يرضيك هاك عطائي

إن كان ابنٌ للخليل فداءه ... فأنا وصحبي والعيال فدائي

فلتنحني لك هام املاك السما ... ولتنحني لك قامة العظماء

ولتكتحل حور الجنان وتختضب ... بتراب نعلك لا من الحنّاء

يا ذخر أجدادٍ إلى أحفادهم ... وذخيرة الآباء للأبناء

يا خير داعٍ للإله وناصرٍ ... يا خير مأمول وخير رجاءِ

يا خير مشفوعٍ به ومشفعٍ ... يا شافعاً لمعاشرِ الشفعاء

يا آخر الأنوار بعد محمد ... وعليٍّ والمسموم والزهراء

كم حاربتك منابر مأجورة ... كم آلمتك مواكب السفهاء

كم قاتلتك بجهلها ونفاقها ... وبما ادعته شعائراً بغباء

واستصغروك وأنت طودٌ شامخٌ ... لا عيب في المرئي بل في الرائي

واستظهروك بمظهر حاشاكه ... يا مظهر الملكوت والعلياء

جهلٌ نفاق واكتساب منافع ... بطرٌ رياءٌ مبلغ البلهاء

فأراك تُشتم في رحابِ مجالس ... وينال منك بمجلس وعزاءِ

وأرك مذبوحاً بسيف جهالةٍ ... وعمالةٍ وحثالةٍ أمراء

قد لامني بعض الكرام تخوفوا ... بغض اللئام ولوثة الرعناء

أنـا لم أخـف في الله لومـة لائـم ... لا كيـد بـاغٍ لا عظـيم بـلاء
أنـا للحسـين نعالـه وترابـه ... أنـا للشـعائر حـارس وفـدائي
لـيس التفـاخر بارتقـاء منـابرٍ ... كـم يلعـن القـرآن مـن قـرّاءِ
إن التفـاخر بافتـداء شـريعةٍ ... غـراء لا أنشـودةٍ وبكـاء
أنـا قبـل أن ترقـوا منـابر فتنـةٍ ... أرقـى منـابر دعـوةٍ وولاءِ
أرقـى مجاهـدة ولـيس تكسـباً ... زمـن الشـدائد لا زمـانَ رخـاءِ
إن صـرت تـدعو للحسـين فـدعوتي ... أو صـرت تحـدوا فالحـداء حـدائي
أشـكو لمدرسـة الخطابـة خطبهـا ... وخطابهـا وخطيبهـا الخطـاءِ
سـكتت بنطقـك ألسـن الفصـحاءِ ... وهـذت بصـمتك السـن اللكنـاءِ
قـد حرفـت دور المنـابر تبتغـي ... درَّ المنـابر مـا ارعـوت لحيـاءِ
وتراقصـت فـوق الضـمائر تـدعي ... حفـظ الشـعائر يـا لـه مـن داءِ
إن الشـعائر عَـبرةٌ بـل عِـبرةٌ ... ليسـت خـواراً لا ولا برُغـاءِ
ليسـت بأغنيـةٍ ولا هـي مـرقصٌ ... هـي منسـك العبـاد والعرفـاءِ
ليسـت مسـيراً خاليـاً مـن حكمـةً ... هـي ثـورة الأحـرار والأمنـاءِ
ليسـت لمعتـوه ولا لمخـرِّفٍ ... هـي مسـلك الحكمـاء والعقـلاء
أهـل المنـابر والشـعائر مـا لكـم ... أمـوات أنـتم أم مـن الأحيـاءِ
هـلا خـدمتم ديـنكم بمنـابرٍ ... أم أوقفـت لشـتيمة العلمـاءِ

أيــن انتصــاركم لــدين محمــدٍ ... ولفقــه جعفرنــا أبــي الفقهــاءِ
أو تفزعــون لكــل أمــرٍ تافــهٍ ... وتهوّمــــون لأعظــــمِ الأرزاءِ
إيــهٍ أبــا الأحــرار هــل مــن زائــرٍ ... حــرّ لــيعلن موقــف النــبلاءِ
مــا بــال جعفــر يرفضــون قضــاءهُ ... ويحكّمــــون محــــاكم اللقطــــاءِ
مــا عيبــه كــي يُســتهان بفقهــه ... ويقدّســــون شــــريعةِ الطلقــــاءِ
وقــد اصــطلى قلــب الإمــام بخنجــرٍ ... علمــــاء ســــوءٍ ساســــة لعنــــاءِ
أهــل العــراق إلى متــى وإلى متــى ... ينــأى بكــم جهــلٌ عــن الصــلحاءِ
تــــذرونهم وتقبّلــــون أياديــــاً ... لعمــــائم الأهــــواء والإغــــواءِ
ســهمان قــد غــرزا بقلــب محمــدٍ ... رزء الخمــــيس ونكبــــة الثلثــــاءِ
ألأنّ كــفّ الشــيخ كانــت خلفــه ... أم للفضــــيلة مقصــــد الإقصــــاءِ
إن كــان دفنــاً للــولي فــدونكم ... تــأريخ أهــل البيــت لــيس بنــائي
لــن تطفئــوا نــور الإلــه بوحيــه ... لــن تظفــروا بســراجه الوضّــاءِ
أو كــان ســلباً للفضــيلة حقّهــا ... فهــو التــآمر مــنهج العمــلاءِ
إن كان ملك الري نصب عيونكم ... فجميــع مــا دون الحُســين ورائــي
جسـداً قُتلـت أبـا الإبـاء بكـربلاء ... روحــاً قتلــت بمجلــس الــوزراءِ
ابــن المســيح أقــرّه وأجــازهُ ... وكــذا تكــون طبــائع الشــرفاءِ

أقبل السّــعدُ[1]

أقبل السّعدُ فاغربي يا نحوسُ ... فرّ جيش الدّجى ولاحت شموسُ
هتف الفجر بالحياة أطلّي ... يوم أقبلتَ فالحياةُ عروسُ
وتناهى صوتٌ رخيمٌ، جميلٌ ... في الأعالي، وقد أُديرت كؤوسُ
هو صوتُ الولدانِ والحورِ جمعاً ... طاب صوتاً وطاب فيه الجليسُ
قد أتى منقذٌ، عظيمٌ كريمٌ ... راحمٌ واصلٌ وبرٌّ أنيسُ
وهي كأسُ الأفراحِ لا غولَ فيها ... لم يدنّس رحيقها ابليسُ
وعلى الأرضِ آيةٌ تلو أخرى ... قد دنت ساعةٌ وأمرٌ شموسُ
كيف هذا الإيوانُ صار خراباً ... وخبت نارُهم، وخاب المجوسُ
واختفى لليهودِ، دورٌ وصوتٌ ... كيف يبقَى صوتٌ لهم أو حسيسُ

❖ ❖ ❖

جئتَ والعالمُ الشقيُّ شقيٌّ ... بالنواميس، والحروب ضروسُ
(داحسٌ) تارةً، تدور سجالاً ... (وفجارٌ) ومثل ذاك البسوسُ
جئت للناس، منهُمُ كلُّ فردٍ ... آثمٌ، مشركٌ، شقيٌّ تعيسُ
كلُّ ما يزدهيه صَيدٌ لضَبٍّ ... أو جرادٍ، أو كيف خبَّ العيسُ
جئتَ للناس، والنفوس أُذلّتْ ... وقلوبٌ موتى، وروحٌ يؤوسُ

---

(١) قصيدة انشدها جناب السيد اسد الله الحسيني حفيد المرحوم اية الله السيد مسلم الحلي بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف يوم ٢٠ ع١-١٤٣٥المصادف ٢٢-١-٢٠١٤. ونشرت في العدد (١٣٧) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الخميس ١٣ ربيع الثاني ١٤٣٥ المصادف ١٣ شباط ٢٠١٤.

ربّ رمسٍ أحيا به الله قوماً وجسومٍ تسيرُ فيها الرُّموسُ
عالمٌ غارمٌ بوأدِ بناتٍ وعقولٍ، وذاك فكرٌ حبيسُ
غايةُ الشعرِ عندهم غزوُ جارٍ وبكاءٌ مُرٌّ، وطللٌ دروسُ
ولذيذ الألفاظ من كل فظّ سمج نافرٍ، مقولٌ بئيسُ
مثلما (الحيزبونُ والدردبيسُ والطُّخا والتّفاخ والعلطبيسُ)
عالمٌ بائسٌ، وفكرٌ غبيٌّ وعلى هذه سواها فقيسوا

❖ ❖ ❖

يا حبيباً، وجئتَ فجراً شفيعاً تسحقُ الفقرَ والظلامَ تدوسُ
جئت نهراً يبُلُّ جدْبَ الصّحارى ونهاراً، كلُّ المدى تقديسُ

❖ ❖ ❖

لم تكنْ والأيامُ حالاً فحالاً تتنضَّى لكلِّ حالٍ لبوسُ
أنت في الضِّيقِ كالرخاءِ بشوشٌ باسمٌ قانعٌ سواك العبوسُ
أنت في الزُّهدِ عالمٌ لا يُدانى جشبٌ مالحٌ، وثوبٌ دريسُ
هدّمتْ للبناءِ كفُّك ديناً ضاعَ فيه القياسُ والتقييسُ
قُلتَ إنّ الإسلامَ قلبٌ سليمٌ ولعمري ذاك الأساسُ الرئيسُ
ليس دينُ الإسلامِ محضَ طقوسٍ بل حياةٌ، وغايةٌ وطقوسُ
وصنعتَ الإنسانَ خلقاً جديداً مظهرٌ رائعٌ وفكرٌ نفيسُ
قُلتَ إن الإنسانَ كالمشطِ شأناً يتساوى الرئيسُ والمرؤوسُ
تعرفُ الفضلَ للكرامِ فتَجزي غايةُ الفضلِ أن يعافَ الخسيسُ

وأنا إن نسيتُ شيئاً فإنّي ... لستُ أنسى ما قد حوى الناموسُ
قلتَ في حقِّ حيدرٍ كلماتٍ ... نيّراتٍ وكلّهنّ شموسُ
قلتَ فيهِ وكان قولاً مبيناً ... ليسَ منهُ الموضوعُ والمدسوسُ
قلتَ فيهِ أنا مدينةُ علمٍ ... وعليٌّ ذا بابها القدّيسُ
قلتَ فيه: من كنت مولىً له هـ ... ذا عليٌّ مولىً له وأنيسُ
بعليٍ تمسّكوا، وبنيهِ ... وابنتي بعدُ حين يحمى الوطيسُ
لعن اللهُ من تخلّف عنهم ... فهو في الدهر عيشهُ محبوسُ
يا رسولَ المليكِ مُدَّ يداكَ ... لجراحِ العراقِ علَّ تجوسُ
وبفكرِ التسامحِ اسعَ بودٍّ ... وبنهجِ التقريبِ عقلي يسوسُ
ليس ما يدّعيهِ وهّاب حقّاً ... إنّما قول مثله تدليسُ
لا ولا كالعرعور قال صواباً ... فمهُ عاجزٌ شحيح خسيسُ
جعلوا الدين سلعةً في مزادٍ ... والكراسي مرادهم و الفلوسُ
وفتاوى من شيوخٍ حاقداتٍ ... وصمةٌ في سماها نحوسُ
أقتلوا الرافضيَّ ذبحاً ليغدو ... فوق رمحٍ رأس لهُ منكوسُ
يا رسولاً من المليكِ أترضى ... أمةٌ حكم دينها معكوسُ؟!
يا رسول المليكِ أدعُ عليهمْ ... طغمةُ ليس فيهم قديسُ
مرةً.. داعشٌ[1] تبيحُ دمانا ... ثم يغري بـ(نصرةِ) ابليسُ[2]

(١) (٢) جماعات داعش والنصرة التكفيرية الإرهابية.

البدارَ البدارَ يا حجة اللـ ـهِ ستحيا اذا ظهرت النفوسُ
يملأ الأرض عدلهُ بعدما قد حلّ فيها التدنيسُ والتلبيسُ
عجّل اللهُ مقدماً أنتَ فيهِ في صِحابٍ كأنكمْ طاووسُ
بلطيفِ الشعرِ الكريمِ أعنّي حينَ يُتلى ستُستفادُ دروسُ
غايةُ الشعرِ أن تعيش قلوبٌ بالتآخي وأن تُثارَ النفوسُ
بَرِءَ الشّعرُ من قوافٍ ثقالٍ ضاعَ فيها الإحساسُ والمحسوسُ
إنّما هذهِ القلوبُ حديدٌ ولذيذُ الألفاظِ مغناطيسُ
مقولُ الحقِّ خالدٌ وجميلٌ منهُ عبرَ الزمانِ تبقى طُروسُ
إنَّ زينَ الرؤوسِ فكرٌ نقيٌّ هكذا فليكنْ وتحيا الرؤوسُ

تحية الشيخ الكرامي[1]

قام سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) بزيارة سماحة المرجع الديني الشيخ محمد علي الكرامي القمّي(دام ظله) في محل إقامته بمناسبة قدومه إلى النجف الأشرف لزيارة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) يوم الاثنين ٢٢/ج١/١٤٣٥ المصادف ٢٠١٤/٣/٢٤ وتناولا في حديثهما شؤون المرجعية والحوزات العلمية في العراق وإيران والمسلمين عامة، ورافق سماحة الشيخ عدد من فضلاء الحوزة وأثناء اللقاء رحّب فضيلة الشيخ حسنين قفطان بسماحة المرجع الضيف وأنشد هذه الأبيات وتضمّن البيت الأخير تاريخ الزيارة فنالت استحسان وإعجاب الضيف وطلب تزويده بتسجيلها.

لذ بالغري إذا الزمانُ أساءا ... واقصدهُ تلقَ به أباً وإباءا
وارمق بطرفكَ قبة أبدية الـ ... ـإشراقِ تعبقُ بهجة وسناءا
فالأرض أمٌ ليس يحمل ظهرُها ... إلا الأبرَّ وإن نأى وتناءى
تشكو إليك مرارةً من جائريـ ... ـن جوارها يتنفسون عداءا
حملتكَ طيفاً في خيال منامها ... ورنّت لصوتك خيفة ورجاءا
ولأن علمكَ لم يزل متوهجاً ... يتلمس السبعين منك عطاءا
سعدت بمقدمك المعارف وأزدهى ... ـعلم الذي قد زاد فيك نماءا

(١) نشرت في العدد (١٣٩) من صحيفة الصادقين الصادر في يوم الأحد ٢٠ ج٢ ١٤٣٥ المصادف ٢٠ نيسان ٢٠١٤.

يا أنتَ والعشرون قبل بلوغها ... أعطيت حقّ العلم منك أداءا
ووقفت ضد البهلوي وبطشه ... بطلاً سقى سوح الجهاد دماءا
فمـــداد علمـــك والـــدماء زكيـــة ... كانـــا بمدرجـــةِ العطـــاء ســـواءا
فكأن روح الله روحك لم تزل ... تهمي على داء القساةِ دواءا
جمع اسمك الهادي النبي وصنوه ... فجمعت فضلهما هدى وضياءا
ولكل نفس في الزمان قرينها ... فانظر لمن لبّى إليك وجاءا
مشكاة نور اللهِ في النجف التي ... تشكو زمان الظلم والظلماءا
والله شرف أرض طيبة كلها ... (بمحمدٍ) وقضى بذاك وشاءا
ولأجل حيدرةٍ أقول (مؤرخاً) ... بمحمديً كسا الغري بهاءا

١٠٤+٨١+١٢٤١+٩= ١٤٣٥هـ

الفهرس

المباركة الشرعية لعمل المنظمات الخيرية والإنسانية ٣
إن أمر الإمام المهدي (عليه السلام) أبين من الشمس ٨
المحافظة على الصلوات: آخر وصية للإمام الصادق (عليه السلام) ١١
الرد العملي على الإساءة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ١٧
اصدع بهويتك وكن شجاعاً ٢٤
من مواعظ الإمام الجواد (عليه السلام) ٢٧
عشرة ذي الحجة شهر رمضان الأصغر ٣٦
الذِكر زينة العيد ٣٩
معنى ذكر الله على كل حال: ٤١
جزاء الذكر وآثاره وفضل مجالس الذكر: ٤٣
جزاء الذكر وآثاره ٤٤
أما الأحاديث الشريفة فقد ورد فيها الشيء الكثير ٤٦
من مصاديق الذكر الكثير ٤٩
خسارة الغفلة والإعراض عن الذكر ٥٠
حقيقة الذكر ٥١
مجالس أهل البيت (عليهم السلام) من الذكر ٥٣
كيف نحول الحرام إلى حلال في حياتنا (المصارف الأهلية نموذجاً) ٥٤

حول قرار الحكومة الاخير بالتعويض بمبلغ نقدي عن مفردات البطاقة التموينية . . ٦١
أسبوع أمير المؤمنين ومعركة التأويل ٦٤
الإصلاح: رسالة الإمام الحسين (عليه السلام) ٧١
توجيهات حول خروج النساء مشياً إلى كربلاء من مسافات بعيدة أياماً عديدة . . ٧٧
أصداء توجيهات المرجعية ٨٤
النهضة الحسينية والدفاع عن حقوق الإنسان ٨٨
ثواب إنشاء مواكب الخدمة ودور الاستراحة على طرق الزوّار والمسافرين . . . ٩٥
إلى المشكّكين بجدوى الزيارات المليونية ١٠٠
أسمى الفرائض وأشرفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠٥
إن الله قد يحب العبد ويبغض عمله ١١٢
من سُنن النبي (صلى الله عليه وآله) ١٢٠
كيف نكون من أهل (يا ليتنا كنّا معكم) ١٢٥
ضرورة الاهتمام بفعل المستحبات وترك الشبهات والمكروهات ١٢٨
أعطوا للقرآن الكريم دوراً متميزاً في حياتكم ١٣٧
على المرجعيات الدينية والقيادات السياسية أن تتنازل لمن هو أكفأ ١٤٠
الصناعة الإلهية للإنسان ١٤٤
(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم) ١٤٩
قاعدة في السلوك المعنوي ١٥٤

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ١٥٨
(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ) ١٦٤
محافظة المثنى: نموذج بائس لتردّي أحوال شعبنا ١٦٩
ليس سعيداً من اكتفى بغيره في فعل الخير ١٧٢
معاني القرآن لا تنتهي ١٧٧
(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ) ١٧٩
موقع الصلاة في الدين ١٨٢
التشديد على تارك الصلاة ١٨٣
نصيحة وتوصية ١٨٤
الصدّيقة الزهراء (عليها السلام) تحمل هذا الدين وتحميه ١٨٦
أسباب الانحراف والتأويل ١٩٠
القرآن الكريم ومقامات السيّدة الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام) ١٩٥
المشاريع الشيطانية التي أعدّت للمنطقة الإسلامية والعربية ٢٠٢
درس من حياة الإمام الباقر (عليه السلام) في ترتيب وضع الشيعة ٢٠٥
الإمام الهادي (عليه السلام) يواجه أصحاب الدعاوى الباطلة ٢١١
مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تتناهى كأعدائه ٢١٧
الإمام الكاظم (عليه السلام) وتكثير النسل ٢٢٤
إخراج الزكاة: الآثار العظيمة وعاقبة الترك ٢٣٣

ميدانكم الأول لتحصيل المعنويات أنفسكم ٢٣٨
تفسير أمير المؤمنين (عليه السلام) لثورات الشعوب: ثورة الشعب المصري نموذجا . . ٢٤٣
تعاملوا في حياتكم بإيجابية ٢٤٩
(ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) ٢٥٧
سلامة الدين في اعتزال الناس ٢٦٣
أمير المؤمنين (عليه السلام) ومكر طلّاب الزعامات ٢٧٢
بيان تأبين في ضحايا تفجير سبع البور ٢٧٧
(الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) ٢٧٩
(وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ) ٢٨٤
ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه ٢٨٨
دروس أخلاقية وتربوية من قصة قصيرة ٢٩٦
المرأة وطلب المعالي ٣٠٤
ونحشره يوم القيامة أعمى ٣١١
عوامل ازدهار التشيّع بين الأمس واليوم ٣١٧
شرف خدمة أهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم ٣٢٨
قانونا المحكمة الجعفرية والأحوال الشخصية الجعفري نصرة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ٣٣١
الذين بدّلوا نعمة الله كفراً ٣٣٣
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ ؟ ٣٤٠

الوصية الأخيرة للإمام الحسين والإمام السجاد (عليهما السلام) ٣٤٧
المرجعية الدينية وقانونا الأحوال الشخصية والمحكمة العليا الجعفرية ٣٥٤
نعيب زماننا والعيب فينا رزية يوم الثلاثاء نموذجاً ٣٥٨
نيلسون مانديلا.. الثائر الفذّ ٣٦٧
تجليات الحُسنُ عند الإمام الحسن (عليه السلام) ٣٦٩
التجديد في الخطاب الديني ٣٧٥
ماذا بعد رزية الثلاثاء ٣٩٣
معالم النجاح في الزيارات المليونية ٣٩٥
وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ٤٠٠
(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ) ٤٠٩
اعتراف الغرب بعظمة التشريع الإسلامي ٤١٢
واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ٤١٦
التعدُّديّةُ الدينيةُ في أفُقِ حِوارِ الحضارات ٤٢٠
جواب المعترضين على القانون الجعفري ٤٢٦
المرجع اليعقوبي يستنكر تعّدي ميلادينوف على حق الاغلبية الشيعية ٤٣٧
تجمعات نسوية حاشدة نصرة للقانون الجعفري ٤٣٨
السيدة الزهراء (عليها السلام) وإقامة حكم الله تعالى ٤٣٩
المشاركة في الانتخابات: استحقاق إنساني ووطني وواجب شرعي ٤٥٠

مختارات من صحيفة الصادقين ٤٥٧
بيع السلاح إلى جهات مجهولة ٤٥٨
توجيهات الى مرشدي قوافل الحجيج ٤٥٩
السيد الكشميري يدعو إلى نصرة المرجعية ٤٦١
تعليق على دعوات البيعة لسماحة الشيخ اليعقوبي على مواقع التواصل الاجتماعي ٤٦٣
تعليق على قرار المحكمة الاتحادية حول توزيع المقاعد الشاغرة ٤٦٤
(جامعيون) يستعيد نشاطه وحيويته ٤٦٦
سماحة الشيخ الصفار ينصر المرجع اليعقوبي في مواقفه ٤٦٧
من يتصدى للمجالس الحسينية مجاناً ٤٦٩
النظام السياسي الجديد يكرّم القتلة المجرمين ويهمل ضحايا صدام ٤٧٠
سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي يستقبل سماحة السيد مقتدى الصدر ٤٧٣
سماحة المرجع اليعقوبي يزور سماحة السيد مقتدى الصدر ٤٧٥
إحياء الشعائر الفاطمية في سامراء ٤٧٦
إزالة المزارات الوهمية ٤٧٧
في تأبين الفقيد سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي ٤٧٨
بيان حول اقتحام منزل آية الله الشيخ عيسى قاسم (دامت إفاضاته) ٤٨١
تصنيف خطابات سماحة المرجع اليعقوبي ٤٨٢
مجمع المبلّغات الرساليات ٤٨٣

آفاق العمل المشترك بين المرجعية الدينية والأمم المتحدة في العراق ٤٨٥
التزام المؤمنات بتوجيهات المرجعية الرشيدة ٤٨٩
أحكام بيع الدولار بالآجل ٤٩٠
مسائل مستحدثة في الحج لهذا العام ٤٩٣
استفتاء حول سب الرموز الدينية للإخوة من أهل السنة ٤٩٦
الفقيه القرآني ٤٩٨
لا يجوز للآباء التجسس على أجهزة أبنائهم ٤٩٩
الشخصية المعنوية للدولة وحرمة الأموال العامة ٥٠٠
حديث الروح ٥٠٤
من فكرك الأجيالُ تزدهرُ ٥٠٥
سل كراماً ٥٠٧
تواريخ ٥١١
جامعة الصدر الدينية ٥١٣
رزء الخميس ونكبة الثُلثاء ٥١٥
أقبل السّـعدُ ٥١٩
تحية الشيخ الكرامي ٥٢٣
الفهرس ٥٢٥